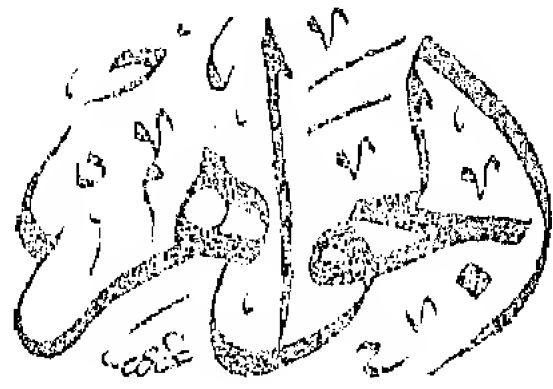


١٧١



في تفسير القرآن الكريم

المستعمل على جواب الشيخ المكي وأقرب الأئمة

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طهطاوي جوهرى
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بجزائه آمين

المجلد الثاني عشر

طبع مطبعة

مطبعة السباني الحسني وأولاده بمصر

وتمت الطبعة محفوظة لهم

وباشطبعه محمد امين عثمان

شوال سنة ١٣٤٨ هـ

وَذَكَرْنَا إِنْ أَلَّا كَرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الأحزاب

(هي مدنية)

(وآياتها ثلاث وسبعون — نزلت بعد آل عمران)

(وهي ثلاثة أقسام)

(القسم الأول) في تفسير البسملة

(القسم الثاني) في مقدمة السورة ، وفي مناسبتها لما قبلها ، وفي غزوة الأحزاب من أول السورة الى قوله تعالى — وأرضا لم تطوها وكان الله على كل شيء قديرا —

(القسم الثالث) في أحكام أزواج النبي ﷺ وما أشبه ذلك من قوله تعالى — يا أيها النبي قل لأزواجك — الى آخر السورة

﴿ القسم الأول في تفسير البسملة ﴾

سأذكر هنا تفسيرها من ﴿ وجهين ﴾ الوجه الأول ﴿ بيان كيف كانت الرحمة فيها ملخص سورة السجدة السابقة على هذه لتوازن الرحمة فيها هناك بالرحمة في هذه السورة وأن ذكرها في أول كل منهما لمناسبة الرحمة التي جاءت في أثناء آيات السورة وما قدمناه في أول سورة السجدة في تفسير البسملة لم نذكر فيه بيان هذا المعنى بل ذكرنا هناك أولا الفرق بين صفة العبد وصفة الرب وضربنا مثلا بالقول والشمس وأبنا الرحمة في الحقول والطيور والأنعام والأشجار في البر والبحر ومعاني أسماء الله الحسنى في نفس الحقول ، وأن الانسان يدهش من عجائب المادّة ، وأن الشرور كلها مقدمات للرحمات ، وأن الشرور لم تكن إلا بالقصد الثاني لا الأول وأن العداوات وامتلاء الجو بالموادّ الفاسدة إنما ذلك ليتفرّق الناس على الأرض فتكون الحياة والسعادة . هذا هو الذي تقدّم في تفسير البسملة في سورة السجدة . ولما تمّ الكلام على سورة السجدة وجب أن نبين

كيف كانت الرجة في البسملة مشيرة لما فيها من الرحمة والنعم لذلك نقول
تقدم في تفسير البسملة في أول سورة الروم ما يتبع به النفوس ، وتشرح له الصدور ، وتطمئن له الأبواب
من الحكمة الهجبية والآيات البديعة إذ استبان هناك أن آلام الكسر والضرب وآلام الجرح والجوع وآلام
سائر الأمراض إن هي إلا مذكرات ومنبهات لما يجب عمله من الدواء والغذاء . وأقول الآن ان ذلك البيان
هناك مناسب لاعتباره قتال الأمم في تلك السورة بجراح وأضرارا لها

وتقدم في سورة لقمان في تفسير البسملة هناك أن العقول مضطربات اضطراب الأجسام فالجسم والروح فرسارهان في الذوبان
والملاشاة والأغذية والأدوية للأجسام والعلوم الكونية أغذية الروح وعلوم الأخلاق وتهذيب النفوس أدويتها
وهذا هو الذي جاء في سورة لقمان ، أما في سورة السجدة المتقدمة فاني أقول ما يناسب ما جاء فيها من الرحمت .
ابتداء سبحانه بذكر أن الكتاب لا ريب فيه ، وبذكر خلق العوالم في أيام معدودات . ثم انه أخذ يدبر تدبير
الملك المستوى على عرشه لرعيته . العظيم الجلال فلا يعوزه نصير وليس لشفيع عنده مقام إلا بآذنه ، واسع العلم
وقد استوى عنده الباطن والظاهر والغائب والحاضر بخلاف ملوك الأرض فهم لا يعلمون الغيب وهو غالب قاهر
عزيز الجانب ، ذورجة واسعة ، لم يدع في ملكه مخلوقا إلا أحسن صورته وزوّقه وجنده وسوّاه ، ومن أعجب
العجب أن هذا الانسان البديع الصنع . الجليل الوجه ، الواسع العقل ، الحسن الاتقان ، لم يكن إلا من طين
وذلك الطين عجن بماء وامتزج به الهواء والنور وعناصر كثيرة ، وبارسال أنوار السكواكب المشرقات وأهمها
الشمس ودورانها حالا بعد حال سوّيت خلقتها ونظمت أعضاؤه ، فالسموات والأرض المذكورات في أول
السورة ودوران السكواكب بتدبير من استوى على عرشها ، ذلك كله مقدمات وأسباب جعلت لابتداع النظام
واظهار الحسن والجمال في صور الانسان ، ومن هذه الأجسام الانسانية اتخذت خلاصة مائة بها كان النسل
أجيالا وأجيالا ، ومن أبدع ما في تلك الصورة الانسانية الحواس التي جعلت في هذه الأجسام في مقابلة السكواكب
في السماء فالسكواكب تشرق بنورها فتضيء السبل والحواس بها يمتاز الظلام من النور والحواس المرّ والطيب
من الخبيث ، فتدبر الملك المستوى على عرش هذه الأكوان قضى أن يكون في جسم الانسان نظير ما في الجسم
العام . الجسم السكلي مشرق بالنور وبالأرواح العالية وهذا الجسم الحيواني والانساني له مشرقات مبنات لما
هو في حاجة اليه ومن أهمها الاسماع والابصار

ولاعجب في ذلك فان الاصول تتبعها الفروع . فكما كان في السكواكب أنوار هكذا في أرضنا أنوار إمامين
الأرض بالبقول والغاز ، وأما من النبات كالزيت ، وأما من الحيوان كالشمع والشحم ، وأما من السكهر باه
وهكذا فهذه أنوار جزئية تحاكي الأنوار السكلية المشرقة من الشمس . فههنا شابه الفرع وهي الأرض أصله
وهي الشمس بعض المشابهة ، وهكذا ما في الأرض من صناعة غالبا إلا وهي في حاجة الى آلات بدورات كما
تدور الأرض حول الشمس . الأرض تدور حول الشمس (كما تدور الشمس) وتدور حول نفسها لتقبس
الأنوار منها ليحيا ما عليها ، فهكذا نرى الانسان يدير أنواعا وسواقي ومجالات القطر الجاريات في الطرق الحديدية
ومجالات أخرى في آلات الحرث والطحن والدرس والخياطة ، وهكذا جميع أحوال الحياة آلاتها كلها دائرات
دوران الأرض حول نفسها ، فالأرض تدور لأجل استمداد الحياة لما عليها والآلات تدور لا كمال تلك الحياة
بالصناعات المختلفة ، إذن لا عجب اذا قلنا ان في جسم الانسان والحيوان حواس مشاكلة لما في السماء ولكن
المشاكلة هنا لحواس الملائكة . ومعنى هذا أن الأرض كما كان فيها أنوار كأنوار الشمس تضيء بالليل كالسكهر باه
هكذا فيها نفوس مدبرات لها حواس مشاكلة لما في تلك العوالم السكوكبية من ملائكة مدبرات لها ، وكل
هذه المعاني تؤخذ من قوله تعالى - يدبر الأمر من السماء الى الأرض - فهناك شمس مدورات دائرت تدبرها

أرواح عالية أصواتها مستمرة لايجاد واسعاد مخلوقات على أمثال أرضنا هكذا هنا مساييح كما تقدم ونفوس
بنى آدم مدبرات وآلات مدورات دارات لاحداث صنائع ، فالندين الثاني يشبه التدبير الأول . فالتدبير إذن
من السماء الى الأرض

ومن عرف الأنوار السكينة في السموات والأنوار الجزئية في الأرض في جسم الانسان فهو حري أن يشكر
مبدعهما بالعلم والحكمة أولاً ثم بالعمل بحيث يكون هو نفسه مشرق نور للناس نافعا لهم والا لسكانت روحه
أدنى مرتبة وأخس من حاسة من حواسه التي تبين له ما هي منوطة به من الفرق بين الحر والبرد والمز والخالج
ومما يدهش له اللب وتعارفيه العقول أن هذا النوع الانساني قليل الشكر لجهله بهذه النعم وغفلته التامة
عن هذا الابداع ، وقد ظن هذا الجهول اننا خلقناه وخلقنا السموات والأرض عبثا بلا فائدة . كلا .
فالمقدمات لها نتائجها فاذا أنكر البعث فذلك اضلاله ، وسيقف هذا المسكين خاضعا ذليلا خاشعا أمام خالقه وهو
كليل الطرف حسير وهناك يقول « هاأنذا أبصرت وسمعت فارجعني لأعمل صالحا » ولكن ليعلم الناس اني
وضعت كلا في مركزه وجعلت له سبيلا يسلكها وطريقا يسير فيها ، فالؤمن نفسه استعانت للإيمان
والكافر لا يخالف استعداداه وأنا عدل أضع كل امرئ فيما استعد له ولو كان هذا ظالما لسكانت المعدة والأعضاء
في الحيوان مظلومة بالنسبة للحواس . كلا . فلكل رتبة وخاصة بها انتظم العالم وللمؤمنين علامات منها أنهم
يحبونني ولذلك يودون أن تراح الأستار بيني وبينهم فلذلك يقوّمون بالليل ليناجوني وهناك أعطيتهم في حال
النهجد أنوارا وأسرارا وحبا لا يعرفه سواهم وقد أخفيت لهم ما لا يعلمه أحد بخلاف أصحاب النار وهذا قانون
عام في الأمم . ويقول « ألم ترالى بنى اسرائيل وقد كان منهم هداة صبروا فقالوا إذ أيقنوا »

فلما اطلع على هذا صاحبي العالم قال حسن ما خلصت به أكثر هذه السور ولستكن أين أهم ما يدور البحث عليه
فيها . قلت ﴿ ثلاث مسائل ﴾ تسوية خلق الانسان وموته وبعثه ، ولا جرم أن هذه الثلاث متلاحقات متصلات
أخذ بعضها برقاب بعض . فلا حدثك عن التسوية أولاً ثم عن أخواتها ، الله أكبر ، هاهو ذا جسمي ممّ ركب ؟
أهمّ ماركب منه الفحم والا كسوجين والهيدروجين والنيتروجين وهو الاوزوت ، هذه الأربع أعمدة تقام عليها
هياكل كل حيوان ونبات في الأرض وما هو الفحم (الكربون) ؟ إن هو إلا جسم اذا عرضناه للنار اتحد
مع الاكسوجين فأصبحا جسما غازيا يشبه الهواء في أنه غاز ولا يشبهه في طبعه فهو جسم سام محرق ، وأما
الاكسوجين فهو جسم غازي يشبه الهواء من حيث هيئته ولا يشبهه من حيث طبعه ، فادخل أي معمل من
معامل الطبيعة في الشرق والغرب وقل لهم أروني الاكسوجين حينئذ يرونك زجاجات فيها غاز كالهواء تماما .
فهناك اذا أوقدت شمعة وأدخلتها في زجاجة من تلك الزجاجات انقادت حالا وأضاءت ضوءا مشرقا واذا أدخلت
هذه الشمعة المتقدة في قارورة لاشئ فيها سوى الهواء فانها يقل ضوءها لا انه يزدهى كما هي الحال في زجاجة
الاكسوجين ، وأما الهيدروجين فهو شفاف كالاكسوجين ولستكنه أخف منه بل أخف من جميع العناصر
المعروفة ومتى اتحد بالاكسوجين تسكون الماء ، وأما النيتروجين فهو مثلهما معا من حيث انه غاز شفاف ولستكن
خواصه تخالفهما معا ، واذا اتحد بالاكسوجين تسكون من اتحادهما حوامض شديدة الفعل ومن أهمها
وأعظمها (الحامض النتريك) أي ماء الفضة أي الذي يذيب الفضة ويذيب أكثر المعادن ويميت الأنسجة
الحيوانية والنباتية ، هذا هو النيتروجين فهو باتحاده مع الاكسوجين يكون متلفا مهلكا بخلاف الهيدروجين
فانه باتحاده مع الاكسوجين يعطي الحياة وذلك هو الماء . الله أكبر . سبحانك اللهم خلقتنا وعلمتنا من أجل
التعليم ، فاذا سمعنا في الآثار أن لك ملكا نصف جسمه من نلج ونصفه من نار فلا الثلج يطفى النار ولا النار
تذيب الثلج ، فهذه أجسامنا معاشر أهل الأرض فيها عناصر منها ما يهلك ومنها ما يحيى وهي مجتمعات في
جسمي ، ولا جرم أن شرط الأحياء والاماتة موجود وهو الاتحاد ، فهذه العناصر الأربع ممتدة في جسمي .

فالاكسوجين متعمد بالهيدروجين وبهما معا كان الماء في جسمي والنيوتروجين متعمد بالاكسوجين وبهما معا ماء الفضة ، وهذا هو السكندر الذي كشفه الألمان أيام الحرب العظمى فانهم استعملوا هذا المركب وهو (حامض النيتريك) في المفرقات والمهاجمات في الحرب ثم حوّلوا ذلك كله بعد الحرب الى سماد

عجبا يارب ، جسمي فيه مابه الحياة وهو الماء من اكسوجين وأودروجين ، وجسمي فيه مابه الموت وهو الاكسوجين المتحد مع النيوتروجين فساكن منهما ماء الفضة وهو (حامض النيتريك) ذلك المهلك المميت مخرب الحصون والقلاع ثم انه يحوّل الى سماد فيكون مصلحا للزرع جالبا للرزق . وهناك ملخص تلك المركبات

- (١) الاكسوجين مع الهيدروجين يكون منهما الماء
- (٢) الاكسوجين مع النيوتروجين يكون منهما ماء الفضة
- (٣) الاكسوجين مع الفحم يكون منهما غاز سام
- (٤) الهيدروجين بالكربون يتكوّن منهما غاز قابل للاشتعال

فليس في هذه المتحدات ما فيه حياة الاحال واحدة وهي اتحاد الاكسوجين بالاودروجين والبقية مهلكة سامة محرقة ، فلما اجتمعت الأربع حدث منها أمر عجيب . حدثت حياة دائمة بالتناسل والنظام المدهش ، فيا عجبا تسوية وانتظام وابداع وبهجة منظر وحسن اتساق نشأ كله من مواد سامة مهلكة . إذن الحياة مشتقة مما به الموت . فيا للعجب غازات سامة تتحد وتتكاثر فتصير أشكالا منظمة فيها عقول منظمة لهذا العالم . هذه تسوية الانسان وهذا قوله تعالى - ثم سواه ونفخ فيه من روحي - وأنا أيها الذكي بعد هذا البيان لم أعطك سرا من أسرار التكوين لأن ذلك السر لم أطلع عليه ولو اطلعت عليه لمنعت من افشائه لك لأنه فوق متناول العقول . فما علاقة الروح الحية المشرقة النور المنبعثة من جانب ذي الجلال القدسي بهذه المواد السامة وأي شيء هو غاز الاكسوجين والاودروجين والاوزوت والفحم حتى تطمئن النفس فيها وتسكن . سببنا من علمنا وأطامنا على عجائب أجسامنا ، أنا أكتب هذه الساعة وأنا أعجب من جسمي المجموع من أجسام هوائية غازية لا تستقر على حال مهلكة ، فيأيتها الروح الساكنة في جسمي هاأنذا أخطبك وأنا القائل وأنا السامع لأن لي لسانا ولي أذنين ، فأنا القائل باللسان وأنا السامع بالأذن . فأقول لك أنت لست من هذا العالم ، انه عالم مضطرب قد استقررت في هذا الجسم المضطربة الملهبة أجزاءه ، وهل هو إلا تلك العناصر المفرقة المهلكة جندرتها ونظمها يد قاهرة غالبية الى حين ثم ترجع هذه العناصر الى حالها مع جنسها ، ثم انك أنت ترجعين الى عالمك تستقرين هناك فسمعيك وبصرك اللذان جعلاك ماهما إلا بصيص نور من نورك قد أضاء لك في الأرض وتمايم نورك يكون بعد الموت ، ألم تسمعي قوله تعالى - وجعل لكم السمع والأبصار - الخ وقوله حكاية عن الأرواح في تلك الحال إذ تقول - ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا لعمل صالحا إنا موقنون - إذن سمعك وبصرك الآن ليسا كسمعك وبصرك هناك . فالسمع والبصر هناك يورثان اليقين لأن السمع أتم والبصر أتم لا تنزعهما من هذه العناصر المذمومة المتحاربة المهلكة

هذه ياروحي أسرار ما تحسبن فيك من لذة وألم . الألم واللذة احساسان ناربان . تألمين بالجوع وبالعطش وبايذاء الأعداء وبالأعراض وتستلذين بالغذاء والماء والنصر المبين ، وما اللذة والألم إلا لغتان من اللغات التي أنزلت في هذه الأجسام ولها نطق وافصح أصريح وأبين من افصح اللسان ، اجتمعت هذه العناصر في جسمي وأسكنت فيها فأخذت هذه العناصر تنطق لك بنطق فصيح بعد أن كانت بكاء خرساء وهي ملقاة في الأرض فتالت لك تارة احسدرى البرد وتارة احسدرى الحر فاحساسك بالبرد ينطق أفصح من نطق اللسان واحساسك بالحر كذلك وهكذا ذوقك الطعام والشراب واستلذاذك بهما افصح وتبيان لك

فهذا استبان أن كل ذلك رحمت لأنها بيان وكلام فاللذة كلام والألم كلام وجميع النعم والنعم والموت

والحياة كلها كلمات مفصحات مبيّنات مذكرات . وأى رحمة أجل من الذكرى والبيان إذ حياتنا كلها رحمة استوى فيها الألم واللذة وموتنا رحمة لاخراجنا من هذه المواد المضطربة ، هذا هو بعض سرّ التسمية في أول هذه السورة ، فهذه العوالم في جسمك وفي خارجه ناطقات اليوم مفصحات مبيّنات ، ألم تقرئى . قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ . هذا نوع من النطق ، نطق جاء من الكائنات بلا حرف ولا صوت ونحن نسمعه لامن طريق الأذن بل نسمعه من سائر أجسامنا

اللهم انك علمتنا وأرقتنا نطق المخاوفات ، وأفهمتنا نورا يسيرا من كتابك وفهمنا ذلك الكلام الفصيح الذى أودعته في أجسامنا وفي الطبيعة وأدركنا بعض سر ما نطق به الجلود والأيدى والأرجل إذ يقال للجلود . لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ . فهذه الأشياء تنطق للبار والفاجر منا وكل يسمع ذلك النطق ولكن لا يعقله إلا الأقاويل . وهذا سرّ قولك . قليلا ما تشكرون .

لا يحيط بما تنطق به هذه العناصر إلا أرواح أرقى من أرواحنا القاصرة لأنها أرواح جزئية فلذلك احتجنا لمن يذكرنا من الأنبياء ولين يعلمونا من الحكماء ولين يداوون أجسامنا من الأطباء وهكذا فتختص كل طائفة بعمل عسى أن يقربوا من الكمال وما هم بباقية في هذه الأرض فكان لابد عندنا من كل علم ولا بد من طوائف تخصص لها كما أنه لابد بعد الموت من نفوس أعلى منا تقرأ نفوسنا وأخلاقنا وتعاملنا على مقتضى ذلك في تلك الدار بأمر خالقها وعلمها بسبب ضعفنا عن الاستيعاب لأننا محبوسون في أقفاص نارية سمية منعتنا عن تمام الحرية والاستقلال ، ومنا في هذه الأرض من اختصوا بدرس الجلود والأيدى فعرفوا مسامهما وخطوطهما فشهدت على الجرمين في هذه الحياة الدنيا كما تقدم في هذا التفسير . وهذا أمر شائع في جميع حكومات العالم ومنها حكومتنا المصرية . شهدت جلودنا في حياتنا الدنيا وشهدت خطوط أيدينا وذلك من التسوية العجيبة . أليس أمر هذا القرآن عجيبا . يذكر التسوية في خلق الإنسان هنا ويذكرها في سورة القيامة ﴿ في قوله تعالى . بلى قادرين على أن نسوي بنانه . ويقرأ هذه الآية أحد علماء الألمان في هذه السنين فيسأل لم أسلمت أيها العالم ؟ فيجيب قائلا قرأت في القرآن المنزل على ذلك النبي العربى الأسمى . بلى قادرين على أن نسوي بنانه . وقد أصبحت جميع الحكومات لا تستقر قرار الأمن فيها إلا بدراسة نظام البنان ومسامه ، ولم يجد الناس رجلين في الكرة الأرضية تشابه أناملهما في مسامهما ونظامهما ، فلم يختص البنان بالذكر ؟ وعلم البنان لم يكن ليخبره الناس إذ ذاك ولم تدركه الحكومات السابقة بل لو عرفوا ذلك لم يعرفه أهل الحجاز ومنهم هذا النبي الأسمى ، فهذا القول إنما جاء من مصدر أعلى من عقولنا التى في الأرض فلذلك آمنت به وصدقت . انتهى كلامه

وهذا الإفصاح والبيان من العناصر في أجسامنا يدخل فيه جميع خواص العقاقير في الأدوية ونواميس الوجود ، فإذا خرجنا من هذه المادة أشرقت عقولنا وظهرت لها الحقائق على ما هي عليه كل على قدر طاقته الفاجر والصالح وهذا قوله . ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون . أى أما في الحياة فإنا كنا محجوبين ولم ندرك سر الوجود ولذلك يقال هناك أيضا . فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد . ويقال . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .

هذه شذرة من قصة هذا الإنسان ومبدأ خلقته وأحواله وموته وبعثه والحمد لله رب العالمين . كتب صباح يوم الأربعاء (٦) من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٩ م انتهى الكلام على البسملة مع تلخيص سورة السجدة فلننظر في الكلام الآن على تفسير البسملة في أول « الأحزاب » للموازنة بين السورتين من حيث الرحمة التى تضمنتها البسملة وتخللت آيات السورة

لقد تكررت البسملة في أول كل سورة ودرج المسلمون قديما وحديثا على التسمية في طعاهم وشراهم
ثلثائة وألف سنة فترى جهلاءهم وعلماءهم ، كبارهم وصغارهم لا يعملون عملا إلا بالتسمية سنة محمدية وشريعة
اسلامية طلبا لثواب الله وتقرّبا اليه وزاقي لديه ، فتلك سنة من خير السنن ، وخصلة من أجلّ الخصال
لقد تقدّم الكلام على البسملة في الفاتحة وفي غيرها من السور مثل (الروم ولقمان والسجدة) ولكن بقي
لها بقية لا بد من تداركها . وحكمة يجب اظهارها ، ونعمة حق على ابدائها لهذه الأمة المستكينة المضطهدة لفشو
الجهالة وظهور الخطل في آراء عاقتها ، والقفلة في نظام دراستها ، والنوم على التقليد الأعمى ، وتفيؤ ظل السكسل
والجهل المبين الذي هو من يحموم لبارد ولا كريم ، أثبت النبوة المحمدية الشريفة أن تذرنا تتخبط في ديجور
الظلام فعلمتنا أن الأعمال لاتصح إلا بالنيات وأن لكل امرئ ما نوى ، وما هي النية ؟ هي رغبة العلم ووليدة
الفهم فمن تعلم فهم ومن فهم أحب ومن أحب الكمال ومحاسن الفضائل شاقته ومن اشتاق هم بالعمل ونواه
وهناك تكون الأعمال على مقتضى تلك النيات والمعارف السابقة ، فليس في مجرد التسمية (بلا علم بمواطن
الرجات ومحاسن الجمال في المخلوقات وبهجة العوالم الربانية والآيات الحكيمية والابداع وحسن التصوير
والتنسيق) منتهى مقاصد النبوة ولا مبلغ ما تريده من العلماء العاملين . لأن اكتفينا من العامى في صلته
وصيامه ومأكله ومشربه بالتسمية والحمدلة اللفظيين لنقول لعلماء الأمة وعقلائها ونابغها ليسكن الدرس وأعمال
الفكر ومعرفة الجمال في هذه العوالم حتى توقنوا بالرجات ايقانا علميا تفصيليا كالذى في هذا التفسير
علم الله أن المسلمين سينامون نحو ألف سنة عن التفكير في مخاوفه وينسون جيل صنعه فأنزل البسملة
في أول كل سورة وكررها مائة وأربع عشرة مرة في القرآن ويكررها المسلمون في صلاتهم فقرأناها تعبدا وقلنا
كفى ، لاتقوم الأهم بمجرد الكمات وإنما قيامها بما تضمنته من المعاني وما حوته من حكمة ومعنى جيل .
لما وقف أكثر المتقدمين من العاظمة وصغار العلماء على القشور وجسدوا على الألفاظ جودا مهيبا نسي أكثر
الناس في العصور المتأخرة روح معنى التسمية واكتفى الخطباء على المنابر والوعاظ في المساجد بفكر نهيم الجنة
وعذاب جهنم حتى استقرّ لدى كثير منهم أن ربنا تجب العبادة له خوفا من ناره وخشية من سطوته فحسب
لاحبا فيه ولا ابتهاجا برحمته الواسعة فأصبح المسلم إذ ذاك ما بين حاكم يسطو عليه لاختافته مثل ما حصل بمصر
أيام المماليك البرية والبحرية وغيرهم من أبناهم الذين فتكوا بأبناء البلاد أيام حكم الترك الى أن أبادهم
المغفور له محمد على باشا ، وما بين خطيب لا يجد سبيلا للوعظ غير جهنم في الآخرة بحيث لا يرى ما أمامه من الرحمت
ولما حوله من النعم التي أسبغها الله على الانسان والحيوان ، وما بين المسلم والمؤدّب الذي يضربه بالعصا أيام
التعليم ، ياسبحان الله ان الأمة أيام تهقرها يكون أساورها في الدين وفي الحكومة وفي نظام التعليم على وتيرة
واحدة فلقصور الحكومات عن تمام النظام لاتجد لها مناصا من الاضطهاد ، والجهل المعلم لا يعرف غير العصا
واسوء المملكة وقلة العلم يقتصر الوعاظ في أكثر أقوالهم على التحذير من عذاب جهنم وبئس القرار
علم الله ذلك لأنه قدره قبل أن يخلق العالم فأنزل البسملة في أول كل سورة وعممها بالسنة الشريفة المحمدية
ليقول لنا اليوم

« أيها المسلمون . لأن كنت أنا ذا رحمة وغضب في الآخرة بالجنة والنار لقد أسبغت النعم عليكم في الدنيا
ظاهرا وباطنا وأحطتكم فيها بالمتنرات والمخاوف والآخرة في نعيمها وحجيمها نتيجة حياتكم هذه فمن غفل عن
رحمتي الواسعة في الدنيا وجهل ما أحبطته به من الجمال والنعم فاني عدل حكيم أدله في الدنيا جزاء وفاقا ، وليس
هذا الاذلال للانتقام . كلا . وإنما هو نتائج ، ألم تقرؤا - ويعطى كل ذى فضل فضله - فكيف أهب رحمتي
لمن لم يكن أهلا لها ، بل كيف أسبغ نعمتي على من لم يطلب إلا البنية . ولائمة إلا بالعلم ، فالعلم بالمخلوقات
حولكم يجعلكم لها عاشقين والعشق تتبعه نية التحصيل والنية يتبعها العمل »

هذا سر من أسرار تكرار البسملة في أول كل سورة ، وأنه ليخيل إلى الآن أن عقلا كبيرا من العقول العظيمة في البرزخ اطلع على هذه الأمة الإسلامية فقال عجبا أليس في هؤلاء رجل رشيد ، كرّر الله البسملة وكررها عامتهم وخاصتهم ، ألم يتفكر منهم رجل في حكمة هذا التكرار ، أليس التكرار لعظم المقدار والحاجة إلى هذا المكرر ، تكرار القرآن ليس كتكرار كلام البشر . فأين الباحثون عن حكمته ؟ هنا كررت آية - ويل يومئذ للكذابين - في ﴿ سورة المرسلات ﴾ . ذلك لأن جرم التكذيب عظيم . وكررت آية - فبأي آلاء ربكما تكذبان - في ﴿ سورة الرحمن ﴾ لأن أمر النعم عظيم وهو تكرار البسملة في أول السور . تهويل العقاب على التكذيب ناسبه تكرار الآية المتقدمة جمال النعم والرحمات عظمت العناية بها في ﴿ سورة الرحمن ﴾ وغيرها تكررت آية الآلاء وجعلت البسملة في أول كل سورة من القرآن

رتب الامام الشافعي رضي الله عنه أعضاء الوضوء كما ثبتت في الآية وهذه دقة في الملاحظة واستمسك بالدين فهل في خطة الانصاف ومهيج العدل ونور العقل أن يحرص أوائلنا هذا الحرص على آي التنزيل حتى أنهم يوجبون فرائض لأمر مهنوي وهو التقديم والتأخير . ثم اننا نحن المتأخرين نرى آلاء الله قد عمت الكرة الأرضية ونسمع البسملة وآية الآلاء تكرر تكرارا كثيرا ثم لانفكر في الحكمة ولا نقول لماذا هذا التكرار ولم يتف مسلم عالم من أهل الاسلام يوما ويقول تقديم وتأخير في آية الوضوء أنتج وجوبا شرعيا ، وتقديم وتأخير في آية ذكر الله فيها المهاجرين والأنصار احتجاج بها أبو بكر الصديق يوم سقيفة بني ساعدة وقال « أسألتكم قبلكم وقد منّا في القرآن عليكم فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار ، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء الخ » وبنى على ذلك أصرا واقفا وهو خلافة الخلفاء الأربعة والأمويين والعباسيين وبنى الحسن والحسين وغيرهم من آل البيت وبقية قريش . كل ذلك لتقديم وتأخير . يحصل هذا كله أيام آبائنا الأولين . ثم اننا اليوم نسمع البسملة تذكر فيها الرحمة مكررة مرتين وفيها كلمة الرحمن التي لا تطلق إلا على الله . ونسمع آية سورة الرحمن المكررة . ومن عجب أن آية الآلاء المكررة عشرات المرات لم تكن إلا من السورة المبنونة باسم (الرحمن) والرحمن مذكورة في البسملة . إذن هذه النعم المذكورة في (سورة الرحمن) ايضاح لمعنى البسملة كأن الله يقول « البسملة المكررة في غدوكم ورواحكم تفسيرها يكون بنعمي » وابتدأها بأعظم نعمة وهي

(١) تعليم القرآن ، فأعظم نعمة إذن هو العلم

(٢) ثم خلق الانسان والشمس والقمر والنجوم والشجر والسماء والأرض والفاكهة والنخل والحب والمشارك والمغارب والبحار والأؤلؤ والمرجان والفلك في البحر

يا عجبا . أيها المسلمون . أليست هذه النعم في ﴿ سورة الرحمن ﴾ والرحمن اسم من أسماء ثلاثة في البسملة فوا أسفاه على أمة ضاعت ودول هلكت ونعم ذهبت . الرحمة التي في البسملة فصلت في ﴿ سورة الرحمن ﴾ ولقد ابتدأها الله بنعم الدنيا ثم أتبع ذلك بنعم الآخرة وتخلل ذلك التخويف بالعذاب في آيات قليلة ليدلنا أولا أن نبتدئ بتعليم الناس هذه النعم الدنيوية مثل ما في هذا التفسير . أقول أنا بأعلى صوتي أيها المسلمون يجب وجوب الاشبهة فيه أن أول تعليم المسلم من الآن يكون في كتب يذكر فيها جمال هذه العلوم بحيث يلد الطالب منظرها وجمالها من شجر وحجر وكوكب ونهر . هذا واجب في الكتب وفي الحقول وعلى شطوط الأنهار كما أنزل الله في ﴿ سورة الرحمن ﴾ ففي سورة الرحمن ذكر الله نعم السموات والأرض والبحار وليس معنى هذا أن نكتفي بمعاني هذه الآيات . كلا . وانما المقصد أن ندرس علوم السموات والأرض بهيئة جميلة لاسيما لأطفالنا الصغار لاننا نقول لهم أيها الأطفال المساكين احفظوا سورة الرحمن ونحوها فحسب بل نريهم صور ما ذرأ الله من الجبال والبهاء والأزهار والأنهار ونفهمهم ذلك بعبارة رشيقة جميلة ثم نتبع ذلك بذكر الآية واذن نكون أدينا ما وجب علينا . الله أكبر . أفليس تكرار البسملة في أول السور وتكرار آية الآلاء في (سورة الرحمن)

وسرد نعم الدنيا أولاً ثم نعم الآخرة في نفس السورة التي ابتدئت بالرحمن . ثانياً أقول أليس ذلك كله يوجب علينا أن نفعل ما تقدم في تعليم الناشئين ويكون ذلك الوجوب ألزم وألزم بحسب الدليل وبحسب النتيجة من وجوب ترتيب أعضاء الوضوء ومن وجوب كون الأمراء من قريش اللذين استنتجنا من مجرد التقديم والتأخير وإذا وجب ذلك اليوم بهذا الدليل فليس لنا فضل في استنتاجه لأنه آيات واضحات لا يعوزها أعمال فكر . في آيات ﴿سورة الرحمن﴾ مسندات إلى ذلك الاسم الذي في البسملة يكرره المسلم صباحاً ومساءً في ضده ورواحه . فأما أبو بكر رضي الله عنه والشافعي فقد أتيا بما يدق عن الأفهام أعظم منحة الله لهما والله ذو الفضل العظيم

اللهم إنك أنت الذي صرفت عقول الأمم الإسلامية المتأخرة المتفرقة في الأرض بعد القرون الثلاثة التي هي خير القرون عن الخلطة المثلى في التعليم التي يقتضيها القرآن لأنك عدل فانك أبحث الغنائم لهم ليصرفوها في منافع أهل الأرض ، وحاد الخلف عن طريق السلف الصالح فلم يفعلوا ما فعله أبو بكر وعمر وعثمان وعلى من التجاني عن المال والزهد فيه وصرفه في مصارفه الحققة وهي إسعاد أهل الأرض وعمارتها لأنهم خلفاؤه فيها . وعكف الذين سموا أنفسهم خلفاء بعد تلك القرون وكذلك الأمراء التابعون لهم على الخمر والفسوق وأشاعوا ذلك وأذاعوه في أواخر دولهم في الشرق وفي بلاد الأندلس في الغرب . لذلك صرفت عقول العلماء عن هذه المباحث العالية غالباً لأن الأمم التي تقرأ العلوم الأرضية والسموية تفتح لها أبواب الرحمة على مقدار ما يتعلمون ويعملون فأعطيتهم نعماً شامية وعملية على مقدار أخلاقهم ولم تفتح الباب لهم على مصراعيه لئلا يستبثوا بعبادك فانطبق على كثير من متأخريهم آية : **خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً** ، وتمادوا في ذلك حتى أحرق (علي بن تاشفين) من المرابطين كتب الامام وآذى المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الرابع من خلفاء الموحدين ببلاد المغرب ابن رشد . ذلك الذي نادى بأعلى صوته بين المسلمين يقول « أيها المسلمون . علم التوحيد على هذا الخط ضار بكم أجمعين لماذا حدثتم عن طريق القرآن الذي وصف هذه الأفلاك والأشجار ، وما هذه الطرق العقيمة في التوحيد ، وهل من جادة الصواب أن يكون التعريف أخفى من المعرفة والله يدركه العاوي بغريزته . وهذا التوحيد الممزوج بالفلسفة الصعبة يشكك المسلم في دينه » ثم أخذ ينشر آيات من القرآن من ﴿سورة النبأ﴾ ليدلهم على طريق التوحيد الحق . وقد نقلت ذلك بالتطويل في كتابي ﴿نظام العالم والأمم﴾ فاقرأه هناك

فهذا العالم المخلص للأمة الإسلامية هو وأمثاله اضطهدهم المسلمون ، فلما مات بعد أن أخرج من محبسه بسنة طلق المسلمون علوم الحكمة وصاروا غالباً صوفية ذوى وجدان منذ سبعة قرون . ذلك ان تلاميذ ذلك العالم جأوا علمه إلى أوروبا كما أوضحت في غير هذا المقام من هذا التفسير حتى اننا نحن الآن قد حرمانا من أكثر كتبه فانه وان عثرنا على نسخة كتب مطبوعة بالعربية مثل (التهافت) و (فصل المقال) و (الكشف عن مناهج الأدلة) والقسم الرابع من كتاب (ما وراء الطبيعة) و (بداية المجتهد) فاننا حرمانا من كتبه التي باللاتينية أو العبرية وهي (٢٨) كتاباً كلها في الحكمة ذكرها الاستاذ (لطفي جمعه) المحامي في كتابه ﴿تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب﴾ لا نطيل بذكرها . انتشرت كتبه في أوروبا إذ ذاك وأخذ القوم يدرسونها ثم انتقلوا من هذه الكتب إلى أصولها وهي باللغة اليونانية ثم ارتقوا بعد ذلك فأخذوا يفكرون بعقولهم ويستنتجون من نفس الطبيعة . الله أكبر . هذا مقصود القرآن وهذا معنى بسم الله الرحمن الرحيم

ترك متأخرو المسلمين النظر في جمال الله ولم يسمعو انصح حكماهم فهربت الحكمة إلى أوروبا ففعلوها وفهموها وانتقلوا إلى أصولها في اليونان ثم إلى الأصل الحقيقي وهو هذا العالم الذي خلقه الله فرتبوا تعاليمهم على مقتضاه ودرسوا لصبيانهم في مدارسهم على مناهج التي ذكرها الله في سورة الرحمن وهي الآلاء أي آلاء الله

في الأرض والسماء من شجر ونبات ونهر وحجر ونجم . فهذا هو الذي يدرسه الأمريكي والانجليزى والألماني والمجرى واليوناني والصيني الآن . لماذا هذا كله ؟ لأنهم فكروا في الدنيا ، ولماذا لأنهم اطلعوا على أصول فلسفة اليونان التي بنى عليها فلسفته (ابن رشد) التي استثيرت من مكانها بسبب ظهور خاتم الأنبياء الذي أرسل رحمة للعالمين . يا عجباً . نبينا ﷺ رحمة للعالمين . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . فهو رحمة لأننا علمنا وتعليمه أثار فلسفة أهل الأرض وامتدت الحركة العلمية الى وقتنا الحاضر فقرأنا كتب أوروبا فوجدنا تعاليمهم على مقتضى سورة الرحمن . فقرأنا أيها الذكي كتبهم تجددها كسورة الرحمن التي هي في الحقيقة كبيان لاسم الله الرحمن التي يتبرك بها المسلم كل صباح وكل مساء ، فهو ﷺ رحمة من الله الرحمن الذي علم القرآن وشرح في نفس هذه السورة عجائب السموات والأرض

اني أنا وأنا أكتب هذا القول في غاية الحب ، فوالله لم تكن هذه الموافقات وعجائب الحكمة القرآنية لتخطر لي عند ما أمسكت بالقلم ولكن الله عز وجل هو الملهم المتفضل ، بأمثال هذا عرفت أن في القرآن من السرّ ما لم نحلم به الآن . إن ربي لطيف لما يشاء .

ومن أطف ما في القرآن والعبادات أن الفاتحة مبتدأة بالثناء على الله وذكر رحته وهو كابتداء (سورة الرحمن) والرحمات المفصلة فيها ، وتجدد المسلم في التشهد يصلى على نبينا ﷺ وعلى ابراهيم ليكون ذلك أولاً مزرعة للثواب الراجع للعباد من طريق العبادة للخاصة والعوام وتذكرة عند العلماء باتجاه ابراهيم للذي فطر السموات والأرض بعد نظره في الكواكب ، فهو على منهج (سورة الفاتحة) نظر أولاً وعبادة آخراً وبهذا كسر الأصنام وهذه الملة ملة ابراهيم ولذلك درج على طريقه نبينا ﷺ فكسر الأصنام ، فهذا تذكرة بأمرين الابتداء بمحاسن الطبيعة كالخليل وببذ العادات الجامدة والارتقاء بالعقل كالخليل ومحمد ﷺ

﴿ تلخيص ما تقدم ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي العالم الذي اعتاد مناقشتي في التفسير فقال لقد أجبت فيما شرحت هذا فانك قد أبنت أن النظام عند متأخري المسلمين كان استبدادياً غالباً ، فظلم من حكمهم وجهل من خطبائهم وغباوة من صغار المعلمين ، يضربون صغارهم بالعصى وأن هؤلاء لم يفتح لكثير منهم باب الرحمة على مصراعيه لأنهم حادوا عن طريق آبائهم لأنهم جعلوا أن حكم الأمم لشهوات أنفسهم ، وانهم تمادوا في الجهل حتى أذلوا حكماءهم . وأن ابن رشد أفاد كيف يتعلم الأطفال في مدارسهم وأن تعليمه على نمط القرآن وأن علمه انتقل الى أوروبا ولما قرؤوه فهموا وقرؤوا أصله باليونانية ثم فكروا بأنفسهم ، وهاهي ذه تعاليمهم الآن أصبحت هي نفس ما طلبه (ابن رشد) من المسلمين بقراءة هذه العوالم المحيطة بأهل الأرض وهي هي نفس ما جاء في سور كثيرة ومنها سورة الرحمن ، والله تعالى جعل النبي ﷺ رحمة للعالمين ، وهذه هي الرحمة العامة إذ تتعلم أوروبا الآن وأمريكا واليابان بالطريقة الحديثة بسبب ابن رشد وغيره من المسلمين الذين لولاهم لم يرجع هؤلاء القوم الى كتب اليونان ولا الى العقل الانساني والاجتهاد الفردي وهذه من أجل المجزآت في زماننا . وكل هذا تقتضيه البسمة ولماذا تكرر في سور القرآن وما فعلوه موافق لما فهمته أنت الآن من وجوب ابتداء التعليم شرعاً في الاسلام في كتب جيلة فيها صور العوالم السماوية والأرضية تبياناً لمعنى سورة الرحمن وسورة النبأ وغيرهما وهذه الكتب تكون فيها مواضيع مختلفة جيلة يفرح بها الشبان ثم يخرجهم الأساتذة فينظرون نفس هذه المناظر بأنفسهم في الخلوات وشطوط الأنهار والحقول . هذا يؤخذ من كلامك ، ولقد جعلت لك في ذلك امامين أبا بكر الصديق رضي الله عنه والشافعي بما استنتجا من تقديم وتأخير ﴿مسألتين﴾ سياسية وعملية وافدت أن دليلك أنت لا يعوزه طول تفكير لوضوحه . أماد ليلاهما ففيهما دقة لا يعرفها إلا من على شاكلتهما أقول ، والله ان هذا كله حسن ونعمة عظيمة لأن المسلمين اليوم هم الأمة الوحيدة في العالم التي تباعدت

عن طريق كتاب الله تعالى في أساليب التعاليم ، وأنا أقول والله مامن عالم أو أمير أو عاقل في أمة الاسلام يقرأ هذا إلا وهو يسارع حالا الى هذا النظام لأن هذا القول حجته قائمة ونتائجه واضحة ولكن أسألك **السؤالين** الأول **﴿ انك قلت ان الفرنجة لما قرؤا فلسفة (ابن رشد) رجعوا الى أصلها باليونانية ، والرجوع لليونانية جعلهم ينظرون بعقولهم . فهل الرجوع لمثل هذه الأحوال لا بد منه **﴿ الثاني** ﴾ انك قلت ان كتب الفرنجة في تعليم أطفالهم جيلة ترجع الى سور القرآن بوجه عام والى (سورة الرحمن) بوجه خاص وهي مبتدأة بالرجة المذكورة في البسملة التي كلامك الآن فيها ، وأن من قرؤا على هذا النمط يفتح الله لهم أبواب رحمة في الدنيا على مقتضى ما وصلوا اليه ، فأريد أن تذكر نموذجاً من كتبهم ، نعم ان المقام طال ولكن المقام يحتاج ايضاحه الى إجابة على هذين السؤالين . فقلت أما رجوع الفرنجة الى الفلسفة اليونانية فهو واجب على كل من قرؤا الفلسفة العربية . فقال ولماذا ؟ قلت لأن كتبهم كثيرة وعلماءهم أكثر والترجمة يدخلها التحريف بل انتحريف ، فلذلك وجب الرجوع الى أصل اليونانية على من درس الفلسفة بالعربية (متى أمكن ذلك) في ذلك الزمان . فقال هل تذكر مثلاً واحداً مما جاء في العربية ضاراً بالعقول مع انه باليونانية كان نافعا . فقلت أظن ان هذا يخرجنا عن الموضوع . فقال ولكن هو حسن ومفيد الآن . فقلت أنت تعلم أن الفلسفة التي نقلت الى العربية من اليونانية قد جاء فيها ان العالم قديم . فقال هذه محور فلسفتهم . فقلت هذا من مخزبات الدهر . فقال وكيف ذلك . قلت ألم تقرأ ما ذكرته سابقاً عن طيماوس الحكيم مع سقراط فانه برهن على أن العالم حادث مع ان الرجل قبل الميلاد بخمسمائة سنة . ولو أن هذا القول نقل الى اللغة العربية لم يكن هذا الخلط في علم التوحيد والجدال ، ولم نسمع أبا العلاء يقول وهو لا يعلم برهان طيماوس مامعناه**

قالوا إله بلا مكان * ولا زمان ألا فقولوا

هذا كلام له خيء * معناه ليست لنا عقول

فقال أي والله هذان البيتان أسمعهم مامن جميع الشبان في الأندية ومحال شرب القهوة والخمر والمطاعم الفرنجية في مصر والشاب منهم محجب بملابسه وما كاله الفرنجية وفسوقه وخمره فهو فرح طرب لأنه عثر على كنز ثمين وهو أن الديانات كلها خاطئة بسبب هذين البيتين . فقلت ولكن هذا القول الذي قاله علماء التوحيد هو نفسه الذي قاله طيماوس فيما تقدم وقد رأينا نحن في كلام الفرنجة الذين اطلعوا على الفلسفة باليونانية . ألم ترالى طيماوس فيما تقدم كيف يقول « ان العالم حادث » . والله لم يكن في زمان ولا في مكان لأن الزمان ماهو إلا بحركات الفلك فان الليل والنهار نعرفهما بالشمس والشمس ولا قر قبل خلق الأفلاك وهكذا لا مكان لأن المكان ماهو إلا سموات وأرضون ولا سموات هناك ولا أرضين . وهذه المسألة أصبحت اليوم معروفة لأن علماء العصر الحاضر كلهم أجمعوا على أن هذه العوالم كلها كانت غازاً منتشرة ثم صارت سموات وأرضين . فرأى طيماوس هو رأى علماء العصر الحاضر . إذن كون الله لا يحكم عليه زمان وليس في مكان قضية واضحة ظاهرة لأنه لم يكن زمان قبل هذه الأفلاك ولا مكان . إذن هذان البيتان اللذان جعلنا للتهم والسخرية خاطئان خياليان والعقل هو الذي يحكم على أرباب الخيال . فلولا اطلاع القوم على آراء اليونان باللغة اليونانية لم نعرف ماذا قالوه وبه أدركنا الحقيقة ودفعنا تلك الآراء التهمكية التي يتسلى بها صغار العقول من الشبان والشابات في بلاد الاسلام . هذا جواب سؤالك الأول

وأما نموذج كتب المطالعة لأطفالهم تطبيقاً على ما تقدم وموافقة للقرآن وسورة الرحمن وللبسملة لتكون نبينا **ﷺ** رجة للعالمين . فان ما تقدم في هذا التفسير فيه غنية لأولى الألباب . وسترى في **﴿ سورة يس** **﴾** عند آية - سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون - رسم ورقة شجرة وكيف كان فيها آلاف وآلاف آلاف من الفتحات وتحتها ما يشبه الحجرات . وأن الحيطان الشفافة

والسقوف المرسومة بما يشبه اللبنة في أبنيتها المعتادة . وفي وسط تلك الحجرات مادة سائلة يعوم فيها مادة خضراء تلون تلك السقوف . فهناك ستشاهد تلك الحجرات البهجة التي تعد بمئات الألوف في الورقة الواحدة وترى أن الورقة هي رئة النبات وابداعها في غاية الاتقان والجمال والغراب فكيف تكون عشرات الملايين منها في ورقة واحدة ؟ ثم كيف تكون هي معدة لتغذية الشجرة بالمواد السكرية على شريطة أن يساعدها ضوء الشمس

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا أمر عجيب جدا ولكني الآن أسألك في أمر غير هذا . أسألك في نفس كتب الأطفال وأما هذه فأنما هي تعاليم الكبار تناسب أمثال هذا التفسير فلنخرجها إلى أن نطالع عليها في ﴿سورة يس﴾ فقلت هالك نموذج وهو كتاب صغير يسمى ﴿القراءة الملوكة﴾ كان يدرسه التلاميذ في بلادنا المصرية في عهد الاحتلال على أساليب تنالهم في بلادهم . ولست أذكره إلا على سبيل المثال فاني أريد أن توضع كتب الدراسة في بلاد الاسلام بعد الدرس والتحصيل من ذوي العقول الكبيرة الذين اصطفاهم الله من قراء أمثال هذا التفسير . فهناك مواضع ذلك الكتاب بحسب ترتيبها

(١) العنكبوت (٢) الصبي والعصفور (٣) الأرنب (٤) العنكبوت (٥) التبكير في الاستيقاظ من النوم (٦) النحل (٧) نظم في النحل (٨) الأوز (٩) قل الصدق (١٠) أنعم صباحا أيها الطائر (١١) الذئب (١٢) صدى الصوت (١٣) أنعم صباحا أنعم مساء (١٤) القطوط والكناري (١٥) الزنبار والنحلة (١٦) الحصان (١٧) السحاب والمصباح (١٨) معلومات عامة نافعة في الحيوان (١٩) الجمل (٢٠) تاريخ كلب (٢١) القانون الذهبي (٢٢) الحمار (٢٣) قصة النحلة والحل ولدها (٢٤) الدب الأسمر (٢٥) الأسد والفأر (٢٦) الحروف (٢٧) الغراب والابريق (٢٨) الجندي والحصان (٢٩) الدب الأبيض (٣٠) الثعلب والعنز (٣١) معارف نافعة (٣٢) الدب في المدرسة (٣٣) القيطس وهو حوت عظيم جدا (٣٤) الأرنب والسلحفاة (٣٥) السريخ والبطيء (٣٦) الصبي والخوخ « البرقوق » (٣٧) العصفور الدوري (٣٨) الأسد (٣٩) الغر (٤٠) الفهد (٤١) حمار الحبشة (٤٢) المعادن (٤٣) الأطفال (٤٤) الملك والمملكة (٤٥) طائر بحري (٤٦) نبات الشاي والقهوة

هذه المواضع هي مواضع الكتاب الانجليزي المذكور ولم أترك منه إلا عدد الأصابع لعدم أهميته . فهذا أيها الأخ هو النهج الذي نهجه القوم في مدارسهم لأطفالهم بحيث يشرحون الحيوان أو النبات ثم يستخرجون بعض حكمه كأن يذكرهم بنشاط النحلة واتسكال الأرنب على سرعة جريه واجتهاد السلحفاة وكأن يذكرهم عند ذكر عوم صفار الطير أن الله هو الذي علمهم بلاساتذة وهكذا فلا يتقنون كتابا صغيرا مثل هذا حتى يكونوا قد علموا مبادئ العلوم بحكايات ومناظر مشوقة وأحبوا الحيوان والبحث فيه وعطفوا عليه وتعلموا أخلاقا مما يذكرهم به المدرسون

فلما سمع ذلك صاحبي قال لقد أحسنت أيما احسان وشرحت صدرى ولكني أسألك آخر سؤال وهو لم اخترت هذا الموضوع في هذه السورة في تفسير بسملتها . فقلت ان في هذه السورة آية - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين - وفيها آية - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا - وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - وفي سورة التوبة انه ﷺ - بالمؤمنين رؤوف رحيم - فهو ﷺ رحيم بالمؤمنين ومراج للناس منير وأول السورة بسم الله الرحمن الرحيم . فأنه رحمن رحيم وهو ﷺ رؤوف رحيم بالمؤمنين بل هو خاتم الأنبياء مرسل للناس قاطبة وباب رسالته مفتوح لجميع الأمم فيكون لهم رحمة . فتفسير الرحمة في هذه السورة باظهار العلوم المخزونة في خزان الأمم الأوروبية منذ أيام اليونان ونشرها بين المسلمين وتعليم المسلمين للأوروبيين ثم تنقيح هؤلاء لها بالبحث

ثم رجوعها ثانيا لنا الآن لتسقيظ بعد نومنا المسيق . كل ذلك رحمة بنا نحن المؤمنين بل رحمة بالعالم قاطبة فهو في آية أخرى يقول . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين .

فقال صاحبي . هذه رحمة للناس ﷺ فأريد الساعة أن تذكر لي رحمة بالحيوان حتى يعلم المسلمون أن درس المسلمين على منهج يقرب من المنهج المتقدم خير وأعظم فقلت جاء في كتاب « تيسير الوصول الى جامع الاصول » مانعه

﴿ كتاب الرحمة * وفيه ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول في الحث عليها ﴾

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « الراحون يرحمهم الله تعالى . ارحوا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الرحم شجرة من الرحمن من وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله تعالى » أخرجه أبو داود الى قوله من في السماء والترمذي بتمامه (الشجرة) بكسر الشين الموحدة وفتحها بعدها جيم القرابة المشبهة كاشتباك العروق

وعن جرير رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » أخرجه الشيخان والترمذي . وفي أخرى لأبي داود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ « لا تنزع الرحمة إلا من شقي »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال « قبل رسول الله ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما وعنده الأقرع بن حابس ، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا ، فنظر اليه رسول الله ﷺ ثم قال من لا يرحم لا يرحم » أخرجه الخمسة إلا النسائي . وزاد رزين « وأملك ان كان الله نزع منكم الرحمة »

﴿ الفصل الثاني في ذكر رحمة الله تعالى ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لما قضى الله الخلق ، وعند مسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش . ان رحمتي تغلب غضبي » أخرجه الشيخان والترمذي . وعند البخاري رحمه الله في أخرى « ان رحمتي غلبت غضبي » وعند الشيخين في أخرى « سبقت غضبي » وعنه رضي الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافوها عن ولدها خشية أن تصيبه » أخرجه الشيخان والترمذي

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن لله مائة رحمة ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلائق بينهم وتسعة وتسعون ليوم القيامة » أخرجه مسلم . وله في أخرى « ان الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة واحدة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فاذا كان يوم القيامة أكملها الله تعالى بهذه الرحمة » وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال « قدم على رسول الله ﷺ بسبي فاذا امرأة من السبي تسمى قد تحلب ثديها إذ وجدت صبيا في السبي فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته . فقال ﷺ أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا لا والله وهي تقدر على أن لا تطرحه ؟ قال فאלله تعالى أرحم بعباده من هذه بولدها » أخرجه الشيخان

﴿ الفصل الثالث فيما جاء من رحمة الحيوان ﴾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش

فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ثم خرج وإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ منى فنزل البئر فلاحظه ثم أمسكه بفيه حتى رقي فسقى الكلب فشكر الله تعالى له فغفر له . قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجرا ؟ قال في كل كبد رطبة أجر . أخرجه الثلاثة وأبوداود . وفي أخرى « إن امرأة بغيا رأت كلبا في يوم حار يطيف ببئر قد أدلح لسانه من العطش فنزعت له موقها فغفر لها به » . هكـ الكلب وغيره إذا أخرج لسانه من شدة العطش والحرق كذا أدلح لسانه والثرى التراب الذي والمراد هنا التراب طاقا ، والكلبد الرطبة كل ذات روح ولا تكون رطبة إلا إذا كان صاحبها حيا ، والبئى المرأة الزانية ، والموق الخف

وعن ابن عمر رضى الله عنهما . قال قال رسول الله ﷺ « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض » أخرجه الشيخان . (خشاش الأرض) هوامها وحشراتهما وعن عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما . قال « كان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدف أو حائش نخل ، فدخل حائط الرجل من الأنصار فإذا فيه جبل فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه فأتاه رسول الله ﷺ فسح ذفرا فسكت ، فقال من رب هذا الجبل ؟ فقال فتى من الأنصار هو لى يا رسول الله . فقال أفلا تتق الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فانه شكى الى انك تجيعه وتدئبه » أخرجه أبوداود . الهدف ما ارتفع من الأرض من بناء وغيره ، وحائش النخل نخلات مجتمعات ، والحائط البستان وذفرى البعير الموضع الذي يعرق من قفاه خلف أذنيه ويجعل فيه القطران وهما ذفريان ، وتدئبه تتعبه بكثرة استعماله

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « لا تتخذوا ظهور دوابكم منبرا انما سخرها الله لكم لتبلغكم الى بلد لم تكونوا بالفيه إلا بشق الأنفس ، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجتكم » أخرجه أبوداود . (شق الأنفس) جهدها وشدة ما تلاقيه عند مقاساة الامور الصعبة وعن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فرأينا حرة معها فرخان لها فأخذناهما فجاءت الحرة تعرش ، فلما جاء رسول الله ﷺ قال من فجع هذه بولدها ردوا ولدها اليها ، ورأى قرية نمل قد أحرقناها فقال من أحرق هذه ؟ قلنا نحن ، قال انه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلا رب النار . أخرجه أبوداود

(الحرة) بضم الحاء المهملة وتشديد الميم نوع من الطير في شكل العصفور ، وقوله (تعرش) بالعين المهملة والشين المعجمة أى ترفرف وترخى جناحيها وتدنو من الأرض لتقع عليها ولا تقع ، وروى تفرش بالفاء من فرش الجناح وبسطه

وعن محمد بن اسحق ، عن رجل من أهل الشام يقال له أبو منظور عن عمه عن عامر الرام أخى الخضر قال انا لبلادنا إذ رفعت لنا رايات وألوية فقلت ما هذا ؟ قالوا لواء رسول الله ﷺ فأتيته وهو جالس تحت شجرة وقد اجتمع اليه أصحابه جلست اليهم فذكر النبي ﷺ الأسقام والأمراض . فقال ان المؤمن اذا أصابه السقم ثم أعفاه الله عز وجل منه كان كفارة لما مضى من ذنوبه وموعظة له فيما يستقبل . وان المنافق اذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقاوه ولم أرسلوه . فقال رجل ممن حوله يا رسول الله وما الأسقام والله ما مرضت قط ؟ فقال له قم فليست منا . أخرجه أبوداود . والألوية جمع لواء وهى الراية الكبيرة دون الأعلام . وأعفاه وعافاه بمعنى واحد

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . قال قال رسول الله ﷺ « قرصت نملة نبيا من الأنبياء فأمر بقرية النمل فحرق فأوحى الله تعالى اليه ان قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح » أخرجه الخمسة إلا الترمذى

(وقرية النمل) مسكنها . انتهى ما جاء في الكتاب المذكور
ثم قال صاحب . لقد استوفيت هذا المقام وشرحت صدرى . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب في ليلة
الخميس (٥) سبتمبر سنة ١٩٢٩ م وبهذا تم الكلام على القسم الأول في تفسير البسملة

(القسم الثاني)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا * وَاتَّبِعْ
مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ
وَكِيلًا * مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ
مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ
وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * أَدْعُوهُمْ لَا بِأَسْمَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ
فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ
قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ
وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا
إِلَىٰ أَوْلِيَاءِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا * وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ
وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * لِيَسْأَلَ
الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذْ كُورُوا نِعْمَةَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ
الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا *
وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ
قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا * وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ
أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَا تَوَّهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا * وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ

قَبْلُ لَا يُؤْتُونَ الْأَذْيَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا * قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَمُونَ إِلَّا قَلِيلًا * قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّاسَ إِلَّا قَلِيلًا * أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَأْذِنُ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا * وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ مَكَدُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا * لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِخَيْبِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا * وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا * وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا *

التفسير اللفظي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي اتق الله) أي يأيها الخبر عنا المأمون على أسرارنا أثبت على تقوى الله ودم عليها (ولا تطع الكافرين والمنافقين) ولا تساعدهم على شيء واحترس منهم * روى أن أبا سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور السلمي قدموا المدينة بعد قتال أحد فنزلوا على عبد الله ابن أبي وأعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه فقالوا أرفض ذكر آلهتنا وقل أنها تنفع وتشفع وساعدتهم المنافقون على ذلك فهم المسلمون بقتلهم فنزلت أي اتق الله في نقض العهد ولا تطع الكافرين من أهل مكة والمنافقين من أهل المدينة فيما طلبوا ولذلك لما قال عمر ابن الخطاب لى رسول الله في قتلهم قال انى أعطيتهم الأمان قال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه (ان الله كان عليا) بالمصالح والمفاسد (حكما) لا يحكم إلا بما تقتضيه الحكمة (واتبع ما يوحى اليك من ربك)

في الثبات على التقوى (إن الله كان بما تعملون خبيراً) أي لم يزل عالماً بأعمالكم وأعمالكم (وتوكل على الله) وكل أمرك إلى تديره (وكفى بالله وكيلاً) حافظاً موكولاً إليه الأمور كلها أي اكتف بالله وكيلاً . وإذا كان الله لك وكيلاً فلا تخف من أحد فهو ناصر لك فاست في حاجة إلى المنافقين والكافرين إذ لا يجمع بين المتضادين إطاعة غير الله وإطاعة الله إذ ليس للإنسان قلبان حتى يطيع بأحدهما ويعصى بالآخر . وإذا كان للإنسان قلب فتى اتجه لأحد الشقين صديقاً عن الآخر ، فطاعة الله تصد عن طاعة سواه وهو يقوم بأمر من توكل عليه ، هكذا ليس تجتمع الزوجية والامومة في امرأة والبنوة الحقيقية والبنوة في إنسان واحد فإذا ظهر الرجل زوجته أي قال لها أنت علي كظهر أبي فذلك حكم سيأتي في ﴿سورة المجادلة﴾ فلما أن تحرم عليه إلى أداء الكفارة وأما أن تطلق ، فهذا القول ليس بحق إذ لا يجتمع كونه زوجها وكونها أمًا ، فلما أن تكون زوجة وأما أن تكون أمًا . هكذا المتبني لا يكون ابناً حقيقة . وذلك أن زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي صغيراً فاشتراه حكيم بن حزام لعمة خديجة فلما تزوجها رسول الله ﷺ وهبته له فطلبه أبوه وعمه فخير فاختار رسول الله ﷺ فأعتقه وتبناه . وكانوا يقولون زيد بن محمد فلما تزوج ﷺ زينب وكانت تحت زيد قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى عنه فقال الله ليس يجتمع النقيضان بنوة ولا بنوة فزيد ليس ابناً بل هو دعوى لا جرمه أدعياء وهو فيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولداً وهذا الجمع شاذ لأن بابه ما كان بمعنى فاعل كمشق وتقى وأشقياء وأتقياء وهذا قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن في تظاهرون قراآت وفيها معنى التجنب فعدي بمن (أمهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم) لا حقيقة له في الأعيان كما يقول الهاذي (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) والله يقول ماله حقيقة مطابقة له وهو يهدي السبيل إلى الحق . وسيأتي بعد تمام السورة في الرسالة المسماة ﴿السراج النبوي﴾ حكمة زواج النبي ﷺ زينب وحل زواجها وما يترتب على ذلك من نظام التشريع مع الحكمة في تعدد الزوجات في الإسلام وزوجات النبي ﷺ (ادعوههم لآبائهم) أي انسبوهم إليهم (هو أقسط عند الله) وهذا تعليل له (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم) أي فهم إخوانكم (في الدين ومواليكم) أي فسموهم بأسماء إخوانكم في الدين وأولياكم فيه وقولوا هذا أخي ومولاي بهذا التأويل (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) ولا إثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهي أو بعده نسياناً أو سبق لسان (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أي ولكن فيما تعمدت قلوبكم الجناح (وكان الله غفوراً رحيماً) لغفوه عن الخطئ ، ولما كان المؤمن أخاً للمؤمن في الدين كما صرح وكان ﷺ ليس أباً لزيد بن حارثة أعقب ذلك ببيان منزلة النبي ﷺ من الأمة كلها . يقول الله ليس محمد أباً مختصاً بواحد منكم بل أبوة عامة وأنتم أخوة في الدين وأزواجه أمهاتكم بل هو أولى بكم من أنفسكم لأن أهل الأرض خلقوا فيها وهم غافلون عن العالم العلوي الذي هو الحياة الحقيقية فأنزل الملائكة بالوحي على الأنبياء فهم في الحقيقة آباء لكم ومحمد ﷺ منهم وأبوة الأنبياء أشرف من أبوة الآباء إذ بها الحياة الحقيقية والأخرى بها الحياة الغائبة ، لذلك كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهي منزلة لم يلبها الآباء الجثانيون ، فإذا حضهم على الجهاد فذلك لارتقاءهم الروحي وهذا قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) لما تقدم بيانه فإذن كيف يستأذن الناس آباءهم وأمهاتهم لما أمرهم ﷺ بغزوة تبوك وهو أشفق من الآباء بل هو أولى بالمؤمنين الخ (وأزواجه أمهاتهم) منزلات منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم * روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال إن رسول الله ﷺ قال «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤا إن شئتم - النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم - فأبى مؤمن ترك ما لا فطرته عصبته من كانوا ومن ترك ديناً أو ضياعاً بفتح الضاد أي عيلاً فليأتني فأنا مولاه » ومعنى عصبته الميت من يرثه سوى من له فرض مقدّر . وقد تقدم في ﴿سورة النساء﴾ وهذا قوله تعالى

(وأولوا الأرحام) وذوو القربات (بعضهم أولى ببعض) في التوارث (في كتاب الله) أي فيما فرضه الله (من المؤمنين والمهاجرين) أي وأولوا الأرحام بحق القرابة أولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة وذلك نسخ لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والموالاتة في الدين فهذه الآيات فيها رجعت الأمور إلى نصابها فليس للإنسان وجهتان معا مع أن له قلبا واحدا ، وليس للمرأة أن تكون أما وزوجة ، وليس الدعوى ابنا ، وليس المهاجر والمؤمن أولى بالميراث من ذوي الأرحام (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفًا) لما نسخ الله الميراث بالخلف والأخوة والهجرة وأصبحت الوراثة بالقرابة أباح الوصية هؤلاء كما أباحها لغيرهم بالثلث فقال ولكن أن توصوا لمن تتولونهم من المعاقدين أي ولكن توصيتكم هؤلاء مشروعة أوجازة (كان ذلك في الكتاب مسطورا) أي كان ما ذكر في الآيتين ثابتا في اللوح المحفوظ . ولما كان ما تقدم مفيدا أن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه يرفعهم إلى عالم الأرواح أعقبه بذكر الأنبياء السابقين الذين هم آباء للأمم السابقين فقال (و) اذكر (إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) على الوفاء بما جآوا (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) فهؤلاء أشهر أرباب الشرائع وآباء الأمم وقدم عليهم أيذا بأن أمته ستكون أرقى الأمم أدبا وأخلاقا لأن رقى الأمة تبع لنبيها (وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) . وكذا ، وإنما فعلنا ذلك (ليسأل الصادقين عن صدقهم) فيسأل الأمم كما يسأل الأنبياء ، فالأنبياء صادقون في التبليغ والأمم التابعة لهم صادقة في تصديق الأنبياء . فكل هؤلاء مسئول . فالأنبياء عما قالوه لقومهم والمصدقون لهم عن تصديقهم وهل قاموا بما وجب عليهم ؟ فأتاب المؤمنين (وأعد للكافرين عذابا أليما) واعلم أن سؤال الأمم عن صدقها يدعو إلى السؤال عن أعمالها لأن الإيمان وحده لا يكفي كما قال تعالى - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ؟ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - وعليه لا بد من الأعمال والجد ومن أهمها الجهاد والجهاد أمر عام يشمل فروع الحياة كلها . فالعلم جهاد والأعمال كلها جهاد وقتال العدو جهاد . لذلك أعقبه بذكر غزوة الخندق وهي الأحزاب . والكلام عليها منحصر في ﴿ ثلاثة فصول ﴾ الفصل الأول ﴿ في ملخص الكلام عليها ﴾ الفصل الثاني ﴿ في تفسير الألفاظ ﴾ الفصل الثالث ﴿ في ربط هذه الغزوة بما قبلها من الآيات وانها أشبه بما كان في الأمم السابقة من امتحان الأمم وتذكيرها وفقا لما جاء في قصص الأنبياء في القرآن

﴿ الفصل الأول ﴾

ان نذرا من اليهود قدموا على قريش في شوال سنة أربع من الهجرة بمكة فدعوه إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا لهم ان دينكم خير من دينه ثم جاؤا غطفان وقيسا وعيلان وحالفوا جميع هؤلاء أن يكونوا معهم عليه فخرجت قريش وقائدها أبوسفیان وغطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر والحارث ابن عوف ومسر بن رخيلة بن نوبة بن طريف وغيرهم . فلما سمع رسول الله ﷺ بذلك خط الخندق حول المدينة بإشارة سلمان الفارسي وهو يومئذ حرّ إذ قال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا ضربنا خندقا علينا فعمل فيه رسول الله ﷺ والمسلمون وأحكموه وقد أقطع لكل عشرة أر بعين ذراعا فخرجت لهم صخرة بيضاء من بطن الخندق فكسرت حديدهم وشقت عليهم . فلما علم بها ﷺ أخذ الماهول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون وهكذا مرة ثانية وثالثة فكانت تضىء وكان التكبير . ثم قال رسول الله ﷺ ضربت ضربتي الأولى فبرق البرق الذي رأيتم فأضاء له منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب السكّاب . وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق البرق الذي رأيتم أضاء لي منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب السكّاب فأخبرني جبريل أن

أمتى ظاهرة عليها . ثم ضربت الثالثة فبرق البرق الذي رأيتم أضاء لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب فأخبرني جبريل أن أمتى ظاهرة عليها فأبشروا . فاستبشر المسلمون - وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده - فقال المنافقون ألا تهجبون عنيكم ويعصمكم الباطل ويخبركم أنه ينظر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لاستطيعون أن تبرزوا فنزل ما سيأتي - وإذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض - الخ ونزل - قل اللهم مالك الملك - الآية

ولما اجتمع هؤلاء الأحزاب الذين خرج بهم اليهود وأتوا الى المدينة رأوا الخندق حائلا بينهم وبينها فقالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . وهناك كانت مصادمات بين القوم كرا وفرا . فمن المشركين من كان يقتحم الخندق فيرمى بالحجارة ويقتل . ومنهم من كان يقتحمه بفرسه فيصيبه الموت وهكذا . ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر من غطفان أتى رسول الله ﷺ فأعلمه انه أسلم وأن قومه لم يعملوا بذلك فقال ﷺ إنما أنت فينا رجل واحد نخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فأتى قريظة وقال لهم لا تحاربوا مع قريش وغطفان إلا اذا أخذتم منهم رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم تقيّة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا لأنهم رجعوا وسئموا حربه فانكم لا تقدرّون عليه . وذهب الى قريش والى غطفان فقال لهم ان اليهود يريدون أن يأخذوا منكم رهنا يدفعونه لمحمد فيضرب أعناقهم وهم يتحدّون معه على قتالكم لأنهم ندموا على ما فعلوا معه من نقض العهد وتابوا وهذا هو المخرج الذي اتفقوا عليه . فهناك تخاذل اليهود والعرب وحصل الفشل بسبب ذلك . وفي ذلك الوقت بعث الله ريحا في ليل شانية شديدة البرد جعلت تكفأ قدورهم وتطرح آنيتهم وقد قام ﷺ يصلي هونا من الليل ثم يلتفت ويقول هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم فعل ذلك ثلاث مرات ولم يقم رجل واحد من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فدعا حذيفة بن اليمان فذهب الى القوم فسمع أباسفيان يقول يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخلف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فاني مرتحل . فلما رجع أخبر رسول الله ﷺ فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني ﴾

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود) أي الأحزاب المتقدم ذكرها وهم نحو اثني عشر ألفا (فأرسلنا عليهم ريحا) هي ريح الصبا (وجنودا لم تروها) الملائكة وقد خرج النبي ﷺ اليهم في ثلاثة آلاف والخندق بينهم ومضى على الفريقين شهر لا حرب بينهم إلا الترامى بالنبل والحجارة حتى أرسل الله عليهم الريح كما تقدم فأخسرتهم وسفت التراب في وجوههم وأطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها في بعض فقال طليحة الاسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء كما تقدم (وكان الله بما تعملون) من حفر الخندق (بصيرا) رائيا . وقوله (إذ جاءكم) بدل من - إذ جاءكم - (من فوقكم) من أعلى الوادي من قبل المشرق وهم بنو غطفان (ومن أسفل منكم) من أسفل الوادي من قبل المغرب وهم قريش (وإذ زاغت الأبصار) مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا (وبلغت القلوب الحناجر) هذا إما تمثيل أو أن الرئة تنفتح من شدة الروح فتكاد ترتفع الى رأس الحنجرة ويرتفع القلب بارتفاعها اليها . والحنجرة منتهى الحلقوم وهو مدخل النفس الذي وراءه المريء وهو مدخل الطعام والشراب (وتظنون بالله الظنونا) الأنواع من الظن . فالظن يعلم أنه امتحان فيخاف الزلل والمنافق وضعيف القلب يقولان ما حكى الله عنهما . وألف الظنونا أثبتنا بعضهم تشبيها للفواصل بالقوافي ولم يزلها بعضهم وهو القياس (هنالك ابتلى المؤمنون) فظهر الخالص من المنافق والثابت من المترزل (وزلزلوا زلزالا شديدا) من شدة الفزع (وإذا يقول المنافقون) عطف على الأول (والذين في قلوبهم مرض) هم قوم لا بصيرة لهم في الدين كان

المنافقون يستمياؤنهم بادخال الشبه عليهم (ما وعدنا الله ورسولنا إلا غرورا) كما تقدم (وإذ قالت طائفة منهم) وهم عبد الله بن أبي وأصحابه (يا أهل يثرب لا مقام لكم) أي يا أهل المدينة لا قرار لكم هنا (فارجعوا) من عسكر الرسول ﷺ إلى المدينة (ويستأذن فريق منهم النبي) وهم بنو حارثة (يقولون ان بيوتنا عورة) أي ذات عورة أي خالية من الرجال نخاف عليها سرق السراق (وما هي بعورة) بل هي حصينة (إن يريدون إلا فرارا) أي ما يريدون بذلك إلا الفرار من القتال (ولو دخلت عليهم المدينة أو بيوتهم) (من أقطارها) من جوانبها سواء أكان الداخل هم الأحزاب أم غيرهم (ثم سئلوا الفتنة) أي الردة ومقاتلة المسلمين (لأتوها) لأعطوها (وماتلبثوا بها) أي وماتلبثوا بالمدينة بعد إعطاء الفتنة (إلا قليلا) حتى يهلكوا (واقعد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار) وهم بنو حارثة عاهدوا رسول الله ﷺ يوم أحد حين فشلوا ثم تابوا ألا يعودوا لمثله أبدا (وكان وعد الله مسؤلا) عن الوفاء به مجازي عليه (قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتال) فإن لكل امرئ موته سبق بها القضاء فلا بد من نفاذه على حسب ما سبق به القضاء من قتل أو غيره (واذن لا تعتنون إلا قليلا) أي وبعد الفرار لا تعتنون إلا مدة آجالكم وهو قليل (قل من ذا الذي يعضمكم من الله إن أراد بكم سوءا) أي يصيبكم بسوء (أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا) ينفعهم (ولا نصيرا) يدفع الضر عنهم (قد يعلم الله المعوقين منكم) المثبتين عن رسول الله ﷺ وهم المنافقون (والقائلين لاخوانهم) من ساكني المدينة (هلم إلينا) أي ارجعوا إلينا ودعوا مجدا ﷺ فلا شهدوا معه الحرب فانا نخاف عليكم الهلاك والقائلون هذا القول هم اليهود أرساوا إلى المنافقين فقالوا لهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فانهم ان قدروا عليكم هذه المرة لم يبقوا منكم أحدا وانا نخاف عليكم وأتم اخواننا وجيراننا فهلموا إلينا فأقبل عبدالله بن أبي ابن ساول وأصحابه يذبطلون الناس فلم يزد المؤمنون إلا ثباتا واحتسابا . وقوله (ولا يأتون البأس إلا قليلا) أي لا يأتى الحرب المنافقون إلا أتيانا قليلا حال كونهم (أشحة عليكم) بخلاء عليكم بالمعاونة النفسية والمالية (فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم) في رؤسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيتة أسبابه فانه يذهب عقله ويشخص بصره فلا يظرف (فاذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) آذوكم ورموكم في حال الامن (بالسنة حداد) ذربة تفعل فعل الحديد إذ يطلبون الغنيمة ويقولون انا شهدنا معكم القتال فلستم أحق بالغنيمة منا . وقوله (أشحة على الخير) حال أي خاطبوكم حال كونهم أشحة على المال كما هم أشحة بأنفسهم وما لهم فلا قتال لديهم ولا اتفاق وهم شديداوحرص على الغنيمة (أولئك لم يؤمنوا) حقيقة بل هم مسلمون بالظواهر (فأحبط الله أعمالهم) أي أبطلها باضمارهم الكفر (وكان ذلك) احباط أعمالهم (على الله يسيرا) هينا (يحسبون الأحزاب) لجبنهم وجزعهم (لم يذهبوا) أي لم ينهزموا ولم ينصرفوا مع أنهم قد انصرفوا (وان يأت الأحزاب) كرة ثانية (يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) أي يمتنى المنافقون لجبنهم أنهم خارجون من المدينة إلى البادية عائشون بين الأعراب ليأمنوا على أنفسهم ويبتزلوا مافيه الخوف من القتال (يسألون) الركبان والقادمين اليهم من المدينة (عن أنباءكم) عما جرى عليكم (ولو كانوا فيكم) ولم يرجعوا إلى المدينة وكان قتال (ماقاتلوا إلا قليلا) رياء وسمعة (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) الاسوة القدوة وهو المقتدى به والمؤتمى فاقتدوا به اقتداء حسنا فانه كسرت ربايعيته وجرح في وجهه وقتل عمه وأوذى بضروب الأذى فصبر . وقوله (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) متعلق بقوله - حسنة - أي حسنة لمن يرجو ثواب الله ونعيم الآخرة (وذكر الله كثيرا) وقرن بالرجاء كثرة الذكر وهي تؤدى إلى ملازمة الطاعة (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) إذ قال تعالى - أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم - الخ وأيضا - أحسب الناس أن يتركوا - الخ وقال ﷺ

« سيشتد الأمر باجتماع الأحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم » وقوله أيضا « انهم سائررون اليكم بعد تسع
 أو عشر » (وصدق الله ورسوله) وظهر صدق خبر الله ورسوله (وما زادهم) الخطب والبلاء (إلا إيماناً وتسليماً)
 أي إيماناً بمواعيد الله وتسليماً لمقاديره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) من الثبات مع الرسول
 والمقاتلة لتكون كلمة الله العليا (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى
 استشهد والحب الذي هو بمعنى النذر استعير للموت لأنه كمنذر لازم في رقبة كل حيوان ، وذلك مثل حزة
 ومصعب بن عمير وأنس بن النضر (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا) العهد (تبدلاً)
 شيئاً من التبديل كما يدل المنافقون * روى أن طلحة ثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد حتى أصيبت يده
 فقال ﷺ أوجب طلحة ، فليخص ما تقدم أن قوما صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقوم بدلوا بنقض العهد
 (ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) فيهديهم إلى الإيمان (إن الله
 كان غفوراً رحيماً * ورد الله الذين كفروا بغيظهم) ولم يشف صدورهم فهم في حنق (لم ينالوا خيراً) ظفروا
 (وكفى الله المؤمنين القتال) بالريح والملائكة (وكان الله قوياً) في ملكه (عزيزاً) في انتقامه (وأزل الذين
 ظاهروهم من أهل الكتاب) أي عاونوا الأحزاب من قریش وغطفان وهم بنو قريظة (من صياصيمهم) من
 حصونهم جمع صيصية وهي ما يتحصن به ، ويقال أيضاً لقرن الثور والظبي ولشوكه الديك لأن ذلك كله للتحصن
 من العدو (وقذف في قلوبهم الرعب) الخوف (فريقا تقتلون وتأسرون فريقاً) * روى أن جبريل أتى
 رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي انهزم فيها الأحزاب فقال يا محمد اتزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح
 إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا عامد إليهم فأذن في الناس أن لا يصلوا العصر إلا إلى بني قريظة فحاصروهم
 إحدى وعشرين أو خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم
 سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم ونساءهم ، فكبر النبي ﷺ فقال حكمت
 بحكم الله من فوق سبعة أرقعة فقتل منهم ستمائة أو أكثر وأسروهم سبعمائة ، واعلم أن هذه الرواية ذكرها
 المفسرون ولم ترد في الصحيح كلها . ثم قال تعالى (وأورثكم أرضهم) مزارعهم (وديارهم) حصونهم
 (وأموالهم) نقودهم ومواشيهم وأثاثهم (وأرضاً لم تطؤوها) بعد خيبر ومكة وفارس والروم والقسطنطينية
 وغيرها من كل أرض تفتح للمسلمين (وكان الله على كل شيء قديراً) فيقدر على ذلك

روى البخاري عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول حين أجلى الأحزاب « الآن
 نغزوهم ولا يغزونا ، نحن نسير إليهم »

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقول ﴿ لا إله إلا الله وحده لا شريك
 له ، أعز جنده ، وأصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده ﴾ انتهى الفصل الثاني في تفسير الألفاظ
 ﴿ الفصل الثالث في اتصال هذه القصة بما تقدمها في أول السورة وفي سور القرآن كله ﴾

لقد ذكر الله في القرآن قصص الأنبياء وأمرهم أن يذكر قومهم بأيام الله ومنهم موسى عليه السلام
 وقصته ذكرت غير مرة في القرآن وآخرها ذكرها ما جاء في آخر ﴿ سورة السجدة ﴾ قبل هذه إذ قال تعالى
 - ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه - الخ ثم جاء في أول هذه السورة ذكر موسى
 إذ قال - وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح - الخ ثم سوى بين الأنبياء وتابعيهم في سؤالهم
 عن عهودهم التي عاهدوها ، فالأنبياء مسؤولون لتوبيخ المكذبين والمؤمنون مسؤولون عما عاهدوا الله عليه
 هل صدقوا وثبتوا في إيمانهم جاهدوا وصبروا أم هم منافقون مذبذبون ؟ ولقد جاء في ﴿ سورة إبراهيم ﴾
 - ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله - فذكرهم بالشدائد
 التي لاقوها من فرعون وبالنعيم التي أنعم بها عليهم فخرجهم من ذل العبودية وانهم ورثوا الأرض التي وعدوا

بها ، هكذا أمر النبي ﷺ أن يذكر المسلمين بغزوة الأحزاب والانعام عليهم بنجاتهم منهم كما أنعم على بني إسرائيل بنجاتهم من فرعون ، فانظر كيف يقول لموسى - وذكرهم بأيام الله - ويقول الله للمسلمين في القرآن - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم - ويقول موسى - يا بني إسرائيل اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون - وهنا يقول الله سبحانه - اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها -

إن السورة قد ابتدئت بذكر الدوام على طاعة الله وعدم الميل مع المنافقين والكافرين أى اتحاد الوجهة النفسية والعملية فى الاعتقاد وفى الدعوى وفى الزوجة فإن اعتبار الزوجة أما واعتبار الدعوى ابنا جمع بين المتناقضين كاجتماع طاعة الله وطاعة غيره . إن الله تعالى أرسل الرسل وهم صادقون وأتباعهم مسؤولون عن عهودهم فهل يوفون بعهودهم ، أم يكونون كالمنافقين الذين يجمعون بين المتناقضين ؟ قول مصدق وعمل مكذب كما يجعل الدعوى ابنا والزوجة أمّا . إن هذه القاعدة عامة فى الرسل وأتباعهم وهكذا هذه الأمة . إن الله لا يترك الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . إن الله ابتلى المسلمين بالغزوات ومنها غزوة الأحزاب فمنهم من صدقوا ما عهدوا الله عليه ومنهم من بدلوا ، فهذا الامتحان والابتلاء فى الاسلام تطبيق على القاعدة العامة فى قوله - وأخذنا منهم ميثاقا غليظا - ليسأل الصادقين عن صدقهم -

يقول الله . إن هذه القاعدة عامة فى الأرض فلا بد أن تناولوا حظكم منها فننظر أصدقون ، وإذا كنا آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا . هكذا يا محمد ستكون أنت وأتباعك من صبروا منهم يكونون أئمة . وقوله - فلا تكن فى مرية من لقائه - فيه إشارة الى هذا المعنى من طرف خفى كأنه قال آتيناك الكتاب كما آتيناك وسيكون لك نصر وأتباع هداة كما نصرناه وأيدناه ﴿ أمة الاسلام اليوم ﴾

فعلى المسلمين أن يتدبروا هذه الغزوة ويتفكروا فيها فانها لم تذكر فى القرآن لمجرد التبرك . إن الله خلق الناس على هذه الأرض ليعدهم الى الرقى الى عالم أرقى من هذا العالم ولارقى إلا ﴿ بأمرين ﴾ تهذيب جسمى وتأديب عقلى فلا بد من نعم ونقم وخير وشر وعز وذل وصحة ومريض والمرء بين ذلك يربى ولا علم له بالترية ويؤدب ولا علم له بالتأديب . إن كل عمل نعمله فى الحياة يبعثنا عن المادة ويقرّبنا من عالم الأرواح فكل صناعة نتقنها وعلم ندرسه وعمل نتقنه يرقى نفوسنا فيجعلها صانعة ذات حكمة ما . ولقد جاء الاسلام وأمرنا الله بالجهاد وأمر نبينا نفسه أن يجاهد فكأن حياته كلها جهادا . فعلىنا أن نقتدى به . علينا أن نكون حياتنا كلها جهادا يحرم علينا التواني والكسل . الجهاد يستلزم جميع العلوم والصناعات . يستلزم علم الرياضيات والطبيعات والإلهيات . يستلزم علم السياسات وعلم الاقتصاد وعلوم الحرب كلها واستخراج المعادن من الأرض وعلم الزراعة وعلوم العالم قاطبة . إن العلوم كلها والصناعات أشبه بحلقة مفرغة لا يدرى أين طرفها . فإذا اطاعت على ما كتبته فى ﴿سورة البقرة﴾ عند قوله تعالى - لا يكف الله نفسا إلا وسعها - وأن العلوم كلها والصناعات لا ينفك بعضها عن بعض عرفت أن الجهاد يكون بها كلها وأن الامم عليها أن تخص كل امرئ فى الصناعة أو العلم الذى هو أليق به . فالجهاد فى الاسلام يشمل جميع دوائر الحياة . ألا ترى الى رسول الله ﷺ كيف قال لنعيم بن مسعود لما جاءه وقد أسلم سرا ﴿ إنما أنت فينا واحد نخذل عنا ﴾ نفصه بما هو أقوى عليه وهو التخذيّل وقد نفذ الأمر فذهب الى بنى قريظة والى قريش وغطفان وأوقع بينهم الفشل . أليس هذا بعينه هو علم السياسة . أليس علم السياسة اليوم هو هذا بعينه . أليست الأمم تفتح المدارس لتربية الشبان لامثال هذا . أليس هذا من الجهاد . لا لابل هو سرّ الجهاد . أوليس صانع المدفع وسائق القطار وسفير الدولة وكناب الجيش وأمثالهم مجاهدين . إن الجهاد يشمل سائر فروع الحياة ومتى بطل فرع منها بطلت كلها . فإذا لم يكن قطرات تسير بالجنود لم يكن جهاد ولا قطرات إلا بالحديد ولا حديد إلا بالتجارة

ولا تجارة إلا بالزراعة ولا زراعة إلا بالامن ولا أمن إلا بحكومة منظمة ولا حكومة منظمة إلا بعلاقاتها مع الأمم ولا علاقة لها مع الأمم إلا بحفظ كيانهما والدب عن حياضها

اللهم إن هذا هودينك . وإنى قد أوضحت الأمر في هذا التفسير . وإنى قد أدت ماعلى . فألهم اللهم قراء هذا التفسير وأمثاله أن يجاهدوا فيك حق جهادك ويرجعوا مجد هذه الأمة ويكونوا رحمة للعالمين ويهدوا الأمة لمستقبلها الزاهر وسعدها الباهر ومجدها الفاخر وليعلموا الأمة أنها خلقت لانارة البصائر وتطهير السمائر وإقامة الشعائر واسعاد الأمم وحفظ النعم وانهم خلقوا ليكونوا رحمة للعالمين وهذا نتيجة ظهوره على الدين كله لأن الله لا يظهر ديننا على الديانات إلا اذا كان رحمة عامة وهذا هوديننا في مستقبل الزمان . انتهى القسم الثاني من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّكُمْ وَأَسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا * وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُوفِيَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا * إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا * وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا * وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ

عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا *
 مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ
 قَدَرًا مَقْدُورًا * الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى
 بِاللَّهِ حَسِيبًا * مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ
 اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوا بُكْرَةً
 وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَىكُمْ وَفِي لَيْلَتِهِ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ
 بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
 أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
 بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَزْوَاجَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى
 اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا زَكَرْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ
 أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَاذْكُرْنَهُنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمِنْهُنَّ وَسَّرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا *
 يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ
 عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عُمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ
 وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ
 حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ
 يَمْنًا غَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأُ عَيْنَهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ
 كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا * لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا
 أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَفْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 رَقِيبًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرِ
 نَظِيرِ إِيَّاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْذِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ
 ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَعْجِلُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعْجِلُ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ

مَتَاعًا فَنَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ
 تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِرُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا *
 إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تُخَفُّوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا * لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا
 أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَمْلَكَتَهُنَّ
 أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا * إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
 النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ
 اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا * وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ
 مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ
 الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَوْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا * لَنْ يَنْتَهِيَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ
 بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا ثَقِيلًا * سُنَّةَ
 اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا * يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ
 إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا * إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
 لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ
 يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ * وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
 السَّبِيلَ * رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضَعِيفِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَنُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
 وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا * إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * لِيُعَذِّبَ
 اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا *

إن القسم السابق قد مضى في جهاد الرجال وحفظ الشغور . فلما أتم الكلام عليه أخذ سبحانه يشرح جهاد النساء كأن يترك الفاحشة ، وأن يقتلن لله ولرسوله ، وأن يفيض أزواج النبي ﷺ على الأمة العلم الذي عرفنه من النبوة ، وكأن يأمرن جميع النساء بالحجاب الشرعي والآداب العامة وما أشبه ذلك من كل حكم يختص بالنبي ﷺ أو بأزواجه أو بما يحوم حول ذلك من احترامه وحفظ حرمة واجتناب أذاه

وفي هذا فتح باب للجهاد الأكبر بعد اتمام الكلام على الجهاد الأصغر كما قال ﷺ ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ فان التدبير المنزلي ونظام العائلات وإقامة الشعائر كل ذلك جهاد عظيم أكبر من جهاد العدو . ألا ترى إلى قول (أرسطاطاليس) لاسكندر ﴿ إن الناس يحتملون الشدة ولكنهم لا يحتملون الرخاء ﴾ يريد أن الناس يقدرون على مكافحة الحروب ولكنهم إذا أبطرتهم النعماء لا يتحملونها بل تفرق قواهم وتضيع نخوتهم ويذهب مجدهم ولذلك أكد عليه أن يراعيهم في أحوالهم ويشغلهم فان لم يشغلهم أيام الأمن هلكوا وضاعت دولهم ، فهكذا ههنا لما أتم الله الكلام على الجهاد أخذ يشرح الآداب المنزلية والأحوال الاجتماعية ، فاذا لم تنظم فلاحية للأمة

ولقد مضى مثل هذا في ﴿سورة البقرة﴾ فانه بعد أن ذكر أحكام الطلاق والعتة والرضاع والخمر والميسر واليتامى وما أشبه ذلك من كل عمل للناس في أئمتهم أعقبه بذكر القتال فقال - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف - الخ فهناك ذكر القتال بعد النظام الداخلي وهنا عكس الأمر إشارة إلى أن كلامهم في نفسه مطلوب في وقته لا فضل للآخر عليه فان لم يكن نظام داخلي فلا نظام للحرب ، ومن أهموا الدفاع عن مدنها اختلت أحوالهم وضاعت مدنهم وفي هذا القسم فصول

﴿ الفصل الأول في خطاب النبي ﷺ لأزواجه بالزهد في الدنيا ، والاخلاص لله وأن وزرنه وأجرهن ضعف غيرهن ، ووجوب ملازمتهم البيوت ، وعدم التبرج وإقامتهن الصلاة . وإيتائهن الزكاة ﴾

قوله تعالى (تردن الحياة الدنيا) أي السعة والتنعم فيها (وزينتها) زخارفها (أمتعكن) أعطىكن المتعة . ومعلوم أن المتعة تستحب لكل مطلقة إلا المفوضة قبل الوطء (وأسرحكن سراحا جيلا) طلاقا من غير ضرار وبدعة (أجرا عظيما) أي تستحقرونه الدنيا وزينتها (فاحشة) كبيرة (مينة) ظاهرة قبورها (ضعفين) ضعف عذاب غيرهن أي مثليه لأن الذنب منهن أقبح فزيادة قبح الذنب تتبع زيادة فضل المذنب والنقمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد العبد وجعل ذنب العالم أشد من ذنب الجاهل وعوتب الأنبياء على ما لا يعاتب عليه غيرهم (وكان ذلك على الله يسيرا) لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبي (ومن يقتل منكنا) ومن يدم على الطاعة (نؤننها أجرا مرتين) مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضا النبي ﷺ بالانتماء وحسن المعاشرة (وأعتدنا لها رزقا كريما) في الجنة (لسنن) كأحد من النساء) أصل أحد واحد بمعنى الواحد وهو في النبي عام للمذكر والمؤنث والواحد والكثير أي لسنن الجماعة واحدة من جماعات النساء (إن اتقين) مخالفة حكم الله ورضا رسوله (فلا تخضعن بالقول) فلا تجبن بقولكن خاضعا لينا مثل المربيات (فيطمع الذي في قلبه مرض) فجور (قولنا معروفنا) حسنا بعيدا عن الريبة (رقرن في بيوتكن) من وقر يقر وقارا أو من قر يقر مع تصرف بحذف الأولى من رأي اقرن ونقل كسرتها إلى القاف فتحذف همزة الوصل ، ويصح أن يكون من قاريقارا إذا اجتمع (ولا تبرجن) ولا تتبخترن في مشيتكن وتتكسرن أولا تظهرن زينتك وتبرزن محاسنكن (تبرج الجاهلية الأولى) تبرجا مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة وهي جاهلية الكفر قبل الاسلام ، أما الجاهلية الأخرى فهي جاهلية الفسوق في الاسلام (وأطعن الله ورسوله) في سائر ما أمركن به ونهاكن عنه (الرجس) الذنب المدنس لعرضكن (أهل البيت) نصب

على النداء أو المدح (ويظهركم) من المعاصي ، واعلم أن تخصيص أهل البيت بعلي وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين لم يقم عليه دليل وإذا ثبت الأحاديث الواردة في ذلك فهي لا تفيد التخصيص وقوله (من آيات الله والحكمة) أى من القرآن والسنة (إن الله كان لطيفا) عالما بغوامض الأشياء (خبيرا) عالما بحقائقها أى هو عالم بأفعال الكائن وأقوال الكائن . انتهى تفسير ما يحتاج اليه من الألفاظ في هذا الفصل من قوله تعالى - يا أيها النبي قل لأزواجك - الى قوله - إن الله كان لطيفا خبيرا

﴿ لطيفة ﴾

ورد أن سبب نزول آية التخيير أن النبي ﷺ لم يأذن يوما لأحد بدخول منزله إلا أبا بكر وعمر فدخلوا فوجداه جالسا وحوله نساؤه وهو واجم ساكت فأخذ عمر يضجكه ويقول يا رسول الله لقد رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقلت لها فوجأت عنقها فضحك النبي ﷺ فقال هن حولى كما ترى يسألني النفقة فقام كل من أوى بكر وعمر الى عائشة وحفصة يوبخانهما ويضربانهما ويقولان تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده ثم انزل رسول الله ﷺ نساءه شهرا أو ٢٩ يوما حتى نزلت هذه الآية - يا أيها النبي قل لأزواجك - الى قوله - للمحسنات منكن أجرا عظيما - قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تجهلى فيه حتى تستشيرى أبويك ، قالت وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية ، فقالت أفيك يا رسول الله استشير أبوى بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ثم اختارت الباقيات اختارها فشكر لهن الله فنزل - لا يحل لك النساء من بعد -

﴿ حكم الآية ﴾

إذا خير الرجل امرأته فاخترت زوجها

- (١) لا يقع شئ عند عمر وابن مسعود وابن عباس وأكثر الأئمة
- (٢) ويقع طلاق واحدة عند زيد بن ثابت ، وفي رواية عن علي
- (٣) وان اختارت نفسها وقع طلاق واحدة رجعية عند عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي رضى الله عنه

(٤) وطلاق بائنة عند أصحاب الرأي ، وفي رواية عن علي

(٥) وثلاث طلاقات عند زيد بن ثابت والحسن ومالك

﴿ الفصل الثاني في الصفات التي يجب على الرجال والنساء أن يكونوا عليها من المسلمين ، وفي قصة زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ من قوله - إن المسلمين والمسلمات - الى قوله - وكفى بالله حسيبا - ﴾
ههنا ذكر الله ﴿ عشر صفات ﴾ للرجال والنساء وهي ﴿ الاسلام ﴾ وهو الانقياد لحكم الله ﴿ الايمان ﴾ أى التصديق بما يجب أن يصدق به ﴿ القنوت ﴾ أى المداومة على الطاعة ﴿ الصدق ﴾ فى القول والعمل ﴿ الصبر ﴾ على الطاعات وعن المعاصي ﴿ الخشوع ﴾ أى التواضع لله بالقلوب والجوارح ﴿ التصديق ﴾ بما وجب على الانسان من ماله وبما هو مستحب ﴿ الصيام ﴾ المفروض أو هو وغيره ﴿ حفظ الفرج ﴾ عما لا يحل ﴿ كثرة الذكر لله ﴾ باقلب واللسان ، فهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات العشر - أعد الله لهم مغفرة - لما اقترفوا من الصغائر لأنهن مكفرات لها - وأجرا عظيما - على طاعتهم
﴿ ذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها وزواجها لزيد بن حارثة ثم طلاقها منه

وزواجها للنبي ﷺ

خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش بنت عمته أميمة على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها

عبد الله ، ولقد كانت رضى في أول الأمر إذ ظنت أنه صلى الله عليه وسلم خطبها لنفسه فاما علمت بالحقيقة أبت وهذا قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أى وما صح لرجل مؤمن ولا امرأة مؤمنة (إذا قضى الله ورسوله) أى رسول الله (أمر) من الأمور (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) أى أن يختاروا من أمرهم ما شاؤوا بل عليهم أن يجعلوا رأيهم تبعاً لرأيه والخيرة ما يتخير (ومن يعش الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) بين الانحراف عن الصواب ، واعلم أن الله عز وجل يعلم مستقبل الأمم الإسلامية وأن للنسب دخلاً عظيماً ، وأن الأمم يعثرها الاضمحلال والخراب بسبب تفرق أهوائها ، وتفرق أهوائها إنما يكون بالسواعى المتشعبة وأنه لا مصيبة أنسكى ولا فتق أوسع ولا مدح أعظم من تصدع المساكين وتفرق شملهم وتفرق كلمهم بانباع ذوى الأنساب المتصلين بذوى الشرف والعلم لاسيما المسلمين بصاحب الشرع صلى الله عليه وسلم . علم الله ذلك ففقطع الأمر قبل حصوله وبته قبل وجوده وأظهره بمظهر لا مدخل للشك فيه إذ أوحى الى نبيه انى مزوجك زينب ابنة جحش بعد أن يطلقها زيد ، ألا وان الله يعلم أن ابناً سيكون لأسامة اسمه زيد وأنه سيكون له القدر المعلى في الغزوات أيام أبي بكر ، فلأن الأمر بقى بلا إيضاح عجل وتشرع فعلى لجاز لأسامة أن يدعى الخلافة وسيأتى تفصيل هذا وأمثاله في (رسالة تعدد الزوجات) التى ستذكر في آخر هذه السورة

أقول . لما أوحى الله الى النبي صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون زوجته ألقى الكراهة في قلب زيد لها كما أنها كارهة له ، فلما جاء زيد وقال انى أريد أن أطلقها قال له - أمسك عليك زوجك واتق الله - فعاتبه الله تعالى وقال له لم قلت - أمسك عليك زوجك - وقد أعلمتك انها ستكون من أزواجك وهذا قوله تعالى (و) اذكر (إذ تقول للذى أنعم الله عليك) بالاسلام (وأنعمت عليك) بالاعتناق والتبني وهو زيد بن حارثة حين قال لك انى أريد أن أفارق صاحبتي وقلت له أراك منها شئ فقال لا والله يارسول الله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها تتعظم على بشرفها وتؤذيني بلسانها (أمسك عليك زوجك) زينب وهو مقول لقوله تقول (واتق الله) فى أمرها فلا تطلقها ضراراً وتعللاً بتكبرها (وتخفى فى نفسك ما لله مبديه) وهو أنك ستفككها وأن زيداً قبل ذلك سيطلقها (وتخشى الناس) تهيئهم إياك به (والله أحق أن تخشاه) ان كان فيه ما يخشى فترى من هذا أن الله عاتبه على اخفاء ما أعلمه الله وهو أنها ستكون زوجته ، وانما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيداً أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى وذلك مقدمة لذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس أباً أحدهم من الرجال * روى مسلم عن أنس قال صلى الله عليه وسلم لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها على ، فانطلق زيد حتى أنها وهى تخمر عجزها فأبلغها ، فقالت ما أبأ بصانعة شئاً حتى أوامر ربي فقامت الى مسجدتها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن ، قال أنس فلقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى أناس يتحدثون فى البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل حجر نسائه واتبعته وهو يسلم عليهن فانطلق يدخل البيت وذهبت لأدخل معه فألقى الستر بينى وبينه ونزل الحجاب صلى الله عليه وسلم انتهى المقصود من الحديث ملخصاً

ولقد كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم انى لأدل عليك بثلاث ، مامن امرأة من نساءك تدل بهن . جدى وجدك واحد ، وانى أنك حنيتك الله فى السماء ، وأن السفير جبريل عليه السلام وهذا قوله تعالى (فلما قضى زيد منها وطراً) حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها (زوجنا كها) أى جعلناها زوجة لك بلا واسطة عقد (لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم) إذا قضوا منهن وطراً لأن حكم النبي صلى الله عليه وسلم وحكم أمته واحد إلا فيما خصه الدليل (وكان أمر الله مفعولاً) قضاؤه ماضياً وحكمه نافذاً (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) قسم له وقدر كما تقول فرض له فى الديوان كذا ومنه فروض العسكر لأرزاقهم ، سن الله ذلك (سنة الله فى الدين خلوا من قبل) من الأنبياء وهونى الحرج عنهم فيما

أباح لهم (وكان أمر الله قدرا مقدورا) قضاء مقتضيا وسكنا مستورا ، ثم وصف الذين خافوا بقوله (الذين يملكون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله) ثم يرض بعد التصريح (وكفى بالله حسيبا) كافيا للخوف أو محاسبا فينبغي أن لا يخشى إلا منه

﴿ لطيفة ﴾

هذه الآية تفرض على الناس الشجاعة الأدبية ، وقول الحق ، وإعلان الأمة بالحقائق ، وإذا أمر النبي ﷺ بأن لا يكتم أسرا لا بد من ظهوره ولا ضرر في كتمانها ، فكيف يكتم الناس العلوم ولا يظهرونها للأمة وهاتين أولاء الآن في زمان أحوج إلى اظهار الحقائق من كل زمان

يا أمة الاسلام . نزلت هذه الآية وعوتب النبي ﷺ في أمر لا ضرر في كتمانها . انظروا انظروا . كم مصيبة نزلت بالاسلام والعلماء يخافون أن يجهروا بالحقائق . إن الله جعلنا تابعين للنبي ﷺ فانه هو الذي يؤمننا من المخاوف . قولوا للمسلمين كفى خولا وجهالة . كفى نوما . فكروا في هذه الدنيا ونظامها . اقرؤا العلوم التي عرفتكم الأمم . إن القرآن طافح بها . قولوا للرؤساء كفى تعظما . كونوا أيها الرؤساء خادمين للأمة . كفى تخاذلا وتهاونا . لا تتعالموا بالأنساب لتجعلوا الناس عبيدكم حتى أصبحتم عبيد الفرنجة . قولوا لأبناء النبي ﷺ الذين لهم ملك أن لا يناموا عن رقي الأمة فان هذا الملك لن يدموم وستأخذ الفرنجة لجهل الشعب . حرام أن يجعل الناس جهلاء لأجل أفراد من الأمة . الشعب كله يجب أن يتعلم . يجب التصريح بذلك وإذاعة الحقائق والافعال العلماء معاقبون أشد عقاب ولا سيما من قرأ مثل هذا التفسير فانه مسؤول عن إذاعته بين الناس

﴿ الفصل الثالث في فضل النبي ﷺ وعموم رسالته ﴾

(من قوله تعالى - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم - الى قوله - وكفى بالله وكيل -)

قال تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) على الحقيقة فإذن لا تثبت حرمة المصاهرة كما في زيد بن حارثة ، وهو وإن كان أبا للطاهر والطيب وإبراهيم والقاسم فهم لم يبلغوا الحلم (واكن رسول الله) فهو إذن أبوأمتهم من حيث انه شقيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم (وخاتم النبيين) فهو آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به * قال ابن عباس يريد لو لم أختتم به النبيين لجعلت له ابنا فيكون بعده نبيا ، وعنه قال ان الله لما حكم أن لا نبي بعده لم يسطه ولدا ذكرا يصير رجلا (وكان الله بكل شيء عليما) فيعلم من يليق بأن يختم به النبوة وكيف ينبغي أن يكون شأنه . يقول مؤلف هذا التفسير ان تكرار القول في عدم نبوة زيد وخلق السبب العملي الموجب لذلك ذو شأن عظيم في قضية النبوة لولا هذا التأكيد والتكرار والتقوية لادعى قوم أن زيدا نبي بعد موت رسول الله ﷺ . ان الله احتاط لذلك أشد احتیطة . ومن العجب أن أمة الاسلام مغرمة بالأنساب وبالأشخاص في بعض الجهات وهذا من أضل الجهالات التي ابتلى بها المسلمون . فكم دخل في آل بيت النبوة من دعي . وكم ادعى قوم انهم من السلالة الهاشمية وبنوا على ذلك الرياسة على الناس وأضلوا كثيرا اذا لم يكونوا أهلا للرياسة بالعلم والعمل المؤهلين لها . إن فضل المؤمن بعمله واتباعه وبصدقه وبعده والنسب أمر ثانوي . إن الله لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وقد أمرنا أن نحمله على ذلك لأن الولد يشغل عن غيره فلا ولد ولا شريك ولا ناصر له بل هو رب العالمين ، فهو عدل حكيم ، ولما أراد تكميل رسوله ﷺ قال - ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وانما هو أب للجميع منه يستضيء كل مستعد للاضاءة ، فأما الابوة البشرية فليس فيها هذا النظام إذ قد يلد الفاضل فاسقا ولذلك أعقبه بقوله (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) * قال ابن عباس « لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه

ولم يهذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله « وأمرهم به في الأحوال كلها فقال تعالى - فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم - وقال تعالى - واذكروا الله كثيرا - يعني بالليل والنهار، في البر والبحر وفي الصحة والسقم ، وفي السر والعلانية ، وقيل الذكر الكثير ألا ينساه أبدا (وسبحوه بكرة وأصيلا) أول النهار وآخره خصوصا ، والمقصود من التسييح أن يكون الذكر على وجه التعظيم والتعزير عن كل ما سواه ، والمقصود من ذكر طرفي النهار والمداومة لأن ذكر الطرفين يفهم منه الوسط أيضا ، ويدخل في ذلك صلاة الصبح والعصر ، ومن أدخل في الأصيل صلاة الظهر وما بعدها إلى العشاء فقد توسع في المعنى ، ويدخل أيضا « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » ويكون من التكثير هنا أن الطاهر والجنب والحائض والمحدث يقولها (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين ، ومن رحمته تعالى إشاعة الذكر الجليل للعبد في عبادته والثناء عليه (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) يعني أنه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة أخرجكم من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان (وكان بالمؤمنين رحيما) حتى اعتنى بصلاح أمرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين (تحييتهم) أي تحية الله تعالى للمؤمنين (يوم يلقونه) يوم لقائه عند الموت وعند الخروج من القبر وعند دخول الجنة (سلام) أي يسلم الرب عليهم ويسلمهم من جميع الآفات ، روى عن ابن مسعود قال « إذا جاء ملك الموت لقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام » واعلم أن السلامة من الآفات في هذه الدنيا مستحيلة ولذلك جعلوا مبدأها عند الموت اللهم إلاقوما أدركوا سر هذا الوجود ودرسوه وعرفوا أن الرحمة تغمر ظاهره وباطنه وظاهر الآخرة وباطنها وفهموا ذلك وتحققوه حتى صار غمزا بنفوسهم ، فثل هؤلاء يرون الوجود كله سعادة ، وكل ما يحل بهم أو يغيب عنهم أو يسمعون منه من أنواع الآلام فاتهم يفهمونه كله على وجه يشرح صدورهم ويرون أنه حكمة نامة ونظام جميل ويوقنون أنه ليس في الامكان أبدع من ذلك ، وهؤلاء قد سمعوا السلام من الله في الحياة قبل الموت في هذه الدنيا وأنسوا برهم ولكن هذا الوجدان عزيز الوجود لأنه يعز على الناس أن يعقلوا شياطين وجنا وأبالسة ونيرانا جهنمية ويقولوا إن هذه رحمة ، فأما أولئك الأفذاذ فلهم دراسة أتم ومعرفة أعم وعلم أكمل وعرفان أعم ويصبح الوجود عندهم كأنه إنسان واحد وحيوان واحد ، وهذه من لوازمه أو عمل من أعمال هيئته لا بد منه - والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم - وقوله (وأعد لهم أجرا كريما) هو الجنة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) على من بعث إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهذه حال مقدرة (ومبشرا) لمن آمن بالجنة (ونذيرا) لمن كذب بالنار (وداعيا إلى الله) أي إلى توحيده وطاعته (بإذنه) بأمره (وسراجا منيرا) يستضاء به في ظلمات الجهالات ويقتبس من نوره أنوار البصائر فراقب أحوال أممك (و بشرا المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) على سائر الأمم فاتهم سيغيرون نظام النوع الانساني من الظلم إلى العدل كما في نهضة الاسلام الأولى ، وسيصلحون شأن الأمم المنهمكة في الضلالة في مستقبل الزمان بعد زماننا كما قال تعالى - ليظهره على الدين كله - وبهذا يكون ثوابهم في الآخرة عظيما (ولاطع الكافرين والمنافقين) ودم على مخالفتهم (ودع أذاهم) إيذاءهم إياك ولا تحتفل به (وتوكل على الله) فانه يكفيكم (وكفى بالله وكيلا) حافظا وموكولا إليه الأمر في الأحوال كلها

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن الله عز وجل لما قرّر أمر النبوة وأن محمدا ﷺ ليس أبا لأحد من الرجال ، وأن النبوة أبوة عامة ، وأكد ذلك بالقول بالفعل لقطع أطماع الرجال في الاعتراف بذلك أعقبه بذكر ما به يتفاضل الناس وتعظم أقدارهم ويشرفون في الدنيا والآخرة فأمر بذكر الله كثيرا وتسيبته وأنه سبحانه يرحم المؤمنين رحمة خاصة بالهداية وأنه يحییهم بالسلامة والأمان ويدخلهم نعيما مقبلا ، وأتبع ذلك بخطاب النبي ﷺ انه سراج

والسراج يقتبس منه السراج ، فالأنبياء يستضاء بهم وتعرف بأنوارهم المشكلات في دياجى ظلمات الجهالات كما يستضاء بالسراج في الطرقات ويقتبس من أنوارهم كما يقتبس من السراج سراج أخرى ، ولذلك تجمد العلماء في كل أمة تابعين لأنبيائهم مقتبسين من أنوارهم مرشدين لأمتهم وليس الأب الجسمي كذلك ، إن الأب الجسمي يلد ابنا ولادة مادية ، والأنبياء يلدون ولادة نورية ، وهذا هو الذي يرشد له ذكر السراج في هذا المقام ، فالأنبياء يلدون بهذا المعنى وخلفائهم هم المقتبسون منهم وعليه فليس أحد أولى بالأنبياء ممن اقتبسوا من أنوارهم والا فان نوحا قد كفر به ابنه وقال الله له : إنه ليس من أهالك انه عمل غير صالح - فرجعت ولادة الأنبياء الى الاقتباس منهم والى الاهتداء بهديهم ، فمن اكتفى بالنسب الجسمي للأنبياء فهو ضال مضل كاذب على الله ، فاذا ادعى أحد اخواننا وأبناء أعصمانا الشرفاء أن النسب وحده يرفعه عند الله فان هذه الآية تكذبه والا فلماذا هذا التأكيد كله والتذكير ، فلاشرف لامرئ إلا بالاقتباس من الأنوار العلمية ، ذلك هو الشرف الحقيقي في الدين - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

إن العرب في الجاهلية وأكثر الناس في هذه الحياة الدنيا شرقا وغربا لا يصدقون بعالم غير عالم الأجسام ولا يعقلون أن هناك أرواحا لطيفة تدبر أهل الأرض وتهديهم ، فانظر كيف ذكر الله هنا انه هو يرحم المؤمنين ورجته عامة لهم ولغيرهم من حيث الحياة الجسمية ، فأما رجة الهداية فهي خاصة بهم ، فهكذا أرشدنا الى أنه سبحانه لم يدع هذا العالم للأرواح شريفة تقوم بالتدبير والتعليم كما نرى أنفسنا على هذه الأرض تقوم بالأعمال الجسمية والعقلية ، إن جميع الأرواح لها عمل فلاشئ في الوجود معطل ، واذا كانت أرواحنا اليوم قائمة بتدبير هذه الأجساد فان لها بعد الموت أعمالا تناسب تربيتها في هذه الدنيا ، فالضالون هنا يضلون غيرهم إما طبعيا وإما قصدا لقصد الشر والابذاء ، وهكذا النفوس الطيبة هنا ترجع الى عالم الأرواح وهي في مركزها الذي خلقت فيه في الدنيا من حيث الإصلاح والتعليم بالألهام والتي قبلها بالوسوسة

وأهلك تقول ومالنا ولهذا المبحث ، ان الآية فيها ذكر الملائكة وانهم يصلون على المؤمنين أى يستغفرون لهم ، فأى مناسبة لذلك ؟ أقول لك على رسلك . اعلم أن هذا القرآن نزل للناس بأمور غائبة عن العقول لا يصرفها الناس تصديقا حقا ولكنهم يؤمنون به إيمانا والايمان شئ واليقين شئ آخر ، ولقد ظهر اليوم في العالم الغربي هذا العلم . وقد تقدم في هذا التفسير انى نقلت لك ما ذكره العلامة (أوليثرلودج) الذي هو أشهر عالم طبيعى في أوروبا إذ قال « انه أصبح موقنا بسبب تحضير الأرواح اننا نعيش في عوالم من الأرواح نسبتنا اليهم كنسبة الفل الى النجوم من حيث الادراك والعقل ، وهم يهتمون بأمرنا ويسعون في مصالحنا ، وعلم الأرواح اليوم شاع وذاع بأوروبا ، وقد اتضح فيه أن أرواحنا بعد الموت صائرة الى نحو ذلك فهي إما ملهمة للخير أو ساعية للشر فكأنها ملحقه بعالم الملائكة وعالم الشياطين ، وتجد نظير هذا في تفسير الامام الرازى في سورة ابراهيم وسورة النازعات إذ قال في الثانية ﴿ إن الروح الانسانية هي التى تصير من المديرات أصرا ﴾ أى انها قد تلحق بعالم الملائكة ، ولقد قسم المعلم الفيلسوف (الان كاردك) الأرواح الى طبقات ثلاث وهي الأرواح السفلية والعلوية والنقية ، وقال ان السفلية هي التى في مؤخر الدرجات والمادة متسلطة عليها ، فهي في الحياة محبة للشر والفساد ، وفي الموت ملقية للشر والعداوات بالوسوسة ، ويقال في العلوية انها متسلطة على المادة ومحبة للخير ومنها الصالحة وهي تحب الصلاح العام وعمل البر والهلم البشر أفسارا صالحة ومعارفها محدودة وأدبها أكثر من علمها ، ومنها الأرواح الحكيمة وهي ذات أخلاق حسنة ولكن علومها أوسع ومنها الأرواح الرفيعة وهي التى جمعت بين الكمال العلمى والأدبى ، وهذه لا تعطى تعليمها إلا لمن يطاب الحق بخالص نية وقال في السفلية انهاهى التى بلغت ذروة الكمال وتجردت من كل نقص ولم يعد للمادة أدنى تاثير فيها فأصبحت ناظرة لله مغتبطة به ، ولن يناجىها الانسان إلا اذا كان ذا فضيلة سامية وقلب مجرد من كل أمر ذميم ونقص

أرضى مآدى ، واستنتج العلماء من ذلك أنه ليس كل إلهام نأخذ به لأن معارف الأرواح الملهمة ليست في درجة واحدة فكم من إلهام ناقص يضر العمل به اهـ

هذا ما يدور في محافل العالم الاوروبى اليوم ، فانظر كيف يخبر الله أن الملائكة يسألون علينا أى لاخراجنا من الظلمات الى النور ، وانظر كيف ترى أن علماءنا رجعهم الله قالوا ﴿ ان هناك وسوسة وإلهاما من الملائكة ﴾ وكيف يقول الامام الرازى والغزالي ورجال اخوان الصفاء ﴿ إن أرواحنا ملهقة بعد الموت بعالم الشياطين والملائكة إلهاما وسوسة ﴾ وكيف يقرر ذلك نفسه العلامة (الان كاردك) في أوروبا والمسلمون لا يعلمون انظر كيف يظهر سر القرآن في أوروبا والمسلمون في الشرق ناظمون ، كيف يقول (كاردك) المذكور « إن الأرواح النقية التي لم يبق لها مأرب في المادة تعين الله وهي به مختبئة » يقولها هذا الافرنجهي من علم الأرواح وهو لم يسمع قول الله تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة - فحسب الله سبحانه عن نقاة الروح من كل رجس بنضارة الوجوه ، ومتى نضرت الوجوه نظرت الله فكأن أرواحنا ترتقى من عالم الى عالم درجات وراء درجات وتتخطى في الجنان درجة بعد درجة حتى تصل الى أعلى السجرات وتكون الى ربها ناظرة ، وفي أثناء مرورها على النيران تكون مرسوسة شريفة ، وفي أثناء مرورها على الجنان تكون ملهمة للخير معامة وتصعد الى أن ترى ربها ، ولا معنى لرؤية الله والنظر اليه إلا بزيادة الكشف المعبر عنه في الحديث بأننا نراه كما زى القمر ليلة البدر ، فالعامة يظنونه نظرا بصريا والخاصة يرونه أرقى وأوسع من نظر البصر بل نظر البصر ضعيف ضئيل مآدى ، أفليس المسلمون أولى بهذه العلوم و بمعرفة الأرواح حتى يدركوا سر هذه الآيات

أما أنا فاقول : الحمد لله الذي جعل في قدامتنا من بحشوا ودققوا وذكرنا مثل هذا القول ، ولولا أنهم ذكروه كما قلته لك لم يتجاسر أحد أن ينقل عن أوروبا مثل هذا لئلا يعد ذلك خروجا عن الدين ، والأمة اليوم في مبدأ نهضة جديدة ، فلن تقبل حديثا إلا اذا وصل بقديمها ثم تأتى أجيال يستقاون بالرأى ويكونون أوسع حرية إذ يرون الجوفسيحا والعالم منتشرا . فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . وصلى الله على نبينا وآله وصحبه وسلم

﴿ النص الفصل الرابع في المطلق قبل الدخول وفيما يحل للنبي ﷺ من النساء . وفي بعض الأحكام المناسبة لذلك من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات - الى قوله - واثنتين - الله إن الله كان على كل شئ شهيدا - ﴾

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) تجامعوهن (فإنكم عليهن من عدة تعتدونها) تستوفون عددها . وليس تخصيص المؤمنات مخصا للحكم بل هو عام وذكرهن لفائدة تخير النطف لا تخصيص الحكم (فتمسوهن) أى اعطوهن ما يستمتعن به وقد تقدم ايضاحه في ﴿سورة البقرة﴾ وذلك التمتع إما فرضا اذا لم يكن سمي لها مهر وإما ندبا اذا كان سمي لها المهر فيكون التنصيف وجوبا والتمتع سنة (وسر حوهن) أخرجوهن من منازلكن لأنهن ليس عليهن عدة (سراحا جيلا) من غير ضرار ولا منع حق

﴿ لطيفة ﴾

اذا طلق الرجل امرأة قبل النكاح لا يقع الطلاق لظاهر الآية لأنه سبحانه قال - اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن - ولم يقل طلقتم ثم نكحتم ، فالطلاق قبل النكاح عليه سواء أكان لامرأة معينة أم لكل امرأة فان الطلاق لا يقع ، وهذا رأى الأكثرين كابن عباس وعلى وجابر ومعاذ وعائشة والشافعى ، وقال ابن مسعود وأصحاب الرأى والنخعي يقع الطلاق ، وقال مالك وربيعة والأوزاعي « إن عين امرأة

ثم قال تعالى (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) مهورهن لأن المهر أجز على البضع وليس التقييد بايتاء المهر مجالا إلا لا يتاء الأفضل والافحل ليس متوقفا على ذلك التحجيل كما لا يتقيد احلال المماوكة بكونها مسببة في قوله (وماملكت يمينك مما أفاء الله عليك) من السبي مثل صفية وجويرية وإنما كان القيد بذلك لأن المشتراة لا يعرف بدء أمرها وما جرى عليها وقوله (وبنات عمك وبنات عماتك) وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) المعينة هنا ليست للقران بل لوجودها فحسب كقوله تعالى حكاية عن بلقيس - وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين - فيحل له صلى الله عليه وسلم بنات العم والعمة من بنى عبد المطلب وبنات الخال والخالة من بنى عبد مناف بن زهرة بشرط أن يكن هاجرن من مكة الى المدينة والتقييد بالهجرة إما للعقل وإما للأفضل ويؤيد الأول قول أم هانئ بنت أبي طالب «خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه» ثم عطف على ما سبق قوله (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) يقول الله أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا كأم شريك بنت جابر العاصرية أوميمونة بنت الحارث أوزيذ بنت خزيمة الأنصارية أو خولة بنت حكيم وذلك مشروط بأن يريد النبي نسكاها فان لم يقبله فلا تحل، وقوله - خالصة لك - أى بالامهر وهى حال من الضمير فى وهبت. وقوله - لك من دون المؤمنين - أى انه يجب المهر على غيرك وان لم يسمه أو نفاه

﴿حكم من تهب نفسها﴾

إذا وهبت امرأة نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فالأمر ظاهر انه ينعقد نكاحا بلا ولى ولاشهود ولا مهر لقوله تعالى - خالصة لك - وأيضا له الزيادة على الأربع ويجب عليه تخيير النساء وحده. وقال بعض العلماء بل لا ينعقد له إلا بلفظ النكاح أو التزويج كما في حق سائر الأمة لأنه عبر بلفظ الاستنكاح فلا اختصاص انما هو في ترك المهر فأما من وهبت نفسها لغيره صلى الله عليه وسلم فانه لا ينعقد نكاحها بل لا بد من لفظ الانكاح أو التزويج وهو قول سعيد ابن المسيب والزهرى وربيعة ومالك والشافعى. وقال النخعي وأهل الكوفة ينعقد بلفظ التملك والهبة وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم) أى من شرائط العقد ووجوب القسم والمهر بالوطء اذا لم يسم (وماملكت أيمنهم) أى ما أوجبنا من الأحكام فى ملك أيمن. وهذه الجلة معترضة بين قوله تعالى - خالصة لك من دون المؤمنين - وقوله (أى لا يكون عليك حرج) أى أحللنا لك أزواجك وماملكت يمينك والموهوبة واختصاصك بذلك لكيلا يكون عليك ضيق والجلة الاعتراضية تفيد أن ذلك ليس للتوسيع عليه وحده والتضييق على المسامين بل هناك معان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس أخرى وسترى ايضاحه فى ﴿رسالة تعدد الزوجات﴾ الملاحقة بهذه السورة. وقوله (وكان الله غفورا) أى لما يعسر التحرز منه (رحيما) بالتوسعة فى مظان الحرج (ترجى من تشاء منهم) أى تؤخرها وتترك مضاجعتها (وتؤوى اليك من تشاء) وتضم اليك وتضاجعها (ومن ابتغيت) طلبت (عن عزلت فلاجناح عليك) أى ومن دعوت الى فراشك وطلبت صحبتها ممن عزلت عن نفسك بالارجاء فلا ضيق عليك فى ذلك (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتهن كلهن) أى أقرب الى قرّة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لأنهن اذا علمن أن هذا التفويض من عند الله اطمأنن نفوسهن وذهب التغاير وحصل الرضا وقرت العيون (والله يعلم ما فى قلوبكم) وهذا وعيد لمن لم يرض منهم بما دبر الله فى ذلك (وكان الله علما) بما فى القلوب (علما) لا يعاجل بالعقوبة فعلى الناس أن يحذروه

روى عن أبي رزين قال «لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك

ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا فأرجأ منهم نجسا وأرى اليه أربابا انتهى باختصار وسنوضحه في رسالة (تعدد الزوجات) الآتية . وكذا ما بعده مفصل هناك وهو قوله تعالى (لا يحل لك النساء من بعد) من بعد التسع (ولأن تبدل بهن من أزواج) فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى (ولو أعجبك حسنهن) حسن الأزواج المستبدلة وهي أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب لما استشهد جعفر أراد ﷺ أن يخطبها فهى عن ذلك (إلا ما ملك يمينك) وقد ملك بعد هؤلاء مارية القبطية (وكان الله على كل شئ رقيبا) أى حافظا وهذا يدل على جواز النظر إلى من يريد الإنسان نكاحها ﷺ قال رسول الله ﷺ « إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل » أخرجه أبو داود . وعن المغيرة بن شعبه قال « خطبت امرأة فقال لى النبي ﷺ هل نظرت إليها ؟ قلت لا . قال انظرا إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما »

هذا وقد تقدم حديث أنس بن مالك . وقوله في الحديث ما ملخصه « ان القوم طعموا في ولية زينب بنت جحش وخرج قوم وبقى آخرون . فخرج النبي ﷺ وخرج معه أنس حتى جاء حجرة عائشة ورجع فإذا هم جلوس فرجع حتى بلغ حجرة عائشة وظن أنهم خرجوا فرجع ورجع معه أنس فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي ﷺ بينه وبين أنس بالستر وأنزل الحجاب وسمع أنس النبي ﷺ يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) أى إلا وقت أن يؤذن لكم (إلى طعام) متعلق بمؤذن حال كونكم (غير ناظرين إناؤه) أى غير منتظرين نضجه ووقت ادراكه (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) تفرقوا ولا تمسكوا والآية لأولئك الذين يتعينون طعام رسول الله ﷺ فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه فهى لهم ولأمثالهم ولولا ذلك لمنع من يدخل بيته بالأذن لغير الطعام ومن يملك بهذا الطعام لهم ولا قائل به فافهم (ولا) تمسكوا (مستأنسين لحديث) لحديث بعضكم بعضا أو لحديث أهل البيت بالسمع له (ان ذلكم) اللبث (كان يؤذى النبي) لتضييق المنزل عليه (فيستحي منكم) من إخراجكم (والله لا يستحي من الحق) يعنى أن إخراجكم حق فينبغى أن لا يترك حياء كما لم يترك الله الحي فأمركم بالخروج (واذ سألتهم من متاعا) شيئا ينتفع به (فاسألوهن) المتاع (من وراء حجاب) ستره روى أن عمر رضى الله عنه قال يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت هذه الآية (ذلكم أظهر نقابكم وقلوبهم) من الخواطر الشيطانية (وما كان لكم) وما صح لكم (أن تؤذوا رسول الله) أى تفعلوا معه ما يكرهه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) من بعد وفاته أو فراقه وخص التي لم يدخل بها لما روى أن أشعث بن قيس تزوج المستعينة في أيام عمر رضى الله عنه فهم يرجعها فأخبر بأنه ﷺ فارقها قبل أن يمسه فترك من غير تكبر (إن ذلكم) أى إيذائه ونكاح أزواجه (كان عند الله عظيما) ذنبا عظيما ثم بالغ في الوعيد لحرمته ﷺ فقال (ان تبدوا شيئا) كنكاحهن على ألسنتكم (أو تخفوه) فى صدوركم (فان الله كان بكل شئ علما) فيعلم ذلك فيجازيكم به (لا جناح عليهن فى آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن) يعنى النساء المؤمنات (ولما ملك يمينهن) من العبيد والاماء أو من الاماء خاصة . انظره فى (سورة النور) (واتقين الله) فيما أمرت به (إن الله كان على كل شئ شهيدا) لا يخفى عليه خافية روى انه لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يارسول الله أوتيناكمهن من وراء حجاب فنزلت ولم يذكر العم والحال لأنهما بمنزلة الوالدين . انتهى الفصل الرابع

الفصل الخامس في وجوب تعظيمه ﷺ ومن تعظيمه أن يصلى عليه ، وأن لا يؤذى في أهله ، وضرب مثل بالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ، وذكر التكليف الذى لم يكف بها أحد إلا الانسان لشهوته وغضبه ونوازه الكثرة وهى الأمانة ، وهو من قوله تعالى - ان الله وملائكته يصلون على النبي - الى آخر السورة ﴿

اعلم أن العالم المشاهد كله منتظم ، فالأعلى يسبح النعمة على الأدنى ، والأدنى مطيع للأعلى . ومثال ذلك الملوكة والوزراء والأمراء ومن دونهم . فكل من هؤلاء يستمد الأمر من هو فوقه ثم يصل الأمر الى الزارع والتاجر والعامل . فهؤلاء جميعا يعطون مالا للمحافظين عليهم ويعيشون فى أمن بتدبيرهم . فالأمراء يقنولون أجورهم من الرعية والرعية محفوظة بتدبيرهم . فالأمة كالجسم . فالعين تستحسن أزهار الربيع فيساعد القدم والساق على النقلة الى هناك فى الحقول والبساتين . فالعين والرجل تشاركتا فى العمل . هكذا الأمة عايتها وسافلها متشاركون وان كانوا لا يعلمون بل الأمم كلها فوق الأرض مشتركة ولكن أكثر الناس لا يعلمون اذا عرفت هذا فى العالم المشاهد فانظر الى ما نحن فيه وتأمل . ألم تقرأ فيما صرّ فى هذه السورة ان الله يصلى علينا وملائكته . أليس معنى ذلك أنه سبحانه يرحنا وملائكته يستغفرون لنا . ورحمة الله العاقبة تشمل البهائم والكافر . وانما القصد درجة الهداية . فالله يهديننا ورسوله فأما الملائكة فهم الملهمون لنا بلا واسطة كالألهامات التى يحس بها كل منا . وهذه الإلهامات لا بد لها من قانون ولا قانون إلا الدين والدين بالوحى والوحى من الملائكة الى الأنبياء . فاذا قال الله انه يرحنا وملائكته وسائط فى اتصال رحمة الهداية لنا فذلك يدخل فيه الأنبياء ، ألا ترى الى قوله تعالى - ليخرجكم من الظلمات الى النور - فلم يذكر النبي ﷺ اكتفاء لوضوح المقام والا فمن النخرج لنا من الظلمات الى النور المصرّح بها غير مرة فى القرآن سوى الأنبياء فاذن الله وملائكته يصلون علينا . فالنور من الله والملائكة وسطاء والأنبياء مبلّغون وهكذا العلماء بعدهم الى أن يصل الى جميع المسلمين كما قال تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط - . اذا علمت هذا فانظر فى قوله تعالى هنا (إن الله وملائكته يصلون على النبي) كما صلو عليكم وصلى هو عليكم أيضا وعلى من أنعم عليه بنعمة أن يشكرها وشكر النعمة أن تدعوه . فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، وخير الناس المنعمين الأنبياء ولذلك قال (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) لأنه صلى عليكم أى أعلمكم بوحى الملائكة والعلم بوجوب مغفرة الذنب اذا عمل به ويخرج الناس من ظلمة المادة الى نور عالم الأرواح فتكون الصلاة على النبي ﷺ أى الدعاء له شكر على نعمة العلم التى جاءت على يديه . فاذا أضيف الى ذلك انقياد المسلم وتسليمه لما جاء على لسانه من الشرائع كان قائما بالشكر خير قيام ولذلك قال (وسلموا تسليما) أى اتقادوا لأوامره انقيادا كما قال تعالى - قل لأسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى - أى التقرب لله . ولا جرم أن امتثال أمر الله فى شريعته وصلاة المسلم على نبيه قيام بالشكر لأن ذلك هو المطلوب . إن مقصود الأنبياء رقى أهمهم بانقيادهم للأوامر والنواهي ، وتجاوز الصلاة على غيره تبعاله وتكره استقلاله لأن الصلاة فى العادة شعار الرسل كما لا يقال « محمد عز وجل » ثم وجوب الصلاة إما فى العمر مرة أو فى كل صلاة فى التشهد الأخير أو كلما ذكر والأول قول الأكثر والثانى قول الشافعى واحدى الروايتين عن أحمد والثالث قول الطحاوى من الحنفية والخامس من الشافعية وهو ضعيف . والجمهور ان هذا مستحب . والواجب « اللهم صل على محمد » وما زاد سنة . والمعنى الآخر فى السلام التحية أى حيوة بتحية الاسلام . يقول الله ادعوا له بالرحمة وحيوة تحية الاسلام أى قولوا ﴿ السلام عليك أيها النبي ﴾

إن الصلاة على النبي ﷺ والانقياد لأوامر الله والتسليم عليه ﷺ مما يرفع العبد درجات ، كيف لا وهو فى حال الصلاة عليه قد ترك الغيبة ولا مست روحه ذكر نفس طاهرة فى عالم الكمال ، إن الصلاة

على النبي ﷺ عمل من الأعمال الحسنة له حسنات مذكورات مشهورات في الأحاديث ، إن الدعاء للنبي ﷺ بالرحمة التي هي معنى الصلاة يزيد رفته وهو ومن تبعه متواصلون في عالم الأرواح ، وكلما زاد رفعة ازداد أتباعه لعلاقة الرابطة ، إن بين الأرواح عالمها وسافلها صلة متناسبة كالصلة بين الكواكب والشموس وبين جميع ماحولها ، إن تذكر الأنبياء والسلام على الصالحين وعلى آل الأنبياء كل ذلك تذكير لعلاقة النفوس الطاهرة بعد الموت في العالم الروحي ليؤهل نفوسنا إلى المقام معها هناك حتى لا تستوحش النفس عند مفارقة الدنيا ، إن كل هذا يطلب به الاستيقاظ من هذه المادة والاتئناس بعالم الأرواح ، يقول المسلم ﷺ السلام عليك أيها النبي ﷺ ثم يسلم على نفسه وعلى الصالحين من جميع الأمم ويعلم على نبينا ويذكر إبراهيم وأمثال ذلك ، كل هذا ليأنس بتلك الأرواح ، إن عالم الأرواح عالم الحياة كما أن عالم المادة عالم الموت ولذلك ينحتم المسلم الصلاة فيستعيز من عذاب القبر وعذاب النار وفتنة الحياة وفتنة الممات وفتنة السجاليين والكاذبين ، وهذه كلها من علائق الدنيا والمادة ، فأما عالم الأرواح فهو عالم الجمال والبهاء والكمال ، ولما كان اعظام النبي ﷺ يقضى بالأولى ألا يؤذى أعقبه بقوله (إن الذين يؤذون الله ورسوله) بأن يرتكبوا ما يكرهه من الكفر والمعاصي ومنهم من كسر ربا عيته ، ومنهم من قال هو شاعر ومجنون (اعظم الله) أبعدهم من رحمة (في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) يهينهم مع الإيلام (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) بغير جنابة استحقوا بها (فقد احتملوا بهتاننا وأثما مبينا) ظاهرا وذلك كما حصل في مسألة عائشة وكايداء على رضى الله عنه ، وكما كان الزناة يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حاجتهن ولم يكونوا ليعرفوا الحرة من الأمة . ولذلك نزل قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) جمع جلابيب وهي الملافة التي تشتمل بها المرأة فوق السرع والخمار أو هي كل ما يستتر به من كساء وغيره . قال ابن عباس « أمر نساء المؤمنين أن يغطين رؤسهن وجوههن بالجلابيب إلا عينا واحدة ليعلم الناس أنهن حرائر » وذلك قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) أى لا يتعرضن لمن أحد (وكان الله غفورا) لما سلف (رحيما) بعباده إذ يراعى مصالحهم في الجزئيات كما في السكيات (لئن لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) ضعف إيمان (والمرجفون في المدينة) يرجفون أخبار السوء مثلا إذا خرجت سرايا رسول الله ﷺ يوقهون في الناس أنهم قتلوا أو هزموا أو يقولون قد أتاكم العدو ونحو ذلك (لنغرينك بهم) لنحرضك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا) أى إلا زمانا قليلا حال كونهم (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا ثقتيلا) سن الله ذلك (سنة الله في الذين خلوا من قبل) من الأمم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الأنبياء وأرجفوا أينما ثقفوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) يسألك الناس عن الساعة) تعنتا (قل إنما علمها عند الله) لم يطلع عليها ملكا ولا نبيا (وما يدريك لعل الساعة تسكون قريبا) شيئا قريبا (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا) نارا شديدة الانتقاد (خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا) يحفظهم (ولا نصيرا) يدفع العذاب عنهم (يوم تقلب وجوههم في النار) تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى على النار (يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول) في الدنيا (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا) وهم رؤس الكفر الذين زينوه لهم (فأضلونا السبيلا) أى عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) أى السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) أى ضعف عذاب غيرهم (والعظيم لعنا كبيرا) لعنا متتابعا (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فطهره الله مما قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) كريما ذا جاه وقدر . أوحظيا عنده لا يسأل شيئا إلا أعطاه فهو مستجاب الدعوة . فقد اتهمه قوم بقتل هرون لما خرج معه إلى الطور فأت هناك فملته الملائكة وصروا به عليهم حتى رأوه غير مقتول أو أحياء الله فقال لهم ذلك . وأيضا قد مر في (سورة الشعراء) أن قارون حرص بغيا على قذفه بنفسه فعضمه الله

من كذبها . أو قذفوه بعيب في بدنه كبرص أو أذرة وكان كثيرا المسترحياء فأطاعهم الله عليه فبرأه الله عما قالوا
 ر قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله (وقولوا قولا سديدا)
 صوابا عدلا صدقا (يصلح لكم أعمالكم) يتقبل حسناتكم (ويغفر لكم ذنوبكم) ومن يطع الله ورسوله فقد
 فاز فوزا عظيما) أي ظفر بالخير العظيم . جاء في رواية البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال « لما كان يوم
 حنين آثر رسول الله ﷺ ناسا في القسمة كالأقرع بن حابس مائة من الابل ومثله عيينة بن حصن وأعطى
 ناسا من أشرف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله
 فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ تغير وجهه كأنه الصرف بكسر الصاد وهو صبغ أحر يصبغ به الاديم ، ثم قال
 فن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ؟ ثم قال يرحم الله أخى موسى قداؤذى بأكثر من هذا فصبر » انتهى ملخصا
 ثم قال تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) خفن منها
 (وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا) اعلم أن للفسرين (رأيين مشهورين) في هذه الآية (أولهما)
 إن الله خلق في هذه الأجرام فهما وقال أن يحملن هذه الأمانة بما فيها وذلك انكفن ان أحسنن يجوزيتان
 وان عصيتن عوقبتن قلن يارب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا ، وتلك الأمانة هي الوفاء بالعهود
 والودائع وجميع ما حمله المكلف من التكاليف القوية والفعلية وهذا القول يناسب قوما (الرأي الثاني) ان
 هذا القول من المجاز المركب ، يقول الله ان هذه السموات والأرض والأنهار والجبال والدواب والنبات كلها
 وكذلك الملائكة ، كل هؤلاء مسخرون لأعمال على مقدار الاستعداد ، فالشمس والقمر والجبال والأنهار
 والأرض كلها قائمات بما خلقت له لا تحيد عنه شعرة - ان كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن
 عبدا - والبهائم ليس عندها من العقل ما به يصح التكليف ، فهذه المخوقات كلها تأتي طباعا أن تسكف
 بعمل ما وانما عملها يكون على حسب جبلاتها ، والجبال والغرائز غير عاصية فان النحل والنمل والعنكبوت
 والطيور كل جماعة من هذه قائمات بأعمالهن بلا خلل في النظام كما ترى في مسدسات النمل وفي نسيج العنكبوت
 وفي تربية الطيور لأفراخها ، وفي أن كل طائر اذا خرج من البيضة اتبع أمه وسار معها كأنه تعلم ذلك قبل خلقه
 وهكذا تسير الكواكب كلها وكذا الأرض لا اختلاف لسيرها ولا اختلال لنظامها فليس شئ من ذلك كالانسان
 - بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره - ويخرج من بطن أمه ضعيفا ثم يتعلم شيا فشيا حتى يبلغ
 أشده وله اختيار في الأعمال يتصرف بعقله في الامور ولذلك تختلف أفراده اختلافا كثيرا لتنوع تعاليمهم
 وقدرهم وتعليمهم وأخلاقهم واجتهادهم وانما كلفناه لأنه ابتلى بقوى الغضب والشهوة اللذين هما صفتا البهائم
 وهو بعد قلة يرقى عنها الى ذروة الكمال ، فالشهوة والغضب يصرفانه في أمور كثيرة ، ويوقعانه في الفجور
 والكبرياء وغيرهما وتتنازعهما الأهواء ، فاذن كلفناه بالشرائع لأنه كان ظلوما بأنواع الشهوات وفنون الغضب
 التي تقذف به في المهاري ، جهولا بما يجب عليه ، فهذه الأمانة وهي التكاليف والأمانات والودائع كالحواس
 الخمس والأعضاء والمواهب كلها جعلها الانسان لحاجته اليها في ردع ظلمه وجهله ، وتكون نتيجة ذلك أمرين
 تعذيب المنافقين والكافرين والمنادقات والكافرات لأنهم لم يقوموا بحمل الأمانة حق القيام وإثابة الله المؤمنين
 والمؤمنات وأن يتوب عليهم وهذا قوله تعالى (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما)
 حيث عفا عن فرطتهم وأثاب على طاعتهم . وههنا (سبع لطائف)

(اللطيفة الأولى) في سر تعدد الأزواج وتعدد أزواج النبي ﷺ وهي رسالة ألفها المؤلف وطبعت سنة

١٣٣٣ هجرية للرد على قوم اعترضوا على الاسلام

(اللطيفة الثانية) في قوله - وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما -

(اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا -

(اللطيفة الرابعة) في قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا -

(اللطيفة الخامسة) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم -

(اللطيفة السادسة) في ملاحظة السورة كلها وفيما قبلها وما بعدها

(اللطيفة السابعة) في معنى - وحملها الإنسان -

(اللطيفة الأولى في سر تعدد الأزواج في الإسلام ، وتعدد أزواج النبي ﷺ) وهي رسالة ألفها المؤلف للرد على قوم اعترضوا على الإسلام في هذا المقام ، وهذا نصها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(المجلس الأول)

(محاضرة دارت بيني وبين صديقي محمود أفندي طاعت أبو مسلم القاضي بالحكام الأهلية)
(المدرسة) أيها الأستاذ . كثرا القيل والقال في أمر تعدد أزواج النبي ﷺ ونحن معاشر المسلمين ولا سيما علماء القانون لا يزال بعضنا في شك مريب مما ذكر ويذكر في كل آن في المسألة ، ولقد ترأصنا قولك فلم نحس لك من خبر ، ولم نسمع لك من ركز ، فأقبل بعضنا على بعض متسائلين متخافتين بيننا قائلين : لولا ان الأمر عسير عليه ليس له فيه مقنع ، وعقبة كأداء ليس لديه لها مطلع ، ما أغمض الجفن على القدي ، ولا بقي في غطاء عن الأمر مع كثرة الطلب والالاح المتوالي عليه من الفرق المختلفة عزيز (الأستاذ) لم أذكر القول فيما مضى إلا لأعمال متراكمة ودروس مترادفة . يتخللها سائمة . تتبعها كلاله . ولم أشأ أن أقف موقف الراد على فريقين . أوقائل متهور . أو مدح يتبين جهله . فالقرين لقرينه منسوب والشئ يذكر بضده والمرء يتحدث مع نده . انما تربصت هذه المدة حتى تبين الحقيقة واضحة ناصعة وتكون رسالتي قائمة بنفسها . ولأقف على أكثر ما يحول في الخواطر حتى يكون الدواء على مقدار الداء . والجواب على مقدار السؤال (المدرسة) كيف تزوج النبي ﷺ تسعا وقد حرمت الشريعة ما زاد على الأربع . وأنت خير بأن من صرن على القانون يختلجه الشك والريب اذا رأى أن المشرع قد اختص بما لم يبحه لغيره ؟ وكيف يتزوج تسعا ويمنع غيره مما زاد على الأربع وسنن الأنبياء تأبى ذلك . ألم ترالى ما حكى الله تعالى عن شعيب - وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت - وههنا المخالفة واضحة ؟

انا معشر المتعلمين يستعصى علينا أن نفهم جواز مخالفة القانون ولو بحجة الخصوصية التي كثيرا ما سمعناها من شيوخنا وقرأناها في الكتب فنبينا ﷺ يتبعه نحو خمس النوع الانساني وسيرته قدوة للأمة (الأستاذ) اهل النبي ﷺ تزوج هؤلاء السيدات قبل تحريم ما زاد على الأربع وهن عائشة وميمونة وصفية وحفصة وهند وزينب وجويرية ورملة وسودة

(المدرسة) ما نعه أن يفعل معهن مثل ما أمر الحارث بن قيس قال أسامت وعندي ثمان نسوة فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال اختر منهن أربعا . أخرجه أبو داود . وهلا فعل هو كما أمر غيلان بن سلمة الشامي ؟ أسلم وله عشر نسوة في الجاهلية فأسلمن معه فأمره رسول الله ﷺ أن يختار منهن أربعا . أخرجه الترمذي وروى أن نوفل بن معاوية أسلم وتحتة خمس نسوة فقال عليه الصلاة والسلام أمسك أربعا وفارق واحدة ، والنبي ﷺ كان عنده تسع فهو وسط بين ابن قيس وبين ابن سلمة . أفما كان الأجدر أن يفارق خمسا ويبقى أربعا ؟

(الأستاذ) قد أعددت ثلاث اجابات لك في كاتهن (١) شاهد مقنع

(١) كاة بضم الكاف وتشديد اللام للمؤنث في بعض اللغات

(المدره) هات أولاها

(الاستاذ) لقد حرّم الله عليه أن يتزوَّج غيرها وأن يستبدل بهنّ من أزواج ، فكان للمسلم بكل من الأربعة غيرها بحيث يتزوَّج غيرها ويطلقها والرسول محرم عليه ذلك ، قال الله تعالى - لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما مَلَكَت يمينك - . قال البيضاوي لا يحلّ لك النساء بعد اليوم حتى لومات واحدة لم يحلّ له نكاح أخرى ولا أن تبدل بهنّ من أزواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها أخرى . وقال ابن عباس « ان النبي ﷺ لما خبرهنّ فاخترن الله ورسوله شكرهنّ الله ذلك وحرّم عليه النساء سواهنّ ونهاه عن تطليقهنّ وعن الاستبدال بهنّ » فيتين منه أن القانون قد اشتدّت وطأته عليه فجعل هنّ أن يأمن الطلاق والاستبدال وسواهنّ لا يأمن طلاقا ولا استبدالاً ، فكثرة العدد له تقابل الحصر والمنع ، وقلة العدد عند المسلمين مقرونة بالتوسعة استبدالاً وطلاقاً ، فلئن ضيق على المسلمين في الحكم فقد ضيق عليه في الحكم فقد وسع عليهم في الكيف . فالمساواة متعادلة ضيقاً وسعة

(المدره) لقد قال هذا القول قبلك أحد الكتاب ولم يكن لدينا واقعا موقع الماء من ذى الغلة الصادى فالقانون لم يزل كالمحترم وهو عند الله والناس المحترم ، فليكن منهج المساواة أقرب من هذا وأدعى للطمأنينة فأننا قد أصبحنا في زمن لا نعرف فيه للحجابه معنى ولا نعدّ مثل هذا إلا تلمسا لجواب من أى باب . نعم هذا فيه مساواة في الحقيقة ولكن يصبح القانون نوعين لا قانونا واحد

(الاستاذ) لو طلق نساءه ﷺ لكان ذلك خلا في السياسة . وسواء في التدبير ، وتفريقا للكلمة ، وبخلا بالجاء على مستحقه ، والأنبياء أحق الناس بالكياسة والفضل والسباحة . من ذا ترى أحقّ بالطلاق من نسائه ، أعائشة بنت أبي بكر . أم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، أم زينب ابنة جحش الاسدية ، أم أمّ سلمة بنت أبي أمية المخزومي ، أم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ، أم صفية بنت حيي بن أخطب ، أم ميمونة بنت الحارث الهلالية ، أم سودة بنت زمعة بن الأسود ، أم جويرية بنت الحارث المصطلقية ؟ فوالله أئن طلق عائشة بنت أبي بكر لزلزلت القلوب ولكان ذلك أمرا إذا تكاد الأفئدة تتفطر منه وتنشق المرائر ، أئى يكون ذلك وأبو بكر رفيقه في الغار ، وداعى أهل الضلال والكفر للإسلام . وصاحبه الأول ، ومؤاسيه بنفسه وماله ، أئن فعل ذلك لكان أسوة سيئة لنا ، ولكان القدر بالأصحاب ، من خلال أولى الألباب ، ولئن طلق حفصة بنت عمر بن الخطاب لكان ذلك نقطة سوداء في جبين الشرف . وسبة شنعاء في وجه الأدب . وكفرانا للمؤمنين . وطفيانا على الصحابة الصادقين . فيا لها من فضيحة يخجل لها وجه الزمان . ويسود لها الحدثان . ويندى لها جبين الفضيلة . وينتصر بها جنود الرذيلة . ويشمت لها جماعة الأعداء . ويتمزّق بها عن المصلح شمل الأخلاء . ألم ترالى ماورد في السيرة الحلبية ومثله في البخاري بزيادة وحذف في مختلف الروايات . عن عمر رضي الله تعالى عنه انه ذكر أن بعض أصدقائه من الأنصار جاء اليه ليلا فدقّ عليه بابه وناداه قال عمر فرجعت اليه فقال حدث أمر عظيم فقلت ماذا ؟ أجاءت غسان . لأنا كنا حدثنا أن غسان تعمل الخيل لغزونا . فقال لا بل أمر أعظم من ذلك وأطول . طلق رسول الله ﷺ نسائه . فقلت خابت حفصة وخسرت . كنت أظنّ هذا كائنا حتى اذا صليت الصبح شددت على ثيابي ودخلت على حفصة وهي تبكي . فقلت أطلقكنّ رسول الله ﷺ ؟ قالت لا أدري هو هذا معتزلا في هذه المشربة . وفيه انه استأذن على النبي ﷺ ثلاث مرّات وفي كل منهنّ يجيبه الغلام بقوله ذكرتك له فصمت . قال فلما كانت المرة الرابعة وقال لي مثل ذلك وليت مدبرا . فاذا الغلام يدعوني . فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسأمت على رسول الله ﷺ فاذا هو متكئ على رمل حصير قد أثر في جنبه ﷺ . فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك . قال

فرفع رأسه الى وقال لا . فقلت الله أكبر (الحديث مطولا) وفيه قال عمر فقلت أأستأنس يا رسول الله . قال نعم جلست . وقلت يا رسول الله قد أثر في جنبك رمل هذا الحصير وفارس والروم قد وسع عليهم وهم لا يعبدون الله فاستوى صلى الله عليه وسلم جالسا وقال : أفى شك أنت يا ابن الخطاب . أولئك قد عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت : أستغفر الله يا رسول الله (ولقد اقتطفنا من الحديث ما يليق بالقام) فانظر كيف كان عمر وصاحبه يظنان أن طلاق نسائه أشد من غزوة الأعداء وحلول البلاء . ثم يفرق ويدهش ويستأذن . ثم يرد وهو يوجس في نفسه خيفة وكأنه ظن أن غضب الله ولعنته ، وجهنم وخزنتها ، والزبانية وسلطتها ، تحيط به وبابنته لو طلقها النبي . وروى أنه كانت جفوة بين حفصة والنبي صلى الله عليه وسلم فباغ أباهما عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم طلقها فثا التراب على رأسه وقال ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها . فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم من الغد وقال : إن الله يأمرك أن تراجع حفصة رحمة لعمر - أي تصالحها . وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه أراد النبي أن يطلقها فقال له جبريل عليه السلام إنها صوامع قوامه وإنها زوجتك في الجنة . فهل ترى بعد هذا طلاق عائشة أم حفصة فقال أما هاتان فطلاقهما فتنة ومحنة ومفسدة أي مفسدة

(الاستاذ) فهل ترى طلاق أم سلمة المسماة هنداً زوج أبي سلمة عبدالله بن عبد الاسد بن عتبة النبي صلى الله عليه وسلم وهي برة بنت عبدالمطلب وكان زوجها أخاه من الرضاع مات أبو سلمة ومعها أربع بنات برة وسلمة وعمرة ودرة فأواها النبي صلى الله عليه وسلم اليه وتزوجها بعد أن اعتذرت اليه وقالت اني امرأة مسنة ، واني أم أيتام ، واني شديدة الغيرة ، فأجابها على لسان رسوله بقوله : الايتام أضعهم اليّ وأدعو الله أن يذهب عن قلبك الغيرة ولم يعبأ بالسن بل كانت تلك المزهديات والعقبات من أقوى الدواعي للاسراع في طلبها عطفاً عليها ، ورحمة بيناتها ووصلة لرحمها ، ومعرفة بحق أخيه من الرضاع ، وايواء لصغاره من بعده . أفترأى يطلق بعد ذلك ، ولو أنه فعل لكان أصرا نسكرا واستضعافا لايتام ، واستخفافا بصلة الارحام ، واحتقارا للشأن اللاجئات اليه اللاتي يستحقن معونته أم يطلق زينب ابنة جحش امرأة زيد الذي تبناه صلى الله عليه وسلم وتزوجها بعد طلاق زيد رضا الى ما يقع في بلاد المسلمين كل آن من بعده اذ يصطفي الدعوى بعد النسب ، ويقصى القريب ، فيكون الخلل في السياسة والخلل في الرياسة ، والاسلام وان سوى بين الناس وجهلهم اخوة في أعمالهم الدينية والدنيوية فقد نظر من وجه آخر الى الكياسة في السياسة . فلقد يصدق المولى ولقد يكذب نعم صدق زيد وصدق ابن زيد أسامة . نعم هؤلاء واضرابهم كانوا من أجل الانصار بل قواد الجيوش المدافعين عن حوزة الاسلام وبيخته بالقنا والسيف ، كل ذلك مسلم ولكن نظر النبي نظرا أدق وعامه الله بالوحى ما جهله الملوك العباسيون كالمقتصر والترك فجعلوا الموالى أولى بالمناصب ، وأحق بالكراسي ، وأجدر بحفظ السياسة ، والاستبداد بالرياسة ، - فحق القول على أكثرهم فهم يعمهون - . نظر ذلك كله النبي فأمره الله أن يتزوج زينب وألقى في روعها بغض زيد فلما شكازيد انفتحا منه ، وجفوتها له ، وشمخها بأنفها خيلاء وكبرا اذ كانت من صميم قریش وهو مولاهم قال له أمسك عليك زوجك واتق الله ولامه الله على ما كنتم في نفسه من أنه أمر قبل ذلك واخبر بأنه سيتزوجها فقال له - وتحفي في نفسك ما الله مبدية وتحشى الناس والله أحق أن تحشاه -

ذلك لان يصدع بالأمر ولا يخاف في الله لومة لائم فكيف يخجل من تغيير ما ظهرت عواقبه الوخيمة بعد ذلك واستبان ضرره ، فلقد كان للترك في دولة بني العباس من الفتك بالملوك ، وتسميل العيون ، وقطع الرقاب ما تشعرون منه الجلود ولكم شددخوا الرعوس واستنزلوا قرابة النبي بعد عز من مراتبهم بشهوة عرضت ، ونميمة بدت ، وضعينة كاذبة يتدعونها ، وأغراض ذميمة يقبعونها ، ولآثام يقترفونها . وكذلك أولئك الجنود المختلفون والفرق المتشاكسون المسمون الانكشارية علموا أنهم من وشيعة غير الترك ومن عنصر لا يتصل معهم ولا يلتئم فاتحدوا للنميمة ثم اتوا صفا وأهلكوا الحرث والنسل في أنحاء الدولة وقد استنام الترك لتلك العقارب والحيات كما

استناب العرب قبلهم لفلان المعتصم الذين تناسوا وتكاثروا وأوقفوا الدولة في حيض بيض ففترقت شذر مذر ، ومنقت كل هزق ، وأصبحت الأحاديث للام الحاضرة والغابرة ، ذلك ما كان يرمز اليه زواج زينب ابنة جحش ، ذلك هو السر المصون ، والجوهر المسكون ذلك أصل سياسة الله في الاسلام جهلها الناس ، ولئن علموا فلقد غشى على أعينهم الطمع ، وذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون وهائنا قال المدره للاستاذ ان الانصراف ، فلنعد غدا صباحا ، وان موعدنا الصبح ، - أليس الصبح بقريب -

﴿ المجلس الثاني ﴾

جاء الاستاذ والمدره وقال الاستاذ هانحن أولاء فرغنا من الكلام على زينب ابنة جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فنقول اليوم أترى أن يطلق أم حبيبة وهي رملة بنت أبي سفيان بن حرب ! وهي التي نبذت دين أمها هند وأبيها أبي سفيان فحل قریش زعيم القوم وكبير العشيرة أبي معاوية . هاجرت مع زوجها عبيد الله بن جحش الى أرض الحبشة الهجرة الثانية فولدت له حبيبة وبها كانت تكفى فتنصر زوجها هناك وثبتت هي على الاسلام فانظر كيف رزئت بهجر أبويها ثم بفراق أهلها وقومها وعاشت قوماسود اللون يخالفونها في العقيدة وهم الحبشان ثم تنصر زوجها فهل بعد ذلك من محن تصب واحن وعذاب واصب . فإذا فعل النبي ﷺ . ليكافئها أرسل عمرو بن أمية الضمري الى النجاشي رجه الله ، فزوجه ﷺ اياها وأصدقها النجاشي عن النبي ﷺ أر بعمة دينار والذي تولى عقد النكاح عثمان بن عفان وجهزها النجاشي من عنده وأرسلها مع شرحبيل بن حسنة فهل يكافئها بمثل هذا ويرفع عنها الضيم الذي توالى عليها بسبب الاسلام ويشرفها ويرفع رأسها بين قومها ثم بعد ذلك يفارقها . ان هذا اعار وأى عار ، بل اثم كبير ، وزلة لا يغفرها الدهر ، ولا يرضاها الصعلوك الغر ، فما بالك بمن هو القدوة الأعظم ، والسيد الاكرم . أم يطلق جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق واسمها برة التي تزوجها ﷺ بعد أن أعتقها . ولما رأى المسلمون أنه ﷺ تزوج جويرية قالوا في حق بني المصطلق أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم منهم قال في الامتاع ولما تزوجها ﷺ خرج الخبر الى الناس وقد اقتسموا رجال بني المصطلق وملكوهم ، ووطئوا نساءهم ، فقالوا أصهار رسول الله فاعتقوا ما بأيديهم من ذلك السبي فهل يطلقها بعد أن شرفت قومها بزواجه فرفعوا رؤوسهم بين القبائل . أفيجوز في شرعة الفضيلة أن ينكسوا رؤوسهم بين الملا صاغرين ، ويعيروا بالخيبة والتعاسة خاسمين .

المدره - هذه المعاذير التي ذكرتها اقناعية لا تروى من غلة ولا تنفي من غلة ولكنها تقوم بحجة وقتية ، ويجتزئ بها أواسط الناس ، فأما الاذكياء فانهم يبقون وعندهم بعض ريب وقلق واضطراب .

(الاستاذ) - ولماذا .

المدره - ان ما جاز أن يكون شأنه مع نسائه يجوز أن يكون مع سراة العرب واشرافهم فلقد يحتاج كل بما يزرأ نساءه من المصائب ، وما ينتابهم من النوائب ، وما يعتري احبابهم والحبائب : من تنكيس الرأس ، وحلول البؤوس . وذل النفوس . وشماتة الاعداء . وخزن الاخلاء .

(الاستاذ) - ليس شأن سراة العرب وصعاليكهم كشأن النبي ﷺ ، ولا وقائعهم كوقائعه . فالطامة هنا كبرى وهي متوجهة للامة ونظامها كما أوضحته لك فيما مضى وكيف تنبى عمر وما حثا من التراب على رأسه وهو ركن مهم في الاسلام . وكيف قال هو صاحبه ان طلاق نسائه أشد من احتدام وطيس الحرب ، وضرب الهام ، وإعمال السيوف ، والقنا يقرع القنا ، وأمواج المنايا تتلاطم .

تم قال الاستاذ فإذا كنت تفعل لو كنت مكان النبي ﷺ .

(المدره) - أنتهج خطة الحيلة بحيث أسلط القانون على الناس ثم لا أمس شرف هؤلاء السيدات بسوء .

(الاستاذ) - وكيف ذلك .

(المدره) أما كهن زمام انفسهن . وأخيرهن . فأكون قد مهدت لنفسي العذر . وقطعت لسان العذل فلو طلقت احداهن نفسها لم يسود وجهها بما يقول الناس ان النبي أبغضها فنبذها وليس مقام النبوة بمسه سوء من فراق سيدة لم تختاره .

(الاستاذ) قد فعل النبي ذلك اذ قال الله له (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنن وأسرتعن سراحا جبالا . وان كنتم تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) . فبدأ بعائشة فقال يا عائشة اني أعرض عليك أمرا أحب ألا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك قالت وما هو يا رسول الله ! فتلا عليها الآية قالت أفيك يا رسول الله أستشير أبوي . بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة ، وأسألك ألا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت . قال لا نسألي امرأة منهن إلا أخبرتها ان الله لم يعطني معنتا ولا متعنتا ، ولكن بهتني معلما ومبشرا .

(المدره) هذا كلام حسن فإذا كان بعد ذلك .

(الاستاذ) اختاره نساؤه كهن ، وحرم عليه استبداهن وطلاقهن ، كما تقدم وسمين أمهات المؤمنين .

وأعطين هذه المنزلة السامية في التاريخ والامم جيلا بعد جيل الى يومنا هذا

(المدره) هل كان نساء النبي يقدرن هذا المجد قدره . وهل يرين أن المجد والشرف والاسم والصيت فضلا عن الدار الآخرة أرق وأرفع وأعز من المال والشهوات الحيوانية . وهل من حوادث تؤيد ذلك حتى نقول انهن كن يردن الله والعزة والشرف والآخرة وحتى نضرب الذكر صفحا عما نعلمه من انهن كن يطلبن منه النفقة وان ذلك كان من أسباب هجره لمن شهرا كاملا لمغاضبتهن له فكان ذلك من أسباب نزول آية التخيير (الاستاذ) نعم كن يقدرنه حق قدره ألم تر الى أخت دحية التي ماتت من الفرج لما علمت أن النبي ﷺ

تزوج بها ولما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ماشئت ودعنا على حالنا . ألا ان للنساء نفوسا كما للرجال : يحببن الشرف كما يحبون ويسعين للحياة والذكر والأجر وعلاهم كإسعون . لقد برهنت النساء في كل زمان على ان فيهن من تفضل الموت على العار بل انهن أرق شعورا ، وألطف أفئدة ، وأشد قبولا لموعظة ، وأكثر تقديرا لفضيلة ، وأوفى ذمما اذا صدقن العشير . فانظر كيف قضت أخت دحية الكلبي نحبها لما فاجأها من خبر زواجها بالنبي فقل لي رعاك الله . أكان ذلك لمال والنبي ﷺ كان ينام على حصير ، ويأكل الشعير ، ولا يبالي بالخطام ، ونساؤه يطلبن منه النفقات . ويقلن له كل يوم هات . أم لشهوة وعنده كثير من العقيلات الفريديات وهو قائد حرب ومعلم تلميذ وقائم ليل . وصائم

نهار . وقاض بين خصوم . ومفرج هموم . فماذا يكون حظ النساء منه . كلا وانما ذلك الشرف والمنزلة الرفيعة في الدين والدنيا فلا عجب اذا قالت سودة بنت زمعة دعني حتى أموت تحت كنفك وقالت هي والباقيات لا تقتلنا بالفراق والطلاق رضينا بالقوت ورضينا بما تصنع معنا من ترك قسمة على اننا أمهات المؤمنين واننا لا تنكح بعدك حتى نزل قوله تعالى (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلات فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنن ويرضين بما آتيتن كهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليا حليما) قال البيضاوي ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها وهناك أقوال أخرى غير هذا لاجابة لطافي موضوعنا وقال مخاطبا للمؤمنين (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) فكان له بعد ذلك على ما ارتضين واشترطن معه أن يترك القسمة لمن يشاء ويرضين منه بما يرضاه فكانت الآية على وفق ما اشترطن وعلى ما تراضين عليه لما نلن من شرف . وما أحرزنه من نحر . الى أبد الدهر .

المدره - لم حرمت أزواجه على المسلمين من بعده . وهلا أباح الله زواجهن أسوة بالناس .
 (الاستاذ) ان من الحكمة التي أودعت ذلك أن في التحريم سدا لباب الفتنة وحفظا للسياسة وتوحيداً
 للحكمة . فلو أن إحداهن تزوجت برجل لتطاول للتدخل في السياسة والفعل بأدنى سبب ولأى وسيلة مافعلته
 عائشة فقد أذاها اجتهداها الى محاربة على مطالبة بدم عثمان يوم الجمل ولاناقة لها في الخلافة ولاجل ولكنها
 رضى الله عنها أذاها اجتهداها الى النهى عن المنكر في نظرها واجتهداها . فلو أن إحداهن تزوجت برجل
 لتطاول للرئاسة بحجة زوجية أم المؤمنين . ولكان له قدم صدق في الخلاف في مواطن السياسة . هذا فضلا
 عن اكرام النبي ﷺ وتعظيمه فكان التحريم لحكمة بالغة وحجة نيرة وآية باهرة وبينة للباطل دافعة
 وللحق جامعة . فهل بقي في صدرك أيها المدره حرج ؟ ألم يهذر الله والنبي وقد فعل مالا مطمع بعده في اعدار
 ولا بقيت سبيل لهالم نطاسي وخريت لودعى فيختار . بل قطعت الأسباب . ولا ملاحاً لعاقل بعد ذلك أن
 يابح من أى باب ؟

(المدره) لم يبق لي إلا باب واحد أجه . ومحجة واحدة أسألكها . فهلاتخذ ذلك فرصة ونحى منهن جماعة
 للعبادة خاصة ولدراسة العلم والحكمة . واصطفى منهن أربعاً ليكون جامعاً لخصلتين مؤدياً للغرضين محيياً
 للسنتين . فالمتروكات للدين والعبادات وذكر القرآن ومدارسته وفهم الأحاديث وحفظها على أن يقمن بهداية
 الخلق . وارشاد الناس الى الحق . والمصطفيات يكنن على عدد الزوجات لسائر الناس ليكون ذلك قطعاً لللسنة
 للملحدين . وارشاداً للضالين . وحجة في هذا الزمان

(الاستاذ) قد كان كل ذلك واختص النبي بأربع ولم يزد عليهن . وأبقى الباقيات يتذاكرن القرآن
 والحكمة . ففي النسفي والخازن والسيرة الحلبية ما يفيد ذلك . قال في السيرة الحلبية مانصه رحمه الله وقد كان أرجأ
 النبي ﷺ من نسائه خمساً سودة وصفية وجويرية وأم حبيبة وميمونة . وآوى اليه أربعاً عائشة وزينب
 وأم سلمة وحفصة . ألا تعجب لم اختار أربعاً ولم يزد عليهن ؟ فأما في ذكرهن الحكمة واحترامهن وعبادتهن
 فافقراً ما قال الله - وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن
 الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً واذكرن ما تلى في بيوتكن
 من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً رحمه الله إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين
 والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات
 والصائمات والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة
 وأجراً عظيماً . أصرهن بالصلاة والزكاة وأن يعلمن الحكمة ويذكرن ما عسى أن يعلمن الناس ويكون قدوة
 كما كانت أم سلمة وعائشة يعرفن كثيراً من الأحاديث وتروى عنهن . وكما كانت زينب بنت جحش صناع اليد
 ماهرة في الخرز وصنع الخفاف فكانت بعده رحمه الله تخرز وتدبغ الجلود وتبيع وتتصدق بالثمن على الفقراء
 والمساكين فكانت قدوة . وياليت بنات المسلمين يعلمن ذلك . ليتهن يعلمن أن بعض الصناعات كانت مما قام
 به زوجات النبي ﷺ كما تفعل الأمم المتمدينة الآن في أوروبا والشرق واليابان

(المدره) عجب . إذن كانت تلك مدرسة

(الاستاذ) نعم هما مدرستان فأول مؤسس للمدارس المعلمين والمعلمات في الاسلام النبي ﷺ . وهنا
 انفض الاجتماع وانصرفا على أن يعودا من الغد

﴿ المجلس الثالث ﴾

(الاستاذ) ذكرنا أمس أن أول مؤسس في الاسلام لمدرسة المعلمين والمعلمات النبي ﷺ وهذه مدرسة
 السيدات . أما مدرسة الرجال فهو المسجد والرجال هم الطلاب وهم أهل الصفة منهم أبوهريّة وصهيب وسلمان

وعشار وأمثالهم ويقال انهم يبالغون أو بهمانه يأخذون الصدقات ويحفظون القرآن ويتعلمون الدين عسى أن يكونوا معلمين كما كانت أممات المؤمنين معاصات فيما بعد . فهل بقي بعد ما تقدم قول لقائل ؟ أليس في إبعاد تلك السيدات عنه بحجة أو بغير حجة بعد ما ذكر قسوة وشدة لاجل لها ؟ ألم يبين للشعب أن لا مطمع له في الاختصاص ولو كان جائزا له فساواهم في الأربع وأرضى الباقيات أن يرجأن اختيارا منهن وقصرهن على العبادة والتعليم فالطلاق إذن طريق وعر ومسلك خبيث بل معرّة يأنف منها العاقل والجاهل فضلا عن الصالح والعالم والنبي ﷺ لو أنه فاجأهن بالطلاق قسرا لكان ذلك أشبه بما صنع عمر من بعده إذ فاجأ جبلة بن الأيهم آخر ملوك الغسانيين بالشام وقال له لنقتص منك لهذا الاعرابي الصعوك فلنكسر سنك كما كسرت سنه . ولم يثد عمر في ذلك ولم يترقب حتى يجد له مخرجا من عفوا أو قبول أرش ولم يطاوله ففرّ (جبلة) ومعه ستون ألفا من رجاله الى بلاد الروم فتنصروا . ذلك لصرامة عمر في القانون ولم يتر بص حتى تفتح له الفرص مخرجا . فما فعل النبي ﷺ لامفرّ منه ولا مخلص . فليس في الامكان أبدع مما كان

(المدره) واهها لك . ثم واهها واهها . لقد أتيت بالعجب . وعلمت منك ما لم يكن ليخطر على بال . وان في بيانك لسجرا . فما الجواب الثاني ؟

(الاستاذ) أما الجواب الثاني فقل : ان أولئك الفر وهم غيلان ونوفل بن معاوية والحارث بن قيس أسلموا بعد نزول آية التحريم فيكونون قد اعتنقوا الدين بجميع نواحيه وأوامره . فتحدد العدد واجب عليهم . فأما أولئك الذين أسلموا قبل التحريم وهم جوع وافرة وألوف مؤلفة ورييون كثير . فما قرأنا ولا رويانا أن أحدا منهم فارق ما زاد على الأربع . ولو كان ذلك لنقل اليها واتصل بنا . وأمر تعدد الزوجات ليس ييسر وانما هو أمر اجتماعي يؤثر في أحوال الأمة ونظام الأسرات . بل نظام الاجتماع ليس يصح إلا بعد نظام الأسرات . فلأنه أمر بفراق ما زاد على الأربع جميع من أسلموا قبل التحريم ما خفي علينا ولتعدد النقل وكثرت الشواهد والدلائل وعليه يكون ﷺ واحدا من جم غفير من المسلمين أسلموا وعندهم جمع الكثرة من النساء ولم يطلقوهن فليس يعقل أن تكون تلك الألوف المؤلفة والجوع المختلفة والفرق المتفرقة المنتشرة في جزيرة العرب يمتنعون عما زاد على الأربع قبل التحريم من القحطانيين والنزاريين ويختص بذلك أربع النبي وأولئك الثلاثة ويكون كل أولئك الذين أسلموا قبل نزولها غير متجاوزين الأربع وفيهم السراة المثلون والشجعان الجحاجيح والقروم القماقيم والسادة الصاصيم وذوو البأس والشدة الذين هم أقدر الناس على الشهوات واحراز العقيلات الفاتنات فهذا كاف وحده لمنع هذه الشبهة

ثم قال الاستاذ : أما الجواب الثالث فلنضرب الذكر صفحا عما تقدم وكأن الجوابين السابقين لم يكونا لاسيما أن الاجماع قام على أن ذلك خاصية له ﷺ والاجماع حجة فيسقط الجواب الثاني بذلك ونقول : انه مامن دين إلا وقد أحاطت بالقائم به شكوك في لفظه أو فعله أو نتائج . فانظر في سير الأنبياء السابقين واللاحقين تر أن لكل واحد منهم ولكل قائم بعمل من سائر الناس في أحواله وأعماله ﴿ وجهين ﴾ وجه يتلا لا نورا وتستبين فيه الحقائق واضحة جلية وآخر تنعكس فيه الحقائق على طائفة من الناس وتسود وجوههم فيلج الشك في قلوبهم ولا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم . وهذا في المشاهدات معلوم . يرى الناس الأشجار على شواطئ البحار ذات ظل في الماء منعكس أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ولا حقيقة لهذا وانما ظله مرآسم على سطح الماء فيخيل للناس انه متدل إلى أسفل ويرون الدار المتقدمة من بهيد كبيرة وهي صغيرة ويرون الشبح فوق الجبل صغيرا وهو كبير . ويرون الزجاج المصدوع أبيض ولا يباض وانما هو ضوء الشمس أو غيره وتبين الحقائق عند التدقيق ومثل هذا في المسموع عن الأنبياء . ألا ترى الى قصة الخضر عليه السلام إذ اقتلع لوحا من السفينة فلامه موسى عليه السلام . فلما أن تبينت الحقيقة أدرك أن - فوق كل ذي علم عليم - وأن الوجه الذي

تراءى له أسود . وأن المقصد اغاثة اليتامى بعيب السفينة لئلا يأخذها الملك غصباً
وما كان ذلك الا للأخذ بظواهر الأمور ، وانعكاس الحقائق في المرويات كما عكست في المراثيات . وفي
قصة داود وسليمان مقبر فقد كان لاولهما (٩٩) امرأة وآخرها المئات من الحور الحسان - كأنهن الياقوت
والمرجان - مما ماج به قصره ، وازدانت بهن حجره ، وحكم سليمان ، ومزامير داود ، عمت أرجاء المعمورة ،
وأنت تعلم أن اليهود والنصارى والمسلمين يعمرون الأرض وهم نحو نصف النوع البشرى نحو (سبعمئة مليون)
يؤمنون بـداود وزبوره ومزاميره وترى اليهود والنصارى يتلون آناه الليل وأطراف النهار ، يتاجون ربهم
بكرة وعشيا ، متضرعين بما في المزامير من الآيات ، ولا يجدون في صدورهم ما يجد الناس اليوم مما تروج به
بحار الأنفس ، وقواميس العقول . وتغلى به مراحل التعصب اليوم لبضع من النساء كن عند آخر الأنبياء عليه السلام وآله
علمت الأنفس بفطرتها أن الديانات والملل لا تتصدع بمثل هذه التشابهات التي قديفوزها الدليل والبحث فلا
يعبأون بمثل تلك الشكوك . إذ هو مما يبدو لبعض النفوس وجها أسود بادى الرأي . ولوحق الامرالاديب .
ودقق الاريب . لوجد العالم كله ليس يخلو من الوجهين في ظواهر الأمر وعند التحقيق يتجلى لا عوج فيه
ولاشبه - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - ولأضرب لك مثلاً بالشمس ترسل أشعتها الذهبية فيكون
منها حياة الحيوان . وقوام النبات . واستضاءة الطرق والمسالك . وجرى الأنهار بحرارته . ومع ذلك لا نعدم
زارياً عليها . عائباً لها . لوجهها المسود في نظره لحكمة لم يفقهها . وآية لم يدركها . لهاجرة لدغته . أوريح
سموم آذته . أوضربة شمسية في رأسه أصمته . أوزيادة حرارة في عينه أعغمته . لاستعداد في نفسه . وضعف
في جسمه . وخلة في المزاج

ومن يك ذا فم مريض * يجد صرا به الماء الزلالا

فلا عيب على الشمس المضيئة . انما العيب على القوابل الرديئة . فيعمى إذ ذاك عن فضائلها . ويحكم
بالجزئى الموهوم على الكلى والعموم . وقد دق ذلك الجزئى فلم يحط به علماً فكان النظر جزئياً لا كلياً .
بل وهمياً لا عقلياً . فالأنبياء والمصلحون كالشموس . وعلمهم كالأضواء والأنوار . والملاحدون أصابهم حرها
لضعف عقولهم وإدراكهم

ومن يتطلب جاهدا كل عثرة * يجدها ولم يسلم له الدهر صاحب

فلا ضرورة إذن لما صح من الجوابين السابقين إلاردا لما يقال على السنة أولئك الثرثارين والافبالله قل لى كتاب
الله بين أيدينا وما لنا ولهذه الاضاليل والسخافات . مضت الرسل وكانوا يتزوجون العدد الجم من النساء
ولا اعتراض عليهم حسب شرائعهم وأزمانهم وأهمهم لا تعترض ولا نسخط . قتل الانسان ما أجهله . قتل الانسان
ما أظلمه . قتل الانسان ما أقل علمه . وما أنعس نفسه . يتركون مآلديهم . ويأتون بخيلهم ورجلهم
وصفوفهم . ليحاربوا ديناً في مسألة عرضية لاجوهرية . وثانوية لأولية . اللهم ان عبادك في الارض يضلون .
وأكثرهم فاسقون : يتبعون الشهوات في لهجة الدين . فوالله لا يريدون وجه الله . انما هو وجه الشيطان .
وخبث النفوس . وجهل العامة . اللهم ان أكثر الناس ظلوم كفار . اللهم اننا خلقنا في أمم يسير سوادهم مع
الاهواء . يساقون كإنساق الأنعام . ما حججهم الا المغالطات . كل يسعى لملء بطنه . وسد بطنه . وشهوة
فرجه . وسلخ جاود الامم الضعيفة . وذبحها على انساب الأمم القوية . فسلاح العلم أذكى سلاح وأفضاه .
وهو طليعة جيش المدافع والسهام

(المدره) قد تجلت الحقيقة . وتلا لأ نورها . ووضح الحق . واستبان السبيل وانى أريد الكلام على
تعدد الزوجات وجعلها أربها .

(الاستاذ) لها وقت آخر وانصرفا وهما فرحانان مستبشران

(المجلس الرابع)

(المدره) قد اتفقنا في الاجتماع الفائت أن نأخذ باطراف الاحاديث بيننا في أمر تعداد الأزواج للمسلمين ولكن اليوم تبدت لي شبهة فلا أقدمها بين يدي ذلك السؤال

(الاستاذ) أنا لأفهم أنت مؤمن أم كافر . فان كنت كافرا فلا شأن لي معك ، وان كنت مؤمنا فلندع المقال . الا وان نبوته ثابتة عقلا ألا ترى الى مقاله كارليل المؤرخ الانجليزى في كتاب الشجاعة والشجعان وكيف برهن كما برهن شراح العقائد النسفية بالنتائج والثمرات . قال كارليل : (رجل بنى بيتا حسن البنیان . متين التركيب . قائم الجدران منتظم الاركان . ثم بقى البيت ألفا ومائتى سنة لم ينهدم منه ركن . ولم تسقط من أعلاه شرفة . وهو لا يزال يزداد جودة مهما تقدم عهده . وبعده أمده . فهل يبنيه دعى في البناء - البانى محمد ﷺ والبيت الاسلام فاذا ثبتت لديك نبوته فاضرب بالشكوك عرض الحائط وهناك أدلة التجربة لجرب قوله في الحديث وفيما أنزل عليه من القرآن وانظر هل تكون النتيجة كما أخبر الدين أو ماذا تكون . فان صدقت النتائج فالقول حق - فاذا قال (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع الحسنيين) فاعمل بها وانظر النتائج - هذه أمور قد فرغ العلماء والكتاب منها ، وجرى بها وصدقوها ، فكأن على آثارهم . واقتد بأعمالهم . تفز كفوزهم .

(المدره) أنا مؤمن ولكن أسألك ليطمئن قلبي . ولأحاج الجاحدين

(الاستاذ) الجاحدون اذالم يؤمنوا فلنترك الجدال معهم .

(المدره) حقا ولكن بعض الشبان يحار فيها لعموم المضلين . أذنب الاوربيين في بلادنا . اذ قد أتوا صفا . وقالوا لقد أفلح اليوم من استعلى

(الاستاذ) وغلامه - ماذا يقول أذنب الاوربيين .

(المدره) يقولون ان النبي ﷺ كان مغرما بشهوة النساء وقد استدلوا بحديث في طبقات ابن سعد انه جىء له بقدر فأكل منها فأعطى قوة أربعين رجلا في الجاع وهذا الكتاب يسمى كتاب الطبقات الكبير تصنيف محمد بن سعد كاتب الواقدي رحمه الله وطبع في مدينة ليدن بمطبعة برييل وهو خمسة عشر جزءا وصححه علماء المانيون بأمر من الجمعية الكبرى الأكاديمية الملكية الهولندية سنة ١٣٢٢ فيه ان المؤلف روى عن محمد بن عمر عن رجل يسمى موسى بن محمد بن ابراهيم عن أبيه قال ان النبي ﷺ قال كنت من أقل الناس في الجاع حتى أنزل الله على (الكفيت) تصغير الكفت فأریده من ساعة الا وجدته وهو قد رفيها لحم . وفي رواية لقيني جبريل بقدر فأكلت منها فأعطيت الكفت قوة أربعين في الجاع .

(الاستاذ) تبسم ضاحكا وقال : أهذا حديث النبي .

(المدره) نعم . ضحك الاستاذ . ثم استهزأ بالقول وسخر . وقال أما أن تصدق ما في القرآن من آيات : واما أن تصدق هذا الكلام : يقول الله (وانك لعل خلق عظيم) ويقول (وأرسلناك رحمة للعالمين) ثم يأتي أذنب أوروبا . وصغار العقول وذبان العلماء . يقولون انما جاء يعلم الناس قوة الجاع بأكل لحم في قدر وفي المثل العامي اذا كان المتكلم مسلوب العقل . فلا سامع فؤاد يعقل . ونهى وارب . يميز الحق من الباطل . نبي يقول الله على لسانه (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون) ثم يقال كان يعلم الناس علم الشهوات . هذا ضلال مبين .

(المدره) ما قلت معقول فاذا تصنع في الحديث .

(الاستاذ) الحديث مزور مكذوب وقد أخطأ ابن سعد في كتاب الطبقات الكبير

(المدره) ان هذا الكتاب اجمع وأحسن كتاب في سيرة النبي وأصحابه والتابعين واذا لم تثق به فم تثق .

(الاستاذ) الحديث مكذوب موضوع

(المدره) غضب غضبا شديدا كيف تقول مكذوب وما برهانك

(الاستاذ) تبسم ضاحكا هذا الحديث مروى عن عمي نصار بائع الفول المدمس أمام باب الصعايدة بالازهر

(المدره) أنخرج من الجد الى الهزل

(الاستاذ) ما قلته لك حق

(المدره) الحديث في طبقات ابن سعد وهو في القرن الثالث وهذا الرجل في أوائل هذا القرن الرابع عشر

فليس ما تقول مقبولا

(الاستاذ) اسمع أيها الصديق : اذا أثبت لك أنه مروى عن رجل يشابهه في صنعه أراد أن يشتر

بيعه الهريسة (القمح المدقوق المطبوخ في القدور) كالمدمس فاذا تقول ؟

(المدره) أقول : إن أذئاب الاوروبيين جميعا قوم لاخلق لهم وانهم صعاليك الأمم يريدون بنا شرا

ولسنا نذم إلا الكذابين الضالين منهم . فأما حكاؤهم وعظماؤهم وأجلاؤهم فلهم عندنا مقام عظيم

(الاستاذ) أعطيني عهدا ؟

(المدره) قال نعم

(الاستاذ) - قال العقيلي : حدثنا معاذ بن المشي . حدثنا سعيد بن المهدي . حدثنا محمد بن الحجاج عن

عبد الملك بن عمير عن ربيع بن خراش عن معاذ بن جبل قال قلت لرسول الله : هل أوتيت من الجنة بطعام

قال نعم : أوتيت بهريسة فأكلت فزادت في قوتي قوة أر بعين وفي نكاحي نكاح أر بعين . قال وكان معاذ

لا يعمل طعاما إلا بدأ بالهريسة . قال العقيلي : هذا حديث وضعه محمد بن الحجاج اللخمي وكان صاحب هريسة

وغالب طرقه تدور عليه وسرقه منه كذا ابن . أليس يا صديقي هذا نصا على أن هذا الرجل هو المخترع وأخذه

كثير عنه بأسانيد اخترعوها وألفاظ غيروها . أولم أكن صادقا في قولي لك انه مثل عمي نصار بائع المدموس

فهذا اشتهر بالمدموس وذاك اشتهر في هريسة فكسب مالا عظيما بهذا الكذب . وذبان أورو با يتبعون ذلك

الفحش والحقارة والدناءة ليضحكوا على عقول الجهلاء . وقال ابن عدي : هذا الحديث روى عن سلام بن

سليمان عن نهشل ونهشل كذاب وسلام متروك مرمى وأن أحدهما سرقه من محمد بن الحجاج وركب له اسنادا

وقال الأزدي : هذا الحديث روى من طريق إبراهيم بن محمد وإبراهيم هذا ساقط . فترى انه سرقه وركب له اسنادا

(المدره) الآن قد اكتفيت فلك الشكر والثناء على ما أوفيت . إذ قد حصص الحق . وانتشعت

غياهب الشك - وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا - واني لأعجب كيف يكذبون على

رسول الله ﷺ

(الاستاذ) الموعد غدا في المجلس الخامس ان شاء الله تعالى

(المجلس الخامس)

(انتظم المجلس الخامس وتناجى الاستاذ والمدره)

(المدره) وعدت أيها الاستاذ أن تفيض في الكلام على الأحاديث الموضوعة وكيف تسني لامرئ أن

يكذب على رسول الله ﷺ

(الاستاذ) لا تعجب من قولي . فكم من عجب في هذا الانسان فلقد طغى وبغى وكذب قديما وحديثا

ولم يذر من شيء إلا أحاطه بشروره وألبسه من أثواب زوره . ونسج بعناكب بهتانه على حقائقه . وانكم أنبت

في طيب أرض الحقائق من شوك قتاده وحسك عناده وعضاه اختلاقه فاذا رأيت الأمم الحاضرة والجرائد

السائرة تختلق إفكا وتنفري إنما فهكذا كانت فرق من السابقين وعززون من الأولين يتقوّلون على النبي ﷺ لأغراض يقصدونها وآثام يجتريحونها ومقاصد يؤمونها ومناصب يرتقونها وممالك يحكمونها وظلمات يقرّفونها . ألم تر إلى ما روى عن عبد الله بن يزيد المقرئ قال :

(١) رجع رجل من أهل البدع عن بدعته فجعل يقول : انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه فانا كنا اذا تراءينا رأيا جعلناه حديثا

(٢) وعن ابن لهيعة قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول : ان هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . فانا كنا اذا هوينا أمرا صيرناه حديثا

(٣) وعن حماد بن سلمة قال : حدثني شيخ من الرافضة قال : كنا اذا استحسنا شيئا جعلناه حديثا (٤) وعن أبي أنس الحراني قال : قال المختار لرجل من أصحاب الحديث . ضع لي حديثا عن النبي ﷺ انه كأن بعده خليفة مطالبا بتره ولده وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم ، فقال له الرجل : أما عن النبي ﷺ فلا ، ولكن اختر من شئت من الصحابة وخط من الثمن ماشئت (المدرسة) إن شئت أن توضح هذا الأخير فاني لفي حاجة اليه

(الاستاذ) ان المختار كان أميرا على الكوفة مطالبا بشأرا الحسين رضي الله عنه ظاهرا طالبا للملك باطنا « وفي المثل « أسر حسوا في ارتغاء » وفيه أيضا « بعلة الورشان يأكل رطب المشان » وفي المثل أيضا « فلان محزن بق لينباع » أي يطرق ليئب . ولقد كان من خدعته انه يخلق إفكا ويتظاهر بخوارق العادات وكان من حديثه انه يوما ما كان يحارب فقال لقومه ستفرون من العدو بذنوبكم ، فاذا كانت الهزيمة فستأتي الملائكة في صورة الحمام البيض دون السحاب فيها تنصرون ، ثم أعطى بعض خواصه تلك الحمام البيض التي رباها ، فلما كان الغد وقعت الواقعة وانشقت جوعهم وكانت واهية لكثرة العدو فأطلق أصحاب الحمام البيض فاجتمعوا وأتوا صفا وغلبوا العدو ومن قوه شرمزق ، وكان من جملة احتياله ونصب شره انه ورصد نخاخه ومبرم حبال اشراكه أن جعل لذلك العلامة في الحديث مالا وافرا وهدايا ثمينة توافق مرامه وتواقي أن يقول انه خليفة بعد النبي ﷺ مطالب بشأرا ولده (يعني سيدنا الحسين رضي الله عنه وأرضاه) فأبى الشيخ عليه ذلك حفظا للدين ورضاء لله عز وجل

(٥) ومن الوضاعين قوم وضعوا الأحاديث في الترغيب والترهيب ليحشوا الناس بزعمهم على الخير ويزجروهم عن الشر ، ومضمون هذا أن الشريعة ناقصة وتحتاج الى تمة بزعمهم ، فعن عبد الله النهاندي قال : قلت لغلام خليل هذه الأحاديث التي تحدث بها من الرقائق ، من أين أتيت بها ؟ فقال وضعناها لترقق بها قلوب العامة قال ابن الجوزي : غلام خليل كان يتزهد ويهجر الشهوات ويتقوت الباقلاء صرفا وغلقت أسواق بغداد يوم موته ففسن له الشيطان هذا الفعل القبيح وسئل عبد الحبار بن داود النخعي فقال كان أطول الناس قياما بليل وأكثرهم صياما بنهار وكان يضع الحديث وضعا . وكان أبو بشر أحمد بن محمد الفقيه المروزي من أصلب أهل زمانه في السنة وأذبه عنهما وأخفهم لمن خالفها وكان مع هذا يضع الحديث ويقلبه وعن أبي عمار المروزي قال : قيل لأبي عصمة بن أبي مريم المروزي من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ، قال اني رأيت الناس أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازي ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة . وكان وهب بن حفص مريضا بالصالحين . مكث عشرين سنة لا يكلم أحدا . قال أبو عروبة كان يكذب كذبا فاحشا . وعن يحيى بن سعيد القطان : ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب الى الخير . فاذا كان هذا حال الزاهدين والأتقياء فما بالك بالفجرة الأشرار

ومن الوضاعين قوم كانوا يتقربون للملوك والأصراء كغياث بن ابراهيم فانه حين دخل على المهدي وكان المهدي يحب الحمام فقبل له حدث أمير المؤمنين فقال حدثنا فلان عن فلان أن النبي ﷺ قال « لا سبق إلا في خف أوحافر أو جناح » فأمر له المهدي ببذرة . فلما قام قال المهدي انه كذاب وأنا حملته على ذلك . ثم أمر ببذبح الحمام ورفض ما كان فيه .

ومن الوضاعين من كان يضع الحديث في ذم من يريد ان يذمه كما حكى عن سعد بن طريف انه وأى ابنه يكي فقال مالك فقال ضربني المهمل فقال أما والله لاحدثهم حديثي عكرمة عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قال : « معلو صبيانكم شراركم » وقيل لمأمون بن احمد ألا ترى الى الشافعي والى من تبعه بخراسان فقال حدثنا احمد بن عبدالله بن مهدي عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن ادريس أضر على أمتي من ابليس . وقيل لمحمد بن عكاشة السكرماني : ان قوما يرفعون أيديهم في الركوع و بعد رفع الرأس من الركوع فقال أنبأنا المسيب بن واضح حدثنا عبدالله بن المبارك عن يونس عن يزيد عن الزهري عن انس قال : قال رسول الله ﷺ من رفع يديه في الركوع فلا صلاة له .

(اقسام الوضاعين)

ان الوضاعين ثمانية أقسام :

(١) الزنادقة قصدوا افساد الشريعة وإيقاع الشك في قلوب العباد والتلاعب بالدين كهبدالكريم بن أبي العوجاء قال ابن عدي لما أخذ ابن أبي العوجاء الى محمد بن سليمان بن عامر فأمر بضرب عنقه قال : والله لقد وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحل فيها الحرام وأحرم فيها الحلال وعن جعفر بن سليمان قال سمعت المهدي يقول : عندي رجل من الزنادقة وضع أربعة وعشرون حديث فهي تجول في أيدي الناس .

(٢) قوم كانوا يقصدون بوضع الحديث نصرة مذهبهم كما تقدم عن عبدالله بن يزيد المقرئ .

(٣) قوم وضعوا للترغيب والترهيب كما ذكرته لك اجالا فيما تقدم والمثال في ذلك ما يروى عن ابن عدي حدثنا احمد بن حفص السعدي حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا خاقان السعدي حدثنا أبو مقاتل السمرقندي عن عبد الله بن نافع عن ابن عمر مرفوعا من زار قبر أبويه أو أمه أو عمته أو خالته أو أحد من أقرائه كانت له كحجة مبرورة ومن كان زائرا لهم زارت الملائكة قبره . قال ابن حبان ليس لهذا الحديث أصل وأبو مقاتل حفص بن سليم يأتي بالاشياء المنكرة . وقال ابن عدي حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن حدثنا احمد بن صالح المكي حدثنا علي بن عباس الحنصلي حدثنا سليمان بن أرقم عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : حسنوا أكناف موتاكم فانهم يتزاورون في قبورهم قال بعض العلماء هو موضوع وصححه آخرون من طريق غيره وقال عبد الوهاب بن المبارك الحافظ أنبأنا شهر بن حوشب بن عبد العزيز الجيلي أنبأنا أبو حامد محمد بن همام حدثنا محمد بن سليم حدثنا ابراهيم بن هذبة عن أنس أن رسول الله ﷺ شيع جنازة فلما صلى عليها دعا بثوب فبسط على القبر وهو يقول : لا تطلعوا في القبر فانها أمانة فلعل وعسى تحل العقد فيجلى له وجه أسود ولعل يحل العقد فيرى فيه حية سوداء مطوية في عنقه فانها أمانة وعسى أن يقبله فيعود اليه دخان من تحتها فانها أمانة . هذا موضوع وأكثر رواه مجهولون و ابراهيم بن هذبة كذاب وقال الخطيب أخبرني أبو الفرج الطنجيري أنبأنا عبدالله بن عثمان الصنفار أنبأنا أبو محمد بن الحسن بن أبي الحسين بدر بن عبدالله مولى المعتز بالله حدثنا أبو القاسم انس بن محمد بن علي الطحان حدثنا محمد بن بشر الارطباني حدثنا محمد بن معمر حدثنا حميد بن حماد عن مسهر بن كدام عن عبدالله عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : دفن البنات من المكرمات . قال لا يصح وحيد يحدث عن الثقات بلنا كبر وروى من طريق آخر وهو منكر قال الشيخ السيوطي سمعت شيخنا عبد الوهاب بن الأنماطي الحافظ يحلف بالله عز وجل انه ما قال رسول الله ﷺ

شيئا من هذا قط .

(٤) قوم استجازوا وضع الاسانيد اكل كلام حسن كما حكى عن محمد بن سعيد أنه قال : لا بأس اذا كان كلام حسن ان نضع له اسنادا

(٥) قوم كان يعرض لهم غرض فيضعون له الحديث كالتقرب للماوك كما تقدم عن غياث والمهدي .

(٦) قوم وضعوا أحاديث قصدا للاغراب ليطلبوا ويسمع منهم قال أبو عبد الله الحاكم منهم ابراهيم بن اليسع وهو ابن أبي ضبة كان يحدث عن جعفر الصادق وهشام بن عروة فيركب حديث هذا على حديث ذاك تستغرب تلك الأحاديث بتلك الاسانيد .

(٧) قوم شق عليهم الحفظ أو رأوا أن المحفوظ معروف فأتوا بما لا يعرف مما يحصل مقصودهم وهؤلاء منهم القصاصون الذين لا يرجح لهم الا بالأحاديث الموضوعة .

(٨) الشعاذون وأغلبهم يحفظون الموضوع وروى الدارقطني عن أبي حافض البستي دخلت تاجردان « مدينة بين لركة وحران » فحضرت الجامع فلما فرغنا من الصلاة قام بين أيدينا شاب فقال حدثنا أبو خليفة حدثنا الوليد حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : من قضى لمسلم حاجة فعل الله به كذا وكذا فلما فرغ من دعوته قلت له رأيت أبا خليفة ؟ قال لا قلت له كيف تروى عنه ولم تره فقال ان المناقشة معنا من قلة المروءة انا أحفظ هذا الاسناد الواحد وكلما حفظت حديثا ضممته الى هذا الاسناد .

﴿ فصل ﴾

قال ابن الجوزي والوضاعون خلق كثير من كبارهم وهب بن وهب القاضي ومحمد بن السائب الكلابي ومحمد ابن سعيد الشامي المصلوب وأبوداود النخعي واسحق بن نجيح الملقى وعباس بن ابراهيم النخعي والمغيرة بن شعبة الكوفي واحمد بن عبد الله الجويري ومأمون بن احمد الهروي ومحمد بن عكاشة الكرمانى ومحمد بن القاسم الطائى ومحمد بن زياد اليشكري

وقال النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة ابن أبي يحيى بالمدينة . والواقدي ببغداد . ومقاتل ابن سليمان بخراسان . ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام . وقال الحافظ سهل بن البراء ثم وضع أحمد بن الجويري ومحمد بن عكاشة الكرمانى ومحمد بن تميم الدارى على رسول الله ﷺ أكثر من عشرة آلاف حديث

﴿ اعتراف الكذابين ﴾

قد أقدم جماعة من الكذابين على كذبهم وتصلوا من ذلك . عن ابن أبي شيبة قال كنت أطوف بالبيت ورجل ورائي يقول ﴿ اللهم اغفر لي وما أراك تفعل ﴾ قلت يا هذا قنوطك أكثر من ذنبك فقال دعني فقلت له أخبرني فقال اني كذبت على رسول الله ﷺ خسين حديثا فطارت في الناس وما أقدر أن أرد منها شيئا وقال ابن طيعة دخلت على شيخ وهو يبكي فقلت وما يبكيك قال وضعت أربعمئة حديث أدخلتها في الناس فلا أدري كيف أصنع فعند ذلك قال

(المدره) : كفى قد شربنا من هذا النهر حتى ارتوينا فحسبنا ما علمنا .

﴿ الكلام على تعدد الزوجات بين المسلمين ﴾

واني أرجو أن تفيض الكلام على تعدد الزوجات عند المسلمين فليس على الاسلام والمسلمين أشد انتقادا ولا أمر مذاقا ولا أعظم وقعا من هذه فهي التي أطالت السنة القادحين وأطعمتهم في هذا الدين فأوضح القول فيه ايضاحا والتمس في القول نهجا وسطا لا رمزا ولا شططا بين ذلك متخذا المساواة سبيلا وان شئت فليكن الايجاز أحسن تأويلا

(الاستاذ) لقد غصت المجالس بهذه الكلمة واستفاض بها الحديث من الشرقيين والغربيين ولن تجالس

امراً من بنى التأمير أو السين أو الطونة أو من الالمان أو الطليان وكان من المغمرين بالهيات الافاجاك بهذا الحديث ولقد والله عجبت لهذا الانسان كيف يتعالى حتى يصل مستوى الفضيلة والشرف وينحط حتى يستنزل عن دركات البهائم والدواب والحشرات . هذا الانسان أيها العزيز مخلوق غريب ترى الاوروبي عالماً بكثير من الشؤون طائراً في الجو جارياً على الارض بالصناعات عائماً في البحر سباحاً فيه بعمله حتى اذا دخل في مجادلات الدين هالك أصره فأيقنت أن هذا الانسان المسحى بالتمدين مقلد يستتلي كما تستتلي الجنينة

عاب الاسلام بمسألة عمرانية من آلاف المسائل الصحيحة وياليت شعري لو أنها كانت ثلثة في الدين لم تغن فتيلاني الاعتذار ولم تقم حجة على ضعفه ولم يكن ثمة سبيل لاعتقاد وهنه فكيف وهي كما سنوضح من مستلزمات الاجتماع ومقومات هذا النوع الانساني . التعدد المعتدل على ما ستري من اعمدة المدنية المقابلة ومن عقاقير الامراض الاجتماعية المزمنة تعدل مزاج هذا النوع أيما تعديل ، وتقومه أحسن تقويم ، فمزاج الانسان اليوم منحرف من الضرر واصابة الحى من تعفن الاخلاط وتراكم ادراجه وتتابع آلامه ومسألة اجتماعه المنزلى من عو يصات المسائل وكبرياتها فلا فؤ في القول والتسمع ولتع ولأقدم المقدمة قبل ذلك فأقول :

(١) اعلم أن المقرر في الطبيعة كما هو المعلوم في سائر الدول والممالك أن عدد الذكور في الميلاد يساوى عدد الاناث تقريباً كما اوضحت في كتابنا (اين الانسان) وعليها بنينا نظام الأمم المقابلة ان صحت عزيمة الانسان وأراد التخلص من خطته والتخلص من شططه وخطيئته فلو أنك استقصيت مواليد الامم أمة أمة والبلدان بلدة بلدة لرأيت هذه الحمجية الغربية وهي التساوى بين الجنسين محكمة مطردة صادقة فلتقرأ مواليد بلدتك أو أى بلدة تجاورك أو أى مملكة احصت ذكورها واناثها تجد التساوى تماماً الا قليلا لخلل عرض ، وضفوف ومرض ، وأحوال استثنائية ، وأمور فجائية هذا هو القانون العام وهذه اس بنينا عليه ما لهذا الانسان من نظام طبيعى في اخلاقه وسياسته وصناعاته وحكومته وكيف زادت الحكومات وضلت السياسات واضمحلت الجماعات وكفهرت الاجواء واختلفت الانواء وتوالت الشبات ونقضت العهود والامانات كل ذلك لجهل الانسان بفطرته وزيفه عن جادته فاقرأه في كتاب « أين الانسان » تر العجب العجيب مما لا محل لذكره هنا وانما نريد من ذلك ان هذا الانسان تساوت ذكره بآنائه فلم تتطلب أمة من أخرى نساءها اضطرارا ولم يكن من زلة طبيعية واحدة من هذا السبيل بل كل ذلك بمقدار فلم نسمع أن أمة من الأمم القديمة أو الحديثة مهماطال عليها القدم كانت مواليدها يوما ما جيعها اناثا أو ذكورا بل العدل مستمر دائم فهذه أول مقدمة .

(٢) المقدمة الثانية انى قرأت في احدى صحائف (الورد كرومر) الذى كان عاملا للأونكلينزى في مصر في صحيفته السنوية ان تعداد الزوجات بين المسلمين لا يزيد عن خمس في المائة ثم نقل عن آخر من السائحين من بعده فقال انهم لا يزيدون عن ثلاثة في المائة هذان هما الاصلان اللذان ابني عليهما النتائج الآتية . فاذا تقرر هذان الاصلان نقول . منذ سنين معدودة عدت أمة الانكلينز نساءهم فزاد مقدارهن خمس عشرة امرأة في كل الف رجل وامرأة فتكون من هذه الزيادات آلاف ومن الآلاف مئات الآلاف وصاحوا وولولوا وندبوا حظهم من الطبيعة وقسطهم من العدل وقالوا ان هذا الاتباب أين نضعهن ومن يعولهن وماذا نصنع فيهن وزلزات ارض نادى العموم زلزالها وأخرجت ارض الهموم أثقالها وقال سادات الانجلينز ما لها فيومئذ حدثت الجرائد أخبارها أن عدد النساء ازداد وما تغنى المدافع والجنود هذا ما كان من أمة الانكلينز في التعداد العام ولعمرك ما من أمة الاصابها موت الابطال في ساحات الوغى وفقد الرجال مما يقل تعداد رجالها عن نساها وهذه الحرب المستعرة الآن شاهد عدل فكم من نساء ايماء قد فقدن النصارى واعزهن العشير فقلت الرجال وكثرت النساء وقد بلغنا عن التهايشى خليفة المهدي السودانى انه ذبح الرجال واستحيا النساء فكنت ترى في القرية الواحدة بضعة شيوخ وأطفال وآلاف من النساء وقد صح في الحديث عن سيد الرسل ﷺ اذ قال في اشراط الساعة :

﴿ وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد ﴾ عجب أمر النبوة يذكّر أيام المسيح الدجال وإن أول أيامها يساوي سنة وثانيها يساوي شهرا وثالثها يساوي اسبوعا الخ مشاكاة لحال السكر الأرضية حذو القذة بالقذة كما في رسالتنا على هلال رمضان فانظرها وهاهنا تذكّر أشرط الساعة ويذكّر أنه يكون للخمسين امرأة القيم الواحد مطابقا لحالنا الحاضرة في هذه الايام السود اذ يفنى الرجال ويبقى النساء ولا عائل لهن ولقد عملا صراخ الانكياز وعويلهم من خمس عشرة امرأة زادت في كل ألف رجل وامرأة لهلة عارضة في النسل وطارئ من الضر على ارحام النساء وأصلاّب الرجال ومناهج التربية وطرق الاغذية وما شا كل ذلك فما بالك بهذه الحروب الطاحنة والاضغان الظاهرة وقد جندل الابطال وعم النكال واصطدم أعظم الأمم قوة وأشدّهم بأسا في العراق والقتال فطاحت تلك القماقيم الججاجح وبادت تالك الصناديد القواتك والصماميم الصوائل فأصبحوا لا ترى الامساكنهم وحرمهم الفواتن الحرائر البوائر العوانس

(المدره) لقد أطلت في هذا المقام وخرج القول الى الابهام فان حاصل الأمر يرجع الى أن الرجال وان سادوا النساء عددا فقد ينقصون عنهم بالطبع كما حصل نادرا بانجلترا وقد يكون بالمصائب في الحروب والاحوال العارضة العامة لسائر الناس وأنا لا أرى هنا مجيزا لتعدد الزوجات فان انقانون العام لا يكون لمثل هذه الاحوال العارضة والامور الطارئة على انه لو ان ذلك يكفي في التشريع لعارضة تشتت الاسرات وتفرق الجماعات بتعدد الامهات في الاسرة الواحدة وهل أتاك حديث الأزواج وبؤسهم والزوجات ونسكد عيشهن وابناء الضرائر وضعفهم وسوء العيش والشجار والعراك والتقاضى في المحاكم وسوء العشرة كل ذلك الشر لا يقاوم الخير الناجم من زواج تالك الأيامى اللأى مات أزواجهن واذا اجتمعت علتان يتبع الاخف وهذه الشرور الكثيرة في الاسرات أنسكى من ضرر عدد من النساء فقدن العائل وعشن على غير طائل وهن أرامل

(الاستاذ) لقد تهجّلت ولم تمهل حتى أتم القول فاصغ لما أقول موجزا : ان أكثر الرجال سائرون على هذا النهج الطبيعي يتزوجون بامرأة واحدة والقليل انقسموا قسمين فقريق أصبح شديد الشهوة قوى البنية كثير المال مغرما بالنساء بالطبع وفريق ترك النساء اما زهدا دينيا كالرهبان وأما ضعفا عارضا واما فقرامدقها واما غما وهما وهذا صنف دائم ثابت في نوع الانسان فضلا عن الحرب والنكال في الأمم فهذا يدحض ما أشرت اليه من أنه نادرا وعارض يزول فلا مناص من جواز التعدد لأن النساء اللأى لا عائل لهن يقابلن الفريق الأول من القسمين السابقين وهم الشهوانيون فلو انا حرمانا التعدد لاصبحنا وجهها لوجه أمام الخطر الداهم الذي طغى سيله وطم وعم فساده من أوروبا فأغرق الشرق سيله الجارف ألا وهو الزنا الرسمي كما هو في مصر الآن وسعى له سائر الممالك المتمدينة لأن ذلك الغنى يطلب أكثر من امرأة وتلك النسوة البائسات الجميلات يتطلبن الرجال للقوت والشهوات فلو حجّرنا عليهم وعليهن وجب ان نخصص أما كن للفجور كما هو حاصل الآن فطاحت العفة وضاع الشرع وذهبت المروءة أما الاسلام فلتعجب ولتنظر أباح تعدد الزوجات فزال الخطر المحقق وكانت العفة والشرف والنسل الشريف . انظر اليس التعداد كان خمسة في المائة أو ثلاثة في المائة أى ثلاثين في كل ألف ومن عجب أن هذا العدد الاحصائي يوافق ما قدمناه فان هذا المقدار في الالف يقابل المتقاعدين في كل أمة عن الزواج وهو القدر الذي يجتمع فيه الخصال الثلاثة الشباب والفراغ والجدّة وهي مفسدة للرء أى مفسدة

فانظر وتعجب كيف جعل الاسلام هذه المفسدة مصلحة واستبدل الزوجات بالبغايا وابناء الرجال الاشراف المتهامين العالمين بابناء الزنا المتردين والمخنوقين والعفة بالخنا والامانة بالخيانة والصيانة بالأهانة أباح الاسلام تعدد الزوجات ! فإذا جرى تقدم أولئك الاقوياء أولئك الاغنياء المسرفون فدوا أيديهم الى من عندنا من النساء اللأى لا قيم لهن فتزوجوهن واقفلوا بيوت الخنا ومحال العهر والفحش . شهد (اللورد كرومر) في تقريره ان هذا العدد لم يزد . جعل الله لكل رجل امرأة فضعف بعض الرجال أومات فقام غيره فاتخذ نظيره من النساء

وعاظم من وهل جعل المسلمين يعددون أو كلهم وهل المعددون استوتبوا النساء حتى فقد عددهم كلام كلام .
 لسببين الأول انه لم يخلق الله الا امرأة واحدة نظير كل رجل فالمتروكات نظير المالكين والضعفاء الثاني : انما
 لم نسمع أن رجلا ما أراد ان يتزوج فوق واحدة من النساء فلم يجدها لم نسمع هذا في تاريخ أمة من الأمم حتى
 التي أباحت العدد المطلق الى ما لا يحصى فها هنا ان الحكمة الالهية حفظت نظام العالم
 أما ما يقال من سوء العشرة وفساد المنازل بين الاخوة فهذا كلام ناشئ من جهل القائلين به وعدم تبصرهم
 فليس كل أخوين من أميين متشاكسين ولا كل أخوين من أم واحدة متحابين . ان واحدا من ذوى قرابتي
 رأيته يحب أخاه لأبيه ولما مات ذلك الأخ بكى عليه قريبا أكثر من أخى الميت الشقيق فحجبت لكذب القوم
 الصراح وجهلهم الفاضح على ان الحسد في الاخوة أمر طبعي وانما يهذب العلم والتربية والادب والدين ولو كانت
 المشاجرة والعداوة بين الاسرة علة لمنع التعدد لقلنا فليزل نوع الانسان من فوق سطح الكرة الارضية فالأهم
 كلها في ضغائن والافراد متشاكسون ولو سلمنا جدلا ان العداوة كائنة فالابناء خير والشر العارض لا يمنع الخير
 العظيم وهو ازدياد عدد الأمة وظهور الرجال فيهم على ان أكثر من نراهم في الأمة هم أبناء أولئك الاقرباء
 المترفين الاغنياء الذين يعيشون ليلدوا كما ان آخرين يعيشون ليعلموا ويؤلفوا . قوم يلدون أجساما وآخرون
 يلدون عقولا كم من رجل في البلاد المصرية خلف ثلاثين ذكرا أو أر بعين ومنهم من بلغ أبناءه وأبنائهم
 عددا وافرا فاختلفت عليه الاسماء . ما أسوأ الأم القبيحة الجاهلة التي تقول لا قويا لها لا تزوجوا علنا وتزوجوا
 سرا لتموت أبناءكم في المراحض ما أجهل تلك الأم ما أقل علمهم ما أكثر جهلهم ما أوضح العلم وما أجهل
 أولئك في علم الاجتماع فالحق والحق أقول ان العالم الانساني اليوم يعوزه الفلاسفة والحكماء ليعرف كيف
 يعيش فان نظرياته ضئيلة ضعيفة يحيا ويموت على عادات موروثه ومناهج مرسومة يقلدها تقليد العميان
 ويتبعها اتباع الصبيان ويندم ما ليس من عادته وفي التنزيل - بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله
 كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين - يقولون تعدد الزوجات أفسد المجتمع الاسلامي
 وباللهجب لو أن التعدد افساد لم يكن الثلاثون في الالف شيئا مذكورا حتى يفسد الالف ومن ذا الذي ضل عقله
 وزاغ بصره فحكم بفساد الالف اذا فسد منهم ثلاثون هذا قول من في قلبه مرض وعلى عينه غشاوة فكيف
 وقد استحال الفساد صلاحا وأضحى الثلاثون في الالف أو الخمسون منها اصلاحا لباقيها يلدون لهم البنين والبنات
 ويخرجون القواد والعلماء والعقائل والفتيات وهم أقدر في الغالب على التربية والتعليم لما احرزوا من ثروة وما
 أوتوا من مال فيا ليت شعري كيف تسنى للأُم أن يقولوا للمرأة افعلى الخنا اذا اخترته سبيلا وكوفي زانية اذا رأت
 لديك وصفا وقتك ويأيتها الرجل احنك الزنا واخترنا لك الخنا وآتينك منا قوة القانون على أن تغازل
 من تشاء من الفتيات فأى فتاة فضحتها وأفرعتها وأى امرأة أزلت صونها ومددت يديك الى سترها فزقته والى
 بيت شرفها فهدمته وكان ذلك على اختيار منها ورضا فانا لكم معينون وان أثمر ذلك وأد البنين والبنات
 وقلة النسل العام في الأمة وان فاق أعداؤها عددا فاعتلوا عليها عند الغلبة بكثرة عددهم وصفوف جيوشهم ثم
 تقول تلك الأم أنفسها أيتها المرأة وبيايها الرجل أيا كما ان تجتمعا اجتماعا شرعيا فلا يكن عندك أيها الرجل
 منهم ثلاث أو أربع احذروا ذلك فانها عادة المتوحشين ولوصيفت الأعراض وأقفلت بيوت الخنا وقت أيها الرجل
 على امرأتك فأقمتها وكسوتها ورجحتها نحن نحرم عليك ذلك وعليك أيتها المرأة نحرمة تحريمنا باتنا ولاكننا في الوقت
 نفسه نبيحه على سبيل الفجور والخنا فاجع يارجل من شئت من النساء ولو ألفا مادام ذلك سفاحا وإيا كما أن
 تجتمعا اجتماعا شرعيا ولو أدى ذلك الى حياة البنين والبنات وكثرة القواد والمؤلفين والعلماء رتكاثر النسل حتى
 يغلب العدو المفاجيء الداهم رضينا بالخنا رضينا بالزنا رضينا بقلة النسل وكثرة العقم رضينا أن يكون نسبنا الى
 عددنا العام كنسبة عدد الفرانسييس الى الالمانيين لما في الاولين من اهمال أمر الزواج وفي الآخرين من الحرص

عليه وانما علينا اذا حكمنا أمة من الأمم ورأيناها تنكأ ولادة بقوانين بلادها علينا أن نحسدّها ونطير منها ونشفق ونسوّمهم سوء العذاب ونوجسّس شراً من كثرة نسلها ونوسل رسلنا وطلائع استعمارنا ونصطفى الحكام من صغار النفوس المتواضعين ونوحى إليهم أن قبضوا لهم هذه الشريرة البيضاء سودرها في وجوههم افهموا افقدتهم بالسوء والجدل والمناقشة وهوشوا عليهم لعلهم يرجعون عن التعدد بل لعلهم يزنون ولعلهم يقل نسلهم فنتمكن من حكمهم كما قال هنري الفرنسي في كتابه عن الجزائر اذ قال ﴿ قعدنا طوّلآء المسلمين كل مرصد وسدنا عليهم السبل وأحطناهم بسرّادق من نار لعلهم يقاوم فلم تقدر حتى أخرج سلطناها عليهم وهي السلاح الفد لمحاربة الشرقيين فمنه الاسلام ان يشرب حبه في قلوبهم أو يفتت أ كبادهم فهم يتناسلون والفرنسيون لا يتناسلون ﴾ حارت والله تلك الأمم . حارت في محاربة النسل في الأمم المستعمرة حسدوها على الفضيلة وعلى النسل وعلى السعادة ولقد أخبرني صديق أن إحدى الأمم لما رأت الزوج الأفر يقيين والوثنيين يتزوج الرجل نساء كثيرات وليس عليه إلا أن يجلس في خيمته طول نهاره يتمتع بما تكسب النساء له من كدهن وعملهن وهو قوى البنية ولا يصرفها إلا في احباطهن وايلادهن وانجاب الذرية فكثرت النسل ولم يقدر الأوروبي أن يحاربه . ضربت الحكومة على المتزوجين من هذا القبيل الخراج عسى أن يقل نسلهم فما أشأم هذا الانسان قتل الانسان ما أكفره - ان الانسان لظالم كفار - ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون -

(المدره) والله لقد شفيت صدري وأزلت الغمة وكشفت النقاب عن وجه الحقيقة الجليل . تمت الرسالة في صباح يوم الاحد ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٤ في ميدان القلعة بالقاهرة . ولما أضيفت هذه الرسالة الى السورة تمت في يوم السبت ٢٢ مارس سنة ١٩٣٠ م و ٢١ شوال سنة ١٣٤٨ هـ بقسم السيد زينب

(الاسلام وتعدد الزوجات)

جاء في (مجلة المرشد) مانصه

إن قوانين الاقتصار على زوجة واحدة أ كثر فرائس العزوبة في الغرب وزيادة عدد الاناث على الذكور أ وقعت العقلاء في مشكلة ينادون منها بالويل والثبور ويطلبون الخلاص - ولات حين مناص -

جاء في المجلد السابع من العرفان مانصه « إن عدد النساء في ايطاليا يزيد على عدد الرجال بمليون نسمة » وفي ملزمة (٣٤) من « اهللال » في ضمن مقال بقلم (أميل زيدان) عن جريدة الماتان الفرنسية عن الاستاذ (بيتر) الطبيب الكبير الذي هو اليوم عضو مجلس النواب في فرنسا انه يقول « إن في فرنسا الآن ١٥٠٠.٠٠٠ ر. ١٥٠٠ فتاة لن يجدن لهم أزواجا على افتراض أن كل شاب فرنسي يتزوج بفتاة واحدة ، واني أقول بصراحة ما أنا واثق من صحته أن المرأة لا تتمتع بصحة جيدة مالم تصبح أمّا ، وفي اعتقادي أن القانون الذي يحكم على تلك الفرقة الكبيرة بأن تعيش على نقيض ناموس الطبيعة إنما هو قانون وحشي بل مناف لكل عدالة » وفي م (٣٧) منه أيضا « يزيد عدد الاناث على الذكور في انجلترا بمليون ونصف مليون ، أما زيادة الاناث على الذكور في ألمانيا فتبلغ مليونين ، ولكن هذا الفرق أقل من النسبة الحاضرة في عدد المتزوجين ، ففي انجلترا نحو ثلاثة أو أربعة ملايين فتاة غير متزوجة مع انها في سن الزواج » وقال (شوبنهاور) الفيلسوف الألماني الشهير في رسالته ﴿ كلمة عن النساء ﴾ تعريب حسن رياض مانصه « إن قوانين الزواج في أوروبا فاسدة المبني بمساواتها المرأة بالرجل فقد جعلتنا نقصر على زوجة واحدة فأفقدنا نصف حقوقنا وضاعفت علينا واجباتنا ، على انها مادامت أباحت للمرأة حقوقا مثل الرجل كان من اللازم أن تمنحها أيضا عقلا مثل

عقله » الى أن قال « ولا تعدم امرأة من الأمم التي تجيز تعدد الزوجات زوجا يتكفل بشؤونها ، والمتزوجات عندنا نفر قليل وغيرهن لا يحصين عددا تراهن بغير كفيل بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهي هائلة متحسرة ومخاوفات ضعيفة من الطبقات السفلى يتجشمن الصعاب ويتحملن مشاق الأهمال وربما ابتذال فيعشن تعيسات متلبسات بالخزى والعار ، ففي (مدينة لوندريه) وحدها ثمانون ألف بنت عمومية سفك دم شرفهن على مذبحه الزواج ضحية الاقتصار على زوجة واحدة ، ونتيجة تمت السيدة الأوروبية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل ، أما أن لنا أن نعد بعد ذلك تعدد الزوجات حقيقة لنوع النساء بأسره » الى أن قال « على أنه من العبث الجدال في أمر تعدد الزوجات مادام منتشر بيننا لا ينقصه غير قانون ونظام » أمعن النظر في هذه الفقرة ، الى أن اعترف بقوله « بل اننا لا نتسكرا في بعض أياضا أو معظمها كلنا أوجلنا نتخذ كثيرا من النساء ، ومادام الرجل محتاجا لزوجات كثيرة يجب أن يكفل شؤون هذه النساء »

وعن مؤلف كتاب « العشيقة الشرعية » الذي حاز السبق في مضمار الزواج في فرنسا وغيرها وطبع منه أكثر من (٥٠٠.٠٠٠) نسخة « انه ذهب الى أن يكون لكل رجل الى جانب زوجته خلية تكون لها صفة قانونية فلا تحتقر ولا تمتهن في نظر الشريعة أوفى نظر الرأي العام . قال : هذا هو الأمر الواقع اليوم في آدابنا الاجتماعية ، ولم يبق علينا إلا أن نعترف بهذه الحالة وندخلها رسميا في عرفنا » * قلت من هذا ولم أن القوم لا يأنفون من تعدد الزوجات ومعترفون باباحتها الشرعية ولكنهم يطالبون بقانون يبيحه لهم بعد أن ذاقوا مرارة الاقتصار على زوجة واحدة ورأوا المفساد الناشئة منه كالتعدد غير المشروع وأمثاله . هذا ولا يخفى أن التعدد الذي يعيبه الجاهلون اليوم قد أباحه بالأمس المصلح الكبير في النصرانية (لوتر) فسمح لأمبرالمان (هس) بأن يتزوج ثانية لأن امرأته كانت شوهاء ، و (ادوارد السابع) وهو من علمت أصدر في أواخر أيامه منشورا يبيح فيه تعدد الزوجات ، وكانت أمه من قبل معارضة لهذا الرأي أشد المعارضة ، وسيأتي يوم يدرك فيه الناس فوائد التعدد (١) فيميلون اليه ميلا واحدة ويعترفون بفضل القرآن الكريم . انتهى ماجاء في المجلة المذكورة

في يوم الثلاثاء (١٤) يناير ١٩٣٠ م سألني أحد المدرسين بمدرسة عابدين الخيرية . فقال : قد حصل بيني وبين ناظر المدرسة جدال في أمر تعدد الزوجات ، وأن الاسلام في هذا ضد المدنية . قال وأنا أجيبته بأن العدل اذا لم يتم فانه يمتنع التعدد بمقتضى الآية وهكذا . فقلت له أريد أن تسمع مني ما أقوله لك بعقلك وتتخلى عن كل مالدريك من الآراء المحفوظة وتخلي بيني وبين عقلك وحده . ثم لتكن حرا في أن تعترض بما نشاء والعقل هو الحكم . فقال أحب ذلك . فقلت أولا ان هذا المقام مستوفى فيما تقدم قريبا . فلندع هذا الآن ولأقل لك اعلم أن بني آدم على وجه هذه الأرض قد وضع لهم نظام لا اختلال فيه وهو أن يكون الذكور والامات متساويين وهكذا كل حيوان لأن اختلاف العدد خلل في النظام . ولذلك تجدد الناس في كل بقعة من بقاع الأرض يكادون يتساوون في عدد الرجال والنساء والذي يمنع هذه المساواة عوارض تعرض للحياة فتختل هذه الموازنة اختلالا يسيرا . قال نعم . قلت ان المسلمين أطلق لهم العنان فيما مضى فنزجوا مايشؤون . أتدري ماذا حصل ؟ قال لا . قلت لم يعدوا من الرجال في الاسلام إلا (٣) في المائة أو (٥) في المائة . وهذا القدر صغير جدا . قال نعم والله . قلت وهنا نسأل : اذا أراد رجل أن يتزوج امرأة في أي قطر

(١) من فوائد التعدد تكثير النسل وتقليل الزنا والتكفل بمن ليس لها كفيل والمحافظة على الأعراض عند ازدياد النساء وقلة الرجال وحفظ الزوجة الأولى لدى عقمها أو مرضها مثلا . وأما قول ان التعدد ينقص العائلة فهو غير مقبول لأن قلب الرجل يسع التعدد سيما مع استعمال العدل المطلوب

من أقطار الاسلام فهل يجد امرأة يتزوجها مع هذا التعدد . قال نعم والله يجد . قلت فهل جاء في تاريخ الأمم أن الناس بحثوا عن النساء فلم يجدوا لأن الآخرين قد استحوذوا عليهن . قال كلا ورب السكينة . قلت إذن المسألة واضحة تساوي الرجال والنساء عددا ولكن قديموت بعض الرجال في الحرب أو بالمرض أولا يتزوج الآخر للفقر فيلهم الله بعض الأغنياء الأقوياء أن يتزوجوا بعض الباقيات . فقال هذا والله عجب . فقلت إذن النوع الانساني اليوم مقلد كالطفل . فالولا اتباع الانسان للتقاليد الجاهلة لم تبقى النساء البائسات بلا أزواج في أمة من الأمم . فالمسألة كلها مسألة القسيسين الذين ملأوا الأمم مياحا والأمم لا تفكر بل تتبع آراءهم ولا يفكر إلا العقول الكبيرة عندهم (كما تقدم قريبا) فالنوع الانساني اليوم لا يزال في حال المراهقة وسيأتي يوم يعرف الحقائق . فقال هذا والله حق وليس لي عليه رد . فقلت الحمد لله رب العالمين . تم الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في معنى قوله تعالى - وخاتم النبيين - ﴾

(الجواب الكافي)

« وهو ما أجاب به (عبد الله كويليام) الانكليزي المهتدي للاسلام عن سؤال أحد علماء أوروبا في الشريعة المحمدية الغراء . وقد أتى في الجواب بالأدلة الفنية والبراهين العقلية على أن الديانة الاسلامية أكمل الأديان وأرجح الشرائع وناسخة لجميع ما سبقها وانه لن ينسخها شيء بعدها أبدا مادامت الأكوان وبقى الانسان »

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ السؤال ﴾ ماهو البرهان العقلي والدليل الفني على أن الشريعة المحمدية أفضل الشرائع وأكملها وانها ناسخة لكل ما سلفها ولا ينسخها شيء بعدها أبدا

﴿ الجواب ﴾ لو أنعمنا النظر ذات ليلة (وكان الهواء صافيا والجو من الغيم خاليا) في الفضاء الذي لا يتناهي رأينا لأول وهلة شموسا تدور حولها سيارات كثيرة كمنظومتنا الشمسية . تظهر لأبصارنا من أبعاد المواقع في هذا الفضاء تسير منقادة كل الانقياد للقانون المسنون لها لا تخيد عنه مادامت . فاذا انقضت تلك الليلة نرى الشمس تطلع من المشرق . وما أسرع ما تنشر أشعتها على هذا العالم فيتمثل بين تلك الأشعة صور متتالية بديعة الجمال ، ولو لفتنا النظر إلى الكرة الأرضية التي نحن عليها ، التي اذا نسبت إلى سائر الأجرام العاوية لا تكون إلا كذرة صغيرة ، نراها كتلة تألفت من البحار والأنهار ، من الأودية والبراكين والجبال ، من الصحارى والفلوات ، من الأتربة والمعادن والرمال ، من الأشجار والأزهار والأثمار ، من النباتات والجمادات وذوى الحياة من الانسان والوحوش والحشرات

وان عقل البشر على ما بلغ من الارتقاء وما وصل من الدرجات العالية لعاجز عن اكتناه هذه الأجناس التي تألفت منها الكتلة الأرضية وما يعتورها من الأشكال والهيئات وقاصر عن ادراك حقيقتها لما بين أشخاصها من الاختلاف وبين خواصها ونفعها وضررها من التغير والانحراف

كثيرا ما يكون جو السماء صافيا ، والهواء راكدا ساكنا ، فيفاجئنا هبوب ريح شديدة تثير السحاب ثم تحيطنا بالمطار حتى نظن اننا في وسط البحار ، واذا بحثنا في هذه الحادثة الجوية وخصناها بالنظر علة حصولها بمقتضى القواعد الفنية نرى أن حرارة الشمس قد مست وتدخلت برطوبة الأرض فتجعل تلك الرطوبات بخارا ثم تتصاعد تلك الأبخرة إلى الجو كما هو شأنها وتجتمع وتتكاثر حتى تصير سحباً ثم تتحلل فتصير ماء وتساقط مطرا ، وأيضا لما كان في بعض ذلك السحاب بالضرورة كهربائية سالبة وفي البعض الآخر كهربائية موجبة كما هو الحال في سائر الأجسام يحصل في الهواء من احتكاك تلك السحب بعضها ببعض صوت يقال له

الرد ، ولاريب أن الحكمة في هذه التحولات والتركبات الجوية هي حصول المطر ازدان الأرض وتنشط الحيوانات وتزوي النباتات وبالأجبال لتحي الأرض بعد موتها . ولوأردنا أن نبين ما في هذا الفضاء الذي لانهاية له من العجائب والفرائب بيانا يشفي الصدور ونفصلها حق التفصيل لوجب علينا أن نملأ الأسفار . ولخرجنا عن بيان المقصد فيكفينا ما تقدم ذكره ، ولنرجع الى ما نحن بصدده ، ماذا يخطر لنا عند مشاهدة هذه المصنوعات بما فيها من عجائب الترتيب وبدائع النظام ، لاريب أن أول ما يجده في نفوسنا هو الميل الى البحث عن مظهرها من العدم الى الوجود ، فمن جعلها منقادا وخاضعة للقوانين والسنن الفطرية التي لا يعثرها تغير ولا يشوبها خلل ولا تشويش ، فمن جعل كل فرد من أفراد هذه الكائنات مختصا ومتمارا بخاصة من الخواص وسر من الأسرار الطبيعية ، فمن يحفظ على هذه الكائنات تأثيراتها وتأثيراتها في كل آن وزمان فإذ اسرنا وراء تلك الخواطر القلبية وتأملناها كل التأمل ، فلامحيص لنا من أن نصديق بالقلب والوجدان ونقر وننطق باللسان بأن ما نشاهده من العوالم وما لا نشاهده (وما لا نشاهده أكثر) ليست إلا آثارا للذات المقدسة الأوهى ذات واجب الوجود جلت قدرته وعظم سلطانه وأن هذا التصديق ينادينا نداه بليغا ظاهرا وباطنا بقوله « ان ظهوري بين هذه الكائنات بين ما لا نهاية له من الآيات البينات لدليل واضح على أننا من آثار قدرة ذلك الفاطر العظيم ، وبراهين جلية على وجود الخلاق الذي يفعل ما يريد

وبعد أن ندرك وجود ذات الواجب على هذه الصفة نجد بأنفسنا سائقا وجدانيا يسوقنا لمعرفة كيفية تكون الكرة الأرضية التي نحن عليها ، وهنا نحس أنه يجب أن نرجع الى الفن فقط إذ الفن إنما هو قوانين وقواعد مستنبطة بالعقل الموهوب للانسان من القوانين التي اندجحت في هذه الكائنات . فإذا رجعنا اليه رأينا أن ما يوجد فيه من النظريات الفنية في تكون العالم ترشدنا الى أن الخلاق الأزلي والموجد الحقيقي أوجد هذه الأرض من البخار فجعلها مائعا ناريا واستمرت أزمانا كثيرة على حالها هذا تنتشر حرارتها وكانت حرارتها تنقص زمانا بعد زمان وكلما تناقصت الحرارة تبردت الأرض وكلما تبردت تكاثفت حتى حصل عليها قشرة وصارت صلبة على كثر الأزمان ثم بدأ الخلق فيها فأول ما خلق النباتات ثم سائر المخلوقات وكان يعرض التبدل والتغير على النباتات والحيوانات على ممر العصور وتعاقب الأزمان فكما أن ازدياد تصلب الأرض يوما فيوما سبب لتناقص الحرارة فكذلك تناقص الحرارة سبب لتغير القوة الانباتية . ولهذا التبدل والتغير تختلف أصول الخلقة والقوانين الطبيعية دائما . نعم إن هذه الدعوى صحيحة فانه كما ان حياة المخلوقات التي وجدت في بداية تكون الأرض الأرض مستحيلة بعد مرور عصور وأزمان على تلك البداية فكذلك حياة ما وجد من المخلوقات في العصر البدائية خارجة عن حيز الامكان أيضا بعد ذلك فان ما يعيش في الماء من المخلوقات لا يعيش في التراب وما يعيش في التراب لا يعيش في الماء إذ ليس لها إلا ذلك الاستعداد وتلك القابلية التي وهبت لها وخلاصة القول أن أشكال طبائع المخلوقات ومهاياها كانت ولا تزال تتغير بتغير الأزمان والأحوال والامكنة . ومما لاسرية فيه أن المخلوقات بقسميها النامي والجامد خاضعة لناموس طبيعي في تكونها ونشؤها ونموها وتكاملها وبقائها وفنائها فلا يخطر بالبال أن ما يشاهد في الخلقة من التكامل آتى . كلا (١) ان ما يحصل جميعه ليس إلا تدريجيا وتابعا لناموس التكامل المسنون في هذا العالم ومع هذا فلا ريب في فناءه اذا بلغ الغاية في كماله لوجوب زوال كل شيء عند انتهائه . وفي هذا يقول الشاعر

إذا تم أمر بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قبل تم

فالشرع يقول لهذا الزوال « القيامة » والحكماء يهبرون عنه بالانقراض . ثم ان كل شيء اذا فنى وزال لابد أن يتكون ثانيا إذ ليس هناك ما تنعدم أجزاؤه كليا فما نظنه قد فنى وزال من المخلوقات إنما استحال شكله الأول وماهيته الأولى فيظهر في شكل آخر وماهيته أخرى . وأيضا فانه كما ان الأحوال الطبيعية التدريجية

(١) هذا هو مذهب النشوء وقد أبطله علماء القرن العشرين (انظره في أول سورة المؤمنون)

كالتكّون والنمو والمرض والموت تعرض للحيوان والنبات فكذلك تعرض تلك الأحوال للأجرام السماوية وهذا الذي يقول له أرباب الفن ناموس التكامل وبالأفرنسية «نه وولسيون» والانكليزية «نه وليش» وإلى هنا أكتفى بما ذكرت من المقدمات لما للسائل الفاضل من التبجّر وطول المباح فيها وما ذكرتها إلا لتوقف الجواب عليها فأرجع إلى المقصد وأقول :

إن ظهور الانسان في هذا العالم متأخر عن تكّون سائر المخلوقات كما هو شاهد لنا ومع هذا ينبغي أن لا يرتاب في أنه أشرفها وأفضلها خلقة وطبعاً مادّة ومعنى إذ أن قانون التكامل يقتضى بأنه أتمها من حيث توجه الأشياء نحو الرقي إلى الكمال . فالانسان في الظاهر جرم صغير وفي الحقيقة عالم كبير . الانسان مهبط السجايا القدسية وقطب الخصال البهيمية ومركز الخير والشر وقرارة الانس والوحشة فهو مجتمع الأضداد ومكمن الغرائب فهما كان الانسان مدنيا بطبعه لا بد أن تقضى عليه حيوانيته باتباعه القانون الطبيعي ضرورة فلا يقضى له أن أن يعرج بنفسه من حضيض النلة والوحشية ودرك السفالة والجهالة إلى منصات العلم وذرى السعادة . على أن الانسان في بداية الخلقة كان كسائر الحيوانات والبهايم متوحشاً يضرب في الأرض عارى الجسم مكتسباً ثياب الغفلة . الجهل رفيقه والعمى قائده . يتجول صباح مساء في الصحارى والقفار . لا يفقه من الحقائق شيئاً . ولا يفرق بين القبيح والحسن و بين الفث والسمين . تتجاذبه شهواته حيث توجهت فهو مغلوب لها خاضع لقيادتها . لا يعرف الليل إلا بغروب الشمس ولا النهار إلا بطاوعها ولا يدرك ما هو الأكل والشرب والنوم والقيام والعودة . كان يتجول في مواقع كثيرة وأمكنة متعددة من الأرض وهو لا يدرك أين يتجول وأين يوجد وما هي ذاته . نعم انه كان يشاهد ما لا يتناهى ولا يحصى بالبصر من الصحارى والقفار والبحار وسائر الحيوانات والطيور لكنه لا يفرق بين الحيوان والنبات و بين النبات والجماد و بين الجماد والانسان . ترى هل كان الانسان إذ ذاك يتخيل شيئاً عند ما يرى ما تمثله الأجرام السماوية كل ليلة من المناظر العجيبة والأشكال البديعة أو كان يلفت نظره ما يراه من صور القمر حينما يظهر هلالاً ثم يكون بدراً ثم يتناقص حتى يمحى ثم رجوعه إلى منواله السابق أو كان يعن نظره فيفكر في كسوف الشمس وخسوف القمر ؟ كلا . انه لم يكن يدور في خياله أو يخطر بباله شئ من ذلك . إذن ماذا كان يتصور الانسان ، وحول أى شئ كان يجول فسكره ؟ انه كان لا يفكر في شئ سوى أن يفترس كل ما يصادفه من الحيوانات الضعيفة ليدفع بها بلية جوعه وأن يهرب مما هو أقوى منه من الحيوانات لئلا يكون غذاء لها فيلتجئ إلى الكهوف والمغارات ومقعرات الأشجار لينجو بنفسه منها ، ومع هذا لم يكن همه وفكره منحصر في ذلك بل كان لا ينسى أيضاً التعارف بمن يلاقيه ليسكن شهوته اذا ثارت عليه . وخلاصة القول انه كان لا يتوانى في التوسل بما يفضى إلى قضاء حاجاته الحيوانية والشهوانية فكان لا يحجم عن قتل أخيه الشقيق في هذا السبيل . فيتختم إذن احتياج الانسان لقانون آخر غير القانون الطبيعي ليهتدى به إلى الصراط المستقيم في معاشه ويصون من الخلل نظام حياته ويسلك أعدل السبل في واجباته وكل شؤونه ويعلم علو شرفه على سائر الحيوانات ومكانة فضله فان الانسان من حيث هو حيوان ميال بالضرورة لاتباع الهوى وترتيب المكائد والحيل والكذب والظلم والعدوان وغير ذلك من الأخلاق المدمومة ، فلو ترك الانسان وشأنه لبقى حليف التوحش أليف الجهل أبداً الأبدى ودهر الداهرين لكنه اذا وجد من يرشده إلى النافع والصواب في أمره ، لاريب انه يصعد إلى ذرى درجات المدنية لغلبة السجايا القدسية فيه على الطبايع البهيمية . إن كل ذى عقل سليم وفكر مستقيم يدرك مما سبق حتماً أن ما نشاهده في عصرنا من الترقيات العظيمة وما نراه يوماً فيوماً من الاكتشافات الجديدة ، وما تحار فيه العقول من الاختراعات العجيبة ، ومامتاز به الانسان على غيره من ادراك آثار الصانع المختار البديعة هو بقانون وراء القانون الطبيعي وبسائق غيره وهو الذى يقول له الحكماء « القانون المدنى » ويسميه أهل الشرع (الدين)

وقد اختار الحق تعالى أناسا (متصفين بوفرة العقل وجوده الفسك يفوقون معاصريهم بسلامة الفكر والتصوّر والعواطف الوجدانية واتباع الحق والتزام الحقيقة) ليؤسسوا هذا القانون المبدى وينشروه بين البشر لحفظ سلامته وإقامة سعادته . هؤلاء الرجال هم الذين أرشدوا البشر إلى ما يوجب الزمان والمكان وتقضي المصلحة والحاجة ، هم الذين بلغوا بالبشر تدريجا إلى ما نشاهد من الأحوال المستحسنة والأخلاق الفاضلة ، هم الذين أخرجوه من الوحشة إلى التمدن بقدر ما اختصوا به من الحسن الصادق المتناسب باستعدادهم وما امتازوا به من القدرة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ بقدر ما أوتوه من الوحي الإلهي والنور القدسي

فهؤلاء الرجال هم الذين يقال لكل واحد منهم « مؤسس المدينة » عند الحكماء ، ونبي لدى الشرائع والأديان ، ومن هذا يتضح أن الفن والشرع متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، فالشرعية مجموع فنون كثيرة لا تخالف الفن بل الفن شعبة منها

إن أول نبي أو مؤسس لمدينة أتى ليسوق البشر إلى نهج الهداية قد جعل فاتحة أعماله وبأكورة إرشاداته الأمر بستر الجسم والنهي عما كان عليه الإنسان من كشف البشرة وأكل كل ما يصادفه كسائر الحيوانات ، وقد جدّ في سبيله حتى تمكن أن يسوق عادة التستر بين البشر ولو بأوراق الأشجار ويحصر الغذاء عليها فإن المجتمع البشري كان محروما إذذاك من كل حاجات المدنية ولوازم الإنسانية فالمعامل مفقودة والصناعة والتجارة مجهولة ، فلم تكن الأقمشة والأصواف ولا شيء من المنسوجات ، ثم اتسعت الأفكار بمرور الزمان فوجد في الإنسان قابلية التعلم والتعليم واستعداد لمعرفة الأمور الحسنة ومنافعها ، فيأتي النبي الثاني والعالم في حاجة شديدة إلى ظهوره فيوسع ما وضعه سلفه المحترم من القانون ويعلم البشر ما عجز عن إدراكه بعبارة أوسع من سابقتها فتوسع ساحة الإدراك حتى تصبح أمة النبي الثاني تهزأ من الأمة السالفة كلما تذكرت وحشيتها وضيق إدراكها ، وهذا من أحكام التكميلات الأرضية والترقيات الزمانية فإنها تولد في الأفكار انتباها يعين النبي الثاني على تبليغ كثير من الأحكام وتلقين كثير من الحقائق التي لم يتسنى تبليغها للسابق لعدم الاستعداد ، فإذا زاد توسع الأفكار على مرور الأزمان ينتظر ظهور نبي آخر ، فإذا أتى ذلك النبي سهل عليه تبليغ الأحكام التي لم يبلغها النبي السابق أيضا لضعف إدراك البشر حينئذ ومع هذا لم يكن مفقودا من له قابلية الأخذ واستعداد القبول لما أتى به النبي إلا أن هذا الفريق كان لا يجيب دعوة النبي لعناده وتمرده حبا في البقاء على التوحش والهمجية وهؤلاء هم الذين أطلقت عليهم الكتب المقدسة اسم الكفار ، ثم يفيض العالم نورا بظهور النبي الرابع فيقسم الحيوانات لما يركب وما يؤكل ويأمر بقتل المضر منها وبترك غيرها على حالها ، وعلى هذا المنوال قد جاءت أنبياء كثيرة ساروا بالبشر تدريجا إلى ما نراه من الترقيات العظيمة وقطع المراحل في سبيل المدنية الفاضلة ، ولما جاء موسى عليه السلام اتسع نطاق المدنية بالنسبة للأزمان الغابرة وتكاثرت أفراد الجمعية المتمدنة ووجدت الصناعة والتجارة . وفي زمن عيسى عليه السلام تقدمت الجمعية تقدما يفوق ما قبله بالضرورة ، ويمكن أن يقال إن زمن هذين النبيين العظيمين كان متفوقا على أزمان سابقين ، وهذا التفوق لا يحيط من قبل الأنبياء السابقين ولا من شرفهم لأن الأنبياء صلوات الله عليهم لم يكونوا يبلغون في زمن رسالتهم إلا ما كان ملائما لعقول المرسل إليهم فإذا أهمل أحدهم الأمر بشيء أو النهى عنه ثم جاء نبي آخر وقرّ فيه حكما فليس من الصواب أن يقال إن النبي الأول حرّم ذلك الشيء أو حمله فإن قال قائل لماذا إذن تركه ذلك النبي ولم يشرع فيه حكما وعلام نحمل ذلك ؟ أجبناه بأن عدم تكلم النبي الأول في أمثال ذلك الشيء لا يستغاله إذ ذاك بالأهم منه والأعظم نفعا ﴿ مثاله ﴾ إن عدم تحريم الخمر في زمان نبي وعدم النهي عن نكاح الأخت في زمان آخر لا يدلان على أن الخمر حسنة مباحة ، وأن نكاح الأخت جائز عندهما ، وإنما لم يرد النهي في ذلك لعدم استعداد القوى العقلية لإدراك مضرّات تلك الأشياء فلو حرّم شيء منها قبل وقته لنجم عنه فتن عظيمة ومنازعات طويلة ومقاتلات

شديدة ولذلك لم تحرّم ولم تمنع حينئذ ، فلا يفهم من هذا الكلام اننا نعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متساوون فضيلة وعرفانا ، فان من الحقائق التي لا تنكر أن بعضهم مفضل على بعض حيث كان تجدد الزمان من العوامل في نمو وازدياد القوى المدركة ، فالنبي المتأخر أعظم تكاملا من السابق وهذا قطعي لا سبيل للارتياب فيه ، وقد يقول بعض من استولى عليهم الوهم واستسلموا له « ان الحق والسذاجة التي عند البعض في عصرنا هي أعظم وأشدّ منها في بعض من كان في العصور الأولى » فيقال لهم « إن هذا صحيح ولكنه لا ينقض مدعانا فان الحكم دائما يكون على الأغلب ، فاستيلاء التوحش على مدينة لا يقتضي عدم التمدن في اقليم آخر وارتقاء المدينة وعدم خلق اقليم منها في يومنا هذا هو ارتقاؤها من حيث العموم والافلايس المراد أن المدينة عمت كل مكان ولم يبق للتوحش أثر في كل الجهات ، فانه لا يستبعد وجود من هو أخش توحشا من سبق في الأعصر الخالية

ولما تشرف العالم بظهور سيد البشر (الذي هو الوسيلة العظمى ، والواسطة الكبرى ، لارتقاء الانسان الى أعلى درجات المدنية) محمد ﷺ أكمل للانسان حاجاته الضرورية على نهج مشروع وما أسرع ما وصل به الى أرفع مراتب السعادة ، إذ كل من ينعم نظره ويحكم وجدانه فيما كان عليه الانسان قبل بعثته ﷺ من الضلالة والغواية والسفاهة والجهالة ، ثم يتأمل في حال الانسان وترقياته منذ البعثة لاشك انه يرى ما بين الحاليين من البون العظيم والفرق الذي لا يتأتى معه القياس والتقريب

نعم نعم ! إن محمدا ﷺ قد عرف الناس بخالقهم وزجرهم عن عبادة الأوثان والشمس والنجوم والنار وما أشبه ذلك وهداهم الى سبيل النجاة والفلاح ، وكانت دعوته باللين نارة والعنف والشدة أخرى حسب ما يقتضيه الحال حيث كان بعض الناس المعاندين يستعمل أنواع التهديد مرّة ويحاربه أخرى ليثني عزمه ويرجعه عن دعوته ، ولذلك كان النبي ﷺ يعامل بعضهم بالترغيب وبعضهم بالارهاب والتخويف كما توجب المصلحة ويقتضيه الحال . فما لبثت أنوار المدنية الاسلامية أن سطعت في جميع أنحاء العالم وأزاحت ظلمات التوحش عن كل ما وصل اليه ، ولعمري ان انتشار تلك الأنوار بسرعة برقية وتكاثر أتباعها في أزمان قصيرة لما أدهش أولى الألباب ، واذا بحثنا عن سر ذلك التقدم السريع والنجاح العاجل لانرى له سببا إلا كون أوامر الاسلام ونواهيها موافقة للعقل ومطابقة للحكمة ، فها هو القرآن المبين الذي كل كلمة منه عين الحكمة ، من ينعم نظره في اعجازه وأسلوبه وبدائعه وأحكامه يرى نفسه مضطرا للحكم بأنه قد أنزل في يومنا هذا رغبنا عن نزوله قبل ثلاثة عشر عصرا فانه بليغ معجز مع سهواته ومفيد لجميع ما يرمى اليه من المقاصد مع ايجازه ، وموافق لأسلوب كل زمان ، ومهما ارتقت الكتابة وارتفع شأنها لا يزال في أعلى مراتبها ، يعلم ذلك كل من له دراية بالمزايا القرآنية ، وانه كما أعجز البلغاء وتركهم يقيمون في مهامه الخيرة فكذلك قد جمع أسباب سعادة الدارين ، سعادة الدنيا والآخرة ، ولو بحثنا في الأحكام التي جاء بها وأدركنا مافيه من المنافع والحكم لوجدناه جامعا لكل ما يحتاج اليه البشر في بقاء حياته وتهذيب أخلاقه وبلوغه الكمال ، فهو يأمر بالأخلاق الحسنة والخصال العالية وبكل ما يكفل للبشر سعادته في الدنيا والآخرة ، والبيان أذكر نبذة من أوامره

يأمر بالعدل والتواضع وحسن المعاشرة والتعاون وحسن الخلق وترك المرء ما لا يعنيه وقدر النعمة حق قدرها والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واصلاح ذات البين والاحسان بالوالدين والترغيب في طلب العلم والسعي وراء المعيشة وعيادة المريض وقبول النصيحة والاعتراف بالجهل واحترام أهل العلم واتباع الحق والتأني في الامور وملاطفة الأيتام ومجاملتهم واعانة المحتاجين وحب الخير والشجاعة والعفو والاحسان والاعتناء بالطهارة والنظافة واطاعة أولى الأمر وعدم المبالاة بالحياة الشخصية لأجل الحياة العمومية والحلم والصبر وعدم الغش وعدم الغدر والسخاء ومعرفة الحقوق والثبات عند مشكلات الامور والقناعة وحفظ الأمانة والتعلم والتعليم

والاستقامة والعفة والصدق والمروءة وصفاء النية وعملوا الهمة والاعتراف بالتقصير والاذعان للحق والانصاف والرافة وصيانة العرض والشرف والدلالة على الخير وفصل الدعوى ومجانبة الهزل والسعى تهذيب النفس وصلة الرحم وحفظ المحبة والوفاء بالوعد وإيفاء الدين والشورى والتزام الحقيقة وتوقير الكبير والرافة بالصغير وغير ذلك من الامور المستحسنة التي كل واحد منها ركن عظيم من أركان سعادة البشر

وأما ما نهى عنه فهي الأفعال القبيحة والأخلاق السيئة التي قد ثبت بالتجارب العديدة انها مضرّة بالانسان ومفسدة لمعاشه ومعاده ، ومن تلك المنهيات الزنا واللواطه وشرب الخمر وأكل الربا والظلم والغدر والكبر والحسد والبغض والحقد والحرص والكذب والغيبة والنميمة والرشوة وسوء النية وقتل النفس والعناد وعقوق الوالدين واكثر الكلام فيما لا فائدة فيه والميل للقبائح والرياء والجبين واعانة الظالم والحيلة والغرور والغضب وكنم شهادة الحق وشهادة الزور والتجسس وسوء الظن والميسر (لعب القمار) والتفاخر وتطفيف الكيل والميزان واحتكار الطعام وعدم إعانة المحتاجين وقطع المودة والتعادي والقذف في عرض الناس ونقض العهد وخلف الوعد

وفي القرآن أحكام أخرى جليلة لا يمكن انكار فوائدها ، منها ما يتعلق بسياسة الملك والدولة و عمران البلاد ورقيها ، ومنها ما يحفظ أمن الرعايا واستراحتهم ، ومنها ما يتعلق بتقسيم الموارث وإيتاء كل ذي حق حقه ، وفيه أحكام غير هذه لم تكن في غيره من الكتب السماوية ، وأن كل ذي عقل واذعان يعلم أن أحكام الشريعة المحمدية واسعة بقدر سعة العقل وامتداد الفكر متكفلة بصيانة كل حقوق متبعيها أحياء وأمواتا .

وكم في القرآن من أحكام غامضة ومعان دقيقة ولما يكشف الفن نقابها رغبنا عما بلغه من الرقي ، ولم تستلفت تلك الأحكام أنظارنا فضلا عن إدراكنا ، وسبب ذلك أن عقول البشر لم تزل غير كافية لفهما حتى اذا ارتقت الأفكار وبلغت كمالها واتسعت العلوم والفنون ووصلت غايتها لاريب انها تنجلي أيضا ﴿ مثال ذلك ﴾ حركة الكرة الأرضية لم يتسن لنا ادراكها وثبوتها إلا لزمان قريب من زماننا . والقرآن المبين قد رفع حجاب هذه المسألة قبل ألف وثلاثمائة سنة ولكننا معشر الانسان لم نكن لنذكر تلك الحقيقة حتى كشفت بعد ماضت عليها العصور وتعاقبت القرون

وفي القرآن من أحكام حفظ الصحة ورعاية أسبابه ، ومن أحوال الأمم الماضية وأخبارها ما يخول لنا الحكم عليه بأنه قانون طبي وكتاب تاريخي أيضا . فاذا قرأنا ما فيه من القصص والحكايات نشاهد انه ذكرها بأبداع أسلوب وأعلاء بلاغة وأعجازا وانه يؤثر على نفوس البشر تأثيرا لا يجده في الكتب الأخلاقية والتاريخية والروايات الأدبية سواء كتبت بالعربية أو التركية أو الفرنسية أو غيرها . وانه يصور الحقائق بكلام موجز كأن تلك الحقيقة مشاهدة وملموسة وغير ذلك مما يعلن أن هذا الكلام المجز منزل من لدن حكيم عليم

ثم ان جلّ المباحث القرآنية لم توجد في غيره من الكتب المقدسة وهذا أمر ضروري فان الانسان في تلك الأزمنة السابقة كان محتاجا لما هو أهم من هذه الأحكام بداهة ولم يكن من هم المرشد حينئذ أن يشتغل بتبليغ غير ذلك الأهم حتى انه لو بلغ الأحكام المتأخرة لم يكن ليفهما أحد فتبليغها إذن عبث وان كثيرا من المطالب الرفيعة والفنون العالية ذكرت في القرآن ولما تدركها العقول وستدركها مع ما حوتها من الأسرار على مرور العصور والأزمان . وقد ذكرت آتفا قاعدة تفيد أن قانون التكامل تدريجي ليس آتيا فيعلم بالضرورة أن القانون المذكور مفتقر الى كتاب سماوي كالقرآن الحكيم إذ شريعة النبي الأول أكلت بشريعة الثاني وشريعة الثاني بشريعة الثالث وهكذا حتى جاءت شريعة موسى فأكلت بشريعة عيسى عليهم الصلاة والسلام ثم أكلت الشرائع السابقة كلها بشريعة خاتم الأنبياء محمد ﷺ وقد ظهر أن شريعة موسى عليه السلام أكل وأرجح مما سبقها وشريعة عيسى أكل من شريعة موسى عليهما السلام فلم يبق مجال للشك

في أن الشريعة المحمدية أكمل الشرائع السابقة وانها ناسخة لها . فقد أتى الانجيل بأحكام جمة لم تكن في التوراة حيث كان بعدها ولهذا كان الانجيل أرجح من التوراة . والسبب عينه كان القرآن أرجح من الانجيل فلو عكسنا القضية وزعمنا أن التوراة أرجح من الانجيل والانجيل أرجح من القرآن لجلنا أنفسنا كلفة القول بأن عقل البشر قد أصيب برجعة قهقرية . وبهذا القول الذي لا يتفق مع المنطق نرتكب خطيئة لا تغفر ونظلم النوع البشري رغما عما يدهش أبصارنا وعقولنا من الترقيات الجديدة والاختراعات الحديثة . وهذه الأسباب كلها كان المتأخر ناسخا للمتقدم . وبموجب هذه القاعدة كانت الشريعة المحمدية ناسخة لكل ما تقدمها من الشرائع ولن تنسخ بشريعة أخرى فهي باقية الى الأبد . فان نسخ الشريعة بأخرى لم يكن إلا لأن أحكام الشريعة الأولى غير كافية لسد عوز البشر واحتياجاته التي يولدها الزمان وتزداد يوما فيوما . ومهما تكثرت حاجات الانسان وازدادت لوازمه فلا يحتاج الى شريعة أوسع من الشريعة المحمدية فقد ذكرت لك قسما من الأحكام القرآنية . ولو أنعمت فيها نظرك قليلا لرأيت أن حاجات الانسان ولوازمه المدنية مهما كثرت لا تخرج عن دائرة الأحكام القرآنية . فالقرآن كافل لكل احتياجات البشر في كل عصر . وأن العقل البشري مهما ارتقى وتسكمل لا يمكنه أن يخرج عن حدود الأحكام التي اشتمل عليها القرآن فأصبح من الضروريات اللازمة التي لا يحصى للعقل عنها أن يتبع البشر الشريعة المحمدية الغراء في كل زمان ومكان

وظهر مما قررناه آنفا ظهورا لا غبار عليه أن القرآن المبين قانون إلهي ونظام سماوي ومحكم أزلي ان ينسخ أبدا ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأن اتباعه في كل زمان والعمل به في كل مكان هو السعادة والنجاة والفوز والفلاح ومخالفته هي النالة والمسكنة والخسران العظيم وأن أتى به هو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم - . انتهى بالحرف الواحد من رسالة الجواب الكافي لعبد الله كويلم التي ترجعها الى العربية الاستاذ (زهدي الخماش) أستاذ علوم الدين بالمدرسة السلطانية في (بيروت)

ويحسن بنا أن نلم بما كتبه المترجم الفاضل ترجمة لحياة المؤلف . قال

﴿ نبذة من ترجمة المؤلف ﴾

هو عبد الله وليم كويلم الانكليزي المحامي بالحكمة العليا (بمدينة ليفربول) يبلغ من العمر نحواً من الخمس والخمسين (حينئذ) نحيف الجسم ربعة وله ولدان اسم أحدهما بالال والآخر أحمد نشأ الرجل بين المتمدنين بذهب (الوسيليان) وكان من رؤسائه وواعظا لشيئته ، كان يعتنى بالعلوم الرياضية ، وله الباع الطويل فيها ، وفي سنة ١٨٨٣ ميلادية الموافقة لسنة ١٣٠٠ هجرية أصيب بمرض عضال جعله طريق الفراش نحو سنة ، فأوصاه الأطباء بالسفر الى (اسبانيا الجنوبية) لتبديل الهواء فتوجه الى (جبل طارق) ثم الى (طنجة) وأقام حيناً من الزمان يشاهد محاسن الدين الاسلامي وصفاء المسلمين واخلاصهم ويتعلم العقائد الاسلامية فكان يزداد بالاسلامية حبا وشغفا كلما ازداد علما ، ولما رجع الى بلاده أخذ نسخة من القرآن مترجمة للانكليزية فكان يقرأها بتدبر وامعان ويقرأ كل ما يصل اليه من الكتب الاسلامية ، فعلم علم اليقين أن الاسلاميه هي الشريعة الحقة التي لاشك فيها ولا ريب ، ولم يهمل في اعتناقها بل أخذ يبحث في الشرائع الأخرى وذلك مما زاده إيمانا و يقينا ، فصمم على اعتناق الاسلاميه إلا انه كان يحول بينه وبين ذلك كثرة العيال وما أهمه من الأشغال ، ولما تمكنت تلك العقيدة من نفسه وخالطت حلوة الايمان مجامع قلبه فاتح أحد أصدقائه بما عزم عليه ، فأجابه ذلك الصديق : « إن كنت تأنف أن

تعتقد بالثاوث وأزمنت على تركه فادخل في مذهب الموحدين من النصارى . فقال له . كلا ! انه يتعذر على الوقوف بمنتصف طريق التوحيد ولا بد لي من ترك النصرانية بئانا ، فاعتنق الاسلامية وأقر بالشهادتين ، وأفشا اسلامه بين أقربائه وذويه فسخروا منه وزعموا انه مجنون ، ثم جعل ينظم أحوال معيشتة على القواعد الاسلامية ، ولم يأل جهدا في دعوة بني جلدته الى طريق الهداية والسعادة الى الفوز الأبدى والفلاح السرمدي فهدى الله بدعوته من ألهمة الاجابة . ولم يزل يشتغل بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولما اجتمعت كلمته مع من تبعه اتخذوا لهم مسجدا لاقامة الصلوات الخمس والجمعة والعيدين وهو الآن شيخهم ومرشدهم . ولما اتصل نبؤه بالخليفة الأعظم دعاه اليه وأتاه من التفاته ماقرت به عينه وثلج صدره وقد اجتمع بمشاهير العلماء والأفاضل بدار السعادة . فكل هناك بمأناه من السعادة والمجد باهتمامه لهذا الدين المبين . ثم رجع الى بلده (ليفربول) ولم يزل عاكفا على الواجبات الدينية والشعائر الاسلامية . وقد ترجم محمود أسعد أفندي زيد فضله كتاب ﴿ دين الاسلام ﴾ للمولى اليه . فقال بعد ما ذكرنا من ترجمة حاله « وقد شاد المسلمون هناك مدرستين اسلاميتين إحداهما للذكور والأخرى للإناث يقبل فيهما كل من يأتي من أطفال المسلمين من الخارج بأجرته ولهم مجتمع منتظم فيه رئيس وأعضاء ولهم أئمة وخطباء ومؤذنون ويجمعون في كل سنة اجتماعا عموميا ينتخبون فيه من يستخدمونه في مصالحهم . وفقهم الله أجعين لما فيه الخير والصالح انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير .

من آثار كونه عليه السلام رحمة للعالمين (١) أن دين الاسلام لا يبيع أن يفضل أحد أهدا إلا بالتقوى . أما الأنساب فلا (٢) وأن أهل الديانات شربوا من منهل الاسلام فارتقوا ، وسترى مثل ذلك في ﴿ سيرة موسى بن ميمون ﴾ و ﴿ اعترافات جاسوس ﴾ أو ﴿ ثلاثون عاما في الاسلام ﴾ الانسانية الآن جاهلة متعصبة لكل شئ حتى للون . ألم ترالى ماجاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه

﴿ معاملة الزوج في لندن ﴾

عاد المستر (ابوت) صاحب الجريدة اليومية في (شيكاغو) وهو زنجي واسع الثروة الى الشكوى من معاملة الانكايير لغير البيض فأبرق الى المستر (مرلى) العضو البرلماني يشتكى انه منع هو وزوجه من حضور حفلة على ظهر إحدى البواخر البريطانية في دعوتهم الى أمريكا . وقال المستر (مرلى) إن عددا معلوما من غير البيض كلفوا أخيرا أن يخرجوا من حفلة راقصة في لندن فرفعوا شكواهم الى (اللورد باسفيلد) وقد صمم المستر (مرلى) أن يثير هذه المسألة في مجلس العموم . وقال انه ورد عليه كتاب من (المستر مكدونلد) عن مسألة تحرير الفنادق على المستر (ابوت) الصحفي الزنجي قال فيه مانصه « إن هذا من الامور المزعجة جدا ولا تتفق مع العادات المرعية في الفنادق البريطانية ، ولكني لأرى أية مصلحة من مصالح الحكومة مسئولة عن هذا الأمر ولست قادرا أن أجد أية طريقة تخوّل الحكومة حق التدخل » اهـ

فأين النوع الانساني الجاهل من قوله تعالى - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وقد أذن بلال في الكعبة بمحضر قریش عند فتوح مكة بل أين هذا النوع الانساني الكافر بالنعمة من النجعات والكلبات والثيران والجير فانها تعيش معا ولا تبالى باختلاف الألوان ، فانتا ترى الهررة والكلبة والنجعة والحجارة والبقرة ذوات اللون الأبيض تصاحب القط والكلب والحمار والخروف والثور ذا اللون الأسود أو الأجر فلاملازمة بين الألوان والأخلاق ، إذن هذا

الانسان جهول كفار ، نسي الفطرة فذكره الله بالاسلام وأصبح المسلم في مصر لا يفرق بين لوث ولون في صلاته ومحالسه ، إذن النبي ﷺ رحمة للعالمين والانسان جهول كفار ، وأما كون أهل الديانات شربوا من منهل الاسلام وارتقوا فهالك منه مثلاً وهو ما جاء في جريدة المقطم تحت العنوان التالي وهما هوذا

﴿ موسى بن ميمون ﴾

(رسالة الخاخام الاكبر)

اننى مغتبط بان أوفق الآن الى تحقيق الرغبة التى أبدتها أحد الافاضل فى المقطم فى الاطلاع على نبذة من حياة موسى بن ميمون وسيرته وها أنا أبر بوعدى السابق موجزاً مقالى على قدر الاستطاعة ذلك لان الشروع فى بحث أصله ونسبه يؤدى حتماً الى بحث حياته الشخصية وعلاقه ومكنونات صدره وحده ذهنه وعلمه وآدابه ثم تأليفه وتأثير كل ذلك فى الهيئة الاجتماعية وهذه كلها من الامور التى يتعذر شرحها فى مقال واحد مهما روعى الإيجاز والاختصار ، فقد كتب عنه أكثر من مائة وخمسين عالماً من اسرئيليين وغير اسرئيليين ولو جمعت كل الكتب التى أتى ذكره فيها لتألفت منها مكتبة كبيرة . ولذلك أترك جانباً كل ما يختص بالوجهة الاسرائيلية من تعاليمه ومؤلفاته ، وهذا ليس بالشئ القليل بالنسبة لما فى علومه الدينية والفقهية من الأهمية وأقتصر على الكلام عن المكانة العليا التى بلغ ذروتها فى تاريخ الفلسفة ولا سيما تأثير الآداب الاسلامية فيه باتصاله بعلماء الاسلام المعاصرين له مكتفياً بذكر الدور العظيم الذى مثله هذا العالم الجليل فى القاهرة مدة (٣٧) سنة بصفته حجة دينية ورئيساً روحياً للاسرائيليين وطبيعياً فى البلاط الايوبى والمجتمع البشرى

(أصله ونسبه)

ولد أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله يوم (٣٠) مارس (١١٣٥) م . فى مدينة قرطبة عاصمة الامويين باسبانيا وتوفاه الله يوم (٢٠) ديسمبر ١٢٠٤ فى مدينة القاهرة . وبعد أيام من وفاته نقل جثمانه الى مدينة طبريا بفلسطين حيث دفن . وقد حفظت التقاليد الاسرائيلية أسماء أجداده حتى السابع منهم وأسماء ذريته حتى النسل السابع فيهم . وبين محفوظات الاسرائيليين الأثرية فى القاهرة مخطوط على جانب عظيم من الأهمية كتب بالعبرية والعربية وفيه ذكر لأحد أفراد ذريته من الجيل السابع يدعى داود ميمونى كان كجده صاحب الترجمة رئيساً روحياً للطائفة الاسرائيلية فى القاهرة سنة (١٤٠٤) م ويغلب على الظن انه هو الذى قصد فى أواخر حياته الى دمشق الشام ليستوطنها مع عائلته

وبعد ذلك تشتت تلك الذرية فى انحاء مختلفة . فقد ورد فى التاريخ ذكر اسمين أحدهما عالم يدعى ميمون الفاسى نسبة الى فاس وذلك فى سنة (١٤٣٨) والآخر فى سنة (١٥٦٨) كان عائشاً فى بلدة مورانو بإيطاليا ويكنى بالبازوفى أيامنا هذه ترى عائلات اسرائيلية كثيرة من أصل أسباني تحمل هذا الاسم الا أن كلمة الميمونى لم تكن فى الأصل اسماً لعائلة بل لشخص . فوالد صاحب الترجمة كان يدعى ميمون بن عباديا أى عبد الله وكثيرون من اسرائيلى المغرب والجزائر يدعون بهذا الاسم كميمون الدهان وميمون البريل . والثابت عن اسلاف الميمونى انهم كانوا قد رحلوا من مراكش الى قرطبة مع غيرهم من الاسرائيليين ، وكان ذلك فى عصر الخليفة عبد الرحمن الثالث

(صباه ودروسه الابتدائية وأسفاره)

تولى والده تربيته وتثقيفه وكان منذ حداثة يث فى نفسه محبة العلم . ثم سلم زمامه الى أشهر الاساتذة فى قرطبة . فساكن يدرس أصول الدين الاسرائيلى على أساتذة اسرائيليين والعلوم على أساتذة مسلمين . وكانت العربية والعبرية لسانه القومى . وعدا تضلعه من العلوم العبرية يدرس العلوم اليونانية والعربية والرياضيات

والطبيعيات والطب والفلسفة . على أنه لأسباب سياسية اضطر والده للهجرة مع أسرته ففادروا قرطبة أيام كان صاحب الترجمة في الثالثة عشرة من سنيه . وبعد أن تجولوا مدة اثني عشر عاما في مدن الأندلس عقدوا النية على التوطن في مدينة فاس سنة (١١٦٠) فقصدوا إليها واذ لم يجدوا فيها راحتهم شدوا رحالهم إلى فلسطين ومنها إلى الاسكندرية حيث أقاموا شهورا ثم جاءوا إلى القاهرة واستقروا فيها . وكان صاحبنا قد بلغ الثلاثين من سنيه . على أن كل هذه الاسفار وما كان يتخللها من مشاق وأخطار فضلا عن العذاب المادي والادبي الذي كانوا عرضة له في كل آن . كل ذلك لم يوقف صاحب الترجمة عن متابعة سيره نحو الغاية العلمية التي كان يسعى لها . خيانه من هذه الوجهة يجدر تشبيهها بحياة ابن سينا كما انها من حيث الجهود والتأليف والشهرة أشبه شيء بحياة الغزالي . وبالفعل أنه لم يبلغ العشرين من سنيه الا وكان قد ألف كتابا في التقويم الفلكي وكتابا آخر دعاه : مقالة في صناعة المنطق

أما مؤلفاته العلمية فيمكن حصرها في ستة أقسام وهي :

- (١) علم التفسير
- (٢) علم الفقه
- (٣) علم الكلام
- (٤) الفلسفة وعلم ما فوق الطبيعة
- (٥) علم النصوف أو الاخلاق
- (٦) الفتاوى والرسائل

﴿علم التفسير وعلم الفقه﴾

لانتعرض لبحث مذهبه في علم التفسير العبري لان ذلك من الموضوعات التي تهتم رجال التفسير الاسرائيليين دون سواهم . الا أنه لامندوحة من القول أنه التزم في كل تأليفه خطة الوضوح والدقة في التعبير وهي الخطة التي ينبغي أن تتوافر شروطها في علم العقليات . أما فيما يختص بعلم الفقه فبوسعنا أن نقول أنه كان أول مهندس شرعي فكر في ترتيب وتبويب جميع أقسام التشريع الاسرائيلي وقد كانت حينذاك مهمة ومختلطة بموضوعات أخرى لاعلاقة لها بالتشريع وواردة في التلمود وهو سفر مؤلف من ستين جزءا عدا التفسيرات الكثيرة . فقد كان كالمهندس يبدأ بوضع رسم البناء ثم يقسمه إلى طبقات ومساكن وغرف بحيث ييسر للزائر الدخول والخروج من غير صعوبة . وكانت هذه خطته في تأليف كتابه الشهير المعروف باسم «السد القوية» وهو مؤلف من ١٤ جزءا ويقسم إلى فصول وبنود وأبواب ولغزارة مادته وتضامه في جميع العلوم واكتسابه شهرة عظيمة لقب بالذوق الغربي والنسر الاكبر كالمقلب الغزالي بحجة الاسلام . والان نشرح للقارئ المسلم الكريم مكانة هذا العالم الكبير فيما يختص بعلومه الدينية والفلسفية والاخلاقية

﴿علومه الدينية وفلسفته﴾

ان هذه العلوم مع شدة اتصالها بعلم التفسير مرتبطة به كل الارتباط لانهما ترجع في أحكامها وأدائها إلى النصوص المقدسة . فانك تجد في كتاب «أنوار التنزيل في اسرار التأويل» للبيضاوي المبادئ الدينية كما تجد مبادئ الزمخشري في كتاب الكشف فيما يختص بالعلوم الدينية والفلسفية والعقلية . وتعلم أيضا من أبحاثه في كتابه «دلائل الحارثين» أنه وقف على اسرار فلسفة أفلاطون وأرسطوطاليس وعلى علوم الصوفية وأخوان الصفا وأصحاب العدل والتوحيد وأنه لم يخف عليه شيء من مبادئ هذه الفرق . واذ تراه يذكر الزمخشري فلا بد من الاعتراف بأنه كان مطالعا كل الاطلاع على كتاب الملل والنحل . كذلك في كتبه التي بحث فيها عن المعتزلة ومؤسسها واصل بن عطاء . ومن الأمور التي تستوقف الأنظار وجود شبه كلي بين مؤلفاته ومؤلفات الغزالي

من حيث الاسماء والموضوعات ففي كتابه « مقالة في التوحيد » تجد شبهها بينه وبين كتاب « العقيدة » وكتابه « دلالة الحائرين » كثير الشبه بكتاب « المنقذ من الضلال » وكذا مقالاته في الاخلاق . انتهى الكلام

على موسى بن ميمون

أماما جاء في « مجلة المرشد » فهذا نصه

(اعترافات جاسوس)

أو

(ثلاثون عاما في الاسلام)

ندبت الحكومة الفرنسية في القرن الماضي المسيو (ليون روش) ليكون جاسوسا على الأمير عبد القادر الجزائري وأوعزت اليه أن يتظاهر عنده بالاسلام وأن يتوصل الى أن يكون موضع ثقته ومحل أمانته . ففعل ذلك ونجح وأقام في ديار المسلمين ثلاثين عاما تعلم في أثناءها اللغة العربية وفنونها والاسلام وعالمه ، واختبر الأوطان الاسلامية المهمة (الجزائر وتونس ومصر والحجاز والقسطنطينية) ثم ألف كتابا اسمه (ثلاثون عاما في الاسلام) قال فيه مانصه

« اعتنقت دين الاسلام زمنا طويلا لأدخل عند الأمير عبد القادر دسيسة من قبل فرنسا وقد نجحت في الحيلة فوثق بي الأمير وثوقا تاما واتخذني سكرتيرا له ، فوجدت هذا الدين (الذي يعيبه الكثيرون منا) أفضل دين عرفته ، فهو دين انساني طبيعي اقتصادي أدبي ، ولم أذكر شيئا من قوانيننا الوضعية إلا وجدته مشروعا فيه ، بل انني عدت الى الشريعة التي يسميها (جول سيمون) الشريعة الطبيعية فوجدتها كأنها أخذت عن الشريعة الاسلامية أخذنا ، ثم بحثت عن تأثير هذا الدين في نفوس المسلمين فوجدته قد ملأها شجاعة وشهامة ووداعة وجمالا وكرما بل وجدت هذه النفوس على مثال ما يحلم به الفلاسفة من نفوس الخير والرحمة والمعروف في عالم لا يعرف الشر واللغو والكذب ، فالاسلم بسيط لا يظن بأحد سوا ، ثم هو لا يستحل محرما في طلب الرزق ، ولذلك كان أقل مالا من الاسرائيليين ومن بعض المسيحيين ، ولقد وجدت في الاسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طرا ، الأولى في قول القرآن - إنما المؤمنون اخوة - فهذا أجل مبادئ الاشتراكية ، والثانية في فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصبا إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعا وهذا دواء الفوضوية . إن الاسلام دين المحامد والفضائل ، ولوانه وجد رجالا يهتمونه الناس حق التعليم ويفسرونه تمام التفسير لكان المسلمون اليوم أرقى العالمين وأسبقهم في كل الميادين ، ولكن وجد بينهم شيوخ يحرقون كلهم ويمسخون جماله ويدخلون عليه ما ليس منه ، وانى تمكنت من استغواء بعض هؤلاء الشيوخ في القيروان والاسكندرية ومكة فكتبوا الى المسلمين في الجزائر يفتنونهم بوجوب الطاعة للفرنسيين وبأن لا ينزعوا الى الثورة وبأن فرنسا خير دولة أخرجت للناس . وكل ذلك لم يكفني غير الآنية الذهبية » اهـ

﴿ جوهرة في قوله تعالى - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - مع قوله فيما سيأتي - يا أيها

النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا - ﴾

أقول : ومن شأن السراج المنير وهو الشمس أن تغم أشعتها ، ويضم الى ذلك آية - يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك - الخ وانما جعلنا هذه الجوهرة مشتركة في هذين الموضوعين موضوع عموم شريعته وجواز تعدد زوجانه فوق الأربعة لأن ذلك كله جاء في المقال الذي عنوانه بهذه الجوهرة من كتاب العلامة (الكونت هنري دي كاستري) المسمى « الاسلام . خواطر وسوانح » قال تحت عنوان الفصل السادس مانصه

(انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية)

تخطيط هالك الاسلام . انتشاره في أفريقيا الوسطى . تجار المسلمين . مستكشفو الاورباوين
الاسلام في مبدئه و بعد ذلك . أسباب الانتشار . المرسلون المسلمون . الفولبوسيون والخواصه
أسباب انتشار الاسلام الإلهية

قد كشفنا الغطاء عن الهلل التي انتجها سببا في انتشار الاسلام انتشارا عظيما و بينا فسادها و وعدنا
ببيان الاسباب الحقيقية عند البحث عن تقدمه في هذه الازمان لاننا نتقد ان استطلاع حال هذا الدين في العصر
الحاضر لا يبق أثر لما زعموه من أنه انما انتشر بحمد الحسام كما فندناه من قبل ولو كان دين محمد ﷺ
انتشر بالعنف والاجبار للزم أن يقف سيره بانقضاء فتوحات المسلمين مع أننا لانزال نرى القرآن يبسط جناحيه
في جميع أرجاء المسكونة وهذه الحركة المستمرة في هذه الايام تحمل على الاعتقاد بان الاسلام هو الدين الذي
جاء موافقا لطبيعة البشر . وظن آخرون بان الاسلام كان تابعا لتمدن العرب وحضارة الخلفاء التي كانت تأخذ
بالنفوس في دمشق وقرطبة و بغداد وأنه انقضى بانقضاء ذلك قال (بارتلي صانت هيلبر) ما عاد أحد من
الناس يعتقد الاسلام . والواقع أنهم أخطأوا في معرفة حقيقة الامرين انتشار الاسلام و تمدن العرب فأما التمدن
فهو أمر يعتبر لفوا في الاسلام أو هو نقيض له وعلى كل حال فهو عارض فيه وساعدت الظروف على نموه بجانب
القرآن ولو أنه استمر لطفأ نور دين النبي العربي بسقوط الامراء في مهواة عدم التصديق وقلة الايمان وانحياز
الامة الى عالم التخيل والاهام . و بينما كان هذا حال مدن الخلفاء الآهله بال عمران فلا تحصى شعراؤها ولا تعد
الأدباء وفيها الفلاسفة يتناظرون والعلماء في المعارف يتناقشون كانت صحارى العرب وليبيا و افر يقيا محتفظة على
الدين الاسلامي في كماله الأصلي ولم تمسه فيها يد أجنبي عن تعاليمه أو خارج عن شرائعه هنالك كان منبع رسل
ذلك الدين الذين انتشروا في الاصقاع كاتدل عليه قبورهم البيضاء التي نشاهدها الآن في افر يقيا الشمالية

وسنحصر كلامنا في انتشار القرآن على قارة افر يقيا وانما نذكر على سبيل العرض أن له في الصين
عشرين مليونا (١) من النفوس وأن للمسلمين ويقال لهم عندهم (هوى هوى) منزلة عليا في المملكة لوسطى
قال موسيو (وأزيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي ان مصيره القيام مقام مذهب
(ساكياموني) (٢) وان لمسلمي المملكة السماوية اعتقادا جازما بان الاسلام لابد أن يسود حتى نزول به
تلك الديانة القديمة البودية وهي مسئلة من أهم المسائل اذ الصين أهلة بثلاث العالم أو تزيد فلو صاروا كلهم
مسلمين لوجب ذلك تغييرا عظيما في حالة تلك البلاد بأجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الاكبر
الهادي ويخشى على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم أن أمة الصين عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم
تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذوالبأس القوي خشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها
(٣) وقال موسيو (مونطيط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي
تنزع البلاد الصينية (٤) والاسلام قليل في أوروبا ومع ذلك نراه في شمال تركيا الى ليطنونية وهو أيضا

(١) كلا . بل هم ٧٠ مليونا الآن (طنطاوى جوهري)

(٢) هو أحد ملوك الصين تخلى عن الناس في التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع
فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم أو المتنور ووضع المذهب الذي اتخذه الصين والهند دينا وكان ظهوره
في القرن الحادي عشر قبل المسيح وقيل في القرن السابع وهو الأرجح

(٣) راجع كتاب موسيو دابري المسمى الديانة المحمدية في الصين وتركستان الشرقية المطبوع في
باريس سنة ١٨٧٨

(٤) راجع مجلة تاريخ الديانات في شهرى مايو ويونيو سنة ١٨٨٣

في أمريكا حيث أدخله الزنوج وغيرهم إلا أن أفريقيا لا تزال بلده المصطفاة فهو فيها كالديانة المسيحية في أوروبا قال موسيو (بولنيك) يسكن المسلمون جميع الشواطئ من (سياراليون) إلى موزنبيق البرتغالية مارا بمراكش وولايات البربر (المغاربة) وقنال السويس وأما في الوسط فيمتد الإسلام من البحر الأحمر إلى المحيط الأتلانتيقي ومنه إلى البحر الأبيض المتوسط إلى الدرجة السادسة من العرض الشمالي وتقدم أنه في الساحل يمتد إلى موزنبيق البرتغالية أعني أنه يقرب من الدرجة العاشرة من العرض الجنوبي وفي (مدغسكر) كثير من المسلمين حتى أن بعض المستشرقين ذهبوا إلى أن اسم الجزيرة (مدغسكر) أصله مأخوذ عن العرب قال موسيو (مونطيط) وأكثر انتشار الإسلام في أفريقيا فهو يتقدم فيها تقدما سريعا وينجح نجاحا كبيرا لأن أزر المسلمين فيها مشدود بما لهم من المسكنة في الجهة الشمالية وهم آمنون على سلطتهم الدينية في تلك البقاع التي تغيب في الصحراء حتى تبلغ بلاد السودان الواسعة فلا يناع الدين الإسلامي دين غيره لذلك يكثر عددهم وينمو الدين على الدوام

وقد تخطى سيره السودان وأشرأب نحو أرجاء خط الاستواء وكان له مقر يقرب من أملاك فرنسا في بلاد النيجر لذلك عرفه ضباط الطلائع وإن كانت معرفة سطحية ولكننا لم نقف على سيره تماما إلا عندما استولينا على الكونغو وشاهدنا القوافل الإسلامية تهرب أمامنا كمن يريد أن يخفي سرا عن أجنبي والمسلمون اليوم محصورون بين أملاكنا في شمال أفريقيا وصرا كونا في الكونغو وسنغال حتى كانهم في قراصة نشدها أو تنفسح فيها حسب ما تقتضيه سياستنا

ولا انتشار الإسلام في وسط أفريقيا منبعان الأول في الغرب وهو قديم امتد أثره إلى الشاطئ الأتلانتيقي حيث دخل القرآن واعتقده سكان تلك الجهات ولكنه انتهى أمام تقدم الفرنسيين من ناحية سنغال إلى بلاد النيجر ولم يزل ينثني أنا فآنا حتى خرج من (تنسكتو) وهي منبعه الأصلي إلى (سقطو) ومنها إلى (كانو) ثم إلى (كوكا) والظاهر أنه استقر فيها وأما المنبع الثاني ففي الشرق وهو حديث العهد ويصل أثره بين (وداي) ودارفور بمحركين هما المهدى ورئيس الطائفة السنوسية ويفصل بين هذين المنبعين أنهار (شاد) و(أشاري) و(لوغوني) الجنوبية وأهل الشرق أهل حروب متعصبون أمام قوم الغرب فيميلون إلى التجارة والمسالمة وكان الفريقان يتقدمان بالإسلام بين الوثنيين المجاورين لهم على امتداد اثني عشر ألف كيلو متر حتى تلاقوا بالفرنسويين قبيل الكونغو نواحي نهر شاد فلم تقر أعينهم لهذه اللقيا لأنهم كانوا هجروا البلاد التي هاجها الكفار وظنوا أنهم يأمنون لقاءهم في الجنود فلا يجدون غير الوثنيين ممن لم يعرفوا للأوربيين خبرا ويقال إن الأورباوين الذين التقوا معهم أتوا من أقطار بعيدة في الجنوب حيث تمت لهم فيها السيادة ولهم فيها صراكب ومدركات تروح وتغدو في أنهار واسعة تجري من الشرق إلى الغرب

ومن الأمور ذات الأهمية الكبرى بالنظر إلى انتشار الإسلام توسط الأورباوين في أفريقيا وحاولهم في نهر الكونغو لأنهم بذلك قسموا القارة الأفريقية من طرف إلى طرف وربما يخشى على حركة الإسلام الذي كان يمتد رويدا رويدا مطمئنا من الشمال إلى الجنوب كما يخشى على التجارة التي كانت تروح وتغدو مع القوافل الإسلامية فينعكس مجراها فتميل إلى الغرب نحو نهر الكونغو لذلك اشتغل رؤساء المسلمين بهذا الأمر اشتغالا لا مزيد عليه حذرا من انقلاب الحال في تلك البلاد ولقد يفيد التأمل أن يعرف كيف كانت نتائج مقابلة الأورباوين القادمين من جهة الكونغو مع المسلمين النازلين من السودان لولا أن هذا البحث يبعدنا عن مقصدنا فلنقتصر على البحث عن العلة في حياة الدين الإسلامي تلك الحياة القوية وما السبب في انتشاره هذا الانتشار العجيب وهنا يجب البحث فيما إذا كان الإسلام ديناً عموماً بطبيعته أو هو دين خاص بامة من الأمم وهو بحث طرق بابه من قبل (موسيو كينان) والجواب عليه صريح لا شك فيه من الجهة العلمية فالإسلام دين عام بغير شبهة

لأننا نشاهد المسلمين في كل أمة على اختلاف الأجناس والبلدان فمنهم الشرقي والشرقي والهندي والزنجي بقى علينا أن نعرف مع (موسيو كينان) ان كانت هذه الحالة العمومية ناشئة من طبيعة الدين أو متولدة من أسباب أخرى وهو يرى أن الأمة العربية ليست مهتمة بالطبيعي وإنما هو ينتهي اليها وليس في طبيعة هذا الدين انه دين عمومي وهو قيد ناشئ عن نظر في الموضوع من إحدى جهاته فقط لان الدين الاسلامي الذي منشؤه القرآن والسنة هو الذي تولد عنه ذلك الاسلام الذي يعترف المؤلف المشار اليه بانه دين عام لاحالة وانتقاله من حالته الاولى الى الثانية حصل تدريجاً بطريقة يتعذر ضبطها وذلك بتأثير الزمان والأهم المختلفة التي اعتنقته بحيث يتعسر التفريق بين تقدير تأثيره من حيث هو في أصله وتأثيره بعد أن صار كما نراه في هذه الايام فلا يفضي (موسيو كينان) اذا حذف تقسيمه الاسلام الى أولى ولاحق وقت فيه كله كما قال في كتابه انه دين عمومي

على ان الانتقال من حالة أولية الى غيرها ليس عرضاً خاصاً بالدين المحمدي بل تشترك فيه جميع الاديان فما يهزى الى حالة الاسلام الحالية انفسار مذهب الزهد والاعتقاد بالاولياء وبعض الأموات وكثير من التعبدات الأخرى ، وسببه أن المرء طماع في الدين باصل الحلقة ولكل أمل خاص ومن هنا تولدت تلك المذاهب والافكار ارضاء لشهوات تشتهد ظهوراً كلما تقدم العهد عليها ولم ينبج الاسلام من لوازم هذه الضرورة بل خضع اليها وأداها حقها وهذا من أكبر أسباب تقدمه ولكنه أيضاً سبب من أسباب تناقضه لان تلك المذاهب تخالف مبدأه ولقد تجدد النفوس التي رفعت أعنتها الى السماء ومالت الى التجرد عن الحواس ورغبت في مشاهدة الحضرة الربانية طريقاً مساوياً في مذهب التصوف يسهل عليها النسك والتعب وقلمها يلومهم بعض المتشدد من العلماء وان كان الزهد بهذه الصفة أي الاعتقاد بالوصلة بين العبد والله مما يخالف مذهب التوحيد . ومن الناس من يرى نفسه بعيداً عن ربه فلا يستطيع أن يرفع دعاءه اليه وهو في بعض الأحيان غريب (كقوله إلهي ارزقني من الأبناء ذكورا ولا تجعل ماشيتي تلد الاناثا) ولعل تلك الافهام وجد في الاسلام مذهب الواصلين والذين صار بيدهم توزيع كثير من المبرات في اعتقاد العامة واليههم صار يرحل الجع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل فيجتمع اليهم قطاع الطريق والشحاذون والنسوة العاقرات وشبان يريدون الثروة أو الجاه وشيوخ نصب عود قواهم مع اننا لو رجعنا الى القرآن لرأينا التصديق بالاولياء غير شرعي ولوجدنا أن النبي ﷺ حرم الاعتقاد بهم - والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون - والواقع أن الاسلام في مبدأ ظهوره ما كان يقبل غير الاعتقاد بالله الواحد الأحد وقد بقي هذا المذهب كما بدا فهو اليوم جامعة تلك المذاهب واليه ينتهي كل اعتقاد

ومن ضرايا الاسلام أنه دين رحيم فهو يعد الجنة والنعم لكل مؤمن من دون تمييز على التقريب فالجارب يموت شهيداً والعالم يكتفي بتلاوة القرآن والاثنان مقبولان عند الله والفقير مكان على وللغني درجة رفيعة ولقد كان فكر النبي في الألوهية من أرفع الأفكار وأسمها ولكنها تساهل كثيراً في تقدير الانسانية لذلك تسامح الناس كثيراً في رغباتهم وما كانوا اليه يميلون . نعم يجب على الرجل أن يعتقد ويعبد الله ولكن لا يجب عليه أن يحارب نفسه ويعذبها العذاب الاليم ليقهرها اذ لا ينبغي له أن يطلب لنفسه الكمال ولن يصل اليه لان من أراد الكمال فكانه أراد أن يساوى الاله في جلاله وهو أسوأ الأعمال وأخبث الرغبات وكان رسول الله يميل الى بعض ما يميل الناس اليه من المشبهات فكان يقول على أسلوب بسيط (حب الى من دنيا كم ثلاث النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة) ولقد يعسر الجمع بين هذا التفضيل وبين الميل الى النساء حتى يكاد العقل أن يرى في الأمر تهكاً ولكن هذه الجملة لا تحتوى في الحقيقة على معنى خفي بل ما يفهم من لفظها هو الذي قصد منها ومن وعها فقد عرف الاسلام كما ينبغي وقد ورث المسلمون عن نبيهم ميلهم الى ما كان يميل اليه فالصلاة في قلوبهم منزلة سامية وليس التعبد بها عندهم خاصة بالنساء والأطفال كما هو عند المسيحيين بل هي منزلة من

من أيا الرجال واحدى جهات فضلتهم على النساء ولا يواظب عليها الصبي أو المرأة الا نادرا لاعتبارها عند المسلمين من أعظم الأمور التي تلزم فيها صفات الرجل التام (١)

ومع ذلك فمن الشهوات ما نهى النبي عنه وأمر بمجاهدة النفس فيه فقد حرم على المسلمين شرب الخمر وكل شراب يؤثر مثله وقد بالغ المسلمون في العمل بهذا النهي فساكن من وراء ذلك أن نجت الأمم الإسلامية من مرض المسكرات وهي المداخية التي تفجع اليوم أهما كثيرة من المسيحيين وكانت إحدى الأسباب في اضطراب المجتمع الانساني وظهور مذهب القوضويين مما تجهله الأمم الإسلامية

هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بما أودع فيه من إعلاء شأن النفس بتصور الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تدكرها خمس صلوات في كل يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث أتاح للناس شيئا مما يشتهون وأعظم عامل في انتشار الاسلام خصوصا عند الأمم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسذاجة تعاليمه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم طباع الهمج كثيرا الذين لم يعرفوا ديننا من قبل ذلك . ديننا لا اسرار فيه وكلمته أى كلمة الشهادة يعتاض عنها عند الاحتضار بإشارة تدل عليها كرفع السبابة الى السماء إشارة الى وحدانية الله تعالى فكلاما وجد الرجل الجاهل أمامه دينين متحدين في حقيقتين وحدانية الله وخلود الروح وهما الاسلام ودين عيسى تراه يختار الدين الذي لا يزيد شيئا عن تدينك الحقيقتين ويعتق الاسلام بالمحالة وهي قوة يفضل بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند القرن السابع عشر لذلك نقرأ في كتاب القس (ماراشي) الذي سماه (الرد على القرآن) «ولا يغيب عن ذهن القارئ أن تلك الطائفة الشريرة أو المخرفة أو المناشئة من الاسماء لا تزال حافظة لكل ما في الدين المسيحي من الأمور الظاهرة والوضوح القريبة التصديق مضافا اليه ما يوافق نظام السكون وقانون النشأة الدنيوية فقد أبعد عنه أحاجي الانجيل التي تخالها في أول الامر غير صحيحة لا تدركها العقول كما أنه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشد بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك الكتاب وبهذه الوسطة تمكن من رفع العقبتين اللتين يحس كل واحد منا بانهما الحاجز بينه وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في أيامنا هذه يعتاضون عنه بالاسلام دون الديانة المسيحية»

بقي علينا أن نستقصى الأسباب والوسائل المستعملة الآن لانتشار الاسلام وهنا أيضا نجد سببا عظيما من أسباب انتشار القرآن فراجعوا راية الاسلام هم في العادة تجار بلد واحد تضافروا على جلب الرزق من بلاد قاصية فالمبشر الاسلامي (وليلاحظ أن هذا الاسم غير صحيح عند المسلمين اذ ليس لدينهم مبشرون منقطعون لهذا الامر كالسيحيين) لا يوجب عند الامم الجاهلية خوفا منه ولا فرقا لمقدمه كما يحصل لهم ذلك من المبشرين المسيحيين وهم كما قال موسيو (مونتيل) يعتقدون دينه لأنه لم يعرضه عليهم فما أشبه الأمم بالأطفال ترغب عما يقدم اليها وترغب فيما تحسبه ممنوعا عليها أما الطرق المستعملة في انتشاره فكثيرة متنوعة وأحسن موقع نبحث فيه عنها جهات أفريقيا بجانب الأملاك الفرنسية قرب خط الاستواء فليس من جهة يشاهد المرء فيها تقدم الاسلام أحسن منها

والقائمون بهذا العمل هم (الفولبوسيون) وهم الجنس الابيض في السودان وله الاولوية على غيره . وهو أعرق في الاسلام واليهم أشربنا عندما قلنا بأن أحد منبغى الاسلام أقاليم نهرشادو وقد شاهدتهم المكتشفون الفرنسيون في (شاري) و (لوغونه) والفولبوسيون يقصدون نشر الاسلام وتوسيع متاجرهم ثم هم يرمون الى غرض آخر هو اتساع نطاق سلطنتهم فلهم خطط سياسية في الاستعمال مثل أوروبا يعملون لاجلها في أفريقيا قال موسيو (مستران) أن الذي ألفت ذهننا كثيرا لما قدمنا الى جهات شاري هو النظام السياسي الذي تمكنت ملوك الاسلام في أواسط أفريقيا من إيجاده بين الأمم التي دانت لسلطنتهم) والفولبوسيين مساعد كبير من عشر

(١) كلا . فالصلاة واجبة على كل بالغ رجلا وامرأة

يقال لها الخواصة وهم من الجنس الأبيض وأقرب عهد بالاسلام وأقل منهم منزلة فمستبهم اليهم كنسبة اليهودي للعربي ولقد شبهنا باليهودي لانه تشبيهه قال به جميع الرواد والمكتشفين من الاوروبايين فالخواصة أمة لازمة لكنها محتقرة كما هو شأن اليهودي يحب المال ويتمسك به طرق اكتسابه ولا يخاطر بمتجره فيسير خلف (الفولبوس) وهو رجل الحرب والفتوح ولا يستقر به القرار الا اذا آمن وتمسك بالخواصة هم أهل المعارف والعلوم في السودان حتى كانوا احتكروها الا أن علمهم قاصر على شئ يسير كالقراءة والكتابة في اللغة العربية وهو كاف لنفوذهم في الوثنيين لأن هؤلاء يعظمون الكتائب والقاري إلى درجة العبادة تقريرا ومع ذلك فلا يزال الخواص وضع الدرجة في عين متبوعه الفولبوس ، فالفولبوسيون هم أنصار الاسلام في الحقيقة والخواصة منهم بمنزلة الوعاظ والفقهاء ، ويمزى امتداد سطوة الفولبوس دينيا وسياسيا إلى تدخلهم في الخصومات التي تتكرر بين القبائل الوثنية المجاورة اليهم فالتخاصم الأهالي إلا وتدخل الفولبوسيون ، أما الجهات التي اجتمعت فيها قلوب الوثنيين وخفت وطأة الشقاق لديهم فلا يدخلون بينهم دينهم وسياسيتهم إلا بالعناء ويتوصلون إلى غرضهم في الغالب عند ما تركب جريمة قتل أو سلب حيث يوجد قوم من المسلمين لأنهم يرسلون اليهم الكتائب لتقتص منهم وبذلك ينتشر دينهم وتعاوكتهم ، ومهما تنوعت أسباب تدخلهم فإن طريقة سياستهم تدل على حنق واقتدار فيها ومرجعها إلى مبدأ الحماية الذي توصلوا إلى وضعه بين الأمم الهمج كما رواه موسيو (مستر) فمن احتسب بهم فقد أمن ومن خرج عن طاعتهم أصبح مهددا ، ومتى احتسبت بهم قبيلة ذهب رؤساؤها إلى ملوك الاسلام في السودان فيولونهم المناصب ويلبسونهم الخلع ويردونهم إلى أوطانهم يحكمون فيها باسم سلاطين المسلمين وتحت رعايتهم ، فإن كانت القبيلة أو القرية عظيمة أرسل السلطان إليها رسولا من قبله ليلاحظ حكومتها بالنيابة عنه والسفراء كلهم من الخواصة يكونون بجانب الحكام مستشارين ذوي كلفة ونفوذ ومعارفهم وماتعلموه من الأحكام بالقرآن تؤهلهم إلى القضاء لمنفعة الملاجئين اليهم وهم كالعالم يجتمع حوله التجار الوافدون من السودان ، وقد يتفق أن بعض القبائل الوثنية لا تخضع من أول ظهور الفولبوسيين بينهم هنالك تسطو عليهم قبائلهم فتسلب منهم وتأخذ بأبناء الرؤساء فتبعث بهم إلى السودان حيث يتربون على مبادئهم ومبادئ الخواصة ، وبعد زمن يرجعونهم إلى بلادهم فيقومون فيها كنبواب عنهم مثل الحكام الذين ترسلهم الممالك الاوروبوية في مستعمراتها ، وفي تلك الأثناء ينتشر الاسلام بمجرد الاختلاط والمعايشة وحب التقليد بدون أدنى اكراه ولا نهيين رسل أو مبشرين إذ بمجرد أن يشتري الوثني خرقة القطن من أحد الخواصة ويستتر بها عورته يأخذ في تقليد البائع في الصلاة كالقردة ويتعسريان اللحظة التي يصير فيها مسلما حقيقيا لأن اسلامه يأتيه تدريجا ، ومتى كثر عدد المسلمين في بلد أقام فيها الفولبوسيون مدارس يتولى الخواصة التعليم فيها ولكنهم لا يتدخلون في نشر الاسلام مباشرة بين البقية بل يتركون ذلك لخواصة أولي الأهالي أنفسهم

ونذكر من الوسائل الناجحة في يد الفولبوسيين لانتشار الاسلام الزواج فإن سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولاتمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الأسباب على انتشار الدين الاسلامي ، وقد أشار موسيو (رونان) إلى ذلك في بعض كتبه حيث يقول « من الصعب أن يصم المرء أذنه اذا تقدمت إليه النساء والأطفال ومد كل يديه إليه وطلب منه أن اعتقد بمن نعتقد »

على أن الزواج هو السبب في وجود أنصار الاسلام الأولين ، وكثيرا ما تزوج النبي ﷺ لخدمة دينه لا لشهوة في نفسه ، فقد صرح بأن الله أباح له الجمع بين عشرة نساء خلافا لما فرضه لجميع المسلمين وهو اختصاص تدرك غايته لمن تأمل في الامور لأنه كان معصوما عن النساء حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره وتزوج بالسيدة خديجة بعد وفاة زوجها الأول وقضى خمسة وعشرين سنة بعد ذلك مع هذه الزوجة وكانت

تلمذه ولم يمل الى ما أباحتها العرب قبل الاسلام وأباحه القرآن بعد ذلك من تعدد الزوجات ولم يتسرم ثم توفيت خديجة سنة ٦١٩ م وعاش بعدها اثنتي عشرة سنة تزوج في خلالها بعشر نساء ليس بينهم إلا اثنتان كانتا بكرًا والباقيات مطلقات أو مزملات . قال (رولان) ان كثرة زواج النبي كانت ليزيد في نشر أوهامه وهو قول يقصد به قائله القديح والسكنه حجة على أن النبي ﷺ لم يكن في تعدد الزوجات شهويًا

هذه هي أهم الأسباب في انتشار الاسلام ولست أدري أ كانت تكفي لادراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية ، غير أن الاسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الأرض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق ، وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة ، ونحن نعلم أن يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيرا وكرره ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من أولادك ، وأعاد يهوذا هذه البشرية مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجى في الصحراء حيث رمى ليموت عطشا ، وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجل الروايات ووصف بادية الظمأ وهلف الأم على ولدها من الظمأ ما يقال (نضب الماء في الرق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلا ثم جلست أمامه على مسافة صرعى النبل وقالت لست أصبر أن أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء وقد كان بكاء الطفل قد سبقها الى السماء فناجها الملك من قبل الله : مالك يا هاجر لا تخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعته فيه فقومي وساعديه على القيام وليشتد ساعدك على حمله فسيكون من ذريته أمة كبرى)

ولقد ارتعشت يدي عند مامدتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطرتمها ولولا ما قاله الأب بروغلي من أن تقدم الاسلام أمر مندرج تحت ما بشر به أبو المؤمنين لما تجرأت أن أطبق تلك الآيات على الاسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سرا من الأسرار البانية . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

(في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا - الى قوله

تعالى - وأعد لهم أجرا كريما -

(في هذه اللطيفة أربعة فصول)

(١) في الذكر الكثير

(٢) والتسبيح

(٣) وصلاة الله وملائكته على المؤمنين

(٤) وفي التحية والسلام

﴿ الفصل الأول في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا - ﴾

إني لأعجب كيف أقرأ نفس هذا المعنى في كتاب ﴿راجايوقا﴾ ومعناه الحكمة التامة المترجم سنة ١٨٩٦ في أمريكا وقد ألقاه المترجم عدة محاضرات في تلك الأقطار بعد أن ترجمه من اللغة الهندية القديمة وقد أشرت الى هذا الكتاب فيما مضى من التفسير صارا ونقلت عنه ما يناسب الآيات ، إن في الكتاب مسألة الذكر الكثير وقد أوضحها الهنود فيه ايضا عجيبا ، يقولون منذ آلاف من السنين قبل النبوة المحمدية ماملخصه « إن الانسان لا يعيش إلا بالتنفس ، والدورة التنفسية لها الحكم على الدورة الدموية ، وعلى مقدار الآثار في الدورة التنفسية تكون الآثار في الدورة الدموية والدورة الدموية تؤثر في الأعصاب والأعصاب توصل الآثار الى العقل ، ولو أن امرأ حكم أمر تنفسه فأخذ يدخل الهواء ويخرجه بالتدريج شيئا فشيئا ثم يحفظه في الرئة

قليلا قليلا بقدر امكانه ، ثم يخرج به بالتدريج عدة صرات ويكرر ذلك في اليوم والليلة عدة دفعات بشروط خاصة فان ذلك يعطيه قوة في العزيمة والارادة ، ومعنى ذلك أن زمام العقل والتفكير والارادة في يد أعصابنا وأعصابنا في يد الدم والدم في يد النفس ، فاذا أحكمنا النفس وذلناه لنا ذل ما بعده وخضع لنا ، وهنالك تكون الارادة والعزيمة طوع تفكيرنا .

ولست أقول لك إن هذا القول يمكن العمل به بمجرد هذا البيان ، ولكنني أقول يمكنك أن تتنفس كل يوم عدة صرات في الخلاء بحيث تدخل النفس بالتدريج وتحبس وقتا ما على قدر طاقتك ثم تخرجه وتقل الفم بقدر طاقتك ثم تتنفس مرة أخرى ، فهذا نافع جدا في الصحة والقوة الجسمية ، وهذا يمنع الزكام وكثيرا من الأمراض ، وليس هذا مقام الافاضة في هذا التنفس فان علم التنفس نقله الفرنجة عن علماء الهند وقد قصدوا به التداوى ونجحوا واستغنوا به عن كثير من الأدوية ، وانما هذا المقام مقام ذكر الله كثيرا وذكر الله كثيرا انما يكون بالكلام والكلام بالتنفس والتنفس يصل حكمه الى الأعصاب والواصلات الى النخاع الشوكي الآتي بيانه في ﴿سورة فاطر﴾ عند قوله تعالى - والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه - الخ والأعصاب هناك ﴿قسمان﴾ أعصاب حس وأعصاب حركة خارجات كلها من الحبل الشوكي المتصل بالمخ ، والحبل الشوكي والمخ هما المراكز الأصلية للاحساس والحركة ، وقد وزعت أعصاب الحس وأعصاب الحركة على جانبي الفقرات توزيعا عادلا وهي (٣١) زوجا والزوج عصبان عصب للحس وعصب للحركة ، وهذه الأعصاب تتجه الى أطراف الجسم كاليد والرجلين وظواهر الجلد ، ومتى أحست تلك الأعصاب بطارئ ما وصلت خبره الى النخاع الشوكي والنخاع الشوكي يطير خبره الى المخ والمخ حالا يأمر الأمر فيه أعصاب الحركة بالعمل لما يناسب ذلك الطارئ جلبا أو دفعا ، أما المخ ففيه (١٢) زوجا من الأعصاب كلها موصلات للمحوسات التي في الرأس كالعينين والأذنين والمنخرين ، وكل هذا ستره في ﴿سورة فاطر﴾ كما قلته لك الآن مرسوما مشروحا وهو الذي أجه علماء الهند في ذلك الكتاب الذي قرأته بالانجليزية مترجما عن اللغة الهندية لشرح ذكر الله كثيرا . قالوا ان الأعصاب المذكورة هي الموصلات للأخبار الدوافع للحركات ، وليس لهذا الانسان ولا الحيوان إلا أمران حس وحركة ﴿وبعبارة أخرى﴾ علم وعمل وهذان النوعان قد تجليا في أعصابنا وأعصابنا خارجات من النخاع الشوكي والنخاع الشوكي متصل بالمخ وهو مقر الملك وهو العقل المدبر فالمرجع كله لهذا الرئيس المدبر المستوى على عرش ملكتنا ، ولكن هذا الرئيس يتأثر بهذه الأعصاب سلبا وإيجابا ، فاذا أكثرنا من ذكر الله وكرره مرارا فان الكلام حركات في النفس والنفس يؤثر في الدورة فيصل الأثر الى هذه الأعصاب وينقل بحكم المجاورة الى الأعصاب فيحصل الحب ويكون الوصول لله . إذن الذكر الكثير لله يقرب اليه

هذا ما أوضحه القوم في ذلك الكتاب ولكنهم يقولون ﴿إن حب الله ربما يفيد الانسان ، ولكن مادام محبا للدنيا فانه يكون ناقص النفس فليس كل من أحب الله ووصل اليه وصولا ما يكون كاملا ، فحب هذه الحياة نقص عظيم﴾

أنا لست الآن أقول ان هذا القول كله حق ، ولكنني أقول : العجب ان العرب في جزيرتهم لا يعرفون ماهو ذكر الله والقرآن جاء فيه - واذكروا الله كثيرا لعلمكم تغلحون - والعقل ليس عنده براهين تدل على أن الانسان اذا ذكر الله مرارا يكون له الفلاح وهذا انما جاء بالوحى ، وظهور أم قبلنا كانت عندها هذه المباحث وعلاوها وفكروا فيها أمر عجيب ، وهذا معنى قوله تعالى - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - . فهؤلاء القوم سبقونا وقد تقدم أن كتاب الفيدا الهندي الذي سبق الاسلام بعشرات آلاف السنين بل جاء في آثار الهند كتاب لعالم منهم ألف منذ نحو (٦٠) ألف سنة يقول : ان كتاب الفيدا لا يعلم متى وجد

فهو مجهول التاريخ والمبدأ . إذن هذه معجزة لدين الاسلام ، وكم في الاسلام من معجزات ، وهنا في هذا المقام معجزة ثانية ، ذلك انهم يقولون « ان في الفقرات أمسين النخاع الشوكي (الحبل الشوكي) الموصل للحس والحركة وفراغ لامادة فيه وذلك الفراغ تمتد من العصص الملتحم الذي لا فراغ فيه الى المخ . قالوا وهذا الفراغ المستطيل الواصل بين هاتين النهايتين ملغى لا يعمل له عند أكثر الناس ولكن هناك أناس قد قويت عزائمهم وعظمت مواهبهم بالأعمال العظيمة وممارسة الذكر والفكر والتفكير المتقدم أودى الله بهم هؤلاء بهذه الأعمال المقتويات لعزائمهم تجعل جميع قوى العقل تحت إرادتهم ويقولون ان كل عمل من أعمال الناس أتموه يفتح لهم فتحة جديدة في تلك العظمت المثلثة التي في آخر تلك العظمت وتسمى (اللويس) وهذه يقولون إن فيها سر الانسان وعلمه وحكمته وللانسان (في نظرهم) حالان الحال المعتادة وهي ما نحن عليه من وصول الآثار من الخارج الى نفوسنا بطريق هذه الأعصاب كما هو حاصل للحيوان فلنا وله حس وحركة بهذه الأعصاب الواصلة للنخاع الشوكي الموصل للدماغ . والحال الخارقة للعادة بأن يفتح ذلك المثلث وهو (اللويس) الذي فيه عجب الذنب . ومتى فتحت اتصلت العلوم المخزونة فيه بالمخ والموصل بينهما الفراغ الذي في فقرات الظهر . وهناك يعرف الانسان علم كل شئ فلا يحتاج الى تلك الأعصاب حتى يعرف العلوم القليلة . فكيف هذا وقد أصبح محيطا بالعلوم التي يقدر عليها الانسان بحسب روجه هو لا بحسب ما توصله اليه الحواس كما في الحيوان

هذا ملخص ما قرأته في ذلك الكتاب أوضحته ايضا تاما ولم أدع منه شئ . فهذا هو المشار اليه بحجب الذنب في الشريعة الاسلامية فان في الآثار والأخبار ما يدل أن الروح باقية وعجب الذنب باق فما معنى هذا ولماذا يجيء ذلك في الأخبار ؟ ولماذا ينزل الله ذلك على لسان رسولنا ﷺ ونفس هذا المعنى جاء في كتب الهند بطريق آخر وهو ان هذا هو سر الانسان وعلمه . فاذا ورد أن عجب الذنب باق كبقاء الروح ووجدنا أن علماء الهند قبل عشرات الالوف من السنين يقولون « إن عجب الذنب متى اتصل بالمخ من طريق هذا الفراغ فان العلوم المخزونة هناك يعرفها العقل فعنه أن ذلك المكان في نظرهم مستودع العلوم ومستودع العلم يمتد العقل فسكانه غدة العلم كما ان البنكرياس غدة المادة الهاضمة والغدة الست في الفم جعلت لهضم المواد النشوية والصفراء وغدة المعدة والامعاء كلها لهضم المواد الكربونية والدهنية وهكذا وكالغدة المسماة بالنخامية والمسماة الصنوبرية في الدماغ فان لهما تأثيرا على نظام الأعضاء الجسمية ، وسيأتي أيضا في ﴿سورة فاطر﴾

ولست أقول ان ما قاله الهند مبرهن عليه في هذا أيضا ولكني أقول العجب أن يتكلم الهند في عجب الذنب وانه غدة العلم فيما كان وما يكون ويجيء في ديننا أمثال قول علماء التوحيد عجب الذنب كالروح لكن حققوا * وصوله الى البلي وصدقوا

فالعلماء ﴿قولان﴾ قول انه باق كالروح ، وقول انه فان كما يفنى الجسد وليس هذا هو المقصود ، انما المقصود أن يرد هذا في ديننا ويوازن بالروح تارة وبالجسد تارة أخرى فبالأول يحكم ببقائه وبالثاني يحكم بفنائه ، وعلمنا أن رجحان الله معنورون في هذا ولهم الحق أن يرجحوا فنائه لانه من نوع الأجسام ولكن كلام أهل الهند أرجحه الى العلم المخزون ، وهذه أمور فوق عقولنا لإبرهان عليها ولكن المهم ان هذا معجزة ثانية والله يقول - بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم - فهذه علوم عند أم خلت وربما كانت لها أسرار لا نعقلها الآن ووردت في الاسلام ليعقلها قوم بعدنا ويشرحوها - والله يقول الحق وهو يهدي السبيل - وبهذا تم الكلام على الفصل الأول في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا -

﴿ الفصل الثاني في قوله تعالى ... وسبحوه بكرة وأصيلا - ﴾

اعلم أن الانسان اذا ذكر الله كثيرا فتحت بصيرته ، وقد علمت أن أهل الهند سبقوا الاسلام بذلك في الفصل الأول وهذا هو معنى قوله تعالى - شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى - الآية وقوله تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - وقد تبين لك أن هذا محجزة اسلامية من حيث تلاؤم الديانات في الاصول وان كانت مهجورة بعبادة المدي ، ومن اطلع على طرق الصوفية في العالم الاسلامي وجد بينها وبين طرق أهل الهند ملاءمة ترجع كلها الى ذكر الله تعالى ولكن بصيغة الاسلام لا بصيغة كتاب (الفيدا) الهندى

ولقد حقق علماء الاسلام أن هؤلاء الذين لم يربهم لا يصل الى المعرفة التي يقول بها علماء الصوفية إلا النادر جدا بل كثير منهم يسهم الجنون فلا تنتفع بهم الأمة وهذه إحدى نكبات الأمم الاسلامية . كثرت فيهم طرق الصوفية وعاشوا عيشة روحية كأهل الهند ولكنهم في الوقت نفسه لم يصل جميعهم الى العلوم التي بشرهم بها أسياخهم ، بل ران على قلوبهم التقليد ، وهناك يحصل لهم شكوك وأوهام فيقول الأذكاء فيهم « كيف يكون الله أرحم الراحمين وهو يمرضنا ويميتنا وأهل الشرق والغرب في نضال وقتال مستمرين وأصحاب الأسلحة النارية من أوروبا يهجمون على الشرق فيذلون الأمم . ثم ماهذه النظم الأرضية . وماهذه الحرارة والبرودة والمتناقضات في الأرض . وكيف يكون زيد الصالح فقيرا وعمر والطالح غنيا . إن هذا لشيء عجاب ! » فيقال لهم في القرآن - وسبحوه بكرة وأصيلا - والتسبيح تنزيه عما يظن فيه سبحانه من أنه ترك العوالم تتخبط كأنه لم يعن هو بصغيرها وكبيرها بل هي دائرة بالانظام ، ولو كان صانع العالم مطلقا على جلائل الامور ودقائقها لم نجد ناسكا أحرق ثوبه وعجوزا هدم البيت عليها وطفلا ولد مشوها وامرأة مات طفلها فاحترق فؤادها ولا طغت أمة على أمة ولا طغى طوفان الأنهار وحريق النار على فريق من الناس فأهلك الحرث والنسل وهكذا مما لا حصر له . فذكر التسبيح في الآية بعد ذكر الله كثيرا ليكون في الأمم الاسلامية ﴿ فريقان ﴾ الفريق الأول ﴿ فريق العباد ﴾ (بتشديد الباء) الذين يسبحون الله بكرة وأصيلا إذ يسبحون قوله تعالى - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلاكم ترضى - وقوله تعالى أيضا - الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا - وقوله - سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم - ويسمعون - وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم - وقوله - وتسبحوه بكرة وأصيلا - وقوله - سبح اسم ربك الأعلى - وقوله - فسبح باسم ربك العظيم -

فهذا الفريق المسبح يكون تكرار التسبيح منيما لما يعلق بنفسه من تلك الشبهات ، فكما أن الذكر يفرحه بربه ويقر به له ، فإن التسبيح بتكراره بكرة وأصيلا يمرن النفس على أن تتباعد عن تلك الشبهات وتوطن الضمير على أن يعتقد أن الله منزّه عن الشرور أو الغفلة ، وأن ما نشاهده من تلك المصائب في هذا العالم هو يعلم نتائجها وله فيها حكم عجزنا عنها ، فالتسبيح إذن أشبه بالحارس الذي يحرس العقل من التعرض لهذه الشبه ، فهنا ﴿ أصران عجيبان ﴾ الذكر بقوله - اذكروا الله ذكرا كثيرا - وذلك لاستحضار المذكور وتكون النتيجة حبه ، ولكن الحبيب الذي يفسد الواشى حبه معرض حبه للذهاب فتكون القطيعة جفاة بعد ذكر التسبيح وتكراره يحصل ما يشبه التنويم المغناطيسي فتذهب تلك الوسوس فيبقى الحب على حاله حتى اذا فارق الانسان هذا العالم فهناك يدخل في عوالم يفهم فيها ما جهله هنا . فالتذكر تخلية والتسبيح تخلية ولذلك نسمع الله يقول - الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم - فالجد نوع من الذكر والتسبيح تخلية عن تلك الشبهات . ويقول - دعواهم فيها سبحانه اللهم - فجعل التسبيح

مع الحمد ﴿وبعبارة أخرى﴾ التخيلية مع التحلية . هذا هو الفريق الأول وهم العباد (بتشديد الباء)
﴿الفريق الثاني في الأمم الإسلامية﴾

الفريق الثاني في الأمم الإسلامية هم الذين يسبحون الله بكرة وأصيلا كالفريق الأول ولكنهم لهم عقول راجحة فلا يقفون عند الشبهات التي ترد عليهم بتكرار التسبيح لأن العابد درجته محدودة ولكن العارف بالله أرقى من العابد . فيقول هذا الفريق : نحن قرأنا في ﴿سورة آل عمران﴾ - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقلنا عذاب النار - فيقولون ههنا سمعنا ذكر النار وعذاب النار بعد الذكر والفكر . وههنا يقولون الذكر له عباد ولكن العارفون بالله لا يقفون عند الذكر فهذه مرتبة ضعيفة بل يفكرون في جلال ربهم وصنفته

وهذا معنى قوله - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - . نعم نحن نسبح في الركوع والسجود وبعد الصلوات . ففي الأولين (١١) صرة وفي الثالث (٣٣) وعند النوم كما في الحديث (٣٣) أيضا ونسبح بكرة وأصيلا . ولكننا لا نقف مكتوفي اليدين أمام عظمة ربنا وجلاله . وهذه الطائفة هي التي ستظهر بعد انتشار هذا التفسير . وسيكون في الأمم الإسلامية فطاحل الحكماء الذين لم يخلق في أمة مثلهم وهؤلاء هم عماد هذه الأمة بل هم عماد الأمم . فهؤلاء يعيشون محبين لربهم وخالقه ويجهلون حياتهم كلها في درس نظام الطبيعة وجمالها ولا معنى لهذا كله عندهم إلا أنهم أحبوا وعشقوا مبدع الكائنات وأحبوه لما نقش وزق وأبدع وأحكم ونوع وصنف . وهذا الفريق فقط هو الذي يفهم لم كان المرض والموت والفقر والطوفان والحرب واحتلال الأقوياء أرض الضعفاء في هذه الأرض . ومستحيل أن ينال هذا الإنسان في الأرض إلا بدراسة مجمل العلوم الرياضية والطبيعية لأنها آثار الصانع الحكيم فإن لم ندرس آثاره واكتفينا بقراءة كلامه كنا أشبه بمن قرأ كتاب الملك الذي نشره في رعيته ولم يعمل به . وغاية الأمر أنه يكرر الكلمات التي أرسلها في ذلك الكتاب المنشور . وهذه وإن كانت سخافة وقلة عقل وجهل في كتب المخلوقين فهي ليست كذلك في كتاب الخالق لأن كتاب الخالق عز وجل له منزلة خاصة . فانظر رعاك الله إلى أجسامنا وأجسام حيواننا وإلى نباتنا فإلك ترى أكثر نوع الإنسان يعيش ويموت وهو لم يدرس هذا الجسم ولا عقل من عجائبه شيئا . وهكذا يأكل من الحب والفاكهة وهو لم يدرس ولم يعرف عجائب النبات كما لم يعرف عجائب جسمه ومع ذلك ينتفع بالفاكهة وبالحب وبجسمه المجهولات عنده جهلا تاما . أكثر هذا الإنسان هكذا حاله ، جسمه المملوء من الجلال في نظام ، وكل ما حوله من مطعوم ومشروب مجهول جلاله عنده ، وهذا الجهل لم يمنعه أن يعيش بجسمه عمرا طويلا ولأن ينتفع بالنبات والحيوان ، وأقل هذا النوع الإنساني هم الذين أدركوا جلال أجسامهم وجمال طعامهم وشرابهم من حيث النظام والابداع . فإذا صحّ هذا في أجسامنا وفي كل ما حولنا وكله من حسن الابداع وسعة الرحمة من المبدع الحكيم . فهكذا صحّ في تسبيحنا . فالمسبح بقوله ﴿سبحان الله﴾ وهو من العابدین قد نال أثر ذلك التسبيح في نفسه فتباعدت عنها تلك الشبهات كما انتفع الإنسان بجسمه أمد الحياة وبما حوله من طعام وشراب وهو جاهل بذلك كله . فأجسامنا وتسبيحنا وذكرنا أشبه بما قيل في كتاب كليله ودمنه - ولله المثل الأعلى - فهو للجهال حكايات تفرحهم وهو للخواص حكمة وعلم وسياسة . هكذا أجسامنا وما حولنا للجاهلين حياة في الدنيا وللحكماء دراسة بهجة جيلة . فهكذا التسبيح هو للجاهل عبادة تشرح الصدر وللحكيم حث على العلم والحكمة ﴿مثل ذلك﴾ أن ينظر في جسم الإنسان مثل ما نقتم في سور كثيرة ، ومثل ما استراه في ﴿سورة فاطر﴾ كما أنبأتك في أول هذا المقال إذ قلت لك إني سأفصل عجائب الجسم الداخلية هناك

فسترى هناك الدورة التنفسية مرسومة ، ومثلها الدورة الدموية . ثم أعصاب الحس والحركة . وتجب

جذ العجيب من (غدد) جمع غدة موضوعة في الفم وهي ست وأخرى في المعدة وغيرها في الامعاء وتدهش أيها الذكي من هذه الجنود المجددة التي تقف في طريق الغذاء معدة لاصلاحه مخرجات من خزائنها تلك السوائل الموزعات على أنواع الطعام ، فمنها ما أعد لاذابة المواد الذشوية والسكرية كالتي في الفم ، ومنها ما أعد لاذابة المواد الفحمية أو المواد الدهنية أو المواد الأوزوتية كالتي في المعدة والامعاء ، وسترى ايضاحه هناك مع هذه المادّة التي يسمونها (الكيموس) أولا ثم تصير كيالوسا بعد ذلك وهي مادّة أرق وألطف من الأولى ، فتراها تنتقل من حال الى حال ونجد لها هناك نوعين من العروق ، فالنوع الأول عروق تأخذ السائل الدموي أي الذي استحال من الحال الأخيرة وهي الكيالوس الى الحال الجديدة وهي الدم ، فنرى هذه العروق هناك تحت الغشاء المخاطي في الامعاء فتجذب تلك المادّة اللطيفة المستخرجة من الطعام ، وتأتي عروق أخرى فتجذب السائل المستخلص من الدهن فيكون هناك (دورتان) دورة دموية ، ودورة ليمفاوية ، والثانية تشابه الأولى بعض المشابهة من حيث تفرّع عروقها في الجسم . ولا أشبه الدورة الليمفاوية إلا بقلاع الجنود وثكنات العساكر ، والمادّة التي فيها ليست حراء ولا فرق بينها وبين الدم إلا ان هذه ليست فيها كرات حراء بل تخلق فيها الكرات البيضاء التي تدخل مع السائل اللفاوي الى الدورة الدموية ، وهذه الكرات البيضاء هي الجنود التي أعدت لمساعدة الكرات الحراء في الدم التي لونت باللون الأحمر وباجتماعهما معا يحاربان الجيوش الجرارة الداخلات على جسم الانسان والحيوان من الخارج لاحداث الجسرى والحصباء والطاعون وأنواع الحيات المختلفة ، إذن دهن السمسم وزيت الزيتون وزيت بزر القطن والسكرتان والقرطم وشحم الحيوان . كل هذه أعدت لخلق هذه الكرات البيضاء المحاربات لأعدائنا الداخلات في أجسامنا فإذا كنت منذ أيام قد توجهت الى بلدة (الخانكا) من أعمال مديرية القليوبية وشاهدت الآلة الطاحنة للسمسم وهي آلة بخارية وبها يعصر الزيت وهكذا أمثالها في غيره . فهذا معناه أن هذه الآلات البخارية الفاصلات بين العجينة المسماة (الكسب) والمواد الزيتية التي يأكلها الناس مساعدات لنا على حفظ حياتنا من حيث ان هذا الزيت وأمثاله هو المساعد على خلق الكرات البيضاء في الدم المهلكات للجيوش القاتلات لنا بالأمراض المختلفة . فيا سبحان الله . شمس تشرق على الأرض . وحبّ يبذر فيها . وماء ينزل عليها . وذلك الحبّ ينبت فيصير حبا مثل الأول وهو السمسم . ثم تتلقاه تلك الآلات العاصرة فيكون زيتا . لم هذا كله ؟ ليكون لنا حافظا إذ تأكله الكرات البيضاء التي جعل لها في أجسامنا عروق لمفاوية سيأتي شرحها وماهي إلا ثكنات عسكرية . يا سبحان الله : أيكون في أجسامنا ثكنات كشكنات الجنود التي تحمل البنادق والمدافع والغازات الخائفة لنقتل الأعداء . أهذا الزيت المستخرج من السمسم أمامي معدة ثكنات العسكرية جسمي

الله أكبر . هذا معنى - وسبحوه بكرة وأصيلا - انتهى الكلام على الفصل الثاني والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث في قوله تعالى - هو الذي يصلي عليكم وملائكته - الى قوله

- وكان بالمومنين رحما -

ولاحزم أن هذا الفصل مرتب على ما قبله . إن صلاة الله رحمة . وصلاة الملائكة استغفار . وقد أبان

الرحمة بقوله - ليخرجكم من الظلمات الى النور - وصرّح بها بقوله - وكان بالمومنين رحما -

ذكر المسلم ربه كثيرا فأحبه بذكره الكثير كما نرى بنى آدم يجهلون نظام الجند بقسليم رجالهم على ضباطهم

وبتأديتهم نداءهم واصطفاقهم وقوفا أمامهم وتقرينهم على ذلك وعلى كثرة التعظيم لهم من موجبات انتظام

الجيش وحسن تدريره لما يحصل من الآثار بهذه الأقوال والأفعال في الأنفس . ونرى الملوك يزور بعضهم بعضا

فترفع أعلام الدولتين وتجاورتين كما اتفق لملك البلجيك أيام طبع هذه السورة في شهر مارس سنة ١٩٣٠ م

فيحدث ذلك في نفوس الأمتين مودة

فهذا ضرب مثل دنيوى لذكر الله عز وجل وآثاره فى النفوس . وهذا الذكر كما تقدم له حارس وهو التسبيح لتزييه المذكور عن خلق العالم عبثا لعدم قدرتنا على ادراك جميع الحقائق . وهذا وذلك لا يتأتى إلا برحمة الله ولذلك قال - هو الذى يصلى عليكم - الخ فرحمة الله هنا جلبت لنا منفعة الذكر وصرفت عنا الشكوك والأوهام الموهشات على ذلك . انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع فى التحية والسلام ﴾

وهلبقى بعد ذلك إلا التحية والسلام ؟ وبيانه أن الانسان لاسعادة له حقيقة إلا بأمر واحد كما توضح سابقا فى مواضع وهو الثقة الحقة بنظام هذه الدنيا و بأن كل ما يصنع فى هذا العالم إنما هو خير أو أيل للخير وهذا لن يتم ويثق به الانسان يقينا إلا بالاطلاع على العجائب دواما كالتى ذكرنا فى الفصل الثانى من عجائب جسم الانسان ، وهناك يحس الانسان بالأمان والسلام فى نفسه فى الدنيا والآخرة ، ذلك لأنه اذا عقل ما ذكرناه فى الفصل الثانى وزاد على ذلك أن ينظر فى الدائرة العصبية فانه يرى أمرا عجبا ؟ يرى مثلا أن هناك غدتين فى الدماغ وغدتين بجانب العينين ، فالأولان لتنظيم أحوال الجسم والآخران لافراز الماء المالح الذى يحفظ العين لئلا تنفد ويرى غدة فى الرقبة وأخرى تسمى (التيموسية) وأخرى فى فوق الكليتين ، ويرى الأنثيين فى الرجل والمبيضين فى الأنثى ، وهناك يجب جدا من أن بعض هذه الغدد لو أزيل لم يتميز الذكر من الأنثى فى المظاهر كشعر اللحية فى الرجل وانسجام عظام الصدر فى المرأة وكحفظ اللون ، فان بعض الغدد لو أزيل لصار لوننا كاون البرنز أو النحاس ، وبعض الغدد بزاله تسبب العظام جدا فتصير كالنخلة والعين كالبطيخة ، وبعضها لو أزيل لحصل للانسان تشنج واختلال عقل ، وبعضها لو أزيل لحصل للانسان البول السكرى أو غيره من الأمراض كما سيأتى تفصيله فى ﴿ سورة فاطر ﴾

هذا هو العالم الموجب لليقين الذى يعرفنا تزييه الله وتسبيحه ، وهو الذى يعرفنا تناهيه فى الرحمة والعناية بنا وبغيرنا وهناك نحس بالسلامة فى الدنيا والآخرة . هذا هو قول المسلم ﴿ التحيات لله ﴾ فهو يحيى الله أولا ثم يخاطب نبيه ﷺ فيقول له مناديا : يا أيها النبى ان الله آمنك فأنت عليم برحمته الواسعة وأيقنت بذلك ، ومن أيقن بالرحمة فلن يصاب بهذاب . ثم يقول السلام علينا ويهمهم عباد الله الصالحين فى الأرض وفى السماء . وفى الحقيقة أن الوجود منحصر فى الموجودات المدركة فأما هذه العوالم فهى كلها كما ظهر فى هذا التفسير أضواء متحركة تبدت لحواسنا على هذا المنهج المشاهد

المسلمون يسلم بعضهم على بعض . ويسلمون فى الصلاة على كل صالح . ويسلمون فى آخر كل صلاة فان كانوا دارسين لعجائب الحكم الالهية كما فى هذا التفسير الذى تكفى دراسته كل عاقل فى الأرض فانهم فعلا يكونون قد آمنوا بهذاب من الآن على سبيل الرجاء وان كانوا مؤمنين ليسوا من المطلقين على العجائب أو اطعموا عليها وهم لا يعقلون جهالها كعوض علماء التشريح وعلماء الطب اذا كان معاموهم غافلين عن الابداع فى التركيب مثلا فالسلام لم يهبط إلا مجرد العبادة ولهم عليها ثواب مؤجل

ومن هذا القبيل انك تسمع الناس يقولون عند التعزية « لأراك الله سوأ » فهذا مستحيل فى الظاهر ولكن فى الحقيقة لاسوء لأن مصائب الناس سبب فى اسعادهم بل هى سلام ارتقاؤهم والموت من منازل ارتقاؤهم . فهم يقولون فى العيد « أبقاك الله لى كل عيد » أو « جعل الله جميع أعيادك سعادة » وكل هذه أدعية مطابقة للحقيقة لأن الناس لا يقنون بالموت بل هم أحياء . إذن السلام والأمان موجودان وان حجب عنهما الناس . والأولون ثوابهم معجل لأنهم شاهدوا جمال الصانع بمجرد مشاهدة جمال الصنعة وعقلوا حكمة الحكيم فى مظاهر حكمته وذكره عند مشاهدة بدائعه وصار ذلك سحبة لهم . فهو لاء فى الدنيا سعادة فنا باللك بهم بعد الموت ؟ هذه أقصى سعادة لأهل الجنة . انتهى الكلام على اللطيفة الثالثة . كتب صباح

يوم الأحد (٢٣) مارس سنة ١٩٣٠ م

(اللطيفة الرابعة)

(سر من أسرار التنزيل قد أظهره الله في أيامنا هذه بالعلوم الطبيعية مع موازتها بحوادث التاريخ في تفسير قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا -
جاء في آية أخرى - وجعل الشمس سراجا - وهنا يشبهه ﷺ بالسراج . إذن هو شمس وهذا كلام الله عز وجل . فاذا سمعنا النابغة يقول للنعمان

كأنك شمس والملوك كواكب * إذا طلعت لم يبد منها كوكب
فانا نقول هذا تشبيه لم يكن له أثر في الوجود . ولا جرم أن أعذب الشعراء كذبه وهذا مستفيض فإن الأدب في جميع اللغات إنما تكون نتائجه الانقباض والانبساط وعلى مقدار تباعد القول عن الحقيقة بالباسه لباس الخيال يكون أوقع في النفس . إن نفوسنا المحبوسة في هذه الأجسام نريد أن تنال الحرية ولو في خيالها فتفرح بأنواع التشبيه والمجاز والسكناية . تفرح أن تسمع قول القائل
ففض الطرف إنك من نير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا
فهذا خفض قوم بعد الرفعة بمجرد هذا التخيل . وقول القائل في بني أنف الناقة
قوم هم الأنف والأذنان غيرهم * ومن يسرى بأنف الناقة الذنبا
وتفرح بقول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكب
فمجرد هذا التخيل من بشار رفعه على امرئ القيس القائل يصف عقابا
كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي
هذه صورة آثار التشبيه عند العرب . فهل قول الله عز وجل - وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا -
كقول النابغة * كأنك شمس الخ * ننظر في آثار النعمان فلا نجد له أثرا يشبه آثار الشمس . إن للشمس آثارا نراها وهي معروفة عند أهل الشرق والغرب . فهل هكذا آثار النعمان . كلا . ثم كلا . إن التشبيه والاستهارة والمجاز والسكنايات كلها ترجع إلى أصل خيالي . وكلما كان الخيال أكذب كان أعذب . هذا هو اصطلاح علماء اللغة العربية ولذلك تجد الشاعر أيام مجد الأمة العربية كالمتنبى وأبي تمام والبحتري وأضرابهم لا يبتدئون القصيدة إلا بالغزل ويصفون فتاة بالجمال والحسن وانهم هاموا صبابة ووجدنا وغراما والسامع يعلم أن كل ما يقوله مكذوب ورواة القصائد جميعا يعلمون ذلك . إذن التشبيه وجميع أنواع التخيل التي فصلت في علم المعاني ليست تراد بها الحقائق وقد جعل هذا في علم المنطق ركنا من أركان مادة البرهان الخمسة وجعل هذا الخامس مقصودا لآحداث الاشتزاز أو المسرة والقائل والسامع شريكان في العلم بكذبه . إذن لننظر في هذه الآية . ما آثارها في الوجود ؟ وما مناسبة النبوة لآثار الشمس ؟ لندرس الشمس من علم الطبيعة وآثارها في الأرض . لنمثل هذا المقام برجل ماهر في اللعب أراد اظهار براعته فوقف في مكان متسع وقسمه (١٨٠) قسما وعلم الأقسام بعلامات وذلك في أرض العباسية بمصر ثم وقف في وسطها بحيث يكون (٩٠) عن اليمين و (٩٠) عن الشمال وكل (٩٠) قسمها ثلاثة أقسام بحيث يكون القسم الذي يليه من كل منهما يبعد بنحو (٢٥) درجة عن موقفه والقسم الذي عند النهايتين قريب من هذا في اتساعه فيكون مكان اللعب في الناحيتين (٦) أقسام ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن شماله . فلما رتب هذه الأقسام قال مخاطبا الواقفين يا أيها الناس : أنا سألعب لعبة تدهشكم ولا تقدرُونَ أن تأتوا بمثلها فقالوا وماهي قال أرمي بكرتين

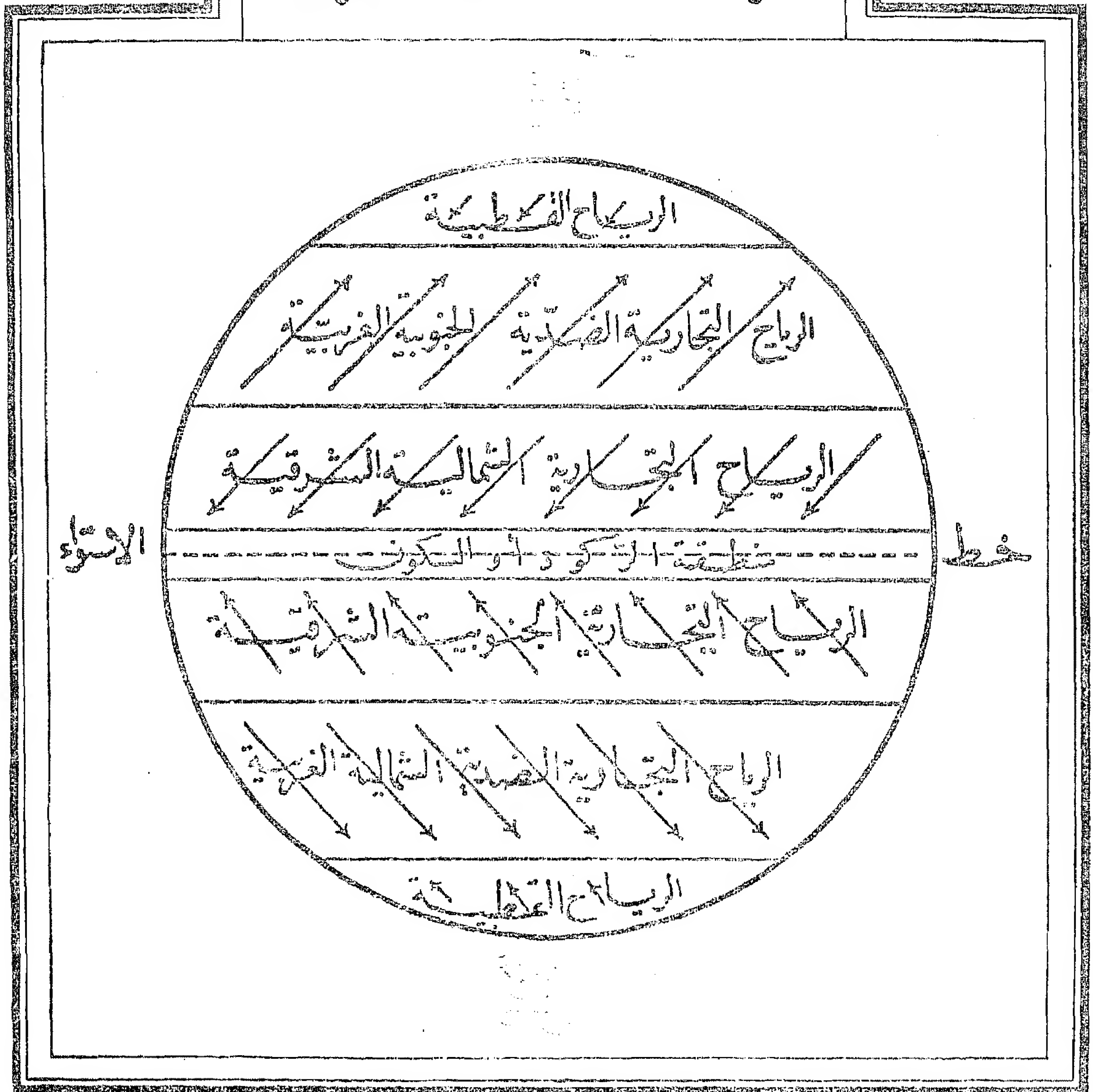
من يدي اليمنى واليسرى (أولاً) تذهب إحداهما إلى الشمال وثانيتهما إلى الجنوب ولا تقعان إلا عند نهاية القسم الأول من كل ناحية بحيث لا يحصل خطأ منى مدة حياتي (ثانياً) متى وصلت الكرتان في الجهتين تنقسم كل منهما إلى قطعتين قطعة ترجع إلى من أسفل وقطعة تذهب إلى القسم الثالث من الجهتين . ومتى وصلت هاتان القطعتان إلى القسم الثالث يرسل رجلان واقفان على آخر الملعب من الجهتين كرتين أخريين فيرميان بهما فيجدلان محل هاتين القطعتين المرتفعتين في القسمين المذكورين وهذه الحركات متصلات منتظمة . فإذا رأينا لاعبا فعل هذا فإنه لا محالة يدهشنا لأننا نرى كثيرا من الناس يلعبون لعبة (البلياردو) والمدار فيها على أن الكرة المضروبة بالعصا تصيب كرة أخرى بشروط خاصة ، فهناك يحكم اللاعب أو عليه ، أما هذا اللاعب فإن حركته متى صدق فيها تكون من أدهش اللعب الذي لا يأتي الزمان بمثله

هذا المثل الذي ضربته تقريبا لما سترأه ، فالملعب المقسم (١٨٠) قسما هو نصف الكرة الذي نحن فيه ووسطه خط الاستواء ، فالشمس مثلنا لها باللاعب وحرارتها مسيطرة على خط الاستواء والرياح تخف هناك فترتفع كما يرتفع الهواء في منازلنا بسبب الحرارة في تنانيرنا ، ومتى خفَّ هواء منازلنا هبت رياح شديدة من أبواب تلك المنازل داخلية على ساحاتها مع أن الجو في جميع القرية وما حولها ساكن هادئ ولا رياح إلا هنا لأجل الحرارة

فهذا المثل الصغير هو الذي يحصل بسبب الشمس فهي تجعل الريح عند خط الاستواء يخفَّ فيرتفع فيذهب إلى الجنوب والشمال وهو الذي مثلنا له بالكرتين . ومتى وصل هذان التياران إلى نحو نصف و٢٠ درجة من الجانبين قلت الحرارة الرافعة للهواء فأرادا النزول إلى الأرض كما تنزل الطائرة إذا قلَّ ما فيها من (البزق) هناك ينزلان في تلك المسافة فيقابلان سطح الأرض فتقابلهما حرارتها فيرتفع كل منهما كرة أخرى إلى أعلى ثانيا وهو قسمان كما أن الكرة المتقدمة ارتفعت وهي مقسمة قسمين فيرجع قسم منه إلى خط الاستواء ليحل محل ما ارتفع هناك من الهواء بخفته وقسم يذهب إلى الدائرة القطبية من الجانبين . ومتى وصل هناك وقابل وجه الأرض خفَّ ثانيا بسبب الحرارة فيرتفع وهناك يحل محله رياح تأتي من القطبين وهو الذي عبر عنه باللاعب في آخر الملعب من الناحيتين والرياح التي من جهة القطبين إنما أتت لتحل محل الرياح الصاعدة في الدائرتين المتقدمتين

هذه حال الشمس والهواء والبرد والحرارة ، اللهم إن الحرارة والبرودة جنسديان سائقان لهذه العوالم وكرة الهواء حولنا هي ميدان العمل ، فما هي حياتنا ياربنا ؟ حياتنا راجعة لتدبير حكيم لو كشف لنا لاحترقت قلوبنا من الحب والدهش ، أمور بديعة ، ما هذه الأعاجيب ؟ شمس وحرارة منها سلطت على خط الاستواء فجرت الرياح فقابلت الأرض حوالى دائرتي الجدى والسرطان فقابلتها الحرارة فارتفعت ثانيا ثم وقعت عند الدائرتين القطبيتين وحلت محلها رياح أخرى ، ثم إن هذه الحركات لامقطوعة ولا منوعة . إن الهواء ساعة ولسلكها الذي هو (الزمالك) هي الشمس . وهذه الساعة لا تقف تدور ليلا ونهارا والناس غائلون تأثمون . الناس جميعا يا الله يعيشون ودواليب هذه الساعة تجرى فوقهم وتحتهم وهم يعيشون فيها وغاية الأمر أنك أنت علمتهم صناعات ليعيشوا بها وماهى إلا ضرب مثل لهذه المجائب المحيطة بهم ومن أجلها حرارة الشمس وتأثيرها في الهواء الذي لولاه لم تسكن هذه الحركات فيه ولم يكن سحاب ولا مطر ولا أنهار ولا حيوان ولا إنسان ولا علماء . فلو أن هذا اللاعب في المثال المتقدم زاد على ما قاله فقال إن هذه الحركات يستنتج منها مخلوقات حية وغير حية لكان هذا من أعجب العجب (أنظر شكل ١ في الصفحة التالية)

اتجاهات الرياح



(شكل ١ - نقلا من الاطلس الحديث)

انما رسمت هذا الشكل لك أيها الذكي ليزيد فهمك بهذا الموضوع وما هو؟ هو المشبه به في الآية لأنه ^{صلى الله عليه وسلم} سراج بنفس الآية والسراج يطلق على الشمس ، فريد أن نبين آثار الشمس العامة ثم ننبهه بآثار الاسلام والقرآن في الأرض ، ثم نبين آثار أعظم الفلاسفة فعلا في أرضنا ، وهناك فقط نفهم أن قول الله هنا - وسراجا منيرا - ليس كقول شعراء العرب في الجزيرة وفي البوادي للنعمان بن المنذر

✽ كأنك شمس والملك كواكب الخ ✽ . إن حرارة الشمس تقع على خط الاستواء فيرتفع الهواء نحو (٢٠) ميل ، ومعوم أن الحرارة تمتد الأجسام فتتخف كما قدمت لك ، ومتى ارتفع الهواء بسبب الخفة تحل محله رياح من الشمال والجنوب ثم هو يتأثر بالحرارة ثانيا ويرتفع وهكذا ، فتري الرياح المرتفات عند خط الاستواء تجرى الى الجهتين ورياح أخرى تجرى من تحتها من الناحيتين الى خط الاستواء فهي دائرة دائما أبدا . وهذه أشبه شئ بالدولاب يجرى ليلا ونهارا وكالنجوم والشمس والقمر . والتي تهب الى خط الاستواء من الناحيتين تسمى الرياح المنتظمة أو الرياح التجارية والرياح المرتفعة الى الشمال والجنوب تسمى الرياح التجارية الضدية والرياح الآتية من القطبين تسمى بالرياح القطبية . فهنا رياح تجرى من القطبين ورياح تجرى من خط الاستواء ورياح تجرى من بعد مخصوص الى خط الاستواء والى الدائرتين القطبيتين . هذا هو التدبير والنظام البديع

يقول الله هنا - يا أيها النبي إنا أرسلنا شاهدا ومبشرا ونذيرا ✽ وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ✽ وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا -

هأنت ذا أيها الذكي عرفت المشبه به وهو الشمس وعرفت آثارها وانها بحرارتها حركت هوائا فارتفع ثم انخفض ثم ارتفع ثم انخفض ثم ارتفع وهو في ذلك دولاب يجرى والمحرك للدولاب هي الشمس الله أكبر . ماذا كانت نتيجة هذه الحركات والدواليب الدائرات نتائجها بديعة وجيدة . نتائجها سحب يجرى بجرى الرياح والسحاب أنى بآثار الحرارة في الماء . فالحرارة أثارت الرياح من البحار والحرارة أثارت الهواء . فهذان الأثران يلتقيان ويتعانقان وهما أخوان البخار والهواء الجارى كلاهما بسبب الحرارة . فتراهما يتعانقان ويحمل أحدهما وهو الهواء أخاه وهو البخار ويجرى به . لماذا يجرى به ؟ ليسقى الأرض فيكون الزرع وكل حي . عجيب جدا ! حرارة تنبعث منها حركتان . حركة لتيار يؤخذ من الهواء . وحركة لبخار من الماء . فيجرى هذان الطائران ويلتقيان ويحمل أقواهما وهو الهواء أخاه وهو البخار الذي صار سحابة فيمطر على الأرض فتكون الأنهار والزرع والثمار والحيوان . المشبه به جميل جدا بهي حسن . فإذا نقول في المشبه به وهو النبي ^{صلى الله عليه وسلم}

﴿ الكلام على آثار النبوة وهي المشبهة بالشمس ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبي فقرأ ما كتبتة الآن فقال : إن ما كتبتة الآن قد تقدم في هذا التفسير . أفلا يكون هذا تكرارا ؟ مسألة الرياح القطبية . والرياح التجارية المنتظمة . والرياح التجارية الضدية . كل هذا قد تقدم في هذا التفسير وأزيد على ما ذكرت هنا الرياح الموسمية . ذلك ان الأرض تتأثر بالحرارة أكثر من الماء فيصعد الهواء من فوقها الى الجوّ والماء طبعا يحيط بالقارة فيجىء الهواء الذي فوق البحار ليحل محل الهواء المرتفع فيحمل البخار فيكون المطر على السواحل فتكون إذن حرارة الصيف في القارة سببا لارتفاع الهواء وحلول هواء البحار محل الهواء المرتفع وقد حل معه البخار فكانت الحياة فيحصل المطر صيفا على الشواطئ كالذي يحصل في جنوب آسيا وجنوبها الشرق وبهذه تعيش أمم وأمم . وهذه هي الرياح الموسمية . أما في الشتاء فان الهواء يخرج من وسط القارة الى البحار لأنها إذ ذاك تكون أدفأ من الأرض . وهذه الرياح تهب (٦) أشهر الى جهة وتهب بالعكس ستة أشهر أخرى وهي في ذلك كنسيم البر

والبحر فان النسيم عند شواطئ البحار بالليل يهب من البحر الى البر ويسمونه نسيم البر . لماذا ؟ لأن الأرض أسرع برودة من الماء وفي النهار يهب الهواء من البحر الى البر ويسمى نسيم البحر لأن الأرض أسرع حرارة فيرتفع هوائها ويحل محله الهواء الذي فوق الماء فتتم هناك دائرة كالدوائر الحاصلة من الرياح الموسمية والرياح التجارية ونحوها . ثم قال : هذا القول منك تكرار لما تقدم . فقلت . كلا . بل يجب ايضاحها **﴿ لسبين ﴾** السبب الأول **﴿** إن كثيرا من الأذكياء لم يتصوروا ما كتبت سابقا حق تصوّره لذلك رسمت هذا الرسم حتى يعرفوا الحقيقة العلمية التي نعيش بنظامها ، فعادة القول هنا ليقلها من صعبت عليه هناك ، والرسم هنا لم يكن له نظير فيما تقدم ، وأيضا هذا لزيادة التثبيت وتذكير بحمالة الله وإبداعه وحسن صنعه وجماله وان لم يكن التذكير تدوم الغفلة ، ومعلوم أن الله يكرر القصة على أنحاء شتى في القرآن ليكون ذلك أدعى للاعتبار والحكمة إذ في كل مرة تظهر حكم ليست في غيرها ، فهنا لا بد من ذلك **﴿ السبب الثاني ﴾** في اننا هنا نريد أن نفهم الحكمة في جعله **﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾** سراجا منيرا ، ولنا نعرف المشبه إلا بعد ادراك المشبه به فاذا لم نفصل الكلام فيه لم ندرك المشبه بقدر طاقتنا ، فاذا فصلنا الكلام في المشبه به هنالك ندرك المشبه ، ولا جرم أن هذا من التشبيه المركب وأعظم التشبيه المركب ما قاله بشار ونفر به وهو

﴿ كأن مشار النقع فوق رؤسنا الخ ﴾ فالتشبيه المركب الذي قاله محصاه أن غبار الحرب المحيط بالشجمان تخلله السيوف اللوامع ذاهبات آيات صرفعات منخفصات . مشبه هذا كله بليل داج حاله تساقطت فيه الشهب من السماء . تتخلل اكنافه لامعات متقابلات كثيرة الحركات

هذا أعظم تشبيه عند العرب كما يقول علماء البيان . فاولم نعرف المشبه به هنا لم يمكننا ادراك المشبه . فقال حسن هذا ولكن المقام هنا صعب كيف نصل الى أن يكون النبي **﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾** كالشمس في هذه الحركات . فقلت إن الله شبه القرآن بالصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق . فهذا التشبيه المركب أرقى من تشبيه بشار المتقدم . ألا ترى أن القرآن شبه بالمطر وهو الصيب . والوعيد في القرآن شبه بالرعد . والبرق شبه بالحجج . ومن يعرض عن سماع الوعيد يشبه بمن يضع أصبعه في أذنه خوفا من الرعد . ومن يسمع الحجج في القرآن ثم يعرض عنها كمن يمشي في البرق وإذا أظلم وقف ولم يتحرك . فهذا التشبيه المركب أوسع نطاقا من تشبيه بشار . وقد تقدم هذا في **﴿ سورة البقرة ﴾**

هنالك قال صاحبي : « أسمع عجيبة ولا أرى طعنا » . ماذا أفدنا بهذا التشبيه ؟ أنا أعترض عليك من **﴿ وجهين ﴾** الأول **﴿** إن الآية هنا انه **﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾** سراج منير . ولكن أنت تذكر أن القرآن مشبه بالمطر ورجعت في قولك الى ما ذكرته أنت في أول البقرة **﴿ الوجه الثاني ﴾** أن أول كلامك أفهمنا انك ستظهر لنا سرا مصونا من تاريخ النبوة يشبه ذلك السر المصون الذي ظهر في الشمس لأنها بحرارتها وحدها كانت منها الرياح الموسمية ونسيم البر والبحر والرياح الاستوائية والرياح التجارية المنتظمة والرياح الضمدية والرياح القطبية . وكل هذه حاملات سحب وسفنا ونعما . فأنت لم تأت لنا بهيئة في النبوة تناسب المشبه به وغاية الأمر انك رجعت الى علم التشبيه الذي أنت نهيت عن الوقوف عنده لأنه أمر لفظي . والأمم الاسلامية الآن قد عرفت من آثار النبوة ما لم يكن فيما مضى في الزمان الأول . وقد نقلت أنت عن العلامة السيوطي في كتابه « الاتقان في علوم القرآن » في **﴿ سورة العنكبوت ﴾** أن الأنبياء كانت معجزاتهم كلها حسية . أمامعجزته **﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾** فهي راجعة الى ما سيظهر في القرآن للأئمة والأجيال من المعاني التي تتجدد بتجدد الأمم والأجيال . وملخص اعتراض **﴿ أمران ﴾** انك لم تذكر النبي **﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾** في التشبيه بل ذكرت القرآن . وانك لم تأت بما كنا نترقبه . فقلت له : أليس عندك اعتراض بعد هذا ؟ فقال لا . فقلت من عجب انك في هذا الاعتراض أشبه بهؤلاء الذين يقال عنهم انهم يقرؤون الأفكار . إن كل ما قلته هو الذي ستسمعه وغاية الأمر اني أتيت

بهذا التشبيه مقدمة فقط للجواب الشافي . فلأنت صبرت على لوجدت الجواب على النحو الذي ترضاه . فقال
أنعم برّد جواب ما أنا سائل عنه فنار العلم ذات تشعشع

فقلت إن النبي ﷺ أرسل في جزيرة العرب ، وهناك أرسل الجيوش هو وأبو بكر وعمر وبقية الخلفاء
الى أطراف جزيرة العرب والفرس ومصر وبلاد المغرب والأندلس والسودان وهكذا في جهة الشرق الى بلاد
الهند والصين ، فهذه الجيوش كالرياح والقرآن معها كالسحاب ، فإذا كانت الشمس أرسلت بحاراتها رياحا
في الهواء عند خط الاستواء وكانت لها فروع وفروع وكانت الرياح الموسمية ونسيم البر ونسيم البحر وهكذا
وجلت تلك الرياح السحب فأمرت الأرض هكذا هذه الجيوش الحرارة المجاهدة والعلماء والفقهاء والحكماء
الاسلاميون ، فهؤلاء كلهم هم رياح مختلفة الأشكال يسمون بأسماء مختلفة ، وهؤلاء يحملون السحاب ،
فالقرآن منزل عليه ﷺ والجهاد بتعاليمه ، ثم ان الدين انتشر بالدعاية ، فلننظر الى رياح الجهاد الواصلة
الى الأندلس لنجعلها مثالا لنا لنستدل على الباقي ، أليس الاسلام بقي في الأندلس (٨٠٠) سنة ؟ أليس هو
كالرياح التي وصلت الى أحد المدارين (الجدي والسرطان) وقد قلنا إن الرياح هنالك انقسمت قسمين قسم
رجع الى خط الاستواء ، وقسم ذهب الى الدائرة القطبية ، فانظر الشكل السابق ، هكذا السحب الاسلامية
التي وصلت مع رياح الجهاد الى الأندلس قابلها القوم أيام (ابن رشد) بحرارة التعصب ضد العلم لأن العلم عند
هؤلاء قد اعتقدوا أنه يناقض الدين فارتفع عنهم الى أهل أوروبا وأخذ يرقى القوم وقد نام المسلمون إذ ذاك
نوما عميقا ، ولأذكرك بمسألة وهي ان الله رب العالمين لارب المسلمين وحدهم ، واذا خلق الشمس فلم يخلقها
للمسلمين وحدهم بل خلقها لأمم ولكواكب كثيرة ، إذن نبينا ﷺ جاء لا يقاظ أهل الأرض مهما كانت
نحلهم وأديانهم كما ان الشمس لأهل الأرض جميعا لأن الله رحيم ورسوله رحمة للعالمين

إذا فهمت هذا عرفت السر في أن أوروبا لما أخذت علم (ابن رشد) كما عرفت في غير هذا المكان
قامت من رقتها وهنالك حصلت هناك شعبتان شعبة توجهت الى أمريكا في أيام اضطهاد المسلمين للعلم ففتحت
أمريكا وشعبة رجعت الى الشرق بالحروب الأوروبية ، فهانحن أولاء نرى أهل أوروبا لما أيقظتهم الحروب
الصليبية التي تشبه من كل وجه الرياح التي تأتي من المدارين الى خط الاستواء رجعوا الى بلادهم ووجهوا
همهم الى أمريكا من جهة والى أُمم الاسلام والشرق من جهة أخرى . فهم فتحوا أمريكا فارتقت وهم جاؤا
بلادنا يحاربوننا ومعهم تلك العلوم التي تصرفوا فيها ورقوها بعد أن أخذوها من آبائنا . أليس هذا بهينه
هو الحاصل من الشمس ؟ شمس تشرق على خط الاستواء فتثير الرياح فتصل الى مداري (الجدي والسرطان)
فتكون هناك (ريحان) إحداهما تتجه الى خط الاستواء . والأخرى تتجه الى جهة ضدها . فهنا كذلك
اتجه الاسلام الى بلاد الأندلس ولما استقر هنالك العلم مدة كره المسلمون العلم فحمله اليهود الى أوروبا فدهشت
من هذه التعاليم فأخذت ترتق وتوجه منها قوم الى أمريكا وطردهوا المسلمين من بلادهم لأنهم جهلوا العلم
والدين . وهاهم أولاء يجرون وراءهم في شمال أفريقيا وفي آسيا . فهذا نفسه هو الذي حصل في الرياح
بحرارة الشمس إذ توجه منها تياران مختلفان لما وصلت الرياح الى المدارين . فهكذا هنا تياران مختلفان .
فأما أمريكا فقد ارتقت وبقى أمر أُمم الاسلام فهذا دورهم ولا عيب علينا في ذلك فان الرياح الجارية من خط
الاستواء تحل محلها الرياح الآتية من المدارين . واذا كان هذا طبيعة ملك الله فلنسر على نظامه ولنعلم أن هذا
هو وقتنا وأيام رقينا . ومماثل هذه أُمم الاسلامية مع دينها إلا كمثل أرض نزل عليها الغيث فأبنت نباتا
حسنا ولكن تركت بركا ومستنقعات هنا وهناك لعدم المصالحين للأرض وهذه البرك أخذت تكثر وتزداد على
مدى الأيام فبعد أن كانت الأرض أخذت زخرفها وازينت أصبحت كلها حشائش ومياها مرة قدرة وأرضا
مستوخة كثرت فيها الأمراض والجدي والحصباء بجهل أصحابها

هذه حال المسلمين لما نسوا الشمس المحمدية وناموا على كلام شيوخهم المتفرقين وظن كل شيخ طريقة أو عالم مذهب من مذاهب الاسلام أن الدين هو ما يعرفه وما عداه لا يجب عليه ولا على الناس صار الناس كأنهم في مستنقعات وبرك ، ولذلك ترى المبتدعين والخارجين وأصحاب المذاهب السقيمة كثروا في الاسلام فهؤلاء كالماء الراكد أضروا بتلاميذهم وتجبوهم عن العلم فذلوا ، وكما أن الشمس تظهر الأرض هكذا النور المحمدي بالرجوع اليه يستيقظ المسلمون

فلما سمع صاحبي ذلك قال هذا حسن ، ولكن من المسلمين من منع عنهم المستعمرون العلم . فقلت واسكن لا يمنعون القرآن ولا هذا التفسير ، وهذا التفسير وأمثاله في أهم الاسلام كثير منه يفهمه كثير من العقلاء وان لم يكونوا متعلمين العلوم الحديثة ، وهل للمسلمين عذر بعد الآن

فاقرأ أيها الذكي مذهبك الذي تعلمته في الصبا ، فليس يناقض هذا التفسير لأن المذاهب كلها في أمور عملية جزئية وهذا في الامور العامة ، ومنه تظهر لك بعض أنوار الشمس المحمدية التي بها تعرف أن وقوف المسلمين في هذه البرك والمستنقعات المملوءة من الحيوانات الذرية الفكرية الضارة بالمسلمين هلاك لهم وهم أجدر بالسعادة والرقى من جميع أمم الأرض

فقال صاحبي : الآن فهمت ، ولكن أين موازنة نبينا ﷺ بأعظم الفلاسفة . فقلت إن أفلاطون ألف جمهوريته وهي أعظم كتاب ألفه عالم في الأرض كلها ، وهذا الكتاب علم عرّف الأمم كيف تنظم الحكومات والجند والعامة ، وما الذي يرقىها ، وما الذي يخفضها ، وتقدم تلخيصها في هذا التفسير ومع ذلك لم نجد لهذا الفيلسوف دولة بل انه مع شهرة كتابه الآن وانتفاع الأمم به لم يحدث جزأ مما أحدثه هذا النبي العربي الذي استحق بمقنضى التاريخ ونتائج أعماله أن يسمى ﴿ سراجا منيرا ﴾ لأنه حرك الكرة الأرضية كلها حتى ان الحركة وصلت الى اليابان والصين ، فاليابان ما حركها إلا تعاليم أوروبا والصين كذلك ، فركات الاصلاح توجه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا بسبب الحركة الاسلامية . إذن هو ﷺ شمس منير حقا وبه ارتقت أوروبا وأمريكا واليابان والصين والمسلمون الخاليون الذين جنى عليهم جهل آبائهم المتأخرين سيأخذون دورهم في الرقي وتهب رياح سعدهم الى الأمم كرة أخرى تحمل لهم علما غزيرا

فقال صاحبي : إن هذا البيان عجيب وأنا أجد الله عليه . فقلت الحمد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الأحد (٨) ديسمبر سنة ١٩٢٩ م

﴿ زيادة ايضاح في بعض أسرار قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا

وداعيا الى الله بأذنه وسراجا منيرا - ﴾

لقد تم الكلام على تفسير هذه الآية وايضاها ولكن لابد من ايفاء المقام حقه من حيث العمل بعد العلم في بلاد الاسلام . لاجرم أن ضوء الشمس له منافع جمة في علم الطب . ولقد أكثر الأطباء من تعداد منافع التعرض للهواء والشمس تابذين تعاطى الأدوية من الصيدليات في أنحاء العالم . ومعنى هذا أن الأطباء في العالم اليوم رجعوا فعلا الى منافع ضوء الشمس والهواء والتداوى بما هو طبيعي . وهاهم أولاء ينسكرون كل الانكار ما يزاوله الأطباء غالبا من المداواة بالعقاقير المشهورة ويقولون انها تحدث أمراضا وأمراضا . وهذا القول نقلته في ﴿ سورة البقرة ﴾ عند قوله تعالى - أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير - وهكذا ترى كثيرا منه في ﴿ سورة الأعراف ﴾ عند آية - وكاوا واشربوا ولا تسرفوا - وفي ﴿ سورة الحجر ﴾ في أوائلها عند الإشارة الى قصة آدم وفي ﴿ سورة طه ﴾ عند قصة آدم أيضا وفي ﴿ سورة الشعراء ﴾ عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين -

فترى في هذه المواضع ما يغنيك في علم الطب ويرجعك الى المعالجة الطبيعية ومن أهمها ضوء الشمس . هذا في شمس السماء وهي المشبهة بها ، أما المشبه في الآية وهو رسولنا ﷺ فاننا نريد أن نعرف لماذا كان هذا التشبيه وما فائدته لنا معاشر المسلمين الآن بطريق أجلي بحيث نعرف من هذا التشبيه ما عرفه الأطباء في علمهم ، فاذا كان الأطباء رجعوا الى ضوء الشمس ونحوه في طبهم وهم مصيبون فهل أمراض المسلمين الاجتماعية يكون الشفاء منها بنفس هذا التشبيه وبقوله تعالى - وسراجا منيرا - . هذا ما أريد بحثه اليوم فأقول : اللهم إني أحمدك جدا كثيرا على نعمة العلم وبهجة الحكمة . اللهم إني أعنت ووفقت وشرحت الصدر ودبرت الأمر ووعدت ونصرت وأوفيت العهد فاننا أسألك اللهم أن تجعلنا وافرين بهدك حتى نستحق منك هذا الوفاء وهذا الجليل وهذه النعم العلية التي نحن نقرّ بها ونحمدك عليها

أيها النكي : أكتب هذا صبيحة يوم الخميس ١٩ ديسمبر سنة ١٩٢٩ م ذاكرا ما اتفق لي أمس الأربعاء (١٨) منه ، ذلك اني أحسست بألم من البرد في كتفي اليسرى ولقد اعتدت أن أتعرض لضوء الشمس متى أحسست بهذا الألم منذ سنين طويلة فيذهب ذلك المرض ، ومن أعجب العجب اني قبل أن أعرف ما لضوء الشمس من الفوائد ولم أقرأ في كتب الأطباء وبعد ما جرّبه صح عندي

أقول : إذ ذاك قابلت طبيبا مصرياً فسألته : لم لم يظهر الأطباء فضل حرارة الشمس مع اني أنا عرفت منفعتها في شفاء جسمي ، فكان جوابه : لقد وضعوا الأدوية الحارة وهي من نوع حرارة الشمس ، فسكت ورضيت بهذا الجواب ، ثم بعد ذلك اطلعت على فوائد الضوء الذي تقدم في هذا التفسير مشروحا شرحا مستفيضا من أقوال نفس الأطباء فدل ذلك على أن ذلك الطبيب الذي سألته قبل ذلك كان مقصرا أشد التقصير في جهله الامور العامة وحصر فكره في العقاقير الطبية فثله كمثل كثير من علماء الاسلام في القرون المتأخرة الذين حصروا عقولهم وأضاعوا مهجهم ووضعوا نبوغهم في المسائل الجزئية من الطلاق والبيوع والحيض والنفاس ولم يرفهوا رؤسهم الى الشمس المشرقة المحمدية فيدرسوا نفس القرآن ونفس السيرة المحمدية وسير الصحابة والتابعين ليستخلصوا من ذلك رقى الأمم الاسلامية المسكينة ، إن نسبة هؤلاء في علومهم المحصورة كنسبة الأطباء في حصص عملهم في العقاقير المشهورة ونسبتهم في رجوعهم الى القرآن وتفسيره بالهيئة الحديثة التي رأيتها كنسبة رجوع الأطباء الى التداوي بالماء وضوء الشمس وبالهواء النقي

أقول : لما أحسست بذلك البرد توجهت الى الخلوات خارج القاهرة وجلست في مكان قصي نحو ساعتين متعرجا للشمس على عادتي ، وبينما أنا كذلك إذ صاحبي قد تتبع خطواتي فسمعت نبأه خلفي فسلم وحييا وجلس وقال فيم تفكر الآن . فقلت واذا عرفت اني أفكر فلماذا قصدت قطع التفكير ؟ فقال قصدتك بعد مدة كافية لتنام الفكر . فقلت أنا أنظر الى الشمس والى السحاب وأعجب من مهرجان وعرس وأفراح في هذا الجو . أنظر : ألت ترى السحاب يحيط بالآفاق شرقا وغربا . ها أنا ذا جالس على هذا الرمل وأرفع طرفي فأرى قبة زرقاء تحيط بي مهندسة الشكل بديعة الوضع حواشيها موشاة بالسحب المجللة لآفاقها . وهاهي ذه تمايل ذات اليمين وذات الشمال وتتقارب وتتباعد . أفلمست ترى أن هذه هي عين ما يفعله الناس في أعراسهم وأفراحهم وولائمهم في عقود زواجهم . الناس شرقا وغربا قديما وحديثا يصنعون الولائم فيضربون الطبول ويطلقون الرصاص من البنادق بل القنابل من مدافعهم . ولهم أغان يفسدون بها مجالس ابتهاج مجموعهم وأنعام يذبجونها وصدقات يوزعونها وأعلام يرفعونها . لم هذا كله ؟ لاقتران فتى بفتاة أو ولادة ولد . والمظاهر عادة تتبع في ضعفها وقوتها العسر واليسر والفنى والفقر وكل امرئ بقدره

فاذا كانت هذه طبيعة الانسان فهي تجمع عليها واجماع الانسان على عمل واحد يكون له شأن الفطرة والفطرة صادقة . فلم هذا كله ؟ نظرنا فوجدنا هذا الاقتران نتيجة الولادة والولادة ترجع الى وجود حي على

الأرض . إذن هذا الانسان انما يكون فرحه بالوجود ، فلا فرح إلا بوجود ولا خزن إلا على مفقود ، ثم ننظر فنرى أن الذرية التي فرح بها الانسان ربما تموت وربما يموت الأب قبل كبر الابن ، فدلنا ذلك على أن هذا الفرحة فرح جزئي لا كلي لأنه ليس دائماً ، وماليس دائماً لقيمة له ، إذن عواطف هذا الانسان وهذا الحيوان عواطف جزئية جعلت غرائز لأعمال جزئية لادوام لها ، فلننظر إذن في العوالم التي منها خلق هذا الانسان فنرى هذه الأفراح والأعراس تقام في السماء دائماً من يوم أن خلقت السموات والأرض . ولن تقام تلك الأعراس إلا ابتهاجاً بالوجود العام كما أقامها الانسان للوجود الخاص ، وعظمة أفراح السماء مناسبة لعظمة الموجودات التي أقيمت الأفراح لها

أنظرأيها الذكي : أأنت ترى هذه الشمس تختفي تارة وراء هذه السحابة وتارة تظهر كأنها تفعل فعل الناس في أعراسهم يظهر أغانين اللعب ، وبعد الاختفاء يظهر وجهها كرة أخرى وقد رفعت نقابها تحييني أنا وتحبيك بالسلام وهي بسامة ، ثم إن أفراح السماء عامة ، فهذه أمامك في جميع جوانب السماء لأن هذا الفصل فصل المطر وقد جعل المطر للحياة . فأفراح السماء ترى

(١) السحاب

(٢) والرعد والبرق

(٣) وأصوات الرياح المغنيات بأعواد الأشجار

(٤) والأعشاب والزروع الراقصات على تلك النغمات وفيها الطيور المفردات بأنواع النغمات

(٥) وهل فعل الانسان غير ذلك في أعراسه ؟

مدعوون كالسحاب كثرة وقلة . وإطلاق الرصاص من البنادق والمدافع يحدث صوتاً مشاكلة للرعد وضواً مشاكلة للبرق وضرب الدفوف والطبل مشاكلة لأصوات الرياح والرقص والغناء كرقص الأشجار وغنائها وغناء الأطياف

ولكن الفرق بين العرس الذي أقامه الله وأعراس الناس انه عرسه دائماً بدوام السموات والأرض يراه الآباء والأبناء وعرسنا ذاهب جزئي مقدر بمقدار عواطفنا وأحوالنا . ثم انما مثل المسلمين السابقين بعد العصور الأولى الذين هم خير العصور المتصيرين على دراسة القشور من دين الاسلام في اقتصارهم على كتب خاصة في المذاهب المعروفة كمثل أهل الأرض في إقامة الزينات وأعداد الولائم في أعراسهم الجزئية وحال المسلمين الذين يقرؤون اليوم أمثال هذا التفسير وينظرون في القرآن ويفهمون هذا الوجود فهما حقاً انهم يرون ما أراه أنا وأنت اليوم أيها الذكي فقال وما هو ذلك ؟ فقلت اني أنظر فأرى أن هذه الأعراس والزينات المقامات في هذه الآفاق مقصودة لدعوتنا أهل الأرض أن نشاهد العرس الأعلى والأوسع نطاقاً . فهمة العاقل تتجه الى المشل الأعلى والمثل الأعلى هنا أن نعرف لم دامت هذه الزينة السماوية دائماً ؟ فقال لدوام الوجود من حيث الكليات كالسكواكب ومن حيث الجزئيات كالمواليد على الأرض . فقلت إذن سيتجه نظر المسلمين بعدنا الى هذه الأعراس العامة ولا ينحصر نظرهم في الأعراس الخاصة . قال ان شاء الله فيدرسون الشمس والقمر والنجوم والجبال والبحار والهواء . وهناك يفرحون ويقرؤون - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - وهناك يفهمون لماذا قال الله هنا في الآية - وسراجاً منيراً -

ومتى برزت الشمس قتل ضوءها كل المكروبات (الحيوانات الذرية) وأزال العفونات من الأرض . فهكذا متى درس المسلمون أمثال ما نكتبه في هذا التفسير زالت تلك العفونات العالمية والأخلاق الوراثية التي خلفها أناس من قبلنا لم يرفع شيوخهم أعينهم الى معرفة نفس القرآن ونصوصه ولا الى جلال الله وابداع تركيبه . وهناك سيتجه الجميع وجهة واحدة فيعرفون الجمال الأسمى والحكمة في هذا الوجود . وهناك

يفرحون بالوجود الأعلى وهو الوجود الدائم وجود رافع هذه الزينات ومرسل الرياح في الآفاق ومعلم الطيور أنواع الغناء . ومطلق في الجو أصوات الرعود ولألاء البروق والجمال فبذل أن يفرح الناس بمولود يموت وبزوجات ستفارق وبنم ستزول . يفرحون بوجود هو الحاضر الدائم الذي لا يفارقهم . وهناك يعلمون أن تلك الأعراس وتلك الزينات الجزئية ماهي إلا مدرسة صغيرة ومقدمات لفهم الأعراس الكبرى ومتى عرفوا أن هذه الأعراس والأبناء كلها فانية توجه للهرس الأكبر ولأن أقام زينته ونصب خيمته وهو الموجود الذي لا ابتداء له ولا غاية . هناك يرتقي المسلمون ارتقاء لا حد له وتضمحل تلك الحزازات الحقةرة الصغيرة التي ولدها قصر النظر الذي طال أمده إذ يرون دراسة الوجود كله دراسة القرآن وما اختلف في الاسلام إلا كالخلاف الأشجار ورقا وطعما وجمالا لا غير

وهذه العقول الاسلامية بعدنا التي يكون فرحها وعالمها كلها متجهة الى نظام هذه الدنيا يسعدون في الدنيا وفي الآخرة لأنهم يعرفون الرحمة التي تقدم تفسيرها في أول ﴿سورة الروم﴾ وما بعدها للبسملة ويوقنون بأن من جعل هذه العوالم خدامات لكل انسان ليس يرسل آلاما للخلق إلا لفائدة ذلك المخلوق وهو لا يدرك حكمته . ولأنهم يوقنون بعد دراسة ما تقدم بذلك كل الايقان . وهناك فقط يعرفون معنى قوله تعالى - يدبر الأمر يفصل الآيات لعلمكم بقاء ربكم توقنون - فلا ايقان باللقاء ولا فرح بذلك اللقاء إلا بعد تفصيل الآيات التي جاء بعضها في هذا التفسير وبدون ذلك لا ايقان بل هو ايمان . فالله أخذ ينصل الآيات اليوم في الكرة الأرضية . وهانحن أولاء ذكرنا بعضها وسيقوم بباقيها من بعدنا . وهما هي ذه أيام اليقين قد أقبلت ويدرس المسلمون نظام الدنيا ويرفعون شأنها ويرجعون الى ربهم فرحين به مستبشرين

فقال صاحبي : فاذا كررنا كلمتين فيما رأيت اليوم من الأفراح كلمة عامة وأخرى خاصة حتى يكون ذلك نموذجاً لتفكيرك اليوم . فقلت أما الحكمة العامة فاني أقول لك انك يحق لك أن تقول ان هذه القبة السماوية والأرضية وما بينهما . وهذه الأعراس الطبيعية القائمة الآن هي لك أنت . قال وهل الوجود ليس فيه غيري ؟ قلت انها لك أنت . فقال ما البرهان ؟ فقلت أنت من الأمة المصرية البالغة (١٤) مليوناً وارتقاؤها ينفعك وضعفها يضررك . قال حقا هذا . إذن كلهم نافعون لك اجالا . قال هذا حق . فقلت والأمة المصرية بينها وبين الأمم علاقات التجارة والبريد والطرق الجوية للطائرات والبريد الجوي والبحري وهكذا قال حقا . قلت فكل الأمم نافعات لها . قال نعم . قلت ولك . قال ولي . قلت الشمس والهواء والسحاب كلها نافعات لك ولأمتك وللأرض والحيوان والنبات الخ . إذن هذه الشمس وهذا الهواء مسخرات لك لأنها نفعت الأمم النافعات لأمتك النافعة لك . إذن العوالم كلها تخدمك ولا ينافي هذا انها تخدم غيرك لأن هذا نظام إلهي بحارفيه العقل . فكما خدمت الأمم كلها والعوالم نفسك هكذا أنت تعتبر خادما لأمتك ولأرض غيرها بطريق غير مباشر . هذه هي الكلمة السكينة العامة

أما كلمتي الخاصة فاني أقول إن هذا الانسان لن ينال السعادة التامة إلا بعد معرفة الحقائق معرفة تامة والمعرفة التامة في هذه الدنيا مستحيلة لأنه محبوس في جسده بل هو محبوس في سجن مظلم ولم ينل من العلم إلا قليلا لأنه محوط بالأم داخلية وأخرى خارجة كالسجونيين في سجون المجرمين في عالم الأرض والسكنه وهو هنا قد يتلمس بعض الجمال من خلال نوافذ السجن كما سأوضحه هنا فأقول :

إني اليوم لما توجهت للقاء العراء وفسيح الحلاء لم أجد هاديا يهديني الى الطريق إلا ضوء الشمس . هذا الضوء لولاه لم أعرف الطريق . وهذا الضوء هو نفسه الذي بسببه امتص الورق في الأشجار مواد الكربون (الفحم) البالغ جزءاً من ألف جزء من الهواء كما استراه موضحاً مشروحا في ﴿سورة يس﴾ عند قوله تعالى - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها - الخ . فالضوء به كان هذا الورق في الأشجار المحيطة بنهر النيل حولي

وسترى هناك فتحات الورقات مسورة بالمصوّر الشمسي وقد شرحها العلماء فقالوا إن كل فتحة توصل إلى حجرة ذات حوائط شفافة مغطاة بسقف بديع وفي داخلها مادة سائلة يعوم فيها مادة خضراء بها تكون خضرة النبات ، وفي الورقة الواحدة قد يكون نحو مائة حجرة أو مائتين وقد يكون فيها ألوف بل ألوف الألوف في نفس الورقة الواحدة وكلها بهذا الصنع المتقن ، فإذا أيقن المسلم بذلك وهو لا شك يرقن لأنه سيشاهد بهينه تلك الحجرات ويقرأ شرح العلماء لها

فهذا الايقان الذي منحه الله لقرّاء هذا الكتاب ستخرج به طبقات ممتازات في بلاد الاسلام يرفعون أهمهم إلى أعلى درجة في الكمال ، وهل يفكر الجاهل في ضوء الشمس ؟ وانه نعمة . كلا . إن أكثر هذا الانسان لا يرى نعمة إلا ما اختص به أو كان ممنوعا عنه فبذل له كالغنى بعد الفقر

إن من عرف ربه بهذه الرحمة وأيقن أن الآلام والمصائب المحيطة بالانسان لم تخرج عما تفعله الحكومات الأرضية في الناقصين من بني آدم إذا سجنوهم ، واستنتج من ذلك أن هذا الحكيم لن يفعل ذلك فينا إلا لنلحق في عالم أعلى من هذا العالم الناقص كما تفعل حكوماتنا في الناقصين منا حتى يصلحوا لأن يعيشوا معنا غير مفسدين لأنفسنا ، وهناك تحرض هذه الطبقات الممتازة أهم الاسلام على الاعتراف من الحكمة والعلم . وهذه الطبقات الممتازة في بلاد الاسلام المؤمنة بهذه الرحمة الواسعة تكون صفاتهم الممتازة أنهم يحبون أهمهم بل كل أهل الأرض ويسعون لرقيهم ويفرحون ببقاء ربهم

فهم إن عاشوا عاشوا مسعدين وإن ماتوا ماتوا فرحين ببقاء ذلك الحبيب الذي أسعدهم بالخيرات وهذبهم بالنعم . فالنعم والنعم سيان عند قرّاء هذا التفسير وأمثله

واعلم أيّدك الله أيها الذكي أن كل ماورد من صفات هذه الأمة وفضلها وإعزازها خير أمة أخرجت للناس قد تمّ بعضها أيام النبوة وفي عصر الراشدين ومن نحانحوهم . وسيتّم باقية بعد نشر أمثال هذا التفسير إذ يتبوأ المسلمون متبوأ العلم والحكمة وحب الله المبني على الايقان وادراك الجمال والحسن والبهاء والاشراق واسعاد العالم الانساني . وسيكون نبراسهم - يا أيها النبي - إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا - إلى قوله - وسراجا منيرا - فهذا تفسير هذه الآية وسيظهر أثره للعالم الانساني والله هو الوليّ الخبير اه

﴿ آثار النبوة وانتشارها في أوروبا ﴾

(وكيف نرى العلماء فيها هم الذين يعتقدون هذا الدين وذلك من آثار كونه ﷺ سراجا منيرا)
ذكرنا فيما تقدم قريبا رسالة عبد الله كويليام الانجليزى الذى أسلم مع نبذة من ترجمة حياته وهى الرسالة المسماة « الجواب الكافى » وقد ترجمها إلى العربية الاستاذ زهدى الخماش . ونزيد على ذلك الآن ما جاء فى جريدة الاهرام بتاريخ (١٠) يناير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

﴿ المستشرق الفونسي المسيو ايتان دينيه ﴾

(السيد ناصر الدين دينيه)

(المسلم الفرنسى والمصوّر الشهير)

مات هذا المستشرق النابه وقد استشهد حوله لتوديعه الوداع الأخير العدد العديد من كبار قومه الرسميين ومن أصدقائه وعارفى فضله من أهله ومن غير أهله من ممثلى الشعوب الشرقية التى أحبها وخدمها وقد وجب علينا وأن سكنا لم نقف هنا لك فى باريس مع الواقفين خاشعين أن نبعث إلى روحه الطيبة تحيات السلام والاعتراف بالجميل

أحب المسيودينييه حياة العرب وهو ذلك الفنان الكبير فالتخذ له بينهم مقاما محمودا في بلاد الجزائر في تلك الواحة السعيدة الطاهرة الجميلة (بوسعادة) يفتقل اليه يسكنه نصف العام كاملا . يرتاح للعرب وجيرتهم . ويروح عن نفسه بينهم وينعم بما في حياتهم من جلال تلك المناقب الماثورة عنهم وتلك المسكارم المعروفة بهم والتي لا يميل اليها الاعشاق الخيال السامعي ولا يشهدا الا أهل الفضائل العالية ، وقد وضع في حياة العرب كتابا جميلا جليلا ملاء باللوحات البديعة من ريشته القادرة ذات البلاغة في تصويرها والبيان في صمتها

والمسيودينييه يبلغ من العمر سبعين عاما . وهو من كبار أهل الفن ورجال التصوير ، وصاحب اللوحات الكبيرة النفيسة القيمة ، تزدان بها جدران المعارض الفنية وتحتفظ بها المتاحف الفرنسية الكبيرة وغيرها من متاحف العالم ، وله في متحف لو كسمبرج (وهو متحف كبار المصورين العصريين بباريس) عدة صور منها الصورة الشهيرة المعروفة باسم (غداة رمضان) وكذلك له صور في متحف (بو) وكذلك في متحف (سندني) باستراليا وغير ذلك كثير

وجميع صورته تدل على القدرة الفنية الكبيرة في رسم الصحراء وتصوير حياة الصحراء ، كما تدل على دقة التعبير عن الحالات النفسية المختلفة . وهو ذو مركز خاص مشهود به بين اخوانه المصورين وامتاز عنهم بتخصصه في تصوير الحياة الإسلامية وبالأخص ما كان منها في بلاد الجزائر

وقد درس الروح العربية وفهمها الفهم الصحيح حتى قيل عنه انه المصور الفريد بين اخوانه الذي يستطيع تمثيلها بالريشة والألوان والاصباغ أحسن تمثيل وهم يقولون عنه انه المصور (العربي)

وقد جاءت ترجمة المسيو (دينيه) وأعماله في مجسم (لاروس) الكبير وفي معلمه (هاشيت) للفنون الجميلة . وله عدة مؤلفات منها كتاب حياة العرب الذي ذكرناه ومنها كتاب السراب ، وكتاب حياة الصحراء ، وكتاب ربيع القلوب ، وكتاب الشرق كما يراه الغرب . وكما تشير الى مافي طبيعته من الخلق الطيب وما يحمل في قلبه من الحب والتقدير للشرق والشرقيين

ومن أهم كتبه ما جعله تاريخا لحياة الرسول سيدنا محمد ﷺ وهو السيرة النبوية في مجلد كبير جليل وضعه باللغة الفرنسية وزينه بالصور الملونة البديعة الكثيرة المتعددة ، من ريشته الخاصة يمثل فيها المناظر الإسلامية ومشاهد الدين ومعلمه . وطبعه طبعا غاية في الاتقان والعناية حتى انه يعد تحفة من تحف الطباعة كل ذلك تقديرا منه لموضوعه . ثم انه قدمه لأرواح الجنود الإسلامية التي استشهدت في الحرب الكبرى وهي تحارب في صفوف الفرنسيين . ونشره كذلك باللغة الإنجليزية بنفس الحجم الكبير والاتقان التام ، والكتاب في طبعته قد تحلى بمختلف أنواع اللوحات الزخرفية الملونة ذات الاشكال العربية غاية في الدقة والابداع ، وهي اللوحات التي قام بعملها خاصة لهذا الكتاب السيد محمد راسم الجزائري أشهر رجال الزخرفة العربية والذي أشار اليه المسيو الازار الاستاذ بجامعة الجزائر ومدير متحفها وذلك في المحاضرة التي ألقاها في النادي الفرنسي بالقاهرة في شهر مارس سنة ١٩٢٩ ، ويبلغ ثمن النسخة الواحدة من هذا الكتاب خمسة جنيهات مصرية

وما ظن أن العالم العربي قد قرأ للمسيو (دينيه) شيئا بالعربية قبل تلك الرسالة التي عر بناها له (أشعة خاصة بنور الاسلام) والتي نشرت بمصر في هذا العام ، وهي التي جعلها بحثا عسريا في مبادئ الدين الاسلامي وأراد اظهار هذه المبادئ واضحة جلية وأنها أفضل مبادئ المذنيات الحاضرة . ولعل هذه الرسالة هي آخر ما كتب ، اللهم الا اذا كان قد فرغ من (رحلة الحج) التي كان قد ذكر لنا أنه يشتغل بتدوينها مهمة ونشاط وذلك عقب عودته من بلاد الحجاز هذا العام بعد أن أدى فريضة الحج وإذا سمحت لنا الحقيقة أن نقرر شيئا فانه ذكر لنا في كتابه اليانا أنه لاقى من التعب والمشاق الشيء الكثير رغم ما لاقاه من التكريم والعناية الخاصة ورغم نسيانه المشقة في سبيل الله وهو يدعو الى اصلاح وسائل النقل والصحة وتنظيم الحياة لأولئك الألوف من الحجاج الذين

يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ..

والمسيو دينيه كاتب رقيق العبارة واسع الاطلاع لذلك هو صحيح الحجة ناهض البرهان ثم هو شديد الطبع شديدا للدفاع ذلك لانه غيور على مبادئه الذي لم يتخذ له ابدا بحث وتفكير . وقد أعلن اسلامه رسميا بالجامع الجديد بمدينة الجزائر في اجتماع حافل عام ١٩٢٧ وطلب ان يدفن في قبره مسما حنيفيا . وهو القبر الذي شيده لنفسه في بلدة (بوسعادة) بالجزائر وقد ذكرت الاهرام في تلغرافاتها الخصوصية أمس أنه سينقل اليها من فرنسا وفق وصيته ، ويقول إنه لم يسلم لمطعم أو مغفم (والرجل غني مؤسس الحال) وإنما أسلم إرضاء ليقينه وضميره وأنه ناقش الناصرين والطاعنين فخرج من (دينه) الى (ناصر الدين)

وله في بيان فضائل الشرقيين عامة والدفاع عنهم جولات قلمية ولوحات تصويرية تشهد له باخلاصه في حب الشرق وتقوم دليلا على حبه للعدل والانصاف . وقد استفتاه بعضهم عن أمر الشرق والغرب فكتب يقول ان الغرب يخطئ النظر الى الشرق مع ان للشرق على الغرب أفضالا متواصلة في مدينته متغلغلة في حياته ذلك من أثر الدينيات التي هو مدين فيها للشرق ومن أثر المعاملات والاقتصاديات التي منشؤها اليهودية الشرقية . ومن أثر الحياة الشريفة والهمة القساء التي منشؤها أنظمة الفروسية العربية . ومن أثر علم البحار وعلم السماء وعلم الأبدان وعلم الكيمياء التي ابتدعت أصولها العقول الشرقية

ويقول ان الشرق لم يضر للغرب الاساءة ، وأن الغرب يخطئ اذ يظن أن الشرق لا يستحق العناية مع أن الشرق قد عرف كل دقائق الغرب وأنه مع ذلك لا يحمل له الا السلامة

وهكذا يقوم السيد ناصر الدين دينيه رسولا للسلام بين الشرق والغرب ، وهو المثل الطيب لكل فرنسي يحب بلاده الأصيلة ويحب الشرق الجليل النبيل . ومع انه قد اعتنق الاسلام وعاش مسلما ومات مسلما فان ذلك لم يمنعه من أن يكون مقيما على العهد والاخلاص لبلاده المحبوبة وأن يجتمع حول نهضة رجال فرنسا الرسميون من الوزراء يذكرون حسناته ويؤيدونه أحسن التأييد . ذلك لبالة قصده ومثاله إنسانيته

(راشد رستم)

هذه هي المقالة التي كتبها الاستاذ المذكور ، وانما كتبنا تاريخ (المسيو ايتان) لأنه توفي أثناء تقديم هذه السورة للطبع فكتبناه هنا تذكرا للقراء هذا التفسير ، ويحسن بنا أن نذكر شذرات من رسالته المسماة « أشعة خاصة بنور الاسلام » وهي التي ترجمها الاستاذ المذكور . واليك بيانها

(الشذرة الأولى)

مما لا نزاع فيه أن القربة والمكان والموقع لها الأثر الكبير الفعال في نشأة الأمور وحياتها . وأن الشجرة الطيبة التي تزرع في أرض خيثة تخرج ثمرا أضعف مما تخرج الشجرة الخبيثة التي تنبت في أرض طيبة . كذلك كان الشأن مع المسيحية : فهي وإن ظهرت أنها تحكم العالم في وقتنا الحاضر فليس ذلك مرجعه الى تعاليمها دون غيرها ، بل ان مرجع ذلك هو الى ما تستفيدة من القوة المادية التي أوجدتها المستكشفات التي قام بها العلماء «الغريون» ومن الغريب أن أغلب هؤلاء في ذلك هم من اليهود ، أو من الملاحدة والمعتولين ، أو المشركين . بل ان منهم من حاربهم المسيحية واضطهدتهم . خذ مثلا (جاليلة) الفلبي الايطالي و(اتين دوليه) الكاتب الناشر الفرنسي وغيرهما كثيرون ممن ذهبوا ضحية التعصب الذميمة

وأمر غريب آخر . ألم تجد الأمم الاوربية التي تأصلت فيها المسيحية أن الضرورة قضت عليها بالتباعد عن روح مسيحيتها في سبيل المحافظة على ملكتها ومستعمراتها . انتهت الشذرة الأولى

﴿ الشذرة الثانية . المعجزات ﴾

ان نبي الاسلام هو الوحيد من أصحاب الديانات الذي لم يعتمد في اتمام رسالته على المعجزات : وليست عمدته الكبرى الا بلاغة التنزيل الحكيم . وفي ذلك يقول تعالى : **وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ الْآثِرَاتِ كَذِبَهَا الْاَوَّلُونَ** - وقد نسي رينان أن محمدا صلى الله عليه وسلم مع عدم اعتماده على مثل هذه المعجزات التي ينسبها قديما بأكثر المعجزات مما هو شاذ في تاريخ الديانات كلها ، جاء بذلك الدين الحنيف الذي لم ينفك يزداد أنصاره كل يوم منذ ثلاثة عشر قرنا حتى بلغوا اليوم ثلاثمائة مليون من النفوس دون أن يكون له دعاة أو مبشرون على أن المعجزات التي تنسب الى محمد ليست من نصوص القرآن ، وانما قد نسبها اليه ، ورخو العصور المتأخرة تقليدا للمعجزات التي تنسب الى المسيح ، فهي ليست من الدين في شيء

وأما تلك الخرافات والمعتقدات الغريبة التي نشاهدها في بلدان الاسلام المختلفة فهي غريبة عن القرآن ودخيلة على الدين ولا تتفق مع شيء مما عرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد جاء في الأثر أن لما مات ابراهيم خزن عليه محمد خزا عظيما . وحدث أنه ساعة دفنه كسفت الشمس فقال الذين من حوله انها المعجزة يا محمد فقد شاركك الشمس في خزنك على ولدك . ومع أن النبي كان مأخوذا بالحزن الشديد فقد أنب القائل وقال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته »

ومن ذلك يتضح لنا أن الاسلام منذ البداية في أيامه الاولى قد أخذ في محاربة الخرافات والبدع ، وهو نفس العمل الذي يقوم به العلم الى يومنا هذا . انتهت الشذرة الثانية

﴿ الشذرة الثالثة — التسامح والرفق في الدين ﴾

ان القرآن ، دون الكتب المقدسة الأخرى ، هو الكتاب الوحيد الذي يأمر بالرفق والاحسان في الدين . جاء الى الرسول أحد بنى سالم بن عوف واسمه الحسين ، وقال له يارسول الله ان لي ولدين مسيحيين يا بيان الدخول في دين الله واني لجبرهما على ذلك . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم - لا اكراه في الدين - وفي هذا الباب ماجاء في سورة الكافرون : - لكم دينكم ولي دين - كذلك ماجاء في سورة العنكبوت - ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن -

ومن الحقائق التاريخية أن النبي أعطى أهل (نجران) المسيحيين نصف مسجد له ليقوموا فيه شعائرهم الدينية وهانحن أولاء نرى المسلمين اذا بشروا بدينهم فانهم لا يفعلون مثل ما يفعل المسيحيون في الدعوة الى دينهم ولا يقبلون تلك الطرق المستغربة التي لا تتحملها النفس والتي يعجزها الذوق السليم

وقد أنصف (القس ميشون) الحقيقة في كتابه (سياحة دينية في الشرق) حيث يقول : انه لمن الحزن أن يتلقى المسيحيون عن المسلمين روح التسامح وفضائل حسن المعاملة وهما أقدم قواعد الرحمة والاحسان عند الشعوب والأمم (١)

زد على ذلك أن المسلمين يحملون عيسى في نفوسهم التبجيل والتعظيم ، في حين أن أنصار المسيح يطرون محمدا وابلا من اللعنات والسخطات ، الأمر الذي يدعونا الى الدهشة والفرابة ، ذلك لأنهم أتباع يسوع صاحب عظة الجبل والقائل بالعفو والاحسان !

بل كيف يكون موقف المسيحية أمام هذا التسامح الاسلامي الشريف اذا ما ذكرنا رسالة القديس (أغسطين) الى الحاكم (بوتيفاس) وهو يبرر له فيها اضطهاد المخالفين وقتلهم متذعرا لذلك بأن الديانات الأخرى تفعل مثل ذلك قائلا انه خير أن تقوم الكنيسة نفسها بذلك « لأن الكنيسة ان هي اضطهدت أحدا ، فانما هي لا تقدم على ذلك الا مدفوعة بعاطفة المحبة . » فما أعظم محبة الكنيسة ! وما أكرمها أولئك الملايين الذين راحوا ضحية

(١) نقلا عن الكونت دي كاستري في أبحاثه عن الاسلام

« القديسة » محاكم التفتيش . ونحية القديس بارتلمي وغيرهما من « القديسين والقديسات » الذين يستريحون
المذابح والمجازر البشرية . انتهت الشذرة الثالثة

﴿ الشذرة الرابعة - العلم ﴾

رفع النبي محمد قدر العلم الى أعظم الدرجات وأعلى المراتب ووجهه من أول واجبات السلم . وفي ذلك يقول :
اطلبوا العلم ولو بالصين . يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء . شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار
الأمراء الذين يأتون العلماء . فضل العلم خير من فضل العبادة (١)
وقد نظر المسيو (كازانوف) أحد كبار أساتذة كوليج دي فرانس بباريس في هذه الكلمات الغاليات
كيف يقولها أحد أصحاب الديانات فخلق على ذلك يقول : « يعتقد الكثيرون منا أن المسلمين لا يستطيعون
تمثل آرائنا وهضم أفكارنا . يعتقدون ذلك وينسون أن نبي الاسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل
العبادة . فأبي رئيس ديني كبير وأبي قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول القوي
الفاصل المتين ! هذا القول الذي هو نفسه عنوان حياتنا الفكرية الحاضرة

نعم إن هذا هو مبدؤنا اليوم واسكن أليس العهد بقريب يوم كانت السكافة عندنا من أهل العقول تنظر
الى مثل هذا الشعار كأنه رمز الفار وعجوبة الشعار . !

كما أنه سوف يقال ان أوضح مبادئ الحرية الفكرية قد كشفت أمثال (لويبر) و (كالفين) وعاد
الفضل فيها الى رجل يرمي من رجال القرن السابع . ذلك هو صاحب شريعة الاسلام . انتهت الشذرة الرابعة

﴿ الشذرة الخامسة - الخمر ﴾

ذلك هو الداء الفتاك وهو أحد الأمراض الاجتماعية الويلة في عصرنا الحاضر . على أن محمد هو الشخص
الوحيد الذي أحس بالأثر السيء الشديد للخمر في النفوس ففاز به حتى حرمه تحريمًا تامًا وقد فاز في ذلك فوزا كبيرا (٢)
- يأيتها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون
إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة
فهل أتمم منتهون - سورة المائدة

نعم ان من المسلمين من لم يعمل بذلك فهو يخالف الدين في تحريم الخمر تحريمًا قاطعًا . غير أن الكثيرين
من هؤلاء قد تركوها ثم تابوا وأتابوا وهم لم يفعلوا ذلك إلا بتأثير الدين نفسه وبما جاء فيه من النهي عن الخمر
والأمر بالتحريم . في حين أننا نسمع أن أعدادا من المسيحيين الذين يدمنون الخمر قد تركوها أو عادي عنها
ولا يخفى أن الانجيل المسيحية ذكرت أن المسيح في أفراح (قانا) ملأ من النبيذ ستمائة من قدر الماء
تسع كل واحدة منها ما يقرب من سبعين الى تسعين لترا بمكيالنا الحاضر

كما أن الكنيسة قد جعلت (مونيك) الافريقية في عداد القديسات ، مع أنها كانت من مدمنات الخمر
كما ذكر عنها ذلك ولدها نفسه القديس (أغسطين) في اعترافاته (٣) . انتهت الشذرة الخامسة

﴿ الشذرة السادسة - الوسيلة ﴾

الوسيلة هي إحدى كبريات المسائل التي فاق بها الاسلام جميع الأديان ، إذ ليس بين الله وعبدده وسيط وليس
في الاسلام قساوسة ولا رهبان

(١) الجزء الاول من كتاب الاحياء للغزالي

(٢) وأما تجربة الولايات المتحدة في أمريكا في تحريم الخمر فلم تظهر نتائجها بعد إذ لم يمض على

ذلك الا بضعة سنين

(٣) عن الدكتور بينه سنجليه ، في كتابه «جنون يسوع»

ان هؤلاء الوسطاء هم شر البلايا على الاديان . وانهم كذلك مهما كانت عقيدتهم ومهما كان اخلاصهم وحسن نياتهم

وقد أدرك المسيح نفسه ذلك . لم يطرد «بائى الهيكل» ، غير أن أتباعه لم يفعلوا مثل ما فعل . واليوم اذا عاد عيسى فكم يطرد من أمثال بائى الهيكل !!

كذلك ما أكثر البلايا والمصائب بل ما أكثر المذابح والمجازر التي يكون سببها هؤلاء الوسطاء سواء كانت بين العائلات و بعضها أو بين الشعوب والشعوب . وهم في ذلك كله يصيحون : باسم مجد الله !! ثم انهم قد عكسوا الآيات وبدلوا النيات ، وغيروا الأوامر والنواهي ، ولم يدركوا قصد عيسى ولا مرماه النبيل العالى ولا فهموا معناه الحقيقي حين يقول : «جئت لألقى نارا على الارض . فإذا أريد لواضطربت ؟ أتظنون أنى جئت لأعطي سلاما على الارض . كلا أقول لكم . بل انقساما . لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين ، واثنان على ثلاثة . ينقسم الأب على الابن والابن على الأب . والأم على البنت والبنت على الأم» (١)

وقد حرم الاسلام نظام هذه القداسة وحما الولاية فنفى بذلك تلك الخرافات الضارة والمعتقدات الفاسدة . وأزال آثارها ونتائجها

وليس للإسلام أن يدعو الرسول ويتضرع اليه ، وانما له أن يدعو الله وحده لا شريك له . وقد يكون للإسلام أن يدعو الله للرسول ، ولكن لا يدعو الرسول لله ولا لذاته

كذلك يحرم القرآن الشفاعة وينكر الشفعاء . ويوم القيامة لا تسأل نفس إلا عن نفسها وأما ما رآه من الزوايا وأضرحة الأولياء فان ذلك لم يرقم الا بعد الهجرة بنحو قرنين من الزمان ، تقليدا للمسيحية . على أن ذلك لم يقبله العبيديون كما ألفاه الوهابيون أخيرا من مكة والمدينة وما اليهما . انتهت الشذرة السادسة

﴿ الشذرة السابعة — الاله ﴾

الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذي لم يتخذ فيه الاله شكلا بشريا ، أو ما الى ذلك من الاشكال أما في المسيحية فان لفظ (الله) تحيطها تلك الصورة الآدمية لرجل شيخ طاعن في السن قد بانت عليه جميع دلائل الكبر والشيخوخة والانحلال . فمن تجاعيد بالوجه غائرة الى الحية بيضاء مرسلة مهملة تشير في النفس ذكرى الموت والفناء

ونسلم القوم يصيحون (ليحيى الله) فلا نرى للغرابة محلا ولا نهجب لصيحتهم وهم ينظرون الى رمز الابدية الدائمة وقد تمثل أمامهم شيخا هرما قد بلغ أرذل العمر . فكيف لا نخشون عليه من الهلاك والفناء ، وكيف لا يطلبون له الحياة ؟

كذلك (ياهو) (٢) الذي يمثلون به طهارة التوحيد اليهودي فهم يجعلونه في مثل تلك المظاهر المنهالكة . وكذلك تراه في متحف الفاتيكان وفي نسخ الأناجيل المصورة القديمة

أما (الله) في دين الاسلام الذي حدث عنه القرآن فلم يجرأ مصورا أو نحتا أن تجرى به ريشته أو ينحته إزميل . ذلك لان (الله) لم يخلق الخلق على صورته ، وتعالى سبحانه فلم تكن له صورة ولا حدود محصورة وهو الواحد الأحد الفرد الصمد ولم يكن له كفوا أحد

وقد يقال لنا إن تلك الصورة التي وصفناها والتي يمثل بها المسيحيون الاله عندهم هي مما لا يرضى عنه

(١) انجيل لوقا . الانجيل الثاني عشر . ٣٩ - ٥٣

(٢) (ياهو) أى الله . وهي الاصل العبري

أهل الدين السليم منهم . على اننا لو سامنا بهذا الاعتراض جدلا فماذا هم قائلون وليس في الكنيسة كلها الاصلاح واحدة وقصيرة يمحسون بها الاله (الأب الازلي الدائم) . وأما الابن والام وزوج الام والصلب وقلب يسوع المقدس فلها كل الصلوات ولها آلاف الصور والتمائيل ذات الاحترام والاحلال . وكلها مقدسة عندهم مثل تقديس الوثنيين لأصنامهم التي تمثل معبوداتهم . انتهت الشذرة السابعة

﴿ الشذرة الثامنة - علو الهمة ﴾

قال رسول الله ﷺ « علو الهمة من الايمان » وذلك أنه لما كانت الشريعة الغراء قد سوت بين الناس ، ولما كان لابد للناس من مراتب ودرجات ، لم تجعل لأحد منهم فضلا على أحد الا بهلوه في معارك الاخلاق والنبيل وبالكاه . وفي هذا فليتنافس المتنافسون . وأما ما جاء في الانجيل من قوله . (من اعطاك على خذك الايمن فقل له الآخر أيضا .) فذلك ضرب من ضروب الحطة بالنفس والنزول بها والذهاب بكرامتها ، كما انه تشجيع ضمني لاهل السوء والخبائث في أن يظهروا ويسودوا . وفكرة التسليم هذه والتساهل في شأن النفس وعدم الأخذ لها بالشدة ترجع الى أصل هندي . ولذلك تسكن في طياتها تلك الاسباب المتأصلة التي أخضعت الهند الكبيرة لنير انجليترا الصغيرة ، وليس عجيبا بعد ذلك أن نرى الانجليز يخرجون على تعاليم الكنيسة ولا يهتمون بأوامر المسيح في عظة الجبل من السكون وعدم التعدي . انتهت الشذرة الثامنة

﴿ الشذرة التاسعة - المساواة ﴾

لقد حقق الاسلام نظرية المساواة هذه بين القبائل والشعوب وهي النظرية التي لم تأت أخيرا إلا على يد الثورة الفرنسية . وهذا بلال الحبشي أقامه الرسول مؤذنا للمسلمين فكان العرب ، وهم من الشعوب التي تفخر بالاجداد والأنساب ، تسمع له وتسي الى الصلاة اذا ما أذن فيهم هذا العبد الحبشي . انتهت الشذرة التاسعة

﴿ الشذرة العاشرة - مسايرة الطبيعة ﴾

لا يتردد الاسلام على الطبيعة ، التي لا تغلب ، وانما هو يسير قوانينها ويزامل أزمائها ، بخلاف ما تفعل الكنيسة من مغالطة الطبيعة ومصادمتها في كثير من شؤون الحياة : مثل ذلك الغرض الذي تفرضه على أبنائها الذين يتخذون الرهبنة فهم لا يتزوجون وانما يهيشون أعزاب . على أن الاسلام لا يكفيه أن يسير الطبيعة وأن لا يتردد عليها وانما هو يدخل على قوانينها ما يجعلها أكثر قبولا وأسهل تطبيقا في اصلاح ونظام ورضا يسور مشكور حتى لقد سمى القرآن لذلك (بالهدي) لأنه المرشد الى أقوم مسالك الحياة ولأنه الدال على أحسن مقاصد الخير والأمثلة العديدة لا تنوزنا ، ولكننا لا قصدنا أخذ بأسرها وهو التساهل في سبيل تعدد الزوجات ، وهو الموضوع الذي صادف النقد الواسع والذي جلب للإسلام في نظر أهل الغرب مثالب جمة ومطاعن كثيرة . وبما لا شك فيه أن التوحيد في الزوجة هو المثل الأعلى ، ولكن ما العمل وهذا الأمر يعارض الطبيعة ويصادم الحقائق ، بل هو الحال الذي يستحيل تنفيذه . لم يكن للإسلام امام الأمر الواقع ، وهو دين اليسر ، إلا أن يستبين أقرب أنواع العلاج فلا يحكم فيه حكما قاطعا ولا يأمر به أمرا باتا . والذي فعله الاسلام أول كل شيء أنه أنقص عدد الزوجات الشرعيات ، وقد كان عند العرب الأقدمين مباحا دون قيد ، ثم أشار بعد ذلك بالتوحيد في الزوجة في قوله تعالى - وإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة - وأي رجل في الوجود يستطيع أن يعدل بين زوجاته المتعددات ! ولذلك كان التعدد بهذا الشرط مستحيل التنفيذ ، ولكن انظر كيف وضعه الاسلام وضعا هو غاية في الرقة والدقة واللطيف مع الحكمة . ثم انظر هل حقيق ان الديانة المسيحية بتقريرها الجبري لفردية الزوجة والتوحيد فيها وتشديداتها في تطبيق ذلك قد منعت تعدد الزوجات ؟ وهل يستطيع شخص أن يقول ذلك دون أن يأخذ منه الضحك مأخذه ؟ وإلا فهو لاء مثلا ملوك فرنسا (دع عنك الافراد) الذين كانت لهم الزوجات المتعددات والنساء الكثيرات وفي الوقت نفسه لهم من الكنيسة كل تعظيم واكرام ، إن تعدد الزوجات قانون

طبيعي ، وسيتبقى ما بقى العالم ، ولذلك فإن مافعله المسيحية لم يأت بالفرض الذي أراده ، فانهكست الآية معها
وصرنا نشهد الاغراء بجميع أنواعه . وكان مثلها في ذلك مثل الشجرة الملعونة التي حومت ثمراتها فسكان الصحاري
اغراء . على أن نظرية التوحيد في الزوجة وهي النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهرا تنطوي تحتها سيئات
متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر بجسيمة البلاء . تلك هي الدعارة ، والعوانس
من النساء ، والابناء غير الشرعيين . وأن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الاخلاقية لم تكن تعرف
في البلاد التي طبقت فيها الشريعة الاسلامية تمام التطبيق . وانما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدينة
العربية . ومن الأمثلة القائمة على ذلك ما كان من أصمى وادى (ميزاب) حيث تسكن القبيلة التي بهذا الاسم
في بلاد الجزائر اذ لم تدخلها الدعارة الا بعد ضمها الى فرنسا عام ١٨٨٣ . وقد وصل بها الحال اليوم ان أربع
بلدان من مجموع كاه سبع بلدان قد ابتليت بهذا الداء الويل . وبما نرويه من هذا القميل ماجاء في كتاب
«الاسلام» تأليف (شمس الدين مولان) «انه عند ما غادر الدكتور مافرو كورداتو الاستانة سنة ١٨٢٧ الى برلين
لدراسة الطب لم يكن لعاصمة العثمانية كلها بيت واحد للدعارة . كالم يعرف فيها داء الزهرى (وهو السفليس
المعروف في الشرق بالمرض الأفرنكي) فلما عاد الدكتور بعد أربع سنين أي سنة ١٨٣١ تبدل الحال غير الحال
وفي ذلك يقول الصدر الأعظم الكبير رشيد باشا في حشرة موجهة (اننا نرسل أبناءنا الى أوروبا ليتعلموا
المدينة الأفرنكية) فيهودون الينا مرضى بالداء الأفرنكي على أنه من جهة أخرى نرى أن الطلاق قد يخفف
بعض الشيء من أضرار هذا التفتت في القصر على زوجة واحدة . ولكن من جهة ثانية نرى أن الطلاق سيئة
من السيئات . إذن ، إذن ماذا ؟ إذن أي الدواء قد خلا تماما من بعض السميات ؟ على أن الكنيسة قد أساءت
كذلك في مسألة الطلاق بمثل ما أساءت في أمر التوحيد في الزوجة . وذلك بمخالفتها أيضا لقوانين الطبيعة .
انظر هل أشد من الحكم على زوجين شابين لم يستطيعا من بعضهما ما دبيرا ، وقد خاب ظنهما في الزواج ولم يدركا السعادة
التي طلباها من وراء ذلك ، هل أشد من الحكم عليهما بأن يخلعا يقضيان بقية أيامهما في عذاب ونسك وشقاء ؟
كذلك اذا كان أحدهما عاقرا أو كان غير كفء لميله ، هل يحرم الآخر من أن يبني لنفسه بآخر وأن يقيم
له عائلة من جديده . واننا ونحن في صدد الطلاق لانقوتنا حكمة التشريع الاسلامي وهو يرى السوء في فوضى
الطلاق فيسمع النبي الكريم يقول (أبغض الحلال الى الله الطلاق) . انتهت الشذرة العاشرة

﴿ الشذرة الحادية عشر — بساطة الصلاة والنظافة ﴾

ان الحركات والاشارات في الصلاة الاسلامية هي ذات بساطة وعلاقة وبساطة لم يسبق لها مثيل من نوعها في
صلاة غيرها . كما أنها لا تنصع الوجوه بالظاهر والتسكف ، ولا العميون بالشخوص الى السماء واستئزال الدموع
التي تذكرونا بالدموع الجليديفة التي يصطنعها عثمنا السينما في عصرنا الحاضر . حقا ان الصلاة الاسلامية
خالية عن تلك الأمور الشائنة التي خصها المسيحيون بالصور المسيحية مما جعلها في غير جمال ولا جلال ولا وقار
حقا ان الاقوال والحركات التي في الصلاة الاسلامية هي ذات دلالة على الرزاة والهدوء والاطمئنان ، وهي خالية
من مبالغات الورع وتسكفات الخضوع والتظاهر بذلك مما هو غريب في العبادات ، لأن الله سبحانه وتعالى
عليم بما في الصدور وهو الغني العزيز ثم ان من الأمور الغريبة تخصيص وجود الاله في السماء عند دعوته . وهذه
الحال تحمل في طياتها إلحادا ، اذ تجعل السماء . منفاه ، وتنفي بذلك عنه صفة الوجود في كل مكان وحركات الصلاة
الاسلامية ، فوق تفسيرها التام مما تحمل نفوس المؤمنين من العاطفة النبيلة نحو المولى الكريم ، تقوم للجسم
بأعظم مزايا الحركات الرياضية . فهي مفروضة الأداء خمس مرات في اليوم الواحد . وكمن من شيخ كبير
وبدين سمين يستطيع كلاهما السجود والركوع والوقوف دون كبير عناء ولا مشقة مما لا يستطيعه مسيحي في
مثل هذه السن أو في مثل هذه الحال مالم يكن قد استراض على ذلك من قبل . انتهت الشذرة الحادية عشر

﴿ الشذرة الثانية عشر - الأذان ﴾

يتميز الاسلام في الدعوة الى الصلاة بأن الانسان هو الذي يدعو إخوانه الى تأدية هذه الفريضة . وأن صوت الانسان صوت طبيعي وهو أدعى الى حل العاطفة الانسانية الصادرة من قلب المؤمن الى إخوانه المؤمنين للقيام بأهم أركان الاسلام من أى آلة صناعية ومن القلب الى القلب رسول الله هذا ما أردته من رسالة (المسيويان دينيه) المسلم الفرنسي والمصور الشهير . ثم انظر الى ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم السبت أول فبراير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

﴿ المؤتمر الدينى الدولى ﴾

(لخدمة السلام فى العالم)

منذ نحو سنتين قام جماعة من رجال الأديان فى (أمريكا) يسعون لإنشاء مؤتمر دينى دولى يمثل مختلف الأديان والمذاهب فى العلم بقصد خدمة السلام العام بواسطة الدين وعقدوا اجتماعهم الأول فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢٨ م فى جنيف تحت رئاسة الدكتور (شابلماثيو) رئيس الكلية الدينية فى جامعة (شيكاغو) فى الولايات المتحدة ، وكان الحاضرون ١٩١ مندوبا من بلدان مختلفة وأديان شتى ، وقد قرّر المجتمعون إذ ذاك انتخاب لجنة مؤقتة لتنظيم أعمال المؤتمر برئاسة الدكتور (ماثيو) المشار اليه وألفت تلك اللجنة من خمسة وعشرين عضوا وجهل سكرتيرها الدكتور (اتكنسون) من نيورك ، وكان (١٢) من أعضائها يمثلون المسيحية وعضو واحد يمثل الاسلام ، وعضو يمثل الهندوس ، واثنان يمثلان دين (كونفوشيوس) واثنان لليهودية ، وعضو يمثل البهائية ، وعضو يمثل الشنتوا فى اليابان . وعضو لبوذيين فى سيلان . وعضو لشيوصوفيه هولاندا . وعضو للجوس فى الهند

وقد تقرّر إذ ذاك عقد مؤتمر عالمى للسلام يبنى عمله ومبادئه على مبادئ الأديان التى ينتمى اليها أعضاؤه بدون أن يجزّ ذلك الى المفاضلة بين مزايا هذا الدين إذ ذاك على أن يكون غرض الجميع واحدا . وأن يبنى هذا الغرض على المبادئ الآتية

(١) أن يذكر كل ممثل لدين من الأديان تعاليم ذلك الدين فيما يتعلق باستقرار السلام ووجوب احلاله

محل الخصام فى العالم

(٢) ذكر مجهودات الهيئات الدينية فى سبيل نشر لواء السلام فى العالم

(٣) وضع القواعد التى يمكن السير عليها بصفة عامة لازالة العقبات الحائلة دون استتباب السلام وانتصار

الحق وضمان العدل بين الدول وازدياد محبة الخير العام

(٤) انتهاز كل فرصة لاستثارة الشعوب الدينية فى كل طائفة ضد روح العدوان والخصام وكل ما يؤدى

الى الشحناء بين الأمم

وقد عقدت بعد الاجتماع المتقدم اجتماعات متعددة فى أنحاء مختلفة ولاسيما فى أمريكا إذ يظهر أن فكرة المؤتمر الدينى العالمى نشأت من هناك . وآخر اجتماع للجمعية عقد فى شهر أغسطس الماضى فى مدينة مانكفورت فى ألمانيا تحت رئاسة الدكتور (شابلماثيو) حامل لواء المؤتمر . وقد حضره (٦٢) عضوا يمثلون جميع الأديان الحية فى بلدان العالم . وفى هذا الاجتماع ذكر السكرتير الأميركى انه ساح فى بلدان الشرق الأقصى وقابل فيها زعماء الأديان والمذاهب المختلفة وباحثهم فى مسألة اتحاد المؤتمر الدينى العام لمقاومة الخصام واحلال السلام محله بين البلدان فأيدوا المشروع وحبذوه . وقد تقرّر فى الاجتماع (فرانسكفورت) انتخاب لجنة لتنظيم المؤتمر القادم وعقد على أن يكون له ستة رؤساء وثلاثة عشر وكيلات تدب للتنفيذ وأنشئت للمؤتمر سكرتير رئيسية مركزها فى (نيورك) وأنشئت لها ثلاثة فروع فى لندن وباريس وبرلين . وتقرّر تعيين سكرتير فى اليابان

وسكرتير في الصين وواحد في الهند وواحد في الشرق الأدنى وواحد في البلقان وسكرتير لأوروبا الجنوبية .
ثم أصدرت الهيئة القرار الآتي

« قررت أن يعهد الى اللجنة اتخاذ التدابير اللازمة لعقد المؤتمر الديني الدولي في سنة ١٩٣١ في إحدى بلدان الشرق وأن يدعى لحضوره ممثلو الأديان الحية في العالم

وقد انتهى الى حضرة صاحب السمو الأمير الجليل عمر طوسون باشا الذي أصبح علما من أعلام الشرق وقطباً من أقطابه كتاب من المستر عبد الله يوسف على الهندي الذي كان وزيرا للمالية في حكومة نظام حيدرآباد يلتمس فيه من سموه باسم لجنة المؤتمر أن يقبل رئاسة المؤتمر فيكون فيكون في مقدمة الرؤساء الستة الذين تقرر اختيارهم من كبار الرجال لرئاسته ويكون ممثلاً للإسلام في الرئاسة ، وتلقى سمو الأمير أيضاً كتاباً من سكرتير المؤتمر الدكتور (نكتسون) الأمريكي يسط فيه لسموه الأغراض النبيلة التي يسعى اليها القائمون بأمر هذا المؤتمر الديني الجديد ويقول ان البارون (ساكيتاني) الياباني والدكتور طاغور الشاعر الهندي الشهير سيكونان من الرؤساء الستة ، وإن الكنيسة الكاثوليكية ستختار عظيماً من عظمائها ليكون من الرؤساء ، وأن الاستاذ (اينشتين) الألماني العالم المشهور سيكون رئيساً ممثلاً لليهود ، والمفهوم أن الأمير الجليل لم يقرر حتى الآن شيئاً بهذا الشأن . انتهى

وهما يناسب قوله تعالى أيضاً : وسراجاً منيراً . ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٨ يناير سنة ١٩٣٠ م وهذا نصه

﴿ حالة العميان في مصر ﴾

وجهت «جمعية العناية بالعميان» في سان فرانسيسكو الى وزارة الخارجية المصرية أسئلة طالبة الجواب عليها وانها أحالتها الى الجهات المختصة ، وفيما يلي نص الأسئلة واجابة وزارة المعارف على كل منها
(س) هل يأخذ العميان إعانة ، وما مقدارها ، وما وجه استحقاقها ؟

(ج) تدفع الحكومة الإعانات المختلفة لبعض معاهد العميان حسب درجة تقدم كل منها كما يأتي :
٧٠٠ جنيه لمدرسة العميان بالزيتون و ٢٥٠ جنيه لمدرسة العميان بالاسكندرية التابعة (لكونتس ميث) و ١٥٠ جنيه لمدرسة العميان الأهلية بالعطارين و ١٥٠ جنيه لمدرسة الكفيفات بالزيتون ، ويدفع بعض أعضاء الجالية البريطانية إعانات لست نفقات ثمانية تلاميذ بمدرسة الزيتون بمعدل ١٣٠ قرشا في الشهر لكل تلميذ ، وتدفع سيدتان مصريتان إعانات لست نفقات تلميذين آخرين بهذه المدرسة

(س) كم عدد العميان تحت اشراف الحكومة ؟

(ج) يوجد (٨٠٠) طالب تحت اشراف الحكومة منهم (٢٠٠) بمعهد الأزهر بالقاهرة و ١٠٠ بمعهد أسيوط و ١٠٠ بمعهد الاسكندرية و ١٠٠ بمعهد طنطا و ١٠٠ بمعهد دسوق والزقازيق و ٥٠ بمدرسة الزيتون للعميان و ٥٠ بالاسكندرية ، أما الاناث فيوجد منهم ١١ تلميذة بقسم العميان الكائن بمدرسة تمرين معلمات بولاق التابعة لوزارة المعارف و ٣ بمدرسة الكفيفات بالزيتون . أما العميان الذين ليسوا تحت اشراف الحكومة فهم ٢٠٠ طالب بمدرستين في القاهرة إحداهما ببولاق والأخرى بشارع المطار بالأزهر تحت اشراف لجنة انكليزية برئاسة (المطران جوين) و ٩ طالبات بكلية البنات الانكليزية ببولاق تحت اشراف اللجنة المذكورة و ٥ طالبات بمدرسة الأمريكان بالزقازيق و ٥ طالبات بمدرسة الأمريكان في المنصورة و ٤ طالبات بمدرسة الأمريكان بدمهور و ٩ طالبات بمدرسة الأمريكان بأسيوط و ٨ طالبات بمدرسة الأمريكان بالأقصر وكلهن تحت اشراف كلية الأمريكان ، و يبلغ مجموع العميان بالقطر المصري ١٥٥٠٠٠ منهم ١٠٥٠٠٠

ذكور و ٥٠٠٠٠٠ اناث منهم نحو ١٠٠٠ تحت اشراف الحكومة وجماعات مختلفة والباقي يحترف قراءة

القرآن في المنازل والجبانات اذا كانوا مسلمين ومترلين في الكنائس اذا كانوا مسيحيين

(س) هل بذلت الحكومة مجهودا لتعليم العميان صناعة ؟ فان كان كذلك فما درجة نجاحهم

(ج) ابتدئ في تعليم العميان الصناعات سنة ١٨٩٦ ولكن نجاحهم فيها متوسط بالنسبة الى قلة الاعانات

(س) هل توجد مصانع يتقدم فيها العميان على غيرهم ؟

(ج) لا توجد صناعات مشتركة بين الأعمى والبصير بل توجد مصانع خاصة بالعميان فقط وهذه المصانع

هي مصنع للسلال والكراسي بالمدرسة الاكاديمية القبطية بمهمشة ، ومصنع السلال والكراسي والسجاد

بمدرسة العميان بالزيتون ، ومصنع السلال والكراسي والفرش بالاسكندرية تحت رعاية (الكونتس ميث)

ومصنع للسلال فقط بالاسكندرية تابع لجمعية أهلية ، ومصنع للسيلان والجوارب والسلال التي تصنع من الخرز

والسلك بكلية البنات الانكليزية ببولاق وهو خاص بالبنات فقط ومصنع للسجاد والكراسي والسلال بقسم

العميان بمدرسة معلمات بولاق التابعة لوزارة المعارف

(س) ما نوع الأشياء التي يتتبعونها

(ج) الأصناف المنتجة هي السلال وهي تصنع من القاب الهندى والصفصاف والكراسي الخيزران

المصنوعة من القاب الهندى والصفصاف والكراسي التي تصنع من قلب الخيزران وقش الباسم وقش الأرز

(س) أى الأصناف من أعمالهم وجدت رواجا في الأسواق

(ج) الأصناف الرائجة هي السلال بجميع أنواعها والكراسي وأطقم القش والفرش

(س) ماهي الطرق التي تتبع في عرض منتجات العميان في السوق

(ج) تعضد الحكومة هذه المصانع بشراء ما يلزم لها من السلال وغيرها لمصالحها وتعرض هذه المصنوعات

في المعرض الدائم لمصلحة التجارة والصناعة

(س) أى النسبتين أكثر في العميان نسبة الذكور أم نسبة الاناث ؟

(ج) تزيد نسبة الذكور على نسبة الاناث كما هو مبين في الاجابة عن السؤال الخاص بعدد العميان

(س) أى الجنسين أكثر استعدادا لكسب

(ج) الذكور أكثر استعدادا لكسب بما يبذل من المجهودات لتعليمهم ، وعند الحكومة مشروع

لتوسيع نطاق العميان بالقطر المصرى ، وقد أنشأت الوزارة فصولا قسما لتخريج معلمات لهذا النوع بمدرسة

المعلمات الأولية الراقية ببولاق في سنة ١٩٢٧ م وأتم الدراسة في هذا القسم (١٣) طالبة سيتمتخرجن في

نهاية هذا العام وألحقت بهذا القسم فرقة من الضريرات ليكن بمثابة أداة تمرين للطالبات وعلى ذلك أرسلت

الحكومة الى انكسكرا بعثة للتخصص في فن تعليم العميان مؤلفة من طاب وطالبة

(س) ما مقدار متوسط ما يكسبه أحدهما في الاسبوع أو الشهر

(ج) يبلغ متوسط كسب الذكور في الشهر أربع جنيهات والاناث جنيهين

(س) هل تتدربون العميان بالاعانة ؟ وان كان كذلك فما هي الطريقة التي تتبعونها

(ج) توزع الحكومة اعانات حسب مقدار نجاح كل مدرسة من مدارس العميان

(س) هل توجد ملاحج للعميان وأى الجهات تنفق عليها ؟

(ج) لا يوجد للعميان سوى ملاحجين أنشأتها الحكومة للأيتام أحدهما بطره ، والآخر بالغربية يقبل

فيهما العميان ، وملاحجا للمجانين بشبرا تابع للحكومة الإيطالية يقبل فيه العميان أيضا وملاحجين للاناث تابعين

للكلية الأمريكية أحدهما في فم الخليج والآخر بأسسيوط يقبل فيهما العميان

(س) أى الصناعات وجدت أكثر فائدة على العميان الذين درّبوا تدريبا راقيا

(ج) صناعة الفرش والسلال والكراسي

هاتان الرسالتان رسالة المؤتمر الديني ورسالة جمعية النهاية بالعميان توجبان دقة النظر والملاحظة (أولاً) ان خدمة السلام العام لم نقرأها في التاريخ قبل النبوة المحمدية فان الاسلام هو الذي أيقظ الأمم شرقاً وغرباً وبشاط حركته حركة الأمم في اختراع الآلات والقطارات والطائرات فتقاربت الأمم ، وهذا من أسرار كونه ﷺ سراجاً منيراً ، وأيضا يذكرنا هذا بآية - حتى تضع الحرب أوزارها - وأن علماء الاسلام يقولون « إن الحرب سيقضى عليها » (ثانياً) إن ارسال جماعة من أميريكاء رسالة للحفاظة على العميان في مصر المسماة يدل دلالة واضحة أن اشراق النور النبوي قد أثر بطريق غير مباشر في أمم غير مسلمة والأمم المسلمة نائمة وهذا عار فكان الأخرى بهذه الأمم الاسلامية أن تكون هي آباء للأمم كلها لا أن يكونوا أذئاباً . وسيكون في أمم الاسلام بعد الآن نهضة فكرية يرقى بها نوع الانسان . تم الكلام على اللطيفة الرابعة

(اللطيفة الخامسة)

(في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم -) اعلم أن بين القول والعمل مناسبة صلة تظهران في هذه الآية ، إن الانسان يعقل الأشياء وتصدر عنه تلك الأشياء من (منفذين) منفذ اللسان ، ومنفذ الأعمال ، فهما فرعان لأصل واحد ، ونظام أحدهما يؤثر في الآخر ، فما من قول نقوله إلا وله آثار في أعمالنا ، وكما كان القول أحكم كانت الأعمال الى الصواب أقرب ، لأن الدربة على الفضائل تكون في النفس ملكة تكون مصدرا لها من بعد ، فكل فضيلة في اللسان أوفى الأعمال تحدث في القلب أثرا وبتوالي الآثار تتأسس الملكات ، ومن الملكات الفاضلة تكون الأعمال الشريفة ، وملكة اللسان في الصدق وفي حسن القول تؤثر في النفس آثارها فيتعدى ذلك الأثر الى الأفعال فتنتظم ، إن الأعمال والأقوال فرعان للنفس والقول أسهل ونزعاته أشد وجراحاته أنكى وسهامه أنفذ وخطره عظيم وفي الحديث « وهل يكب الناس في النار على وجوههم يوم القيامة إلا حصاد أسنتهم » انتهت اللطيفة الخامسة

(اللطيفة السادسة)

(في معنى قوله تعالى - وحملها الانسان -)

جاء في الفيروز بادى مانعه « وقوله تعالى - فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان - أى أن ينحنها وخانها الانسان . قال : والانسان هنا هو الكافر والمنافق » اه
وهذا المعنى واضح والحمد لله رب العالمين . انتهت اللطيفة السادسة

(اللطيفة السابعة)

(هذه اللطيفة عامة في السورة كلها وفيما قبلها وبعدها)

ذلك ان الله تعالى يقول فيها - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود - الخ . ذكر الله المؤمنين بنعمة الله عليهم إذ نصرهم في غزوة الأحزاب ، كما ذكر قوم موسى بنجاتهم من فرعون وهذا تذكري جزئي والافكم لله من نعم . إن الناس يتقلبون فيها صباحا ومساء ، فأجسامهم ملئت بحكمة وهم مغمورون في ضياء الشمس ونور القمر والكواكب والهواء وعندهم نبات وحيوان وما لا يعد ولا يحصى وانما هذه يعرفها العامة والخاصة لأن أكثر الناس لا يشكرون الله إلا على النعم الخاصة كالنصر في هذه الغزوة والا فالنعم لانهاية لها ولذلك أردف هذه السورة بسورة سبأ المبدوءة بالحمد لله ، وعلل الحمد بأن له مافي السموات ومافي الأرض وانه يحمد في الآخرة وحده ، ومقتضى هذا أن نعم الدنيا والآخرة له وهو يحمد عليها لأنها كلها واصلة الينا ، فليس الحمد لله خاصا بالنصر في الأحزاب (انظر هذا المقام في أول السورة الآتية) تم تفسير سورة الأحزاب يوم الثلاثاء ٢٤ مارس سنة ١٩٢٥ م ٢٨ شعبان سنة ١٣٤٣ هـ والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة سبأ (هي مكية)

(إنا قوله تعالى - وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبشكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد - الآية)

(آياتها ٥٥ - نزلت بعد لقمان)

﴿ هذه السورة قصمان ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ في تفسير البسملة

﴿ القسم الثاني ﴾ في تفسير السورة كلها

﴿ القسم الأول في تفسير البسملة ﴾

لك الحمد اللهم على ما أوليت من نعمة العلم وأفدت من آثار العرفان ، وهديتنا إلى ما نحن بصدد من تفسير آيات كتابك ، وألهمتنا أن نذكر أنفسنا والأمم الإسلامية برحمتك الواسعة التي كررتها في أول كل سورة من كتابك تفتح بصائرنا إلى عجائب حكمتك وبدائع صنعتك وبواهر خلقك وجواهر نظامك ، فمدناك على ما في سمواتك وأرضك ، وعلى ما فتحت من بصائر هذه الأمم الإسلامية الحاضرة والمستقبل بما أنزلت في هذه السورة من غرائب ما تخرج من أرضك في زماننا من أنواع المعادن وأصناف الخزائن التي أودعتها أمم قبلنا كأهل سبأ ذوى الجدة والتشهير وأصحاب الجنين اللتين عن يمين وشمال وأنهم لما حفظوا نعمتك وحافظوا على هبتك أبقيتهم ولما كسلوا من ذلك الحفظ وتقاطعوا أرديتهم في حفرة الهلاك وأدقتهم سوء النكال والنسي يدنا على ذلك تلك الرسوم المصورة التي أخرجت من أرض سبأ في زماننا تذكيرا للملك اليمن وعلماء اليمن وعظمائه أن في بلادكم نعمان استخرجتموها أبقيت بلادى بأيديكم والا فأرضى أعطيها لمن يستخرجون منافعها ويحفظون نعمها ويسعدون بها عبادى ، فليس من العدل أن يكون أتباع خاتم الأنبياء أقل شكريا للنعم من أولئك الذين كانوا يعبدون الشمس من دون الله ، كل ذلك الإيقاظ والتحذير من رحمتك الواسعة التى صاحبها العلم بكل جليل ودقيق

ومن رحمتك الواسعة المذكورة في البسملة أنك أفدتنا في قصة داود وسليمان أن شكر نعمتك والقيام بخدمة لك ليس قاصرا على العبادة ولو كانت الجبال مؤنسات مع العابدين ، صرّدت لك الصلوات ، صرّلت لك التسبيحات ، فن حق الشاكر أن يقوم بما يقدر عليه من الصناعات ويتقنها كإزالة الحديد وصناعة الدروع واستخدام الريح ، ومن أجل الرجاء على المسلمين اليوم أن يعلموا أن ما تلقى الأرواح من الأقوال لأهل الأرض أثناء تحضيرها ليس حجة قاطعة فهم لا يعلمون الغيب وليس يدعيه منهم إلا أرواح صغيرة ضيقة العطن قليلة الفطن ، ومن الرحمة التى ظهرت آثارها فى الأرض بعد النبوة أنك أعلنت فى هذه السورة أن نبينا ﷺ مرسل للناس كافة بشيرا ونذيرا وإن أكثر الناس لا يعلمون وأنك أنت المختص بعلم ذلك ولقد ظهرت تلك الآثار لنا عيانا وصدق وعد الله . ومن اطالع على مؤلفات الفرنجة فى انتشار الإسلام فى أفريقيا عند خط الاستواء وفى شماله وجنوبه يدهش إذ يسمعه يبرهنون على أن هذا الدين لا ينتشر بالسيف بل بالحبّة والمودة والإخلاص وأن اتهام قومهم فى أوروبا بأن انتشار الإسلام إنما كان بالسيف ضلال مبين ولقد وجدوا فى أفريقيا ملوكا عظاما وأعظمهم قبائل بيض الوجوه لهم السطان والسيطرة وهم فى احتلالهم أرض غيرهم وحمايتهم لهم سياسة أشبه بسياسة الأوروبيين ، فعلم الأمم الإسلامية بهذه المزايا وبما انطوت عليه آيات السورة فى زماننا من أجلّ النعم التى ستثير العزائم وترفع الأمم الحالية إلى أوج العلا ويخرج جيل إسلامى جديد أعزّ

نفوسا وأرق عزائم وأعلم بما أبدع الله في أرضه وما خلق في سمائه هنالك تصالح الأمم الإسلامية بعمارة الأرض ولحب ربهم وأهليهم به والغرام بعمله ، هنالك يشكرونه فلا يكفرونه ، ولا يكرونه ولا ينسونه ، ويصبح خاصتهم بما يرون من العجائب في هذه الطبيعة الأرضية والسموات ناطقين في قلوبهم بمثل ما ذكره (الكونت هنري دي كاستري) عن بعض علماء الاسلام ﴿ رب إن الجنة لا ترجى إلا لرؤيتك فيها ، وأولا نور ذاتك البهية لعفناها ﴾ وما نقله هو أيضا عما يؤثر عن (الشيخ القشيري) في القرن الرابع الهجري ﴿ إلهي إنك تهتدي بفراق يحرمني على السوام من تجلياتك البهية ، فيارب اصنع بي ما تشاء ولا تحرمني من مشاهدتك العلية ، فليس سمّ أصرّ مذاقا وأشدّ قتلا من ألم هذا الفراق ، وما حيلة النفس بغير ربها إلا أن تعيش في فزع وتبقى في حيرة واضطراب ، رب إن النفس لترضى أن تذوق الموت مائة ألف مرة ولا تذوق حرقه فرقتك صرة واحدة ، رب إن مصائب الدهر وجميع الأمراض القتالة لو اجتمعت على لا احتملتها غير متوجع من موقعها ولكن لا طاقة لي على احتمال بعدك عني ، رب لو احتجبت عنا برهة أظلمت أرضنا وغاضت أنهارنا فماذا يكون حالنا لو دام هذا الاحتجاب ؟ لولاه لما أسوقت نار الجحيم واشتد لها ، رب إن في تجليك حياتنا وكما سعدنا ونعيمنا ، وفي احتجابك عذابنا وجحيمنا ﴾ انتهى الكلام على تفسير البسملة وهو القسم الأول

﴿ القسم الثاني في تفسير السورة ﴾

﴿ مقدمة ﴾

اعلم أن في مبادئ السور حكما غالية وإشارات عالية ورموزا شريفة ، ألم ترالى ﴿ سورة الفاتحة ﴾ كيف ابتدأها بعد البسملة بالحمد لله على تربته للعالمين وقد شرحت الترتيبية هناك ونظامها وتناسقها وعمومها في العوالم كلها ، فهناك ترتيبية العوالم اجالا ، وأما ﴿ البقرة ﴾ ونحوها فهناك نسكة لطيفة وهو ابتداء السورة بحروف (الم) ولها فضلا عما ذكر بأول آل عمران ﴿ اشارتان بديعتان * الأولى ﴾ إن الحروف المحبائية هي العناصر الأولى لكل كلام نظم أو نثر ، ولن يفهم الكلام حق فهمه إلا بالرجوع لحروفه وتحليله وتقطيعه حرفا حرفا ، فلن تكون علوم البلاغة ولا الصرف ولا النحو ولا سائر العلوم العربية إلا بارجاع الكلمات لأصلها وبحثها وتقليبها على جميع وجوهها بالتصريف وغيره . وإذا كان ذلك كذلك في علوم اللغة فأحرى أن يكون في علوم السكون من الطبيعيات والرياضيات فلا هندسة إلا بتحليل البراهين والرجوع لأصولها . ولا حساب ولا جبر ولا فلك إلا بتحليل الأعداد ومعرفة الأولية وغيرها الأولية فيقال عدد (٥) أولى و (٤) زوجي و (٧) أولى وهكذا تعرف جميع الأعداد بمعرفتها يعرف ما تركب منها وهكذا في الكيمياء والطبيعة فهل تعرف المركبات من الحيوان والنبات إلا بتحليلها ؟ وهل يعرف الناس مركبا صناعيا إلا بارجاعه الى عناصره الأولى هذا هو الذي يشير له ذكر الحروف في أول السور كسورة البقرة وآل عمران والرعد والروم والعنكبوت وغيرها وهذه النسكة عامة . وهناك لطائف خاصة كأن يقال في البقرة مثلا (الم) هذه حروف جاءت في قوله تعالى - ألم ترالى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف - الخ وقوله - ألم ترالى الملائ من بنى اسرائيل من بعد موسى - وقوله - ألم ترالى الذى حاج إبراهيم في ربه -

فانظر كيف أتى بقوله - ألم - للاستفهام الاقراى في مسألة الحرب والدفاع عن البلاد وفي مسألة النظر في العوالم ونظامها وتحليلها كما حلل إبراهيم الطير وركبه وذلك هو العلوم الطبيعية فسكان (الم) تنبيه على ذلك . فكان الله يحث المسلمين بهذه الحروف على معرفة السكائنات بحسبها وتدقيقا وتفكيكا وتحليلا وتركيبا هذا ما ذكره لك في البقرة وفي كل سورة مبدوءة بالحروف المقطعة كما تقدم بعضه في الروم وما قبلها وما بعدها . فانظر الى الابتداء بالجد . قد رأيت الابتداء بالحمد لله في سورة الفاتحة ثم في سورة الأنعام . ففي الفاتحة يحمد الناس ربهم على التربية الاجالية لأن السورة افتتاح للقرآن وليسكن في الأنعام الحمد على نعمة السموات والأرض والظلمات والنور ففيها بعض التفصيل واطهار الجبال وبدائع النور البهيج البسديع المشرق في العالم كله

والحمد في أول (الكهف) على نور العلم كما كان في الأنعام على نور السكواكب واشراقها . وههنا ابتداء السورة بالحمد على أن لله مافي السموات ومافي الأرض وليس الحمد خاصا على النجاة من الأسخاب الذين تنزبوا على رسول الله والمؤمنين ونصر الله المسلمين عليهم . يقول الله : إن لي مافي السموات ومافي الأرض وأنا محمود عليهما . إن كل عبد له انتفاع بجميع العوالم . فالنعم المشتركة يفتنع بها الجميع . إن ادراك نعم الله وعظمها أعظم سعادة للمدرك لأنه يرى مالا يراه غيره . ولذلك يكون سعادة أهل الجنة باطلاعهم على خزائن ابداعه ويدركون الحقائق تامة وهو قوله . وله الحمد في الآخرة . الخ وأما قوله . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . فاعلم أنه كما يشير في أول سورة الروم والعنكبوت والبقرة بالحروف الهجائية الى أمور هامة في السورة كحجائب التحليل المذكورة في قصة ابراهيم في سورة البقرة وكيف بدأ الله انطلاق في سورة العنكبوت ونحوها . هكذا هنا قال الله . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها . يشير بذلك الى ما سيذكر في هذه السورة من الكشف الحديث . يريد الله أن يقول للمسلمين أنا لم أهتم عبادي أيام مجد الأوائل من سبأ وقحطان والتبابعة أن يكتبوا على الأحجار ويظمروها إلا لعلمي انها ستخرج لعبادي في هذا الزمان . إني أهتم الأوائل أن يدخلوا في الأرض مصنوعاتهم ويكتبوا أخبارهم على أحجارهم لأخرجها لعبادي المتأخرين فيعرف الآخرون مآثر الأوائل عظة واعتبارا وحكمة

ستقرأ أيها النكبي ما كشفه العلماء الألمان والنمساويون والانجليز وغيرهم في أصقاع (سبأ) والمسلمون لا يشعرون . دفن الله ذلك هناك ايرينا آثارهم فقال . يعلم ما يلج في الأرض . كذلك الآثار التي أوجها في أرض (سبأ) . وما يخرج منها . كما تخرج تلك الآثار اليوم كما ستراه في هذه السورة . فانظر لماذا ابتداء هنا بذلك . انظر أنه لم يذكر كذلك في أول سورة إلا هذه . انظر كيف بدأ بالحمد على أن له مافي السموات ومافي الأرض ليدلنا على أنه ليس النصر على الأسخاب هو النعمة وحدها . إن النعم كثيرة فاحمدوا الله عليها . ثم ذكر الولوج والخروج في الأرض ومنها ليدلنا على ماسيأتي ذكره في السورة من علوم تلك الأمم في أرض اليمن . وأما قوله . وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . فانه يشير به الى نسكته أدق وحكمته أشرف ونور أصنى وعلم أعلى وجهاء أجلي وجمال بهيج

ذلك انه قد ذكر في (سورة النور) أن من الحيوانات ما يمشي على رجلين . ومنه ما يمشي على أربع وذكر النمل بعد ذلك وهو يمشي على ست وذو العنكبوت بعد ذلك وهو يمشي على ثمانية أرجل . ولم يذكر العدد ؟ لأن أكثر الناس لا يفتنون لذلك ولكن جعل ذلك خزائن مخزونة في القرآن حتى يأتي هذا الجيل الاسلامي الجديد المقبل فيتنغلغل في الحكمة والعلم ويدرس الوجود ويقول انظريا أخى . انظر كيف خبا لنا ربنا الحجاب في القرآن . انظر كيف جعل (٢) و (٤) من أرجل الحيوان في سورة النور و (٦) في سورة النمل و (٨) في سورة العنكبوت بالترتيب ولم يعلن ذلك لعامة جهل الناس وخبأه لنا لنعرفه . ثم انظر كيف جاء في هذه السورة وقال . يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها . وقد عرفت رمزه . ثم قال . وما ينزل من السماء وما يعرج فيها . وما ينزل من السماء ويعرج فيها الملائكة . وسيأتي في (سورة فاطر) بهد هذه أنهم ذوو أجنحة مثنى وثلاث ورباع ثم قال . يزيد في الخلق ما يشاء .

لم يذكر الله فوق الرباع في القرآن لأن الناس لم يعرفوا من الأجنحة فوق الأربع ولا من الأرجل فوق الأربع لأنهم لم يدرسوا ولم يفتنوا إلا قليلا فدكر أنه . يزيد في الخلق ما يشاء . كأنه يقول إن للملائكة أجنحة فوق الأربع لا عدد لها والزيادة في الخلق لا تختص بأجنحة الملائكة فهكذا في أرجل الحيوان التي ذكر منها أربع يزيد فيها ما يشاء . ومعلوم لك أن هناك من الحيوان ماله أربعون رجلا فأكثر فهذا من زيادة الخلق كما يشاء الله . انتهى الكلام على المقدمة

﴿ تفسیر السورة ﴾

فلا شرع في تفسير السورة ولا جعله فصولا ثلاثة ﴿ الفصل الأول ﴾ في تفسير الألفاظ بطريقتي الإيجاز
﴿ الفصل الثاني ﴾ في جعل السورة ستة مقاصد وتفسيرها تفسيراً عاماً كنت كتبت منذ عشرين سنة في بعض
المجلات العلمية ﴿ الفصل الثالث ﴾ في معجزات القرآن التي أظهرها العلم الحديث في مسألة الجن وانهم لا يعلمون
الغيب ، ثم كيف كان سدّ العرم لازال آثاره باقية للآن وكيف أظهر أسرار تلك البلاد علماء أوروبا والمسلمون
نائمون هائمون ، إن ذلك كله معجزات للقرآن ، وكيف ظهرت مسألة الجن في علم الأرواح ولا علم للمسلمين
بذلك ، ولعلك تعجب حين ترى خريطة السدالمندكور في القرآن كشفها الأوروبيون (مع أن القرآن كتابهم
والبلاد ملكهم) وهم لا يهابون بذلك ولا يشعرون وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الأول في تفسير ألفاظ السورة كلها)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ * يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ
الرَّحِيمُ الْغَفُورُ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ
الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا
أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ * لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ سَمَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ *
وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ
الْحَمِيدُ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُفْبِّسُكُمْ إِذَا مَرَّقْتُمْ كُلَّ مُمَرَّقٍ
إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ * أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا يَبْنِي أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلَقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ
عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلَنَّا لَهُ الْحَمِيدَ *
أَنْ أَعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ
غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوْاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ
رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ

وَتَمَثِّلَنَّ كَالْجَوَابِ وَتُدَوِّرَ رَاسِيَاتٍ أُعْمِلُوا إِيَّاهُ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشَّكُورُ * فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنِّسَاتِهِ
فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنَّهُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْفَيْبُ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ * لَقَدْ كَانَ
لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ
طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْمَرْمَرِ وَبَدَّلْنَا هُمُومَهُمْ بِجَنَّتَيْنِ
ذَوَاتِی أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي
إِلَّا الْكَافِرِينَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ الْقَرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا
السَّيْرَ سَبِيلًا وَفِيهَا لَيْالٍ وَأَيَّامٌ آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلٌّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ
صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ
سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
حَفِيفٌ * قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ
وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِّنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَسْعَ الشَّفَاعَةُ
عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ
الْمَلِكُ الْكَبِيرُ * قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ
لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ لَا تَسْأَلُونَنِي عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَنْهَا نَعْمَلُونَ * قُلْ
يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُخْفِيتُمْ بِهِ
شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ
لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعْتِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنُؤْمِنَ
بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ
بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا

مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوْهُمُ اُنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ اِذْ
 جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْهُمُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اِذْ
 تَأْمُرُوْنَآ اَنْ نَّكَفِّرَ بِاللّٰهِ وَنَجْمَلَ لَهُ اُنْدَدًا وَاَسْرُوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَاَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا
 الْاَغْلَالَ فِيْ اَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كَانُوْا يَفْعَلُوْنَ * وَمَا اَرْسَلْنَا فِيْ قَرْيَةٍ
 مِنْ نَّذِيْرٍ اِلَّا قَالُ مُتْرَفُوْهَا اِنَّا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُوْنَ * وَقَالُوْا نَحْنُ اَكْثَرُ اَمْوَالًا وَاَوْلَادًا
 وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِيْنَ * قُلْ اِنَّ رَبِّيْ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَسَكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ
 لَا يَعْلَمُوْنَ * وَمَا اَمْوَالُكُمْ وَلَا اَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى اِلَّا مَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ
 صَالِحًا فَلَاُولَئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ غَيْرُ الصَّغِيْفِ بِمَا عَمِلُوْا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ اٰمِنُوْنَ * وَالَّذِينَ يَسْمَعُوْنَ فِي
 آيَاتِنَا مُعَاجِزِيْنَ اُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُوْنَ * قُلْ اِنَّ رَبِّيْ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ مِنْ
 عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِيْنَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ
 جَمِيْعًا ثُمَّ يَقُوْلُ الْمَلٰٓئِكَةُ اِهْؤُلَاءِ اِيَّاكُمْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ * قَالُوْا سُبْحٰنَكَ اَنْتَ وَلِيْمًا مِنْ
 دُونِهِمْ بَلْ كَانُوْا يَعْبُدُوْنَ الْجِنَّ اَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُوْنَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ
 لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُوْلُ لِلَّذِيْنَ ظَلَمُوْا ذُوقُوْا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُوْنَ *
 وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُنَا يَنْتَابِ قَالُوْا مَا هٰذَا اِلَّا رَجُلٌ يَّرِيْدُ اَنْ يَّصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانَ يَعْبُدُ
 اٰبَاؤَكُمْ وَقَالُوْا مَا هٰذَا اِلَّا افْكٌ مِّمَّنْ رٰى وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ اِنْ هٰذَا اِلَّا اَسْعٰرُ
 مُبِيْنٌ * وَمَا اَتَيْنَاكُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُوْنَهَا وَمَا اَرْسَلْنَا اِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَّذِيْرٍ * وَكَذَّبَ
 الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا يَلْعَوْنَ مِشَارَ مَا اَتَيْنَاكُمْ فَكَذَّبُوْا رُسُلِيْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيْرٌ * قُلْ
 اِنَّمَا اَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ اَنْ تَقُوْمُوا لِلّٰهِ مَشْنٰى وَفِرَادٰى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ
 اِنْ هُوَ اِلَّا نَّذِيْرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ * قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ اَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ
 اِنْ اُجِرْتُمْ اِلَّا عَلَى اللّٰهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِِيْدٌ * قُلْ اِنَّ رَبِّيْ يَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلٰمُ الْغُيُوْبِ *
 قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيْدُ * قُلْ اِنْ ضَلَلْتُ فَاِنَّمَا ضَلَلْتُ عَلٰى نَفْسِيْ وَاِنْ
 اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحٰى اِلَيَّ رَبِّيْ اِنَّهُ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ * وَلَوْ تَرٰى اِذْ فَرَعُوْا فَلَا قُوَّةَ وَاُخِذُوْا مِنْ

مَكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْفَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ *

التفسير اللفظي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله الذي له مافى السموات ومافى الأرض) أى ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجلها (وله الحمد فى الآخرة) كما هو له فى الدنيا لأن النعم فى الدارين كلها منه وسجد أهل الآخرة راجع لانكشاف الحقائق لهم فيكون الحمد على مقدار العلم وهو غريز ويرى اليه ما ورد في ان أهل الجنة يلهمون التسبيح والحمد كما تلهمون النفس (وهو الحكيم) الذى أحكم أمور الدارين فاستحق الحمد لذلك (الخبير) بمواطن الأشياء (يعلم ما يلج فى الأرض) كالفيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر وكالكنوز والدفائن والأموات (وما يخرج منها) كالحيوان والنبات والغازات وماء العيون وما استخرجه علماء أوروبا من بلاد (سبأ) الآتى ذكرها ، وذلك ما أشار به العالم الألمانى ميخائيلس المتوفى سنة ١٧٩١ على ملك الدانمارك أن يرسل بعثة الى بلاد اليمن ففعل سنة ١٧٥٦ وأرسلها فعرفت بعض النقوش وقالت إن اليهود والعرب لا يقدرون على قراءتها ، وأول من فكّر فى ذلك الألمان فالانكيز فالفرنساويون ومنهم العلامة ارنو كان فى اليمن سنة ١٨٤٣ وعاد معه ٥٦ نقشا نقلها عن آثار صنعاء والخرى به ومأرب وحرم بلقيس ، وأيضا أحضر خريطة سد مأرب وهو أول من تمكن من مشاهدة آثار ذلك السد ، فلهذا ذكر الله هنا ما يلج فى الأرض وما يخرج منها لعلهم بما سيحصل فى بلاد الاسلام وأن الأمة الاسلامية سيتولاهم الانحطاط وتصبح غيبة جاهلة ويأتى الفرنجة يبحثون عن أسرارها وأهلها نائمون عابثون جاهلون جامدون كما حصل فى هذه القرون إذ يكون تفسير هذه السورة ومججزاتها وسد مأرب المذكور فيها والجنات كل ذلك مغمور مخزون فى الأرض ومن المسلمين من يقرأ القرآن وهو جاهل - كالحمار يحمل أسفارا - والفرنجة يأتون فيقرؤون ويتعلمون تاريخ أسلافنا ويرون انهم كانت لهم مدينة عظيمة ويرون أبناءهم التابعين لأعظم نبي أصبحوا جاهلين بكل شئ ، بتاريخ أسلافهم ، بمعانى كتبهم ، علم الله ذلك كله قبل وقوعه فقال - يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها - مشيرا الى ما سيأتى فى هذه السورة ، يقول الله انهم ما أوجوا آثارهم فى الأرض إلا بعلمى ولا أخرجها الفرنجة إلا بعلمى لأنى لا أفعل إلا لحكمة ، انظروا الفهم كيف خزنته فى الأرض قبل أبيكم آدم وأخرجته لكم الآن . هكذا خزنت عجائب سبأ ونقوشهم وأمرت أهل أوروبا فاستخرجوه ووضعت هذه الآية فى أول هذه السورة لأنبه المسلمين أن يستيقظوا فيتعلموا علوم الأمم ويبحثوا على ما خبأته فى الأرض ، إني خبأت فى الأرض عجائب طبيعية وصناعية ، فلئن لم يتفطن لها المسلمون ويستخرجوها فوعزتي وجلالى لأخرجنها منها ولأملكها لغيرهم ، إني لأعطي النعمة إلا لمن يستحقها فان نام المسلمون فلا تمنع عنهم نسيم الحياة وأسلط عليهم الأمم ، أنا كنزت هذه الكنوز كما كنزت لليتمين فى المدينة كنزا ولما بلغا أشدهما أخرجته لهما ، هكذا المسلمون كانوا أيتاما جهالا فاذا بلغوا الرشد فى هذا الزمان سلمتهم الأمانة المخزونة فى الأرض حتى يعرفوا مجد القدماء ويستفيدوا من علومهم ويزيدوا عليها وتكون لهم مدينة أرقى من مدينة أولئك الأقوام والأسكنت الأرض غيرهم ويكونون خيرا منهم ، إني عدل رؤوف رحيم حكيم عليم ، ما خلقت خلقى عبثا ، أنا الحكم العدل لأحيد ولأميل وأعطي النعمة لمن يفهمها وأطرد عنها من لا يعقلها

يقول مؤلف الكتاب : إن هذا التفسير وأمثاله جعل تنبيها للمسلمين حتى يفتنوا وهو أشبه بمنبه عام ، فعلى كل ذكّا أن يسير على هذا المنوال ويوقظ الأمة فإن كل من قرأ هذا القول مسئول عن أمته فليتواصوا بالحق وليتواصوا بالصبر ، وافى على رجاء عظيم أن يهتدى الله بهذا التفسير أمما ويحيى قلوبا ويشرح صدورا ويسعد دولا انه هو الغنى الحميد وقوله تعالى (وما ينزل من السماء) كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والمطر والأنوار والصواعق ، وبالجملة أكثر ما جاء في علم الآثار العلوية من علوم الفلسفة الطبيعية وعددها ثمانية مذكورة في كتاب الفلسفة الذي جعلته مختصرا للناسئين (وما يخرج فيها) كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة والطيارات والمناطيد الجوية (وهو الرحيم الغفور) للفرطين في شكر نعمه مع كثرتها (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة) انكارا لها واستبطاء واستهزاء (قل بلى) ردّا لكلامهم (وربى لئن أنتم كنتم تعلمون) لا يفوت عامه شئ من الخفيات (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) الذرة أصغر ذرة ، والكتاب المبين اللوح المحفوظ ، وقد تقدم تفصيل الكلام على هذه المعاني فى أول (آل عمران) وفى سورة (يونس) وغيرها فارجع إليها . وقوله (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات) متعلق بقوله - لتأتينكم - وقوله (أولئك لهم مغفرة ورزق كريم) أى لا تعب فيه ولا من عليه (والذين سمعوا فى آياتنا) بالباطل وتزهد الناس فيها (معاصرين) سابقين كى يفوتونا (أولئك لهم عذاب من ربى) سىء العذاب (أليم) مؤلم (ويرى الذين أوتوا العلم) أى ويعلم أولو العلم من مسلمي أهل الكتاب (الذى أنزل إليك من ربك) القرآن (هو الحق) بالرفع والنصب (وهو الذى إلى صراط العزيز الحميد) وهو دين الله (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم لبعض (هل ندلكم على رجل ينبئكم) يخدثكم بأعجب الأعاجيب ، (إذا مرّ بكم كل همزق إنكم لفي خلق جديد) انكم تشعرون خلقا جديدا بعد أن تمزق أجسادكم كل تمزق وتفرق بحيث تصير ترابا (أفترى على الله كذبا أم به جنة) جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) أى عن الحق فى الدنيا (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن أنشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أى أعمو فلم ينظروا إلى السماء والأرض وانهما حيثما كانا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطان بهم لا يتدرون أن ينفذوا من أقطارهما ولم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم لآيات الله (إن فى ذلك) النظر إلى السماء والأرض والتفكير فيهما ودلائلها (لآية) لدلالة (الكل عبد منيب) راجع إلى ربه مطيع له إذ المنيب هو الذى ينظر لآيات الله ويعرف انه قادر على البعث (ولقد آتينا داود منا فضلا) وقلنا (يا جبال أوفى معه) من التأويب أى رجمي معه التسبيح إما بخلق صوت مثل صوته واما بأنها تحمله على التسبيح اذا تأمل عجائبها فهى له مذكرات كما يذكر المسبح مسبحا آخر ، وقوله (والطير) معطوف على محل الجبال وكان الأصل - ولقد آتينا داود منا فضلا - تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لفخامته (وأنا له الحديد) وجعلناه فى يده كالشمع يصرفه كيف يشاء (أن) بمعنى أى (اعمل سابقات) أى دروعا كوامل واسعات تسحب فى الأرض (وقدر فى السرد) ضيق فى نسج الدروع أو جعل النسج على القصص وقدر الحاجة (واعملوا) يا داود وآل داود (صالحا إلى بما تعملون بصيرو) سخرنا (لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر) جريها بالفسادة مسيرة شهر وبالعشى كذلك (وأسلنا له عين القطر) النحاس المذاب اسالة من معدنه فنبع منه نبوع الماء من ينبوع فلذلك سماه عينا (ومن الجن من يعمل بين يديه) من يعمل معطوف على الريح ، وقوله - من الجن - حال متقدمة (بأذن ربه) بأمره (ومن يزغ منهم عن أمرنا) ومن يعدل منهم عما أمرناه من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) عذاب الآخرة (يعملون له ما يشاء من محاريب) قصور حصينة ومساكن شريفة ، سميت بذلك لأنه يحارب عنها (وتماثيل) وصورا

أوتماثيل لللائكة والأنبياء على ما اعتادوا من العبادات ليراهم الناس فيعبدون على عادتهم * يقال انه كان له أسدان في أسفل كرسيه ونسران فوقه ، فاذا أراد أن يصعد بسط الأسدان له ذراعيهما ، وإذا قصد أن يهبط بالنسران باجنحتيهما (وجفان) قصاع (كالجواب) كالحياض الكبار جمع جابية من الجبابة وهذه من الصفات الغالبة كالذابة (وقدور راسيات) ثابتات على أكتافها لا تحرك ولا تنزل عن أماكنها لعظمتهن وكان يصعد إليها بالسلام وقلنا (اعملوا) يا (آل داود شكرا) أي اعملوا بطاعة الله شكرا على نعمه والمراد بآل داود إمامو وحده أوهو وسليمان وأهل بيته وليس يهمنا تحقيقه (وقليل من عبادي الشكور) أي قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي (فلما قضينا عليه الموت) أي على سليمان (مادهم على موته) مادل الجن أوآله (الإدابة الأرض) أي الأرضة أضيفت إلى فعلها والأرض بسكون الراء أوفتحتها يقال أرضت الأرضة الخشبة أرضا فأرضت أرضا ، فالفعل الأول كضرب والثاني كفرح (تأكل منسأته) عصاه ، تقول نسأت البعير إذا طردته وهي يطرد بها (فلما خر) وقع سليمان (نبئت الجن) علمت الجن كلهم علما بينا بعد التباس الأمر على عاقبتهم وضعفتهم (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا) بعد موت سليمان (في العذاب المهين) أي لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلوا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعد موته حولا في تسخيره * ررى أن داود أسس بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فبات داود قبل تمامه فوصى به إلى سليمان فاستعمل الجن فلم يتم ودنا أجله فأعلم به فأراد أن يعصى عليهم موته ليموت فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها ، فبقى كذلك حتى أكلتها الأرضة فخر ثم بحثوا عنه فوجدوا بحسب مقادير أكل الأرضة انه قد مات منذ سنة وكان عمره ٧٠ سنة ومالك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لأربع مئة من ملكه

هذا ما جاء في كتب المفسرين رجهم الله وسيأتي في الفصل الثالث مقصود هذه القصة وانها من المعجزات النبوية لأن هذا المقصود هو نفسه الذي شرحته الأرواح في الوقت الحاضر وهو عجيب وهذا داخل في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها

ثم قال تعالى (لقد كان لسبأ) لأولاد سبأ من نسل قحطان (في مسكنهم) أو مساكنهم قراءتان أي في مواضع سكنهم وهي اليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة فراسخ (آية) علامة دالة على وجود الصانع المختار ، والآية المذكورة (جنتان) بجماعتان من البساتين (عن يمين وشمال) جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منها في تقاربها وتضايقها كأنها جنة واحدة أرسل كل رجل بستانان عن يمين مسكنه وبستان عن شماله ، وقد أظهر الكشف الحديث الآتي الرأي الأول فقال لهم الله على ألسنة أنبيائهم هذه البلدة التي فيها رزقكم (بلدة طيبة) ور بكم الذي رزقكم (رب غفور) لمن شكره * قال ابن عباس وكانت سبأ على ثلاثة فراسخ من صنعاء ، يقال انها كانت أخصب البلاد ، وأما طيبها فليس بها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وسترى تحقيق أهم هذه الأمور (فأعرضوا) عن الشكر (فأرسلنا عليهم سيل العرم) أي السد وهو جمع عرمة وهي الحجارة المركومة كالخزان في وادي النيل عند اصوان يحجز الماء وكان ذلك بين زمن عيسى وحمد ^{عليه السلام} وهذا السد له ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض والمطر يجتمع أمام ذلك السد فيسقون من الباب الأعلى ثم الذي يليه ثم من الأسفل (وبدلناهم بجنتهم) المذكورتين (جنتين) سميتا جنتين للمشاكل (ذواقي أكل خط) الأكل الثمر والخط كل نبت أخذ طعاما من المارة وشجر الأراك وكل شجر ذي شوك (وأثل) هو العبل وهو أكبر من الطرفاء وأعظم منه (وشئ من سدر قليل) وهو شجر ممرورف ينتفع بورقه في الفسل وثمره النبق وهماسعطوفان على أكل لاهل خط ، ألا ترى أن الطرفاء لا ثمر لها فلا تكون في حيز المأكول وفي كل خط قراءتان الإضافة والتنوين وعلى الثاني يكون بدلا أو عطف بيان (ذلك جزيناها

بما كفروا) أي بكفروهم (وهل نجازي إلا الكفور) وفي قراءة - وهل يجازي - (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) بالتوسعة على أهلها وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يظهر بعضها لبعض أوراكة متن الطريق ظاهرة لأبناء السبيل (وقدّرنا فيها السير) بحيث يقيّل الغادي في قرية ويبيت الراح في قرية إلى أن يبلغ الشام وقيّل لهم بلسان الحال (سيروا فيها ليالي وأياما) متى شئتم من ليل أو نهار (آمين) لا يختلف الأمن فيها باختلاف الأوقات (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أي انهم بطروا النعمة وماوا المافية كبنى إسرائيل فسألوا الله أن يجعل بينهم وبين الشام مفازا ليتناولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الأزواد فأجابهم الله بتخريب القرى المتوسطة (وظلموا أنفسهم) حيث بطروا النعمة ولم يستموا بها (جعلناهم أحاديث) يتحدث الناس بها تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرّقوا أيدي سبأ أي كما تفرّق أبناء سبأ في البلاد كما سيأتي تفصيله (وضرّقناهم كل ممزّق) وضرّقناهم غاية التفريق (إن في ذلك) فيما ذكر (آيات لكل صبار) عن المعاصي (شكر) على النعم (ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه) بالتشديد أي حقق ظنه أو وجدته صادقا وبالتخفيف أي صدق في ظنه (فانبعوه إلا فريقا من المؤمنين) أي إلا فريقا هم المؤمنون لم يقبوه (وما كان له عليهم) على المتبعين (من سلطان) تسلط واستيلاء بالوسوسة والاغواء (إلا لنهم من يؤمن بالآخرة من هومنها في شك) أي لتمييز المؤمن من الشاك (وربك على كل شيء حفيظ) محافظ رقيب . واعلم أن هذه الآيات من قوله - ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه - جيء بها كما هي عادة القرآن بعد ذكر القصص لاستنتاج العلم من أحوال الأمم لأن المراد تعليم المسلمين لا مجرد القصص وسردهما . يقول الله إن إبليس لا سلطان له على قلوب الناس وإنى أسلط عليهم كما أسلط الشياطين على العيون القنرة والوباء على البلاد التي تستحقه لتعفن جوّها ، فليست أفعل إلا الحكمة فمن سمع وسوسة الموسوس فهو المذنب وحده ، فإذا حلّ الوباء بأرض مات من لا قدرة له على الحياة لاستعداد له الموت وبقي من له استعداد للحياة هكذا في الوسوسة يفرق الله بها بين الثابت العقيدة ومتزلزله وهكذا جميع حوادث الدنيا من اللذات والهمكن منها والحوادث المؤلمة وحاولها ليثبت القادر ويسقط الضعيف وهكذا الأمم الأوربية جعلها الله محكاً لأهل الشرق فمن صادمهم وصبر على مكابحتهم فاز بالاستقلال ، ومن جزع منهم وخاف وهلع وخضع أصبح أسيراً لهم وأذاقوه سوء النكال . هذا ما نصده الآية إذ يقول تعالى - وما كان له عليهم من سلطان إلا لنهم - الخ ثم قال تعالى (قل) يا محمد للمشركين (ادعوا الذين زعمتم) أي زعمتموهم آلهة (من دون الله) ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سنى الجوع ، ثم أفاد عجز الآلهة فقال (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) يعني من خير وشرّ ونفع وضرّ (وما لهم) أي للآلهة (فيهما) في السموات والأرض (من شرك) من شركة (وماله) لله (منهم) من الآلهة (من ظهير) معين يعينه على تدبير أمرهما (ولا تنفع الشفاعة عنده) أي لا تنفعهم شفاعتهم أيضا عنده تعالى فلاشفاعة عند الله (إلا لمن أذن له) أي إلا لمن أذن الله له أن يشفع والله لا يأذن أحدا أن يشفع لهؤلاء الكافرين فيخرجون صغين عند الموت (حتى إذا فرغ) كسّط وجلّى (عن قلوبهم) الخوف والفرع (قالوا ماذا قال ربكم) أي قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لاقامة الحق (قالوا الحق) أي قال المشركون الحق فأقرّوا به حين لم ينفعهم الإقرار (وهو العلى الكبير) أي ذو العلو والكبرياء ، وللآية وجه آخر في التفسير وهو أن الله تعالى لما قال - ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له - ذكر حالا من أحوال الذين يؤذن لهم بالشفاعة وهم الملائكة لا الأصنام لأن الملائكة وسائط الوحي ، وقد تقدّم في سورة البقرة أن التعليم بذر الشفاعة فقال إن الملائكة ينتظرون الأذن خائفين فرعين حتى إذا فرغ عن قلوبهم بالأذن قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة ؟ قالوا قال القول الحق وهو الأذن بها لمن ارتضى وهم المستعدون لها ، وهذا المعنى فصله حديث الترمذي . إن الله إذا تكلم بالوحي سمع أهل السموات

صاحبة سكر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول الحق فيقولون الحق »

واعلم أن حال العلماء والحكماء في الأرض فيها بعض الشبه بذلك . ألا ترى أن النبي ﷺ عند الوحي كان كأنه مغشى عليه وينتابه العرق ثم يكشف عنه ذلك فينطق بما أوحى به إليه . ألا ترى أن الإنسان لا يعرف علما إلا إذا صرف كل قواه العقلية إلى الفكر وحصر كل همه في الفهم حتى يعقل ما هو بصدده . إن هذا الذي ذكر في الآية والحديث يشير إلى أن العلوم والحكمة من عالم مغاير لعالمنا فلا ينال ملك ولا نبي ولا عالم شيئا منه إلا بأن تكون كل قواه محصورة في العالم الروحي وأقل الناس في ذلك العلماء وأعظم منهم الحكماء وأرقى منهم الأنبياء والملائكة فاستفراق هاتين الطائفتين أشد والله أعلم

(الكلام في محاجة الكافرين والمعاندين والمترفين والمرؤسين وما هو من هذا النحو)

لما تقدم قوله تعالى - لا يملكون مثقال ذرة - الخ أتى هنا بتقريره فقال (قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله) فلاجواب سواء (وانا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) أي مانحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال وذلك على طريق الإلزام والانصاف في الحجاج إذ يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب فكذبهم من غير تصريح بالتكذيب (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعمون) وهذا أدخل في الانصاف إذ أسند الاجرام لأنفسهم والاهمل للمخطئين (قل يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا بالحق) يحكم ويفصل بأن يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار (وهو الفتاح) الحاكم الفصيل (العليم) بما ينبغي أن يقضى به (قل أروني الذين ألحقهم به شركاء) لأرى بأي صفة ألحقتموهم بالله في استحقاق العبادة ، استفسر عن شبهتهم بعد الزام الحجة عليهم في تبكيهم (كلا) ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايضة أي ارتدعوا (بل هو العزيز الحكيم) الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة ، فأما من ألحقوهم به فلا قبول لهم عندهم ولا القدرة (وما أرسلناك إلا كافة للناس) إلا رسالة عامة لهم فهي كفهم أي منعهم أن يخرج منها أحد منهم أو لا حال كونك جامعاً لهم في الإبلوغ والنماء للبلغة (بشيرا ونذيرا) ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك (ويقولون) من فرط جهلهم (متى هذا الوعد) يفتنون المبشر به والمنذر عنه (إن كنتم صادقين) الخطاب لرسول الله ﷺ والمؤمنين (قل لكم ميعاد يوم) أي وعد يوم (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) إذا فاجأكم وهو جواب معطوف على التهديد مطابق لما قصده من التفتت والانكار (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) ولا بما تقدمه من الكتب ، وذلك أن أهل مكة سألوا أهل الكتاب عنه ﷺ فأخبروهم أنهم يجدون نفعه في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك (ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم) في موضع المحاسبة (يرجع بعضهم إلى بعض القول) يتحاورون ويتراجعون القول (يقول الذين استضعفوا) يقول الأتباع (للذين استكبروا) للرؤساء (لولا أتمم لكنا مؤمنين) فأنتم الذين منعموننا عن الإيمان (قال الذين استكبروا) أجاب المتبوعون في الكفر (للذين استضعفوا نحن صدقناكم) منعاكم (عن الهدى) عن الإيمان (بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) بترك الإيمان (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أي مكركم بنا في الليل والنهار أي لم يكن اجرامنا الذي صدقنا بل مكركم لنا دائما ليلا ونهارا حتى غيرتم علينا رأينا (إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) وذلك أن القادة يقولون للأتباع ان ديننا الحق وأن محمدا كذاب ساحر فاذن طاعة الكفار بعضهم لبعض تكون سببا لعداوتهم في الآخرة كما هو مشاهد في قطاع الطرق والفسقة إذا وقعوا في أيدي الحكام والقضاة فانهم يتعادون (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) أي وأضرر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال (وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) أي في أعناقهم (هل يجزون إلا

ما كانوا يعملون) أى لا يفعل بهم ذلك إلا جزاء على أعمالهم (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) ذلك تسلية لرسول الله ﷺ لأن المنتهين المنغمسين في الشهوات هم الذين يحملهم التكبر والمفاخرة بخلاف الدنيا على النور من الكمال والحكمة والعلم والایمان لأن الضدين لا يجتمعان فمن هو منغمس في الشهوات واللذات كيف يخلص عقله للكمال ، ثم أخذوا يربطون الكمال النفسى بالكمال المادى (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا) ولم يكن ذلك إلا لرضاء الله علينا ولو كان ديننا باطلا ما منعنا هذه النعم فنعن مكرمون (وما نحن بمعذبين به قل) ردّا لزعيمهم (إن ربى ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق امتحانا وابتلاء فلا علاقة للكمال الروحى بالكمال الجسمى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انها كذلك فيدخلون في أحكامهم ويعلقون أحد الأمرين على الآخر (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى) أى بالتي تقرّبكم عندنا تقريبا (إلا) لكن (من آمن وعمل صالحا) أى إيمانه وعمله يقرّبه منى ، فالأموال والأولاد لا تقرّب أحدا إلا المؤمن الصالح الذى ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربّه على الصلاح (فأولئك لهم جزاء الضعف) أى أن يجازوا الضعف الى عشر الى سبعمئة فأكثر (بما عملوا وهم في الغرقات آمنون) من المسكاره (والذين يسهون في آياتنا) بالردّ والطعن فيها (معاجزين) مسابقين لأنبأنا أوطانين انهم يفوتونا (أولئك في العذاب محضرون) قل إن ربى ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) هذا في الانسان الواحد في وقتين مختلفين وما تقدّم في شخصين مختلفين (وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه) عوضا إما عاجلا أو آجلا (وهو خير الرازقين) ولا رزق من غيره إلا أن يكون واسطة في ذلك فالرازق حقيقة هو الله (ويوم يحشرهم جميعا) المستكبرين والمستضعفين (ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون) تقرّبا للمشركين وتبكيّنا لهم واقنطاطا لهم من توقع شفاعتهم (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم) أى الذى نواله من دينهم لا موالاة بيننا وبينهم (بل كانوا يعبدون الجنّ) أى الشياطين إذ كانوا يعبدون غير الله بوسوستهم أو يعبدونهم هم أنفسهم إذ يفهمونهم أنهم هم الملائكة تضليلا فيستغيثون بهم في قضاء حوائجهم كما هو مشهور عند أرباب العزائم والسحرة ، فأما نحن فانتا ندعوا الناس الى الخير والفضل ، فجواهر نفوسنا ونتائجها مخالقات لجواهر الجنّ ونتائجها (أكثرهم بهم مؤمنون) أى مصدّقون للشياطين إما باستحضارهم بطرق التحضير ، وإما بالوسوسة (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا) بالشفاعة والعذاب أى انهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر لأن الأمر في ذلك اليوم لله الواحد القهار ، لا يملك فيه أحد منفعة ولا مضرة لأحد (ونقول للذين ظاهروا بوضع العبادة في غير موضعها) (ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) في الدنيا (واذا تتلى عليهم آياتنا) أى قرئ القرآن عليهم (بينات) واضحات (قالوا ما هذا إلا لارجل يريد أن يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا) أى القرآن (إلا إفك مفترى) وقال الذين كفروا) اظهار في موضع الاضرار للانكار عليهم أى قالوا (للحق) للقرآن أولامر النبوة (لما جاءهم) وعجزوا عن الايمان بمثله (إن هذا) أى الحق (إلا سحر مبين) أى بين ظاهر فكل عاقل يتأمّله يسميه سحرا (وما آتيناكم من كتب يدرسونها) تدلّهم على صحة الاشراك (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) يدعوهم الى الشرك وينذرهم على تركه فن أين هذه الشبهة ؟ ثم أخذ يهددهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) كما كذبوا (وبابلقوا) هشار ما آتيناكم) أى وما بلغ هؤلاء عشر ما آتينا أولئك من القوّة وطول العمر وكثرة المال (فكذبوا) رسل فكيّف كان تكبير) أى حين كذبوا رسل جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان تكبيرى لهم فليحذر هؤلاء مثلهم (قل انما أعظكم بواحدة) أى أرشدكم وأنصح لكم بخصلة واحدة هي ما دلّ عليه قوله (أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا) أى هو القيام والانتصاب في الأمر والنهوض بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تفكروا في أمر محمد ﷺ اثنين اثنين أو فرادى ، فأما الاثنان فيعرض كل واحد منهما رأيه على

الآخر ، وأما الفرد فيفسكر في نفسه أيضا بعدل ومنصفه هل رأينا في هذا الرجل جنونا ؟ وهذا قوله تعالى (ما
بصاحبكم من بجنة) أي ففتفكروا هل بصاحبكم من جنون أوما بصاحبكم من جنون ؟ (إن هو إلا نذير لكم
بين يدي عذاب شديد) قدأمه لأنه مبعوث قبيل الساعة (قل ما سألتكم من أجر) أي أي شيء سألتكم من
أجر على الرسالة (فهو لكم) وهذا وما قبله يرجعان الى أن دهرى النبوة بلا حقيقة لها إما أن يكون الجنون
أولتوقع نفع دنيوى ، فأما الجنون فلينظر فيه بالفكر مثنى وفرادى ، وأما النفع الدنيوى وهو الأجر فهو مستف
أيضا (إن أجرى إلا على الله وهو على كل شيء شهيد) مطلع يعلم صدق وخاوص نيتى (قل إن ربي يقذف
بالحق) يقول بعد نفي كل من الجنون وتوقع الأجر في الدنيا قل لهم إن ربي يأنى بالوحى من السماء فيقذفه
الى الأنبياء (علام الغيوب) خفيات الامور (قل جاء الحق) أي القرآن والاسلام (وما يبدى الباطل وما يعيد)
أي ذهب الباطل وزهق فلم تبقى منه بقية تبدى شيأ أوتعيده (قل ان ضللت) عن الحق (فانما أضل على
نفسى) فوبال ضلالى عليها (وان اهتديت فما يوحى الى ربي) فان الاهتداء بهديته (إنه سميع قريب)
يدرك قول كل ضال ومهتد (ولوترى إذ فزعوا) عند الحوادث العظام من هلاك في الدنيا كما حصل في حرب
بدر وغيرها أو عند الموت أو يوم البعث لرأيت أسرا فظيعا (فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) من ظهر
الأرض الى بطنها ، أو من الموقف الى النار ، أو من صحراء بدر الى القليب هناك (وقالوا آمنا به) بمحمد حين
عابنوا العذاب عند اليأس (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) أي كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان
والتوبة وقد كان قريبا منهم في الدنيا فضيعوه ، فاذا سألوا الرد الى الدنيا يقال : وأنى لهم الرد الى الدنيا
(وقد كفروا به) بمحمد ﷺ (من قبل) من قبل ذلك أو ان التكليف (ويقذفون بالغيب) ويرجعون
بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم من الرسول ﷺ (من مكان بعيد) من جانب بعيد عن الصدق
والحق والصواب كقولهم هو شاعر وساحر الخ فهذا منهم تكلم بالغيبة والذي لم يشاهدوه فهو من جهة بعيدة
عن حاله الشريفة ﷺ (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من نفع الايمان والنجاة به من الدار بعد ما فاتت
فرصته في الحياة الدنيا وهم كافرون وقادفون بالقول بلا روية ولا فكر في أمر النبوة (كما فعل بأشياءهم
من قبل) أي بأشياءهم من كفره الأمم لدارجة (انهم كانوا في شك صريب) موقع في الريبة والتهمة وهو
وصف للشكك وصف به الشك مبالغة . انتهى الفصل الأول وهو تفسير ألفاظ السورة كلها

(الفصل الثانى)

نذكر في هذا الفصل ما كنت كتبتة ملخصا لتفسير هذه السورة منذ أكثر من عشر سنين ليجتمع
المعنى بسهولة عند الأذكياء

اعلم أن هذه السورة تشتمل على ستة مقاصد : الأول اثبات الوجدانية (الثانى) اثبات علم الله
(الثالث) اثبات يوم البعث بما يشاهد من المجائب (الرابع) آراء العلماء فى القرآف وآراء الجهلاء
(الخامس) ذكر أممتين عظيمتين غنيتين إحداهما أطعها النبي فكفرت وهى سبأ وأخرى شكرت وهم
آل داود وسليمان وجوزى كل بما فصل (السادس) تعليم الناس الاستقلال فى الرأى ونبد الأوهام حتى
لا تخدعهم صورة ممثلة ولا رئيس ضليل ولا يفرهم مال ولا يطغهم ترف ولا يعبدون ملكا ولا جنا ولكن
يكونون أحرارا خالصين مخلصين فينالون السعادة فى الدنيا والآخرة كداود وسليمان عليهما السلام وكالنبي
ﷺ كما ذكر فى سورة الأحزاب

﴿ المقصد الأول والثاني والثالث ﴾

(من أول السورة الى قوله - من رجز أليم -)

ابتدأ السورة بحمد الله عز وجل و بيان اختصاصه بملك العالم العلوى والسفلى وليس فى الآخرة من نعمة الا من فيض فضله وتعالى نعمته فهو المحمود فى الدارين المشكور على نعمتين توطئة لما سيدكر فى السورة من ملك داود وسليمان اذ عرفا لله حق النعمة واعترفا أنها من الله وشكرا عليها والمسا الى سبأ بكفرهم بالنعمة واعراضهم عن الحمد وتقطيعهم الارحام وتمزيقهم شمل الامة - جزاء وفاقا - بما عملوا ومزقوا كل ممزق لما أعرضوا وايدانا بأن من خدعوا بالاصنام أو اغتروا بالرؤساء الذين استكبروا أو عبدوا الملائكة أو قالوا للضعفاء نحن أكثر أموالا وأولادا فأن أولئك غافلون وجزاؤهم انقت والغضب والارتطام فى أحوال الشبهات والفرق فى غمرة الجهل واستعباد الرؤساء لهم وتغذيبهم لما غفلوا عن مسبب النعمة ومسببها ثم أفاد أنه يعلم أجزاء المادة وان دقت وصغرت وصفاتها من حركة وسكون وولوج وخروج ونزول وصعود ويعلم ما فوق ذلك من ملك كيف لا ونحن نشاهد عجائب الكيمياء فنحجب كيف وزن الذرات وزيا بديها حتى انك لترى الأ كسوجين والأدروجين فى الماء مثلا لا تزيد ذرة منهما أو من أحدهما عما رسم لها فى تركيب الماء وتلك الذرات دقيقة لا ترى بالمنظار المعظم . وهكذا العناصر الداخلة فى تركيب الاشجار والزرور فلقد وضح أن تألف منها النبات بمقدار معلوم فتري الجبر مثلا فى القطن وفى القمح وله مقام معلوم فى كليهما لا يتعداه . وهذا هو السر المصون الحبيب المعبر عنه بقوله - ولا أصغر من ذلك -

فان ذرات الكيمياء أصغر من ذرات الهباء صغرا لاحدله . ولا جرم أن الذى يعلم دقائق الاشياء كإنشاهده لا يغفل عن أفعال العباد . فاذا وزن الذرات فى تركيب النبات فما أحراه أن يزن أفعال العباد ليوم الميعاد فذكرنا الله بقوله - وربى لتأتينكم - وهذا قسم للتأكيد على نهج البلاغة ثم اتبعه بالبرهان العلمى والدليل الطبيعى والكماوى للحكماء على سبيل الارتقاء فقال - ولا يعزب عنه مثقال ذرة - . الخ فتعجب وتأمل وادرس العلم واقرا الحكمة حتى تفهم السر المصون وذلك قوله تعالى - يعلم ما يلج فى الارض الى قوله من رجز أليم -

﴿ المقصد الرابع ﴾

ان عقلاء الاعم وعلماء الديانات يرون أن هذا القرآن يوافق ما أوتوا وأنه هدى . وأما الجهال فانهم ناهون فى أودية الضلال لاجحة لهم الا الاستبعاد . ولا دليل لهم الا الاستهزاء والايذاء بما يهرفون من جنة يدعونها وكذبة يفترونها . ذلك لقصر نظرهم عما أبدع فى الارض والسماء وما وزن فى المركبات من الذرات مما لا يفهمه الاعلاء دارسون لهذا النظام . فما أخرى السماء أن تنزل عليهم كسفا وما أجدر الارض أن تحسف بهم خسفا فانهم يعيشون عليها وهم لا يعقلون ويأكلون خيرها وهم لا يدرسون قال تعالى - ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد - الى قوله تعالى - ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب -

﴿ المقصد الخامس ﴾

فيه غرضان الاول من أوتى مالا وعلماء وحكمة فعرف وشكر وآمن بالبعث وهدى الناس . والثانى من أوتوا النعمة ففرحوا وأعجبوا واستكبروا وطفخوا فهلكوا هما امتان ذكرهما الله عز وجل كانتا فى جزيرة العرب فبنوا اسرائيل بالشام ومنهم داود وسليمان عليهما السلام وسبأ كانوا فى اليمن وما أنسب ذكرها بسورة الاحزاب وما أعجب قصص القرآن . ألم تركب أنعم على النبي بنعمة النصر والفتح والهدى . وهل أنسب لذلك من أمر داود وسليمان عليهما السلام وبلاد سبأ ببلاد الشام علاقة متينة قوية .

ألم ترى قصة بلقيس وسليمان عليه السلام أيام شباب الدولة الاسرائيلية فان بني اسرائيل كان لهم أدوار ثلاثة .
 (الدور الاول) ذلهم في مصر نحو أربع مائة سنة وعشرات (لثاني) ملكهم تحت حكم التسبوخ السبعين نحواً من ذلك بالشام . (الدور الثالث) دور الملك والعظمة وذلك في زمن داود وسليمان عليهما السلام . وذلك أيام بلقيس . ولذلك الإشارة بقصة طالوت وجالوت وداود في البقرة وقصة بلقيس في النمل وأما قصص فرعون معهم فما أوضح ما ذكر في أول الشعراء في ذلك . ولقد كانت دولة الحبريين والتبابعة قوية ذات مجد وسلطان وعظمة فما اشبهها بدولة بني اسرائيل في زمن سليمان وداود . (ولكل من الدولتين قدم راسخة في صناعة النماثيل وبناء المحاريب والأبهاء والجلال والعظمة) ولقد أصبح القطران في حوزة الأمم الاسلامية الآن فاليمين معروفة أخبارها مشهورة آثارها خاوية من الصناعة فارغة من العلم الاقليلا وكذلك ارض الشام . ملك الله المسلمين القطرين منذ أيام العصر الاول وقرع عليهم قصص الامم التي سكنتهما والاجيال التي تطنطنهما والموك التي دبرتهما ليدكر المسلمون وليعتبروا وليعلموا أن التقاطع سفير العذاب ونذير الخراب وأن هذه البلاد سيملكونها فإياكم أن تكونوا كسباً إذ أغدقنا عليهم النعم وملسكاهم اليمين وجعلنا بلادهم من الغناء والخصب كأنها جنتان بحيث يراها الناهب إليها جنتين عن يمينه وشماله أولسكل مسكن جنتان هو قائم بينهما على النظام الاوروبي العصري الذي حرم منه المثلثون عندنا وتمتع به صغار العملة هناك وهل كان ذلك النظام البديع الا باتقان علم الزراعة والابداع في فن الصناعة ودرس علم الصحة وكيف تنظم المساكن وكيف تحاط بالبساتين والابانة الهندسة المدروسة وتقويم الصحة وكيف بنى السد المسمى بالعرم أو السكر أو النجف أو المسناة ليحجز الماء الا باتقان فن الهندسة والبناء وعلم الري ونظام الجسور . وهل تلك الطبقات الثلاث في المسناة أو العرم التي تنزل الماء بقدر معلوم فالمنفذ الاعلى يليه الاوسط فالاسفل الابحكمة وعلم . وهل تستطيع الأمم الوحشية ذلك ؟ كلا

ولقد كان العمران متواصلاً ماراً في تلك الصحارى المتقفرة الآن . والآثار الدارسة حتى يصل بلاد الشام التي بارك الله لاهلها من بني اسرائيل وغيرهم . ألا تنجب . كيف دمر ملكهم وهل ينزل البلاء ويستعصى الداء . ويعوز الدواء . الا اذا جهلوا ما به الحياة وانصرفوا عن الحكمة الموروثة وتقاطعوا وتميزوا طرائق ، وتباينوا حقائق ، جهلوا الهندسة وتركوها ، وأغفلوا الصناعة ونبدوها وضلوا عن الزراعة فلم يتعهدوها ، وأعرضوا عن علوم الري فلم يدرسوها ، وانصرفوا عن نعم الله فلم يشكروها ، واتبعوا ما يقول الجاهلون ، ويتبعه لهم الدجالون فيقولون (سيفتح العرم فارة فار بطوا هرة تحفظه وترعاه كما فعل المصريون أيام قنيزر اذا حجموا عن ضرب الفارسيين خوف الهرر أن تصاب) - قتل الانسان ما كفره . فلما أن أهملوا سدهم ، وتركوا ، أرضهم ، سال الوادي بالماء وبدل الجنتان بما لا ينفع الانسان من أثل لا ثمرة وشجر من التمر ونبق قليل ، وتباعدت أسفارهم ، وتناهد ديارهم ، وخربت القرى المتواصلة المنظمة في طريقهم الى الشام ، فأصبحوا مثلاً في الغابرين فقليل تفرقوا أيدي سباً : وأبناء سباً عشرة تشام منهم أربعة ، نخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة : وتبا من ستة : الاسديون والاشيريون ، وحير ، وكندة ، ومذحج ، وانمار ، ولما تفرقوا لحقت غسان بالشام والازد الى عمان ، وخزاعة ، الى تهامة ومر الأوس والخزرج الى يثرب . ولحق آل خزاعة بالعراق

(موازنة ملك سليمان بملك سبأ بن يعرب بن يشجب بن حنظل)

فوازن رعاك الله هذا الملك العظيم ملك بني اسرائيل وكيف زال الأول بسيل العرم بعد الأبهاء والجلال . والعز والمنفعة . والشرف . والفضل العظيم وكيف عظم بنو اسرائيل فبنى داود وسليمان عليهما السلام بيت المقدس اذ رفع على أعمدة بلورية وبنى بالرخام الأصفر والأبيض والأخضر . وسقف بأنواع الجواهر وفضض سقفه وحيطانه بالآلئ واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بأنواع الفيروز وسخر العمله . فبنوا المحاريب وصنعوا النماثيل لكل صنف من الحيوان الممثل للقوة كالاسد والصقر أمام كرسيه وفوق رأسه . واللاطيف الشكل كالغزال وغيره . ألم تركب زال هذا الملك

اذ طفوا و ابقوا وسلط عليهم بختصر من أرض بابل فأخذهم ورضعهم بأرض فارس وما والاها كما في أول سورة الاسراء . ان ذلك لعبرة للمسلمين كما في قصص هود . وعاد . وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين . فساكن هؤلاء جميعا اسلامية اليوم . وقد أعطاها الله المسلمين فتمت وعفوا أيام شباب دينهم فلما أدبروا وأعرضوا أصبحت البلاد عرضة للدمار آيلة للخراب ان لم يقم فيها مصلحون ويسعدوها المرشدون وذلك قوله تعالى - ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي - الى قوله - لكل صبار شكور -

﴿ المقصد السادس ﴾

(الاستقلال والحرية في الآراء)

خراب الأمم وذهاب الدول وخراب بلدانها لا يدعو اليه الا الجهل ولا يحدثه الا ترك العلم باتباع أخس الآراء وتصديق الترهات كما يحدث في بلادنا من أكاذيب الجهلاء وأضاليل بعض السفهاء من المعلمين الفاوين وكما حدث في سبأ من نبذ عاوم اسلافهم واتباعهم أهواءهم ور بطا لهرر بجانب سددهم كأنهم مهندسات ومنظمات ويتمع الجهل خيلة الظلم والتقاطع والتدابير وذلك هو المعبر عنه في القرآن بالكفران . وشعب الاوهام كثيرة وأوديتها شاسعة وخروق خفاجها واسعة ولكن ترجع الى ثلاثة أصول ضعف في بصيرة . اغترار برياسة . وضلال ببطر الغنى . فأما ضعف البصيرة فذلك ما ذكره الله عقب قصص سبأ من الاصنام المنصوبة والاشباح الخالية من الارواح وكيف صور الوهم للناس عبادتها وكيف يمدونها شفعا ومن يشفع الا بعض المصطفين الأخيار فيخرجون فزعين و يغشى عليهم صغتين فاذا زال الفزع تساءلوا فيما بينهم ماذا أنزل ربكم قالوا انه قال الحق (وهذه الأصنام لا حياة لها فضلا عن الشفاعة) وليس عباد الملائكة بأحسن حالا من عباد الاصنام فكلمهم بخلاف وكلمهم سر يوب . بل يقف الملائكة يوم القيامة و يتبرؤن ممن يمدون ويقولون ان عبدوا الا الاوهام ، وما اتبعوا الا الجان اضعف بصائرهم . وذلك قوله تعالى - ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه - الى قوله عذاب النار التي كنتم بها تكذبون -

(الاغترار بالرؤساء)

وأما الاغترار بالرؤساء ، والخضوع للكبراء فهو الطامة الكبرى والمصيبة العظمى وداهية الشرق . وداعية انساع الخرق . وغرور الجهال . وضياح الاموال ودمار البلدان . ولقد قطع الله الحجة واعذر . وقرر الذنب على الرؤس كالرؤساء والمحكومين كالحاكمين . وتأمل كيف يقول الضعفاء للمتكبرين أنتم أضللتهموننا فهل تنفموننا . فقال المستكبرون كلا فانكم مجرمون ولم لا تفكرون أفلا تعقلون . فقال الضعفاء كم من حيلة نصبتموها . ومكيدة دبرتموها باذاعة الاخبار ونشر الآثار بالليل والنهار فقل الله - لكل ضعف من العذاب - ذلك كما نشاهده اليوم في الأمم التي ذهب مجدها وغاب سعدا وحضر جهدها اذ يقولون على الرؤساء تبعوها ونحن لآمال بأيدينا ولا سلاح ولا جنود فقطع الله الحجة وأوضح المحجة وأطاب بكل عمله وأوجب عليهم أن ينظروا مفكرين ولا يغفروا بالمتكبرين فكلم يسمع المرء عجيبة ولا يرى طحنا فالصهاوك كالمالك في الاسلام على كل التفكير - ان أكرمكم عند الله أتقاكم - ومصدق ذلك ما تراه الآن في بلاد الاسلام من قولهم ظلم الحكام فباد الانام ونقول كلنا والله مسؤولون وعلينا أن نفكر للمجموع والاحقت كلمة العذاب وذلك قوله تعالى - ولو ترى اذ الظالمون موقوفون - الى قوله - هل يجزون الا ما كانوا يعملون -

(الضلال بالغنى)

وأما الضلال بالغنى والبطر بالمال فما أشبهه بالعبادة الاصنام ولن يجادل الانبياء ويقاوم الرسل والمصلحين الا الاغنياء لئلا تفوت رياستهم ويعلمهم غيرهم ذلك شان الانسان في كل زمان الا أن عابد الصنم متمتع خياله

وخباله والمفتقر بالمال أعظم شهوته وخضع للذات كالجماوات وذلك قوله تعالى - وما أرسلنا في قرية من نذير إلى قوله آمنون - فللمال كالصحة والسلطان والولد وسائر النعم لادلالة لوجودها على الشرف والاهتمام بها على الضمة فهي تكون للبار كما تكون للفاجر فليست تقرب بعيدا . ولا تبعد قريبا . ولا ترفع وضيعا ولا تخفض رفيعا لذاها ولكن هذه الاعراض أشبه بالسيف ينفع ان أمسكه العاقل الشجاع ويضر ان تناوله المجنون . هذه أهم مقاصد السورة الشريفة وماعدا ذلك فنثبت لجة أو تأييد لحكمة كقوله تعالى - قل من يرزقكم من السموات والارض الى قوله ولا تستقدمون -

هذا وقبل أن ندخل في مباحث الفصل الثالث لابد أن نوضح المقام في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها - الى آخره وهو ما يأتي

﴿ جو هو تان ﴾

(الجوهرة الأولى) في قوله تعالى - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير -

(الثانية) في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض - الخ

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض - الخ ﴾

(كتب في ليلة الأربعاء ٢٠ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم لك الحمد على انك أسعدتني بالحكمة وحبوتني العلم ، إنك أنت الحكيم الخبير ، فها إذا الآن أصبحت على يقين أن من عبادك في أرضنا أناسا أشهدتهم هذه الأرض وهذه السموات في حياتهم الدنيا فراديس وجنات البقيع ، إن هذه العوالم في ظواهرها تمثل الشر ، ففيها الموت والحياة والمرض والظلم والقسوة والفجور والفسوق والخسران والحب والغرام والندامة والحروب والمدافع والبارود والديناميت والهلاك والتدمير ، فهذه تشبه أن تكون ركنا من أركان جهنم ، اللهم إنك أنت حكيم ، هذا قصرك المشيد أرض وسما ومشاهد بينهما تمثل فيها المظالم والآلام والأرزاق والحياة والسرور والفقر ولكنك أنت مع هذا كله جعلت نفس هذه المشاهد روضة من رياض الجنة للحكماء والمفكرين ، أفليس من العجب أن تكون مبادئ النار والجحيم هي بعينها فراديس الجنان . كلا . بل هي مشاهد الحق ومظاهر الجلال والجمال ومبادئ مشاهدة الحق تبارك وتعالى ، في الأرض أقوام معذبون بهذه الحياة وإن كانوا لا يعلمون أنهم معذبون ، مستخرون وإن كانوا لا يعلمون ، أشقياء وإن كانوا لا يفقهون ، وهؤلاء هم أكثر هذا النوع الانساني ، هم في داخل أنفسهم في شقاء آلام الأمراض والعواطف والنهم ومواقع الأعداء والحساد والحكام والوحوش والحشرات ورتائل الأصدقاء والأقارب والحزن على مصائبهم الحالة بهم والنسبة المتعدية منهم ، الحق أن الناس جميعا في الأرض مسوقون بعصا من حديد ، هم مسوقون كما تساق الأنعام ، فترية الولد وكسب العيش وتناول الطعام كلها ببواعث وزواج يحس بها الناس وما هي إلا عصي من حديد تسوقهم وهم سرغمون

اللهم إن هذه حال أكثر نوع الانسان ، ولكن النادر منهم ينظرون هذه المشاهد وهم يسمعون كلاما ليس بحرف ولا صوت بل يقرؤنه في نفس المشاهد ويفقهونه والناس من أمرهم متعجبون هازئون وهم في أنفسهم للناس راحون ، العالم يرحم الجاهل والجهال هم أكثر نوع الانسان ، فهذه الجوع تستمد من الحكماء والحكماء هم الراحون لأن الآباء يشفقون على الأبناء ، فالحكيم أب لأئمة لأنه أقرب الى نبيها فاذا استمد منه الناس فهو بهم رحيم ، فاذا يسمع حكماء الأمة من خطاب الله الذي ليس بحرف ولا صوت ، يسمعونه يقول

« أى عبادى : أنا رحن رحيم ، رحنى سبقت غضبى ، ألم أسمعو أنى أبتدى كل سورة باسمى الرحمن الرحيم أألم أنزل مضاب فى الأرض إلا السعادة ونعمة ، وغاية الأمر أن أكثر الناس لا يعلمون ، هذا العالم الأرضى عالم يسير الى الكمال ولا كمال إلا بالعلم ولا يتم علم إلا بمقتدتين مقدمة المحبوب ومقدمة المكروه ، فكما أن المنطقة منكم يقولون لا نتيجة إلا بمقتدتين هكذا حكمتى قضت أن لا علم لكم إلا بسابقة مقدمتين ولكن المقدمتان عندى هما المحبوب والمكروه ، أنتم يا أهل الأرض عبيدى وأنا أرحمكم أكثر من رحمة أبويكم آلاف آلاف المرات ، ولن تستطيعوا أن تعقلوا هذه الرجات إلا بدراسة جميع العلوم ودون ذلك خطر الفتاد

فهاكم أمثلة مما تشاهدون ﴿ الأول ﴾ حب الصور الجميلة طلبا للنسل ، أنتم جميعا تحبون الحكمة والأشكال الجميلة . فأول ما يصادفكم فى حياتكم حب الوجوه الجميلة فبرى الرجل أو المرأة أن سعادة كل منهما فى الاقتران بالآخر والاجتماع به وغير ذلك لأن صورة خاصة مقبولة فى نظره ، ولا معنى لقبولها إلا بأن يكون الخدان والعيان والأنف والشم على مناسبة مقبولة عند هذا الحب »

فهذا التناسب هو الذى يولع به الذكور والاناث فتكون الذرية . إذن الحكمة والنظام وحسن الابداع هنا جملة للشهوة البهيمية وبقاء الذرية وكان المقصد فى ذلك كله هو اتقان تلك الصورة فى نظر ذلك العاشق ﴿ الثانى ﴾ حب الأعمال الصالحة . فإذا جاوز الناس الدرجة الأولى وهى الخضوع للشهوة البهيمية التى تنتج بقاء الذرية اعتلوا الى درجة أرقى وهى مزاولة الحكمة العملية فهناك يكون التعاون فى الأعمال المنزلية والقيام بما يوجبه الدين والعرف والعادة من المحافظة ماديا وأدبيا على اراحة أهل المنزل من الزوجين والصغار ويلى ذلك نظام القرية ونظام سياسة الجمعية الانسانية كلها بالنظام العام ، ولا تمام لذلك إلا بالصناعات والأعمال العظيمة فهذا تمرين لكم أيها الناس على أن تكونوا خلقا فى أرضى ﴿ المثال الثالث ﴾ فى الشوق الى فهم الصناعات الانسانية المتقنة وهو أعلى مما قبله ، إن نفوسكم تشرب للحكمة العلمية لأن الحكمة العملية بالسياسة المنزلية والأخلاق الانسانية والنظم السياسية العامة مقدمات ومدرجات لعقولكم حتى تشاق الى أن ترقى الى فهم حكمتى فى خلقى ولكن حكمتى فوق حكمة المهندسين ومهرة الصناع فى أرضكم ، فأول ما يصادف العقول الشريفة من الشوق العلمى أن تهرع الى مشاهدات الصنائع الفريفة المتقنة اتقانا أتم فوق ماتصنعون لفرابتها بالنسبة لما نقص من صناعاتكم ، إن أجسامكم هى الحاملات لأرواحكم وأنواع النبات والحيوان كل هذه متقنات الصنع حولكم ، وهذه الشمس وهذه النجوم كلها باهرات الصنع ولكن لما كانت نفوسكم أرضية (وقد عجزت عن أن تعقل جمال تركيب النبات وان كانت من علمائه ، وبهجة تركيب أصغر الحشرات وان كانت من دارسيه ودقة صنع أجسامكم وان كانت هى الحاملة له) أخذت تسعى الى صنعة الانسان لأنها اليه أقرب وعتواكم الى حكمة أمثالكم أميل ، ألم تروا كيف أقبل علماء أمريكا وأوروبا - من كل حذب ينسلون - على البلاد المصرية لما فتح الباب المخبوم بنحتم الملك (توت عنخ أمون) يوم ١٦ فبراير سنة ١٩٢٣ وشاع الخبر فى الكرة الأرضية أن الغرفة الثالثة قد وجد فيها صندوق يدعى داخله جثة الملك المذكور وجواهره الثمينة وهو مذهب ومنزخرف ومرصع بالأحجار الكريمة ويبلغ طوله نحو ستة أمتار وعرضه نحو أربعة أمتار وارتفاعه أربعة أمتار تقريبا ، وبعد ذلك وجدت الغرفة الرابعة وهى مملوءة بأثاث من أخضر المفاخر مرتبة ترتيبا حسنا يفوق منظرها فى بهائها وعظمتها ما رآوه فى الغرفتين الخارجيتين ، وحضر لمشاهدة ذلك بعض ملوك أوروبا كملك البلجيكي والملكة لمشاهدة صنعة الخلق لأن صناعاتها عقولهم أقرب الى عقول أهل الأرض . وأخذت الوفود ترى على مصر وهى عشرات الألوف بل أخذ الناس فى دور الصناعات بأوروبا وأمريكا يقلدون الصناعات التى ظهرت فى القطر المصرى ، ويطلبون نماذج للأزياء المصرية الأثرية كالملابس وأثاث المنازل والأواني ليصنعوا نظائرها وهم يصرفون الألوف ومئات الألوف من الجنيهات ، وابتدأت النساء الأمريكيات

والأوروبيات يلبسن ملابس كالتي ظهرت في عهد (توت عنخ أمون) فإنه في صباح (٨) مارس سنة ١٩٢٣ ظهر في شارع (ففت أفنيو) وهو أعظم شوارع نيويورك ثلاث سيدات يسنن معاً وقد لبسن من فئة الرأس إلى أخمص القدم ثياباً مصنوعة على مثال ثياب ملكات مصر القديمة واحتدين أحذية على شكل (الصندل) فكانت بديهيته هذه موضع إعجاب وقلة أنظار الجميع ومثلتهن في انكسارهن . وأخذ الناس في أوروبا وأمريكا يقرؤون تاريخ قدماء المصريين . فلقد هالهم تلك الصناعات العظيمة من

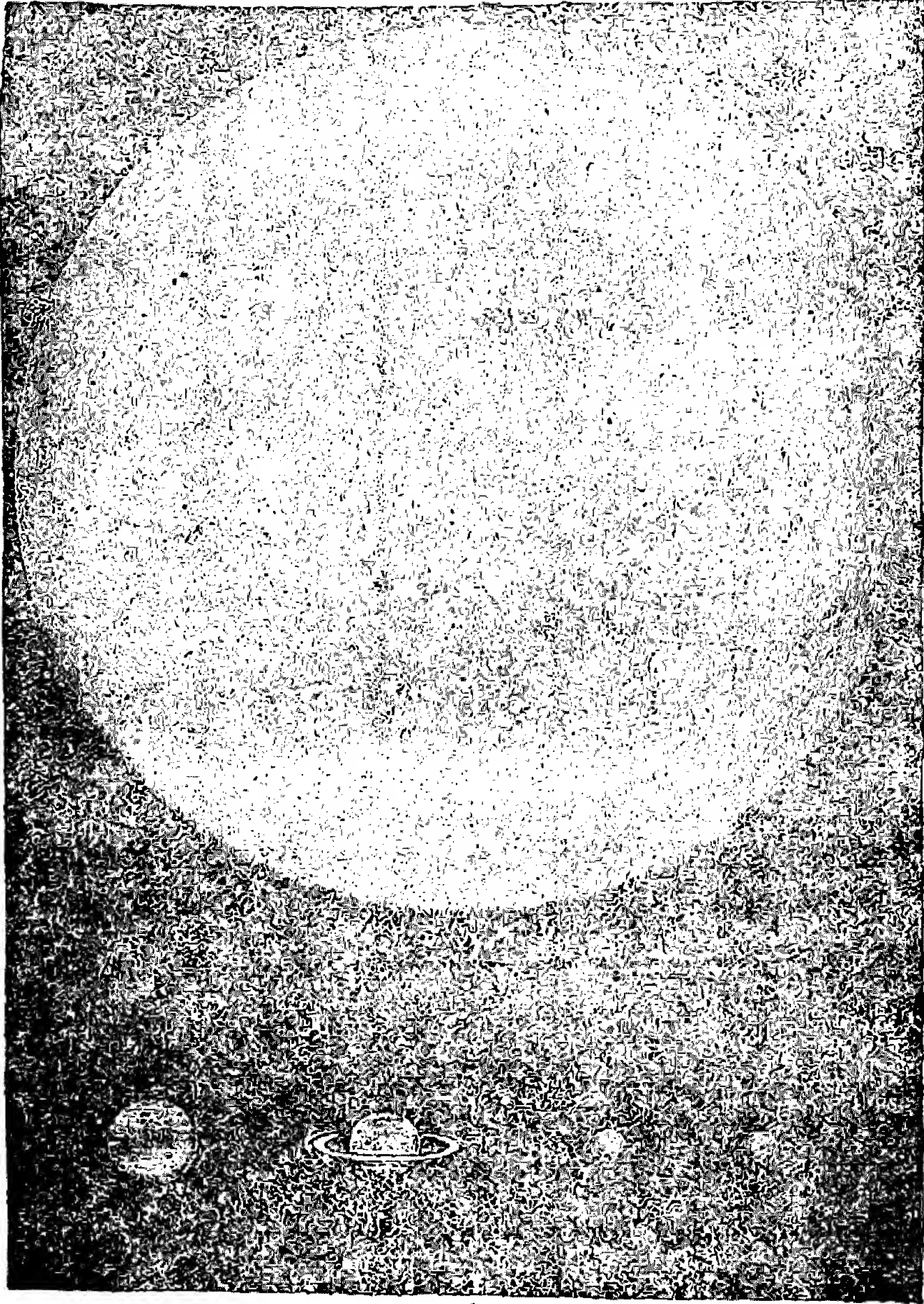
- (١) سرير بديع لذلك الملك من الذهب المطروق
- (٢) وآنية من المرمر منحوتة من قطعة واحدة للروائح العطرية لذلك الملك
- (٣) وآنية أخرى من المرمر أيضاً
- (٤) ونوع من الحلى الذي يزن الصدور من الذهب الخالص . هيئته تشبه هيئة السفينة
- (٥) وتمثالين داخل الغرفة الخارجية يحرسان باب الغرفة الثالثة المختومة التي بها جثة الملك
- (٦) وصندوق للملابس وعليه صورتان تمثالان شكل (أبي الهول) يطاء أعداء الملك تحت قدميه وعليه نقوش غاية في الإبداع والدقة تفوق سائر ما في المدفن من الاتقان والدقة والجلل
- (٧) وكري (عرش الملك) وهو مصنوع من الأبنوس والهاج ومحلى بنقوش جميلة قوائمه على شكل أسد من الذهب
- (٨) وصراة من الفضة منقوش عليها اسم الملك
- (٩) ولوحة قد كتب عليها تاريخ انتصارات القائد (هوس) النائب عن ملك مصر
- (١٠) وصورة الملك وهو يتلقى أخبار انتصارات القائد المذكور
- (١١) وصورا لهدايا والأسرى من بلاد الحبشة
- (١٢) وحذاء الملك المصنوع من الذهب وهو مزين بشكل زهرة (اللويس) الجميلة
- (١٣) وبرنس من نسيج كتان مصر المتين مع ملابسه ، وقفاز كتاني النسيج وهو أول قفاز مصرى قديم كشف ، صنع منذ (٣٠٠٠) سنة

هذا نموذج من مصنوعات العباد وهي التي يفرح بها الناس ويرغمون على السفر وترك الأهل والوطن وصرف الدرهم والدينار ، كل هذا لحب الصنعة والحكمة الانسانية التي على أقل اتقاناً وبهجة من الحكمة في السموات والأرض . ذلك لأن عقل الانسان الى عقل الانسان أقرب ولهم صناعته أسرع مع انه هو نفسه في جسم أبدع صنعا وأتقن وضعها وأبدع حكمة وأبهج نقوشاً وأتم نظاماً من ملابس وصنادل وعروش وتمائيل (توت عنخ أمون) - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها - إذن هؤلاء العلماء السائحون من أقطار العالم لم يتعجبوا إلا مما يناسب عقول الانسان من صناعاته لامن صناعات الخالق جلّ وعلا فان تمثالا يعقل ويبصر وينطق ويسمع أتم وأكمل من تمثال جاهل أعمى أخرس أصم ، فهذا التمثال الأتم وهو الانسان لا يفرح بجسمه ولا بما فيه من النقوش ولا بما في الحشرات والحيوانات والنباتات حوله لأنه متقلب فيها صباحاً ومساءً فسقط وقعها من قلبه وهرع الى مشاهدة ما لم يره من قبل ففرح به لغرابته لأنه مما يناسب عقله من حيث انه منتهى ما يصل اليه الانسان (المثال الرابع) وهو أعلى من سابقه . هنالك أقوام في هذا النوع الانساني وهم أعلى ممن تقدمهم لهم ادراك أتم وعقول أكمل ، فهؤلاء يقولون هذه الدرجات الثلاث اثنتان منها انسانية وواحد منها حيواني انساني وهو الأول ولكننا نحن نريد مثلاً أعلى وهو مثل الملائكة فليكن نظرننا نظراً أكمل لنوع هذا الانسان فنكون آباء للدرجات الثلاث فهؤلاء يلدون ويعيشون في المنازل والمدن ويدرسون الصناعات ويدركون الجمال وكل منهم في أثناء بحثه

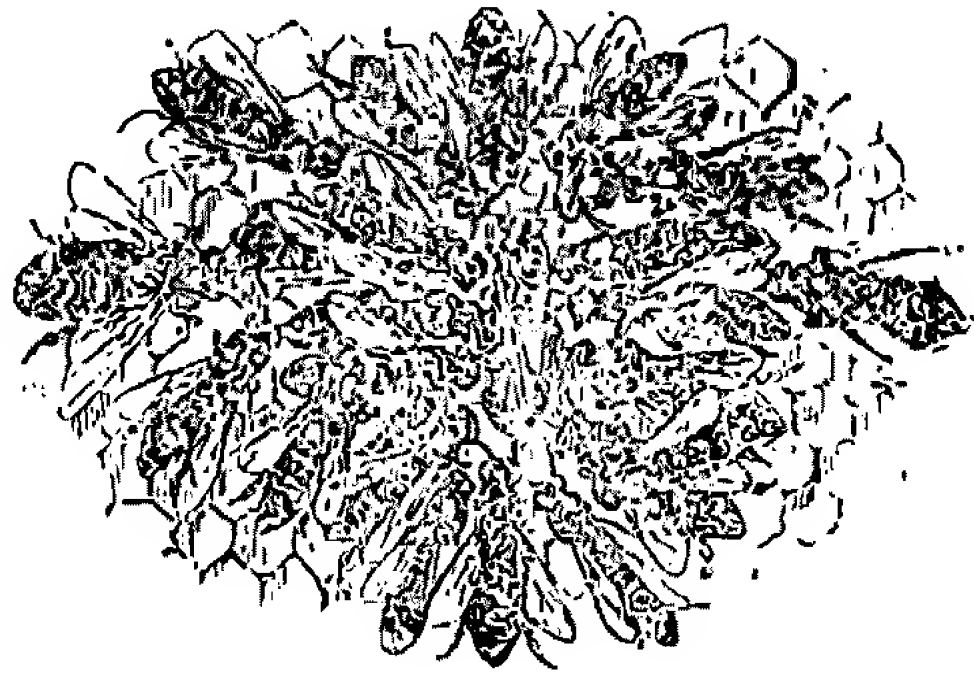
يعتريه الحس والسعد والفرح والحزن . ففي المنازل وفي المدن وفي الأسفار لمشاهدة الآثار أفراح وأتراح فقد يعيش العاشقان في هناء وقد يفترقان فيموت أحدهما كمدًا ، وقد يعتري الإنسان الدهش من هذه المصنوعات (المباحات في دين قدماء المصريين المحرّم بعضها على الرجال في دين الإسلام) فيغرّته جاهلها فيقلدها فيبيع الطارف والتليد من مقتنياته ويصبح خاوي الوفاض بادی الانفاض لا يملك شروى نقير ولا يكون في العير ولا النفير قدمه الضرب وماله الفقر إذن هذه الدرجات الثلاث أبنًاؤنا فلنبحث نحن عن حكمة هذا الوجود ولن نظهر حكمته إلا في دراسة السموات والأرضين ، فننظر حولنا في الحشرات والدواب والنبات وفوقنا في السموات والأرضين . هل هذه الآلام ، وهذه اللذات التي تعترينا لها نتائج صادقة ، أم هي مصادفات كالتى رأيناها في الأمثلة الثلاث ، فهؤلاء يحسون بخطاب نفسى بالأحرف ولاصوت وكأن الله يقول لهم : « أى عبادى ها أناذا أخطبكم وقد تأهلتهم للفهم عني وبذنتهم السابقين من بنى آدم أرباب الأمثلة الثلاثة ، انظروا : ألم تعلموا أن اللذات والآلام متقدمات للعلوم فالذات والآلام وحدها لم تقم للعلم قائمة ، وهل يعيش الإنسان على رجل واحد ؟ أم تخلق له يد واحدة أم عين واحدة وأذن واحدة وطاقة أنف واحدة ؟ فكل واحد من هذين الزوجين مكمل للآخر ، فهكذا هنا الآلام واللذات زوجان يكفلان القيام بتعليمكم وإرشادكم ولكن ليس كل إنسان أهلا لفهم عني . كلاء وانما الذين يعقلون هم الذين ارتقوا عن الطوائف الثلاث السابقين ، وهذه الطائفة الرابعة لأجسمها مشاق السفر ولا يعوزها انتعال الحجر ولا توسد المدر ولا بذل (البدر) وان كان شعارها ﴿ لكل مبتدأ خبر ﴾ و ﴿ لكل نبدأ مستقر ﴾ بل هؤلاء ينظرون في منازلهم وفي قراهم فيجدون أنواع الحيوان كالخشرات وهي تطوف عليهم صباحا ومساء فإذا يرون ؟ يرون مثلا ان هذه الخشرات ونحوها ماهي إلا أساتذة ومعلمون يطوفون على الناس ويقولون أيها الناس : نحن فريقان فريق يؤذيكم كالجراد والزناير ، وفريق يفسدكم ويشفيكم وينفهمكم كالنحل ، فأكثر بنى آدم ينظرون للناموس والجراد نظر الخوف من نقص النفس والأموال وينظرون للنحل ودود القز نظر الرجا أن يشتاروا العسل وينسجوا الحرير ، وهذه هي المراتبة الدنيا الحيوانية ولكن حكماء كم أيها الناس وهم في ذروة المراتب يشبهون بالملائكة في مباحثهم ، فهؤلاء يقولون عجبا عجبا ، نظام النحل كنظام الزناير كنظام الجراد كنظام الأرضة التي سترى رسمها قريبا ، فلكة النحل ومملكة الأرضة هما ذاتا تراهما مرسومتين أمامك وحوطهما جنودهما وخدمهما وحشمهما . وهذا نظام عجيب ، واحد الملكتين مؤذية والأخرى نافعة لما فاذا لم يعقل الإنسان النافع ولم يفكر عند أكل العسل في حسن نظامه ودقة صنعه ليدرس الوجود فعسى أن يفكر اذا لدغه زنبور فينظر في قرصه ويفكر في مدينته ونظامها واذا ذاك يفهم - ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » ففرّوا الى الله - فهنا زوجان مؤذ ونافع وأحدهما ضد للآخر كالليل والنهار ولولا الليل لم نعرف قيمة النهار ولولا النهار لم نعرف قيمة الليل فبفهم الضدين يدرك الإنسان الفرق بينهما وهناك تكون السوانح العقلية وإدراك الجوانب الحكيمة

فاذا شاهد أمثال النحل والنمل والأرضة والجراد وعرف نظامها ألفاها كلها على قاعدة واحدة وان اختلفت فروعها واذا يفهم معنى - له مافى السموات ومافى الأرض - لأن هذه الجملة تقتضى الاختصاص بالخالق لأن تقديم الخبر يفيد ذلك ولكن تقديم الخبر يفيد افادة لفظية . أما هنا فان قارئ هذه النظمات يقول إن القاعدة واحدة لا فرق بين ما يضرنا وما ينفعنا . كلها ممالك مؤسسات على نظام واحد . فلكة النحل ومملكة النمل ومملكة الأرضة كلهن ذوات أوامر لا ترد وما نظامها إلا كنظام أجسامنا وان كنا الى فهم هذه الحشرات أقرب منا الى فهم أجسامنا وكأن البوابين والضباط والجنود والمراضع في جنود ملكات النمل أشبه بما فينا من قلب وكبد وطحال ومعدة وامعاء وأعضاء حركة وأعضاء حس الخ كل له عمل يخصه

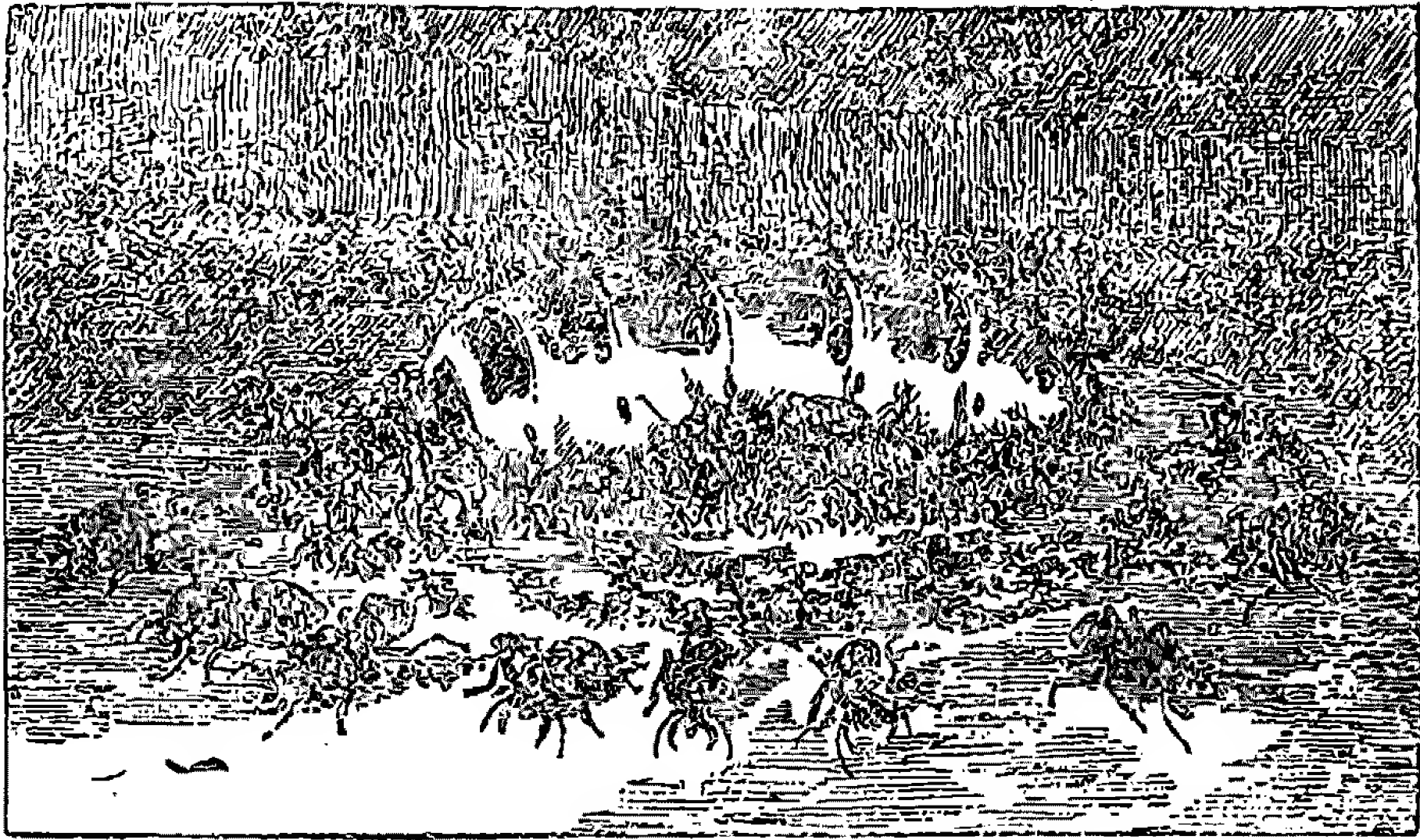
ولما كان هذا المقام يستلزم إعادة رسم أربع صور تقدمت في هذا التفسير وهي صورة المجموعة الشمسية وصورة ملكة النحل وصورة ملكة الأرض وصورة جسم الانسان رأينا أن نرسمها هنا اتماما للفائدة (انظر شكل ٢) و (شكل ٣) و (شكل ٤) و (شكل ٥)



(شكل ٢ - رسم المجموعة الشمسية)

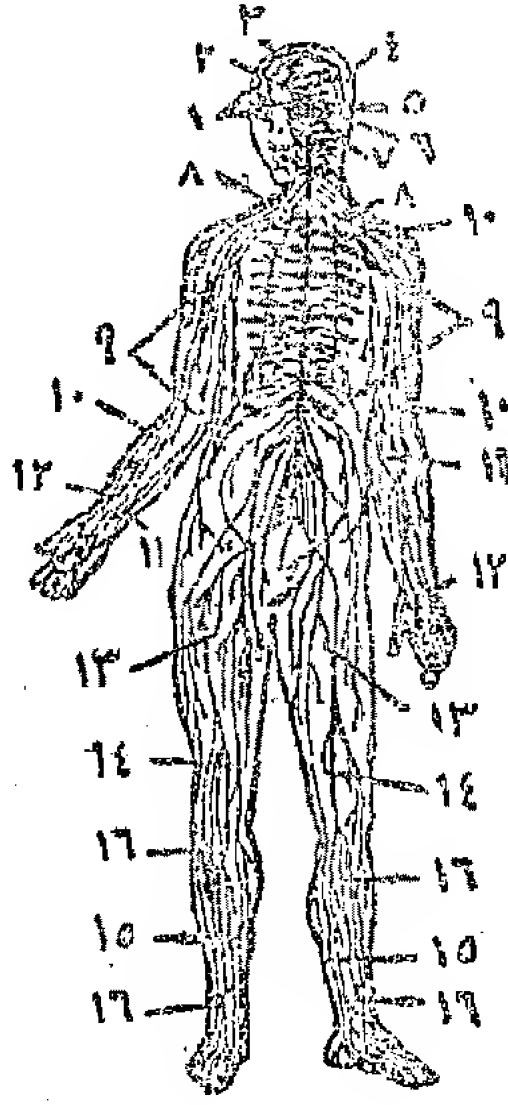


(شكل ٣ - ملكة النحل)



(شكل ٤ - الأرضة)

(صورة الارضة المالكة وأبناءها . رسمها العلامة الألماني أزر بك كالحها . الكتلة البيضاء الضخمة هي الملكة والى جانبها الملك ، ومن حولها العمال يقبلونها ويلحسونها فالتائمون بتغذيتها يتألبون عندفها ويبقى في الطرف الآخر من وكل اليهم النقاط البيض . وبين العمال جند من البوليس صغير الحجم وفي الصف الاول في شكل نصف دائرة الجند الكبير القائم بحراستها ضد هجمات عدومفاجئ)



(شكل ه - جسم الانسان)

ثم يرفع هؤلاء طرفهم الى السماء بعد أن يعرفوا أن العالم السفلى على وتيرة واحدة فإذا يرون ؟ يرون شمسا يحيط بها نبتون وأورانوس وزحل والمشتري والمريخ والأرض والزهرة وعطارد وأكثر هذه حولها أقمار . كل هذه دوائر حول الشمس فيدهش هذا الفريق إذ يرى أن ملكة النحل وملكة النمل وملكة الأرضة كلهن سواء في النظام وهن متشابهات تمام المشابهة للشمس مع سياراتها وأقمارها وهكذا مع (النيازك) التي لا حصر لاعتها وبعضها صغير جدا كالبللطة في منازلنا وبعضها أكبر وأكبر وهي التي نراها في الليالي المظلمة تنزل كسهام مضيئة نسميها (شهب) جمع شهاب وهكذا ذوات الأذنان كلهن دوائر حول الشمس كما تدور الشهب (النيازك) وكما تدور السيارات . وهناك يرون أن الشهب والسيارات إن هي إلا كأعضاء الجسم الانساني أو كأفراد من ممالك النحل وممالك النمل . لنا نحن بنى أوامر نلقينا على أعضائنا وأعضائنا تتمثل تلك الأوامر . والموصل لتلك الأوامر من عقولنا الى أعضائنا هي الأعصاب فهن قائمات مقام البريد البرقي (التلغراف) وسرعة الفكر في العصب ميل في الثانية وبعض العلماء يقول « إن القوة الحاكمة تشعر باللمس على الوجه وتجيّب عليه بتحريك اليد في سبع ثانية من الزمان . وتشعر بالمسموعات وتجيّب عليها في سدس ثانية . وبالمرئيات وتجيّب عليها في خمس ثانية » فبالامتحان ظهر أن المسموعات أسرع حركة من المسموعات وهذه أسرع من المرئيات . ولقد حار الناس فلم يعرفوا كم من الزمن يمر حتى تصدر القوة الحاكمة حكمها . وقد عرف هذا أحد العلماء بالآلات دقيقة جدا فقال « إن حركة الفكر تستغرق في الاحساس والحكم ثم الاجابة خمسا وسبعين جزءا من (١٠٠٠) جزء من الثانية الواحدة وتستغرق الإرادة في اصدار حكمها (٤٠) جزءا من ذلك ولقد جربوا ذلك في رجل كهل والشاب أسرع في ذلك من الكهول »

إذن في الانسان قوة حاكمة . وأوامر تلقى . وأعضاء تأتمر . وهذه الأعضاء كثيرة جدا كأنها دولة أو كأنها مملكة النحل أو مملكة النمل أو مملكة الجراد أو الأرضة . فهناك تشابه وتماثل بين أعضائنا مع نفوسنا وبين ممالك النحل والنمل والشمس مع سياراتها وتوابع سياراتها . أفليس هناك اتصال ما بين الشمس وما

حوولها من السيارات والنيازك وذوات الأذنان كالاتصال المتقدم بين النفس وأعضائها وبين ملكة النحل مثلاً وأفراد ملكتها إذ هناك صلة وثيقة بين الملكة والأفراد لا علم لنا بها . ولنا الحق أن نتصور الصلة بين الشمس وسياراتها الخ كالصلة التي بين نفوسنا وأعضائنا ويكون عالم الأثير قائماً مقام أعضائنا . ذلك العالم الذي يقرب من العالم الخيالي أو الروحي الذي قد ثبت أنه وإن يكن غير مادي فيه ثقل لا يحسب بجانبه الحديد ولا الذهب شيئاً مذكوراً فهو أمتن من كل مادة ولولا هذا لم يتحمل قوة الجاذبية التي تقوم به بين السكواكب

تبين بهذا أن مافي السموات ومافي الأرض من الممالك على وتيرة واحدة . فإذا رأينا ممالك الحشرات لها نظام سياسي عجيب . ملكة أمرة ورعية مطيعة . وإذا رأينا أعضاءنا هكذا مع نفوسنا . وإذا رأينا السيارات ومأمعها هكذا مع الشمس . فلنفهم إذن الآية هنا فإن اختصاص الملك بالله المفهوم من تقدم الخبر يعرفه العقلاء بالبحث . فانك ترى الخير بفن الشعر أو الموسيقى أو النقش أو التصوير أو علم النبات أو صناعة التجارة أو الحداثة . إذا رأى نموذجاً منها عرف أن هذه من صنع فلان . فترى من يسمع شعر شاعر أو نثر نثر وهو من علماء أدب اللغة يحكم حلاً حكماً لا شك فيه أن هذا من شعر العصر الأول أو الخامس وهو من قول فلان كما أخبرني صرة الاستاذ (ادوارد براون) العالم الانجليزي المستشرق المدرس في (كلية كبريدج) إذ قال لما أرسلت الحكومة الانجليزية ثياب رؤساء العشائر المقتولين أيام حرب السودان وكانوا نحو ثمانين أسيراً أخذت أقرأ خطوطهم ونماذج انشائهم فوجدت منهم من نزحوا الى السودان في العصر الأموي ومنهم من نزحوا في العصر العباسي ، واستدللت على ذلك بمشابهة الخطوط للخطوط والانشاء للانشاء

هذا ما قاله وهكذا كل أصحاب صناعة يدركون لأول وهلة متى رأوا أي نموذج في أي عصر هو ولأي أمة وهكذا ، إن من ينظر الى نظام السجاجة وأفراخها والمرأة وأولادها والحكومة وأفراد شعبها وملكة النحل ونظام أفرادها والشمس وما حولها يجزم بأن الصانع لم يتغير لأن الطراز واحد لم يتغير وأسابب الصنعة هو هو بعينه والا فبالله أي فرق بين هذه الممالك كلها ، فهذا يعرف الحكماء اختصاص مافي السموات والأرض به ، وإذا عرفوا ذلك الاختصاص بهذا البرهان العقلي العملي انشروحت نفوسهم وفرحوا بالصانع بعد فهم صنعته واشتاقوا اليه وأحبوه إذ لا حب إلا بعد المعرفة كما أن أهل أمريكا وأوروبا منذ يوم (١٦) فبراير سنة ١٩٣٣ الى الآن يفدون زرافات ووحيداناً على بلادنا المصرية إذ عرفوا قيمة الحكمة التي كشفت في المصنوعات الأثرية ، فهؤلاء يفارقون الأهل والوطن ويصرفون المال ويتعششون المشاق غراماً بالجمال ولا جمال إلا تبع الحكمة أي النظام المتقن في الصنعة . إذن هذا النوع الانساني متى عرف الجمال والنظام والحكمة سارع ليرى ذلك ويشاهد ذلك الحكيم كما يشاهد أولئك الزائرون تلك الصناعات ويشاهدون من عملت في زمان وهو الملك (توت عنخ أمون) ويكتفون بمشاهدة جثته الهامدة وإن لم يروه هو لأنه هو وعلماءه وصناعه ليسوا هذه الأجسام بل هم أرواح كانت في هذه الأجسام ، فهؤلاء العلماء اكتشفوا بما أمكن لهم وهو مشاهدة الجسم وإن خرجت الروح ، فهذا مثال ضربه الله مثلاً للناس في الأرض فهو يقول يا أهل الشرق ويا أهل الغرب إن نظامي جميل في الأرض وفي السماء ومتى فهمتموه فهمما يؤدي إلى شوقكم لي كما اشتاق علماء الأمم عندكم إلى مشاهدة آثاركم والذين عملت في زمانهم فإن ذلك يحملكم على حبي والشوق إلى مشاهدتي ، فالمعرفة تبعث الشوق والشوق يبعث على السعي للمشاهدة ، وهناك لا تكرر هون الموت في حينه

وهذا هو معنى الحديث « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه »

أقول : وليس معنى هذا أن السبيل لحب لقاء الله وعدم كراهة الموت محصور فيما قلناه . كلا . بل هذه إحدى السبل التي نحن بصدددها وهذا الحب الذي كانت المعرفة بسببه هو الحامل للحامد على حده فإن متقن الصنعة محبوب والحب يوجب انقياد الأعضاء للعمل وانطلاق اللسان بالثناء . هذا هو السر في قوله بعد ذلك

وله الحمد في الآخرة . وإنما خص الحمد لله بالآخرة لأن النفس تكون مجردة عن الجسم فيكون إدراكها أتم لتعقل الحقائق فزيد حباً . أما في الدنيا فهي تحمد الخالق والمخلاق وتشاهد أعمال الناس وتمدحهم . ولما كان ذلك كله راجعاً للحكمة ختم الآية بقوله . وهو الحكيم الخبير . فالحكمة بها النظام والنظام والاتقان كان الحب والحب انطلق اللسان بالحمد . وهذا هو تفسير الآية بالعلوم المعروفة اليوم فلما اطلع بعض العلماء على ذلك وهو من قرأ هذا التفسير قال لي : لقد أحسنت في شرح نظام هذه الكائنات العالوية والسفلية وفي ترتيب الحمد على معرفتها ثم في تبين أن الحكمة هي الأصل الذي بنى عليه هذا النظام ولكن العقل لا يكاد يفقه المناسبة بين مملكة النحل مثلاً والمجموعة الشمسية فهي عظمة المقدر جداً حتى أن الشهب وذوات الأذنان الجاريات حولها لا تسكاد تحصى . يقول علماء العصر المتأخر أنها كهدد السمك في الماء . ثم إن المجرة التي منها مجموعتنا الشمسية قد علم أن فيها (٢٢٤) ألف ألف نجم وكل نجمة منها شمس كشمسنا ولها مجموعة شمسية أكبر أو أقل من مجموعتنا الشمسية . فهذه كلها تكون مجرة واحدة وشمسنا منها ، وفوق ذلك هذه المجرات لها أخوات كثيرات كلهن مجرات مثلها فيهن شمس تعد بمئات الملايين ، وفوق ذلك أيضاً قد كشف الناس اليوم مجرات أخرى تسمى بالسدم جمع سديم ووجدوها أنواعاً فمنها السدم اللولبية ، ومنها السدم الحلزونية ، ومنها السدم المستديرة ، ومنها التي هي غير منتظمة ، وإذا كانت هذه السدم مجرات كجراتنا المحتوية على شمس تعد بمئات الملايين كشمسنا التي لها مجموعة لا حصر لعدددها وإذا كان الذي عرف الآن من السدم اللولبية وحدها بالمنظار المعظم (١٢٠) ألف وأوصلها الاستاذ (بيرن) إلى خمسمائة ألف ، ومن رأيه أنه قد يرى منها أكثر من مليون سديم إذا زادت آلات التصوير اتقاناً فإذا كان هذا المقدار في السدم اللولبية وقدّرنا السدم الأخرى بهذا المقدار كانت مجاميع المجرات اللولبية أربعة ملايين مجرة غير المجرات المعروفة ، وكل مجرة من تلك المجرات لها أبعاد ولا يكاد يصدقها العقل ، مثلاً مجرتنا التي منها شمسنا تمتد إلى نحو مائتي ألف سنة نورية من جهة ومن جهة أخرى أقل من ذلك فكيف بباقي المجرات وكيف عظمت سميتها فهل بعد ذلك تقاس هذه بمملكة النحل أو بجسم الإنسان

فقلت له : إن ما هالك من هذه العوالم السماوية يرجع كله إلى ما يشبه جسم الإنسان . فالمجموعات الشمسية التي تعد بالآلاف والآلاف في كل مجرة من المجرات التي تعد بالآلاف الآلاف أيضاً أشبه بجسم إنسان واحد أو بمملكة من ممالك النحل وكل كوكب سيار في كل مجموعة شمسية أشبه بهضومن أعضاء الإنسان وسكان الكواكب أشبه بما في جسم الإنسان من الحويصلات الحية التي كل حويصلة منها لها حياة مستقلة ومن لطف الله أنه جعل النظام واحداً متشابهاً لتسهيل دراسته ومتى درس الإنسان جسمه فكأنه درس العوالم كلها وعرف نفسه ومتى عرف نفسه عرف ربه فاشتاق إليه . ومن عاش في الدنيا وهو غافل لم يشق الحكيم المدير للعوالم ومات فانه يسكن في عوالم على مقدار درجته ولا يلاقى ربه إلا من أحبه وإن يحبه إلا العارس لصنعه وغيرهم يتسكعون في عوالم لا تؤهل للقاءه إلا قليلاً على مقدار ما اكتسبوا من الحب . إن الحياة لاسعادة فيها إلا بالحب ولا حب إلا بالعلم ولا علم إلا بالبحث في نظام الأرض والسماوات بتدبير الحكيم الخبير . انتهت الجوهرة الأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ جمال هذا الموضوع ﴾

(كتب قبيل فجر يوم الخميس ٢٧ مارس سنة ١٩٣٠)

يا الله : ما أجل ما صنعت . وما أبدع ما أتقنت . بهرتنا بجلائل أعمالك . وسحرت عقولنا في دقائق وضعك . وغشيت على هذا الجمال بحجاب من حوادث الأيام ودخان الآلام والمصائب . ولولا ما نصاب به من

فواجع الأيام رحمة منك وفضلا لتفطرت قلوبنا وتمزقت أجسامنا واحترقت بأشراق أنوارك الجميلة . هذه هي الشمس وهذه سياراتها . لقد برزت في الرسم (شكل ٢ المتقدم) بهيئة تمثل البطة وأفراخها جائعات حوله محيطات بها . ولكن الفرق أن بنات الشمس منتظمات الأعمال سائرات بقوانين لا خطأ فيها طويالات الأعمار عظمت الأنوار . أما أفراخ البطة والدجاجة والحمامة وأنباع الأرضة والنحلة والنملة فهن صفار الأعمار والأقدار لا قانون لأعمالهن نهره ولا ضابط لسيرهن ندرسه والفرقان اتحدا في حسن الاتقان وأبداع التركيب والنظام فهذا عطارد الجاثم حول الشمس تجذبه إليها وتمطع عليه حتى لا يتبدد في أطراف هذا الجو الواسع ولا يقيه في فسيحات المجاهل . هاهوذا يجري حولها جريا حثيثا فلا يختل نظامه . جريا متواصلا . جندبه إليها جذبا رقيقا بحيث لا يلتصق بها لئلا يهلك سكانه من شدة حرها ولا يظلم وجهه من شدة برده ضوءها . إنا كل شئ خلقناه بقدر . بحيث كانت سنته مقدرة بمدة (٨٧٩٦٩) يوما . فهذه الأيام وأجزاؤها هي المقدرات لمدة الدورة الكاملة حول الشمس منذ خلقت السموات العلا إلى الآن وإلى الأبد . وهذه الزهرة سنتها الكاملة (٢٢٤٧٠١) يوما والأرض سنتها الكاملة (٣٦٥٢٥٦) يوما والمريخ (٦٨٦٩٨٠) والمشتري (٤٣٣٢٥٨٥) وزحل (١٠٧٥٩) وأورانوس (٣٠٦٨٦٨٢١) ونبتون (٦٠١٢٦٧٢٠)

هذه هي المدد التي تسير فيها هذه السيارات حول الشمس وهي لها جاذبة ، انهن لمطيعات صادقات في مواعيدهن ، وأن أتمهن الشمس لحبها لمن المفرط ورأفتها تجذبهن جذبا لطيفا لئلا يتفرقن ويتبددن في باحات الفراغ الواسع كما تفعل البطة والنملة بأبنائهما . ماترى في خلق الرحمن من تفاوت . والله ان رأفتك يا الله بهذه المخلوقات وحكمتك لاحد لهما . فهذا حساب سائر السيارات لو اختل ثانية واحدة لأضر ضررا بليغا فهذه الأرض الجارية حول الشمس لو انما اختل نظام سيرها وقد علق عليه جرى قطراتنا برا وسفنا بحرا لأورث ذلك خلا في أعمالنا لجرى القطر في غير حينه ، وفتحت الميناء بحرا في غير وقتها فتعطلت السفن بحرا وهشمت وطاحت العربات والركاب برا . تبارك الله رب العالمين .

ويجبني يا حكيم يا رحيم يا بديع دقة صنعك ، وبهجة الجمال ، وعجائب الاتقان ، وبدائع التصوير في النملة والأرضة المرسومتين هنا وفي جسم الانسان ، فهاهوذا النخاع الشوكي هو ومنبعه الرئيسي وهو المخ في الدماغ قد جعلهما أساسا لهذا الجسم الحي بحيث تكون الأعضاء المفصلة حولهما العلامات بما يصل لهما من أوامرهما جائعات حولهما جثوم الأرضات والنملات والسمات حول ملكات الأرضات والنملات والنملات والشمس ، انما مثل السيارات مع شمسها كمثل الأعضاء مع الجسم في الحيوان والانسان ومثل النمل والنمل ونحوها مع ملكاتها ، ألا وان عنايتك بالضعفاء يا الله لقوية متينة إذ كيف تخلق للنملة في العين الواحدة من عينيها المركبتين الموضوعتين في مقدم الرأس (٢٠٠) عين كما تقدم في ﴿رسالة عين النملة﴾ في سورة النمل ، وتخلق للذباب الواحدة (٤٠٠) عين بسيطة في عينيها المركبتين

إن حكمتك ورحمتك لانهاية لهما فيكون حبنا لك لانهاية له ، ولكن رحمتك الواسعة واتقانك البديع وحبك لخلقك قد عمت الوجود كله ومنها نوع الانسان ، فسترت عن عقله هذا الجلال بأنواع المصائب والحوادث والأصراض والموت والحياة والفقر والغنى والعز والذل فغشى على عقله فلم يدرك فأخذ يتلمسه من المعاصين ومن الكتب كما نفعل الآن في هذا التفسير ، ولو أن هذه الرحمت ظهرت للناس فوعتها عقولهم لنزقت الأحشاء من ادراك ذلك الجلال فتقطعت القلوب ، ولكن الرحمة عامة والحكمة شاملة باهرة وأكثر الناس لا يعلمون ، ومن الغرابة بمكان ما نراه من الاتقان في جماعات الحيوان المجتمعات اللاتي تكون أمة واحدة وجماعات الكواكب اللواتي تكون في مجموعة واحدة ، فان النمل اذا اجتمعن في بيت واحد وحملت الملكة من ذكر من غير ملكتها ألقينا النمل الذي في ملكتها قام قومة واحدة وانقض على ذكران

تلك المملكة فأهلكها لأنها لا تعمل لها ، فلا هي تجمع العسل ولا هي تفيد في أن تكون سببا في حل المملكة هكذا نرى جوع الأرض الآتي الكلام عليها في هذه السورة والمتقدم بعضه في سورة النحل أيضا فان المملكة لها جنود يحمونها ، وهؤلاء الجنود لهم عدد مخصوص ، فاذا زاد المقدار رأينا الجاعات الآتية تقدم لجميع المملكة الطعام تمتنع عن تقديم الطعام لما زاد عن العدد المحدد حتى يموت . هذا في عالم الأرض . أما في عالم السماء فاننا نرى نفس الاتقان في تقابل الأرض والشمس والقمر . ذلك اننا نرى القمر الذي يدور ٢٧ يوما و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١ ثانية ونصف ثانية وذلك في دورته النجمية أي التي تمضي بين رجوعين متتاليين للقمر الى نجمة واحدة بحيث اننا اذا لاحظناه يوما وقت الغروب في دقيقة معينة موجودا بجانب نجمة خاصة من النجوم الثوابت فاننا بعد مضي (٢٧) يوما و ٧ ساعات و ٤٣ دقيقة و ١١ ثانية ونصف ثانية نراه موجودا في ذلك المكان عينه بجانب تلك النجمة . فهذا القمر المنتظم السير البديع الصنع والنظام اذا قابل الأرض والشمس فيما يظهر للرأي في نقطة واحدة فانه يحصل هناك خسوف تارة وكسوف تارة أخرى فان كان القمر بين الأرض والشمس حصل كسوف وان كانت الأرض بين القمر والشمس حصل خسوف ، والمهم في هذا المقام أن نقول ان الخسوف والكسوف في مدة (١٨) سنة و (١١) يوما يكون مجموع مرات الكسوف (٤١) ومجموع مرات الخسوف (٢٩) والمجموع (٧٠) ما بين كسوف وخسوف ، وهذه المدد لن تتغير ولم تتغير ، فهذا هو الابداع في الحساب ، فحساب الحشرات على وجه الأرض لن يعطله حساب الكواكب في السماء ، فلم تعطل يا الله أعمال النحل أي انك لا تمنع إلهامك لها أن تقتل الذكور لأنها لا تعمل لها متى حلت المملكة ولا أعمال الأرضة فلم تمنع إلهامك لحاملات الطعام منها أن تقتل ما زاد من الجنود بحرمان الزائدات طعامهن ، فألهامك للطائفتين ولغيرهما مستمر منظم كنظام الخسوف والكسوف في العوالم العالوية بحيث لا تختل أوقات الخسوف بوقوع الأرض بين القمر والشمس ، ولا أوقات الكسوف بوقوع القمر بين الأرض والشمس بل النظام هناك لا يختل ، والنظام في أصفر الحيوان لا يزول ، فأنت تحسب الدورات الفلكية بالثانية ونصف الثانية ولا تغيره ، وهكذا تفعل في الحشرات فتحسب لها حسابها وتلهمها

هذا هو الذي نفهم به معنى قولك - الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور - فهذه هي الحكمة ، وهذا هو العلم ، وهذه هي الرحمة ، وهذا هو الغفران ، فأنت حكمة بعد هذه الحكمة في الاتقان والخبرة في الحساب ؟ وأي رحمة ورافة بهذه المخاوقات أعظم من هذه ! ثم اذا كان هذا الانسان يعيش في الأرض وأكثره جاهل هذا النظام البديع وهو غافل عنه بل أكثره كافر أي غير شاكر لأن الشكر مبدؤه العلم بالنظام وأكثر الناس لا يلمحون هذا النظام البديع فلولا تجاوزه عن عبادته التي هي مقتضى جبلته الأرضية الطينية لمحاه من الأرض ومنعه الوجود فيها غباوته ولكنه غفور ستر ذلك الذنب الطبيعي وعفا عنه وأحيا الانسان في الأرض لأنه يعلم أن له مستقبلا في عوالم أخرى وهناك يفهم هذا الجمال من استعدله

(تذكرة)

إن هذا الابداع نراه لا يزول وهو محيط بنا ونجد أنفسنا في هذه الأرض مغمورين في أنواع الحروب الدولية والمطامع الشخصية والأحقاد القلبية والأصرار الجسمية فنسكون مبغدين عن السعادة في الدنيا ، ولكن متى لمحنا الجمال من خلال تلك السحب القائمة نسينا مصابنا وأدركنا جمالا في ضوء الشمس ونور القمر وبهجة النجوم وهناك نفسى مصائبنا الوقتية ونفرح بهذا النعيم وهو العلم والحكمة والاتقان الذي نراه دائما لا يتغير ونرى قلوبنا به فرحة ، هنالك نسعد في نفس الحياة الدنيا ونرى أنفسنا أشبه بالمراهقين الذين لم يبلغوا السن وقد فرحوا بأنهم قريبا سيبلغون السن القانونية والرشد وتسلم لهم أمواهم . هذا ما خطر لي في تفسير هذه الآية

والحمد لله رب العالمين . تم الكلام على الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية لم تكن في أول هذه السورة وفي أول سورة الحديد إلا لحكمة ، فهذا كلام الله وهو موزون كما وزن كل نبات وكل حيوان وكل كوكب ، يقول الله - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - وقد علم سبحانه ما يلج في الأرض من الآثار التي تركها الأولون كما ستعرف شرحه في ﴿ قصة سبأ ﴾ وتري ما فعله علماء أوروبا في بلاد اليمن وانهم استخرجوا منها صوراً وعرفوا بها علوماً ، فهذا بعض ما يلج في الأرض قديماً وما خرج منها حديثاً ، وهكذا يقول تعالى - يعمدون له ما يشاء من محاريب ومنايل - والمنايل قد تكون من المعادن ، فهذه مما يخرج من الأرض ، وهكذا في ﴿ سورة الحديد ﴾ ذكر الله الحديد وابتدأ السورة بما يفيد هذا المعنى ، إذا عرفت هذا السرّ العجيب فاسمع الآن لما في هذه الدنيا من العجائب المناسبة لهذه الآية

﴿ تفصيل الكلام على الأرض ﴾

لأجعل الكلام في « مقامين » المقام الأول « وصف نفس الأرض » المقام الثاني « ما يقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والفحم وما أشبه ذلك

﴿ المقام الأول . وصف الأرض ﴾

لقد جاء الحمد في أول الفاتحة والأنعام والكهف وهذه السورة ، وأليس من العجيب أن يكون مقروناً بالتربية للعالمين تارة وبذكر الأنوار والظلمات تارة أخرى وبنزول القرآن آتية وبظهور نتائج الأرض والسموات في حال أخرى

فقال صاحبي : هذا كلام غامض ! فقلت اعلم أن الحمد متى ذكر في أول سور القرآن تجدد ذكر العوالم بعاد فالحمد لله رب العالمين في الفاتحة ، ابتدئ بذكر الله في البسملة وأنه موصوف بالرحمة وأن الرحمة تستوجب الثناء بالجليل وأنه مرب للعالم كله ، فهنا ذكر مبدأ الوجود وصفته وتربيته وكل ما ربه ، وفي الأنعام ذكر الثلاثة الأولى وأبان كيفية التربية بجعل الظلمات والنور ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ دوران الأفلاك ، فدوران الأفلاك سبب في التربية المذكورة في أول الفاتحة ، فهنا أيضاً للتربية ، وفي الكهف نجد الحمد على العلم الذي رزق له بالقرآن . إذن هنا نور ظاهر لتربية الأجسام ونور باطن لتربية العقول ، الأول في الأنعام والثاني في الكهف فلم يبق إلا نتائج تلك التربية الجسمية والعقلية للعوالم ، وهذا هو قوله - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور - ولا شك أن ما يلج في الأرض وما يخرج منها لا يختص بالأجسام ولا بالعقول بل هو عام . فنور الكواكب ونور العلم يصلان للأجسام كما في سورة الأنعام وللعقول كما في سورة الكهف . ومن الأرض يخرج الزرع ونحوه وهو جسمي وترفع الأعمال وهي عقلية . وملخص هذا كله أن هذه السور الأربعة جاء الحمد فيها مرتباً ترتيباً جعلنا نعتقد أنه يفتح لنا باباً لدراسة تواريخ العلوم فإذا رأينا الله أول ما يبدأ يذكر لنا أوائل الموجودات ثم توابعها وهو مرتب لها . فلنقل هذا هو آخر طرز في نظام التعليم وهو أن العلم الذي يدرس كالفقه والمنطق والاصول والتفسير ولا يدرس الناس تاريخه اجبالاً ولا يعرفون سلسلة التأليف في ذلك العلم يكون طلابه فاقدي القرائح كاسدى الافهام . ألا ترى أن الفلسفة اليونانية المنتشرة في بلاد الاسلام قديماً قد أحدثت آراء وشبهها وبدعا وكل ذلك للجهل بتاريخها فلقد ذكرت لك فيما مضى أن الاوربيين لما ترجوا فلسفة اليونان رأوا طيماوس يحكم وسقراط يجزم بأن العالم حادث كما هو رأى الحديث في أوروبا مع ان من قرأ الفلسفة القديمة المنقولة عن اليونان لا يجد فيها غير القدم مذهباً وهذا من الجهل بتاريخ الفلسفة ومن عدم الاطلاع على جميع آراء الفلاسفة هناك . وقد قام كتاب ﴿ كشف الظنون ﴾ للكاتب القدير (ملاحبي) بما ينفع في هذا الصدد

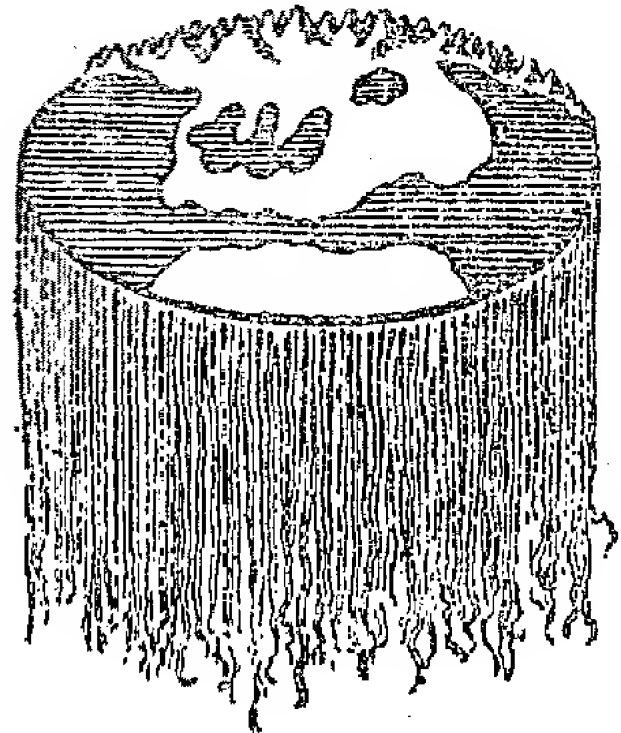
إذا صح هذا أفلا يجب عليّ أن أقدم للأذكاء صورة الأرض وما قاله العلماء فيها حتى لا تكون آراؤهم جامدة جمود من قرؤا العلوم ولم يدرسوا تاريخها

لقد أطلعني أحد الفضلاء على موضوع بديع في وصف الأرض والأقوال التي قيلت في هيئتها منذ القدم أدرج في « مجلة الجديد » فأحببت أن أذكره هنا ليكون ذلك تاريخاً لمعرفة هيئة الأرض ولنقف على ما يقوله الناس فيها ، فلعلنا نخطر على خواطر فكنت أقول : ياليت شعري . ما فائدة باطن الأرض إذا لم تكن فيه نفوس حية ؟ فوجدت هذه الهواجس والخواطر والظنون هجست لقوم في أصريكا كما استراه وهذا هو الموضوع

(في زوايا التاريخ)

(ليست الأرض كروية)

كان أول تصوّر للإنسان في شكل الأرض أنها بساط عظيم هائل لانهاية لعمقه ، يعتمد عليه قبة السماء كالسقف المرفوع ، ولما تقدم في الملاحة وقطع البحار الواسعة أخذ يتصوّر أن الأرض سابحة في أوقيانوس من الماء لانهاية له كما في (شكل ٦) وكان ذلك خطوة لتصوّر أن الأرض محوطة بدائرة وترتكز على جذور طويلة مثل الشجرة كما في (شكل ٧)



(شكل ٧)

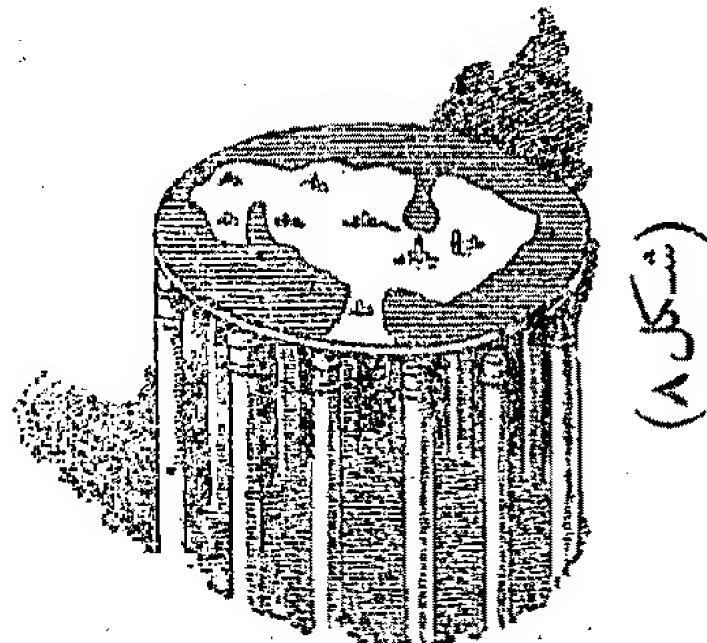


(شكل ٦)

وساد كذلك اعتقاد قديم بأن الأرض بساط مستدير يقوم على اثنتي عشر عموداً كما في (شكل ٨) ولكن على أي شيء تقوم هذه العمدة ؟ فيجيب قساوسة أوروبا في القرون الوسطى بأنها تقوم على الضحايا البريئة من أهل الفضيلة والتقوى الذين لولا وجودهم هنالك لدكت الأرض وذهبت هباء في الفضاء ، وقد كان (أناكسياندر) الاغريق في القرن السادس قبل الميلاد يرى أن الأرض كالأسطوانة كما في (شكل ٩) وأن قطرها يساوي ثلاثة أمثال ارتفاعها ، وانها سابحة في مركز قبة السماوى . وانه لم يسكن منها إلا وجهها الأعلى . وتوجد أوروبا في النصف الشمالى وليبيا وأفريقيا وآسيا في النصف الجنوبى

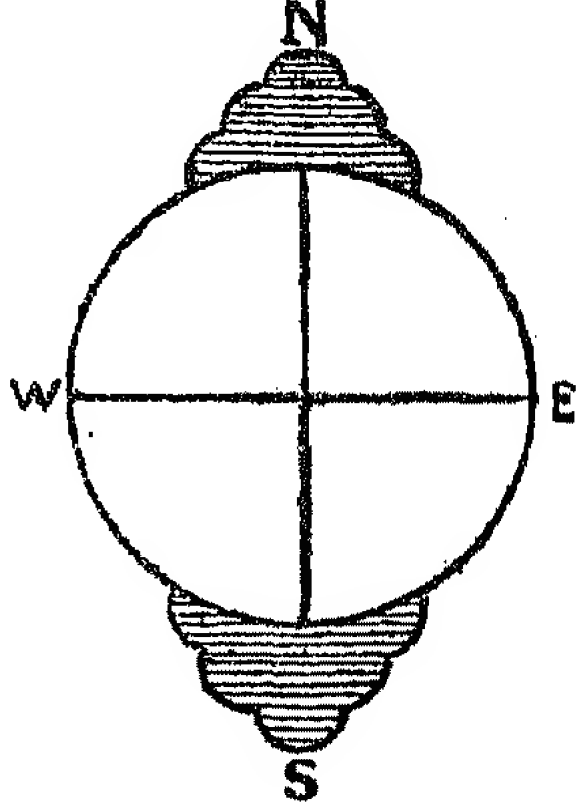


(شكل ٩)

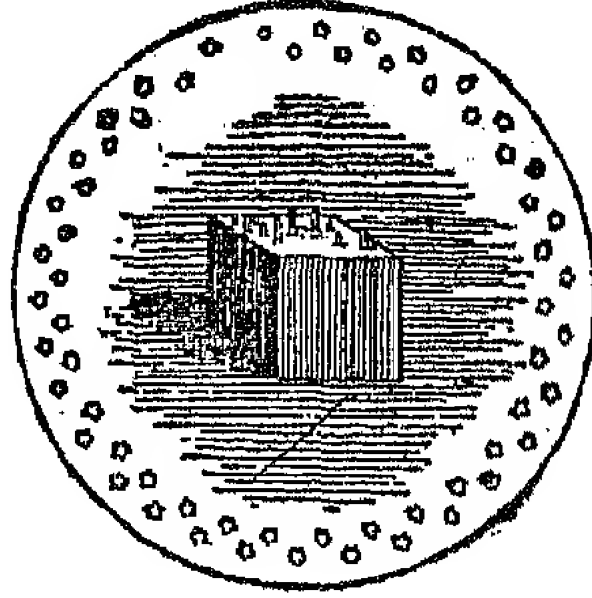


(شكل ٨)

ثم جاء من بعده بقليل الفيلسوف أفلاطون وقال « ان الأرض مكعبة » (انظر شكل ١٠) لأنه كان يعتقد أن المكعب أكمل الأشكال الهندسية فيجب أن يكون موطننا لأفضل الكائنات وهو الانسان . وانه قبل أن يقول علماء الغرب بكروية الأرض سبقهم الى ذلك من عهد بعيد علماء الشرق حيث تخيلوا أن الأرض كروية وتنتهى شمالا وجنوبا بجبال عظيمة الارتفاع كما فى (شكل ١١) وزى كذلك فى هذا الشكل ادراكهم لعمود عظيم تعتمد عليه الأرض وهو الذى تطوّرفيا بعد الى ما يسمى الآن (المحور)

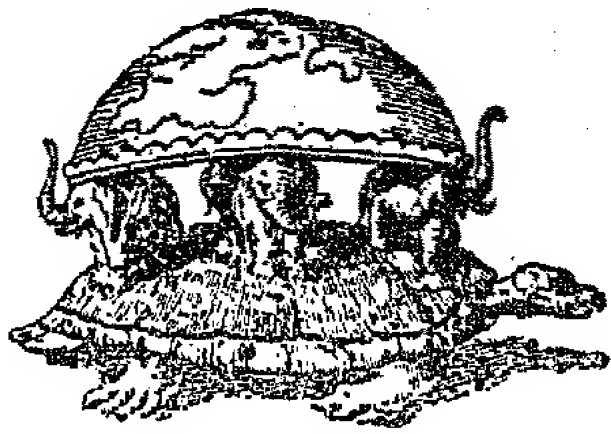


(شكل ١١)



(شكل ١٠)

وذهبوا الى أن جبال النصف الشمالى تخرج من أوقيانوس عظيم وترتفع حتى تبلغ مقرّ الآلهة فى السماء بينما تتدلى جبال النصف الجنوبى حتى تبلغ الحميم ومقرّ الشياطين . ونجد مثل هذه النظرية فى علم الفلك فى الهند مع اختلاف فى المسميات حيث يذكر أن جبل العالم يرتفع فى القطب الشمالى للأرض ليصل ما بينها وبين السماء وهو مثل محور تدور حوله الأجرام السماوية (انظر شكل ١٢) . ووجدت أيضا نظرية فى بلاد (الهند) والسكادان تقول : « إن الأرض مثل محارة كبيرة مستديرة (انظر شكل ١٣) تقوم على أربعة أفيال ، ويرمزون لذلك بالعناصر الأربعة أو الرياح . وتقوم الفيلة على ظهر سلاءحفاة كبيرة . ويرمزون بها للقوة والبقاء والصبر والجلد والخلود

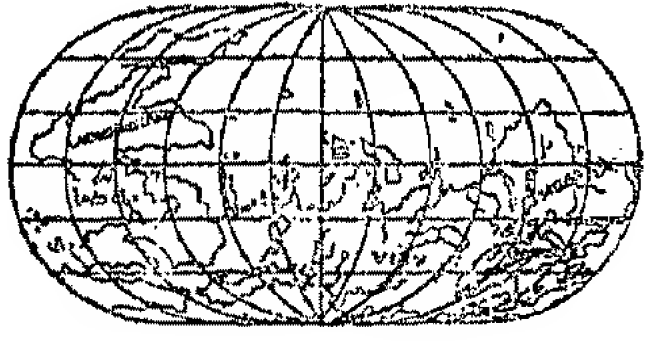


(شكل ١٣)

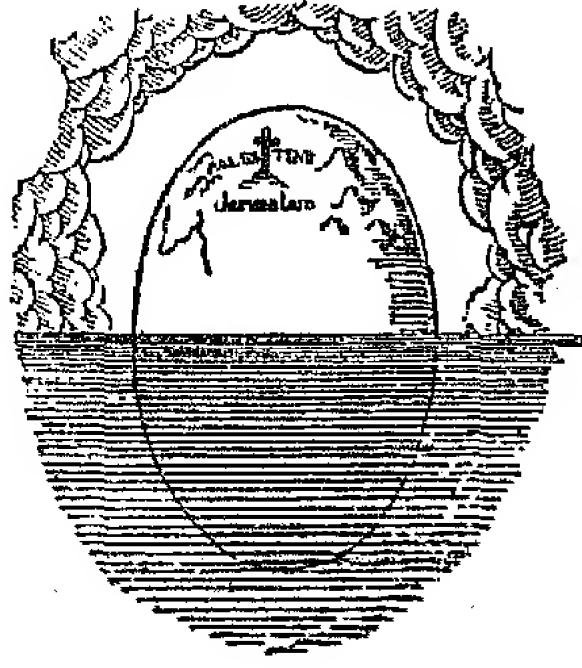


(شكل ١٢)

وانتقل الى الغرب منذ (١٥٠٠) سنة نظرية تقول : « إن الأرض بيضاوية وانها سابحة فى الأثير » (انظر شكل ١٤) وقال الادريسي وهو أحد الجغرافيين من العرب فى القرن الحادى عشر لىلاد « ان نصف هذه الأرض البيضاوية مغمور فى الماء » وذلك ليحل مشكلة النصف المجهول ، وكان (بطليموس) فى القرن الثانى لىلاد وهو من أشهر الفلكيين يرى أن الأرض مثل كرة مفروطة من جانبيها كحبة القوطة (انظر شكل ١٥ فى الصفحة التالية)

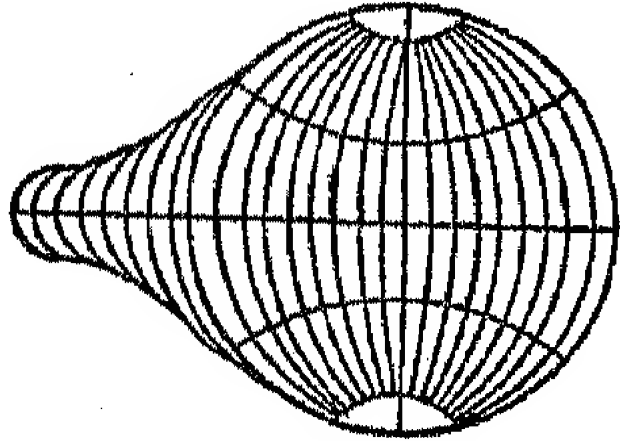


(شكل ١٥)

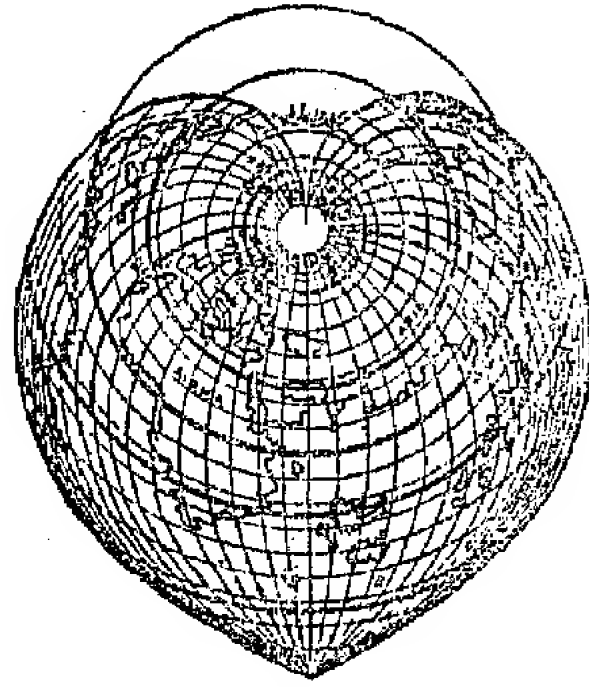


(شكل ١٤)

وجاء (أبيانوس) في سنة (١٥٢٠) ميلادية فقال ﴿انها تشبه القاب﴾ (انظر شكل ١٦) وصادفت نظريته ميلا في قلوب قساوسة الدين في أوروبا فأيدوه قائلين ﴿انها قاب الله﴾ وأن هذه الكرة القلبية تشبه أرض المكتشف العظيم (كولمبوس) حيث تصوورها مثل الكمثرى ، فالنصف الكروي هو الشرقي والنصف المستطيل هو الغربي ، والتمدد الذي أوجده فيه هو (العالم الجديد) الذي اكتشفه ، وأما (دانت) فقد تصوورها قبل ذلك بقرن في مثل هذا الشكل جاء هذا التمدد لجمه الذي صوره فكانت جبال المطهر تحت خط الاستواء بثلاثين درجة (انظر شكل ١٧) بينما جعل (أورشليم) أو (ريون) في الجهة المقابلة ليحفظ التوازن

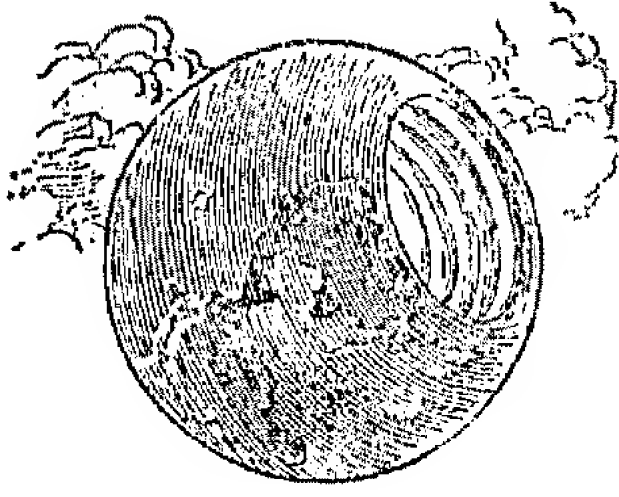


(شكل ١٧)

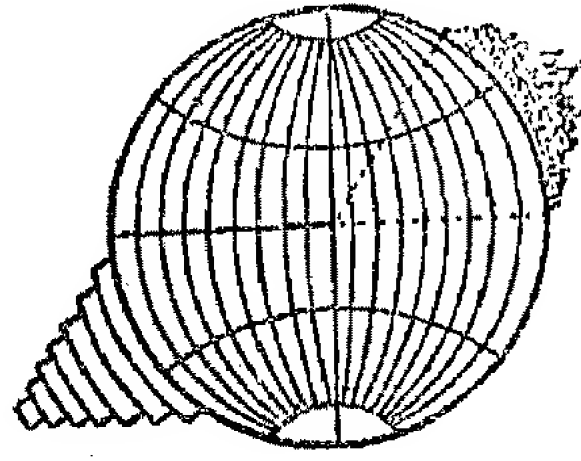


(شكل ١٦)

وظهر في سنة ١٨١٩ في (سنت لويز) بالولايات المتحدة القبطان (جون كليفز سيمس) بنظرية عجيبة تعرف باسمه أو بنظرية الكرات المتداخلة وهي أن الأرض أو أي كوكب يتكوّن من عدة من الكرات المتلاصقة والمشاركة في مركز واحد (كما في شكل ١٨) و (شكل ١٩) وبين كل كرة والتي تليها فاصل مملوء بالهواء ، وعند القطبين فتحة كبيرة في جميع هذه الكرات . ويرى أن الأرض تتركب من خمس طبقات أو ذرات متداخلة وأن فيها فتحتين كبيرتين عند القطبين يبلغ قطرها الشمالية أربعة آلاف ميل وقطر الجنوبية ستة آلاف ميل . وأن سطح كل كرة أو طبقة مسكونان فتوجد سكان في الأرض على السطوح المحدودة والسطوح المقعرة . وطلب إلى المجلس النيابي بالولايات المتحدة أن يجهزه بسفينتين ليسافرا إلى أحد القطبين ويدخلا من الفتحة الموجودة هنالك ليدخلا إلى سكان السطح المقعر الذي نعيش فوقه



(شكل ١٩)

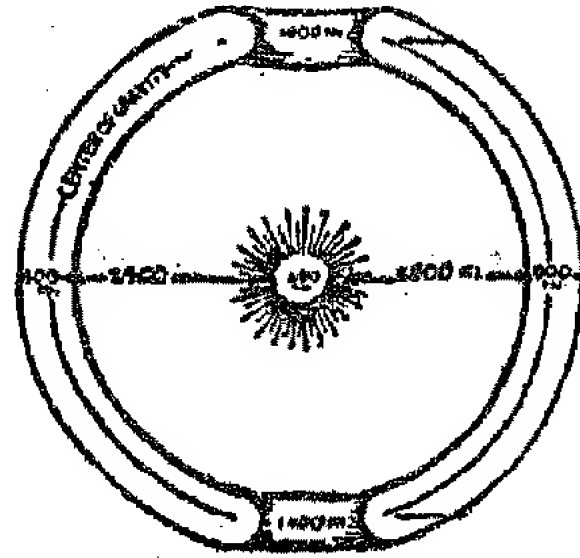


(شكل ١٨)

وطبع المارشال (جاردنر) في سنة ١٩١٣ م في الولايات المتحدة كتابا عنوانه ﴿ سياحة الى داخل الأرض ﴾ ذهب فيه الى أن الأرض مجوّفة ويبلغ سمك طبقتها التي نعيش عليها ثمانمائة ميل وانها مفتوحة عند القطبين . ويوجد في داخلها شمس (انظر شكل ٢٠) ويبلغ قطر كل فتحة قطبية ألفا وأربعمائة ميل وقال (موريه) في كتابه ﴿ علم الفلك اليوم ﴾ ان الأرض على شكل هرم (انظر شكل ٢١) وهو يرى أن نظريته تبين اختلاف انصاف أقطارها وتحل كثيرا من النقط المعضلة في هذا الصدد التي لا يمكن أن تفسرها أية نظرية أخرى



(شكل ٢١)



(شكل ٢٠)

وهذه النظرية التي نشرها (تيوفيل موريه) العالم الطبيعي الفرنسي إن هي إلا شرح وتأيد لنظرية (لوثيان جرين) العالم الانكليزي التي كانت مثارا لجدل كبير في سنة ١٨٧٥ م وهو يذهب الى أن الأرض هرمية الشكل وأن البحار تشغل بطون في سطوحه الأربعة بينما أركان هذا الهرم عبارة عن القارات الخمس وقد بعث (موريه) هذه النظرية الهرمية للوجود بعد رفضها في ذلك العهد ليحلها العلماء من جديد في نور ما استكشف من العلم الحديث . والجدال قائم الآن في كل مكان على قدم وساق . ويقال انها أحسن نظرية في بيان حقيقة شكل الأرض . وأن مالا شك فيه أن نظريات كروية الأرض لا يؤيدها أحد اليوم من علماء الجيولوجيا والفلك . انتهى المقام الأول في وصف الأرض

(المقام الثاني)

(فيما يقوله علماء الاقتصاد في مباحث المعادن والفحم الخ)

اعلم أن علماء الاقتصاد استقصوا مباحث المعادن والفحم وترتبة الأرض ، فلاذكري خلاصة ما يقولون في هذا المقام ايقاظا للمسلمين وتعلما للجاهلین

اللهم إنا نحمدك جدا يوافي نعمك ، أنت الذي علمت وألهمت ، وأنت الذي جعلت الأمم كلها يخدم بعضها بعضا وكل يساعد كلا وان كانوا لا يقصدون ، فهانحن أولاء ننتفع بعلم الأمم ، فالعالم كله مرتبط ببعضه

ببعض بطريق الجاذبية التي بين الكواكب والسيارات ، وهكذا الناس هم تبطن بالمصالح والعيام شأوا أم أبوا - ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها - ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها -

﴿ التربة ﴾

إن التربة قد تكون سوداء وهي التي جعلها (الفرين) أي ما يسمى في مصر بالطمي وقد تكون نباتية وقد تكون بركانية كأراضي الدلتا . فالسوداء هي التي تجعلها الأنهار كنهر النيل بمصر وهذه لا تحتاج الى سقي كثير والرملية تحتاج الى سقي كثير ويزرع في الأولى أمثال الارز والقصب وفي الثانية الشعير والفول السوداني والبطيخ . ومن أحسن الأراضي السوداء الهندية في مقاطعة بنجاب فقد زرعت آلاف السنين بغير سماء . وأما التربة الثانية فهي التي امتزجت تربتها بما تحلل من النباتات قديما فصار ذلك غذاء للزراع التي تزرع فيها . قالوا ومن أحسن أنواع التربة الخصبة في العالم التربة البركانية وتقع عادة في جوار البراكين الحية أو الخاملة وتتكون من بعض المصهورات أو الرماد الذي ينبعث من جوف البركان فتجعله الريح وتشره على مسافات واسعة حول البركان فيكسبها الخصوبة الكثيرة . ومن أمثلة ذلك الأراضي البركانية القديمة الواسعة في مقاطعات (الولايات المتحدة) و (شنجتون) و (اريفون) انتهى

أقول : فإذا كان أحسن أنواع التربة هي التربة البركانية . فهنا ظهر بعض معنى قول الله تعالى هنا - وما يخرج منها - فهو الذي قتر الزلازل والبراكين ليستخرج لأهل الأرض تربة أصلح وأنفع من التربة التي يعيشون بها . إذن المصائب التي يأتي بها البركان والزلازل أقل جدا من المنافع هذا من معنى قوله - يعلم ما يلج - الخ وقد آن أن أبين لك الكلام على الهزات الخفيفة والزلازل العنيفة من كتاب ﴿ الجغرافيا الرشيدة ﴾ لمحمد جدي بك فقد جاء فيه ما يأتي

﴿ الهزات الخفيفة والزلازل العنيفة ﴾

الاهتزازات في القشرة الأرضية كثيرة حتى يكاد يقع منها نحو ٣٠٠٠ هزة في السنة ، ولكن هذه الاهتزازات التافهة لا يلتفت اليها ، ولا يكاد يدونها السيسموغراف الذي يقضي الشهور الطويلة أبيض الصحيفة لا يحيد فيها عن الخط المستقيم ، ثم تأتي المفاجأة الهائلة فيهيج القلم ويرتجف على الورقة ارتجاف الطائر الحائر حتى ينقضي المقدور وينتهي المسطور . ويظهر أنه على قدر مدة السكون تكون شدة الزلازل المقبل ، إذ أن أشد الزلازل خطورة كانت تعقب أطول الفترات سكونا .

(التغيرات المترتبة على الزلازل)

إن حركات القشرة الأرضية الهائلة المستمرة أبعد مدى في تغيير معالم وجه الأرض من التغيرات الفجائية التي تحدثها الزلازل ، وأهم ما ينشأ عن الزلازل ارتفاع أراض كانت واطئة فجأة ، وانخفاض أراض أخرى ، وتغير مجارى المياه تبعاً لذلك ، وتحطيم القشرة الأرضية وتمزيقها بالشقوق والفتوق الطويلة العريضة في أقرب وقت غير إن الزلازل وإن كانت بمفاجأتها وأهوالها تلفت النظر اليها وإلى آثارها هي من الحوادث الصغيرة في تاريخ القشرة الأرضية ، وليست شياً بجانب بنيان الجبال وتغيير صورة وجه الأرض بهدوء واستمرار . وسرعان ما تنسلط عوامل التعرية على ما تخلفه الزلازل من الآثار فتتمحوها وتبهرها كأن لم تكن .

(نشأة البركان)

قد علمت أن جوف الأرض مكون من مواد شديدة الحرارة جدا درجة يوستها محفوظة بضغط القشرة الأرضية عليها . وفي أثناء تقلص الأرض والتواء قشرتها يحدث أحيانا أن يخف الضغط فجأة على تلك المواد

فتنصهر لوقتها وتحول ، ويهيء وجود فتق أو شق بعيد النور فرصة لخروج المواد المنصهرة الجائشة فينشأ عن ذلك البركان . وهو جبل مخروطي الشكل ، في قلبه قصبة مجوفة ، على رأسها فوهة وعائية الشكل تخرج منها الابخرة والصخر والمنصهرات . ويشيد البركان من الانقاض التي تخرج من فوهته سواء أسالت على جوانبه أم تساقطت من الجو بعد الارتفاع مخروطا بركانيا

(الحم البركانية)

تسمى الصخور المنصهرة التي تخرج من فوهة البركان حمما : وقد تبرد أحيانا فتسكون سدادا يسد القصبة فتخرج الحم من الشقوق النافذة الى أحد جوانب البركان وتعمل لها فوهة صغيرة يشيد حولها مخروط صغير على جانب المخروط البركاني . وتسيل الحم على جانب البركان في كل ناحية فتشيد فيه وتزيده في بنيانه . وعند ما تبرد الحم تنشق كالتشق الأرض الشراقي فتسكون منها أشكال منتظمة كما ترى في أعمدة البازلت . ويحدث أن يتحات المخروط البركاني تاركا سدادا القصبة وحشو الفوهة فتبقى صخرة منهزلة

(الثوران البركاني)

يخرج من فوهة البركان سحب من بخار الماء المتولد من المياه التي تتسرب الى جوف الأرض وتختلط بالصخور المنصهرة ، فيطرد البخار الصخور المتخلقة في قصبة البركان بعد أن يمزقها كل ممزق ، ثم تخرج سحب من التراب البركاني الذي يجعل الجو مظلما و ينتشر في الآفاق الى مسافات هائلة ، وتخرج من هذه الحم والمواد المنصهرة ، فتسيل على الجوانب . ولذلك تجد المخروط البركاني مشيدا من طبقات من الحم ، وأخرى من الرماد البركاني الذي تنزل به الامطار الموحلة على البركان ، وكلما تكرر ثوران البركان تكرر تكوين الطبقات وتشيد الجبل . ومن أعظم الثورات البركانية ثوران بركان كركتوا في سنة ١٨٨٣ . وجزيرة كركتوا هذه في أرخبيل الملايو بين سومطري و جاوى ، تكرر فيها حدوث الزلزال ، وفي صباح ٢٧ أغسطس سنة ١٨٨٣ بدأ الثوران البركاني العظيم : فسمعت أصوات فرقة الغازات في جنوب استراليا ، وخسف ثلثا الجزيرة فحل محل الجبال العالية بحر عمقه ألف قدم ، وهاجت الامواج الهائلة فطفت على سواحل الجزائر القريبة ، وهاك ٣٦٠٠٠ نسمة وخربت نحو ٣٠٠ قرية ، وصار الجو مظلما كالليل في الجهات المجاورة من كثرة التراب البركاني الذي كان يرتفع الى علو ٢٠ ميلا من الفوهة . وقد انتشر هذا التراب في أجواء العالم فجعل للشفق منظرا شديدا الاحرار حتى في غرب أوربا . وقد علمت أن في قرار المحيطات طينة حمراء مشتملة على بقايا الحيوانات البحرية ، فهذه الطينة مكونة في الغالب من الرماد البركاني . انتهى ما أردته في هذا المقام من كتاب الجغرافيا الرشيدة

فانظر وتعجب : إن علم الله بما في السموات والأرض لا يحتاج الى بيان فكل متدين يعلم ذلك ولكن الله كرّره في القرآن كثيرا في كل مناسبة وهو اذا علم كل شئ فهو يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها الخ ولكن لما قرأنا علوم أهل زماننا وجدنا أن ذلك التخصيص بالنص لحكم ظهر بعضها وسيظهر باقيةا . علم الله أن المسلمين سيقروا القرآن وينامون عن العمل ويتركون الأرض لغيرهم فقال لهم « أيها المسلمون : أنا أعلم ما يلج في الأرض وما يخرج من الأرض ولولا نفعكم لكم ما أخرجتكم منها . هذه البراكين مهلكة ولكنها نعمة لأن وجه الأرض كلما ضعفت الزراعة فيه فلم تأت بالغرض المطاوب . سلطت عوامل سرية على تربة قوية فأظهرت المكنون في باطن الأرض فظهر على وجهها بالبركان ثم أهرت الرياح فجرت به وفرشته وفرقتة على الجهات المجاورة . إذن هذا الخروج بعلم وحكمة وتقدير . هكذا الفحم والبتول والحديد ونحوها

﴿ الفحم ﴾

خزن الله الفحم في الأرض أجيالا وأجيالا . وما الفحم إلا مواد نباتية احتجبت في طبقات الأرض عن أطواء دهورا طويلة فجرت عليها سلسلة من التغيرات الكيميائية أدت الى فقد مقدار عظيم من الايدروجين

والاكسوجين وبقاء مقدار من الكربون . والكربون يكون في الخشب المعتاد بمقدار نصف ما يكون في الفحم العادي ، ولقد يكون منه في الفحم بنسبة (٨٥) أو (٨٨) في المائة

هذا كلام عام للاقتصاد ، ومعنى هذه العبارة أن الخشب يحتوي على ماء (الاكسوجين والادروجين) المتقدم ذكره ويحتوي على مادة خمية وهي الكربون ، فبقاء المواد النباتية مئات القرون تحت الأرض يذهب منها أكثر الماء ونحو نصف المادة الكربونية (الفحم الخالص) والباقي من ذلك كثير في الفحم ، وقالوا من أنواع الفحم

(١) انتراسيت وهو لماع صعب الاشتعال لا تنسخ منه اليد ، لهبه قليل أو عديم الاله ، شديد الحرارة عند الاشتعال

(٢) الفحم البخاري وهو قليل الدخان كثير الحرارة يحفظ للأساطيل

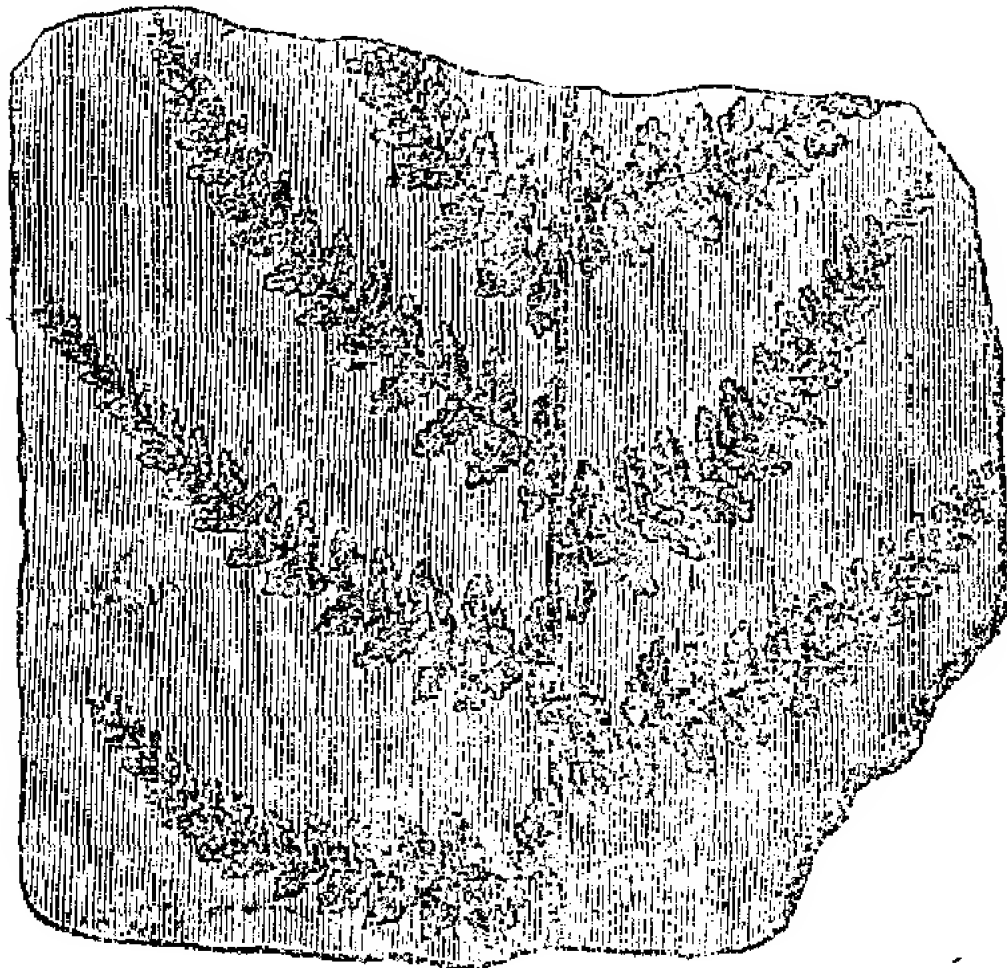
(٣) فحم الغاز

(٤) فحم الكوك ، نافع في المعامل والسكك الحديدية والبواخر وفي التنابير لاستخلاص المعادن وصهرها ومعامل الغاز

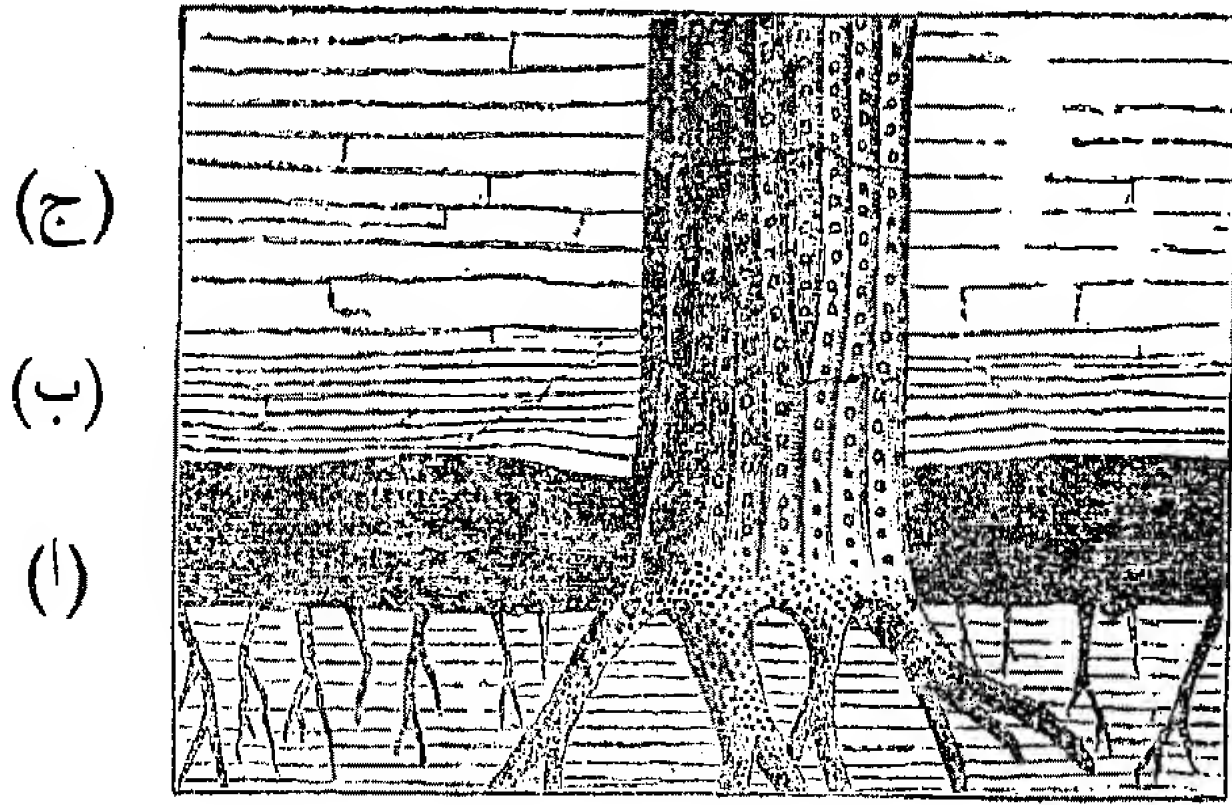
(٥) الفحم على وجه العموم هو المادة الأولية لمئات من الصناعات مثل الكوك المتقدم ، ومنه القار الفحمي ، ومنه زيت القار وهو وقود جيد ، ويعمل من الأول مستخرجات تستعمل في الصباغة وعمل النفطالين والتطهير ، ومنه البترول وغاز النشادر ، وتصنع منه الأسمدة ، ويستخرج من الفحم أيضا بعض الكيمياويات الداخلة في صناعة الطب مثل (السكرين) وهي العطريات والمفرقات وهلم جرا

فالعجب أيها الذكي لفحم أسود اللون منبوذ يكون وقودا وسماذا وعطرا وأداة حربية تهدد الحصون وتخرب البلدان وصباغة للثياب وتطهيرا ودواء ، فليكن داوى المريض فقد نما به الزرع وان صيغ الثوب فقد أهلك المدن - إن الله لطيف خبير -

فهاك أربع صور للفحم (انظر شكل ٢٢ في هذه الصحيفة) و (شكل ٢٣ في الصفحة التالية) و (شكل ٢٤ في صحيفة ١٣٧) و (شكل ٢٥ في صحيفة ١٣٨)



(شكل ٢٢ - منظر رسم هندسي للفحم منظور من معدنه أثناء العمل)



(شكل ٣٣ - رسم هندسي بديع)

(أ) هذا هو الجزء الذي تحت الطين مع الجذور الممتدة فيه

(ب) فرش الفحم وهو أسفل طبقة

(ج) سقف الفحم مختلطا بالرمل و بنوع من لوح

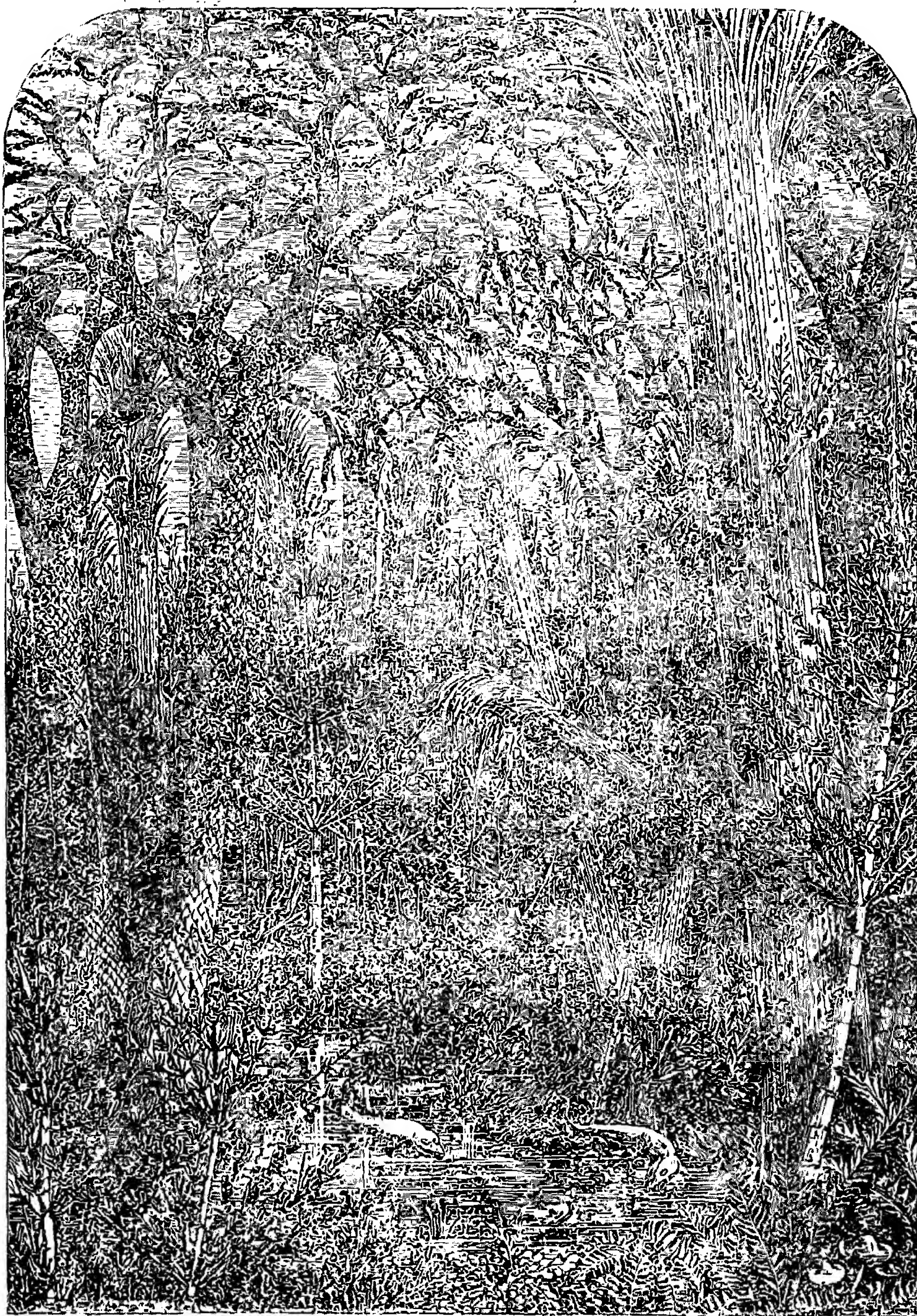
هذا هو الفحم الذي خزنه الله في الأرض وأبقاه مئات الألوف من السنين ثم أبرزه اليوم للناس بعد ما انضججه وجعله مدار وقى الأمم في الزراعة والصناعة والعلم والحكمة ، ألا ترى أن العقول تزداد بصيرة بمزاولة هذه الحجاب ، أبرزه للناس فعرفوه بعقولهم واستخرجوه من الأرض ، ولما علم أن المسلمين سينامون طويلا كما نام الذين من قبلهم من الأمم قال سبحانه - يعلم ما يلج في الأرض - (كالأشجار والنباتات في قديم الزمان) - وما يخرج منها - (فهي قد استخرجت اليوم وانتفع بها الناس) لا المسلمين فهو يقول انها بعلمي دفنت في الأرض بالزلازل والحوادث الكثيرة و بعلمي تستخرج الآن ، فعلمي متعلق بها في الحالين وهي التي خزنت فيها ضوء الشمس الذي أشرق عليها أيام نموها ثم أنا الآن أظهره لكم لتجنيوا ثمره وتعرفوا خبره ومثل الفحم البترول

﴿ زيت البترول ﴾

(أنواعه ومستخرجاته ومنافعه - أشهر جهات العالم به - القوقاز . الولايات المتحدة . وغيرهما)

(مصر وزيت البترول فيها)

سبحانك يا الله : أدهشنا صنعك . وبهرنا وضعك . جعلت في الأرض ماء . سلكته ينابيع فيها . ومنها الينابيع الحارة التي رسمت في ﴿ سورة الكهف ﴾ في أولها عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها - فهناك من زينة الأرض قد رسم نوعان من العيون الحارة المرتفع ماؤها عن الأرض . نوع ينبع وسط الثلج . ونوع ينبع وسط الحجارة الصفراء . وهكذا نراك جعلت في الأرض أيضا المعادن والفحم المتقدم ذكره . وهكذا نراك أجريت منها سائلا ننتفع به في أعمالنا . فلم يقتصر عملك على الفحم الذي هو جامد بل خلقت لنا جسما سائلا وخزنته في الأرض . أليس هذا من العجب ! تخلق الزيت في الزيتون وفي السمس وفي برة القطن وفي غيرهما وتجعله نافعا لنا مضيئاً لمنزلنا وهكذا شحم الحيوان . كل ذلك فوق الأرض مشاكاة لما أبدعته من الأنوار التي أرسلتها من علياء سمواتك



(شكل ٢٤ - رسم الأعشاب في مدة الفيجم الحجري)

بهذا الفيضان . لماذا ؟ لأريكم أن عندي منه كثيرا فالتسوه . نعم القمى الناس البترول من باطن الأرض فخرج
(١) زيت طبيعى أسود قائم ثقيل فأجروا عليه عمليات كثيرة وصفوه بها فخرج منه أنواع وأصناف
تختلف وزنا وسيلانا وغيرهما من الخواص و باختلاف الخواص تختلف الأعمال والمنافع والأسماء فمنها

(٢) صنف خفيف يسمى (كيروسين) وهذا مستعمل للاضاءة

(٣) وصنف آخر ثقيل يستعمل للوقود

(٤) وصنف آخر يستعمل للصقل أثقل منهما . وتسمى الزيوت المستخرجة من الولايات المتحدة باسم

(٥) زيوت البرافين

(٦) ومن عجب أن هذا الاسم لا يطلق في انجلترا إلا على نوع الزيوت التى يستخرجونها بالتقطير
و بينما أنا أكتب هذا إذ حضر بعض الأصدقاء فقال : كيف يكون التقطير هنا ؟ أيقطر من نبات ؟ قلت :
كلا . قال أيقطر من باطن الأرض . قلت . كلا . قال إذن مم يقطر ؟ قلت يقطر من صخور . قال وكيف ذلك
قلت قد كشفه رجل انجليزى يسمى (المسترجس بانج) عثر عليه وهو يبحث عن الزيت الطبيعى المتقدم .
ذلك انه رأى ذلك الزيت يسيل من سقف أحد المناجم بمقاطعة (در بشير) بانجلترا فلاح له فكرة أن
يستخرج هذا من الفحم الخالص فاستقطره فنجح وأحرز رخصة بمزاولة هذا العمل سنة ١٨٥٠ فاستخرج
زيت البرافين المذكور ثم استخرج مادة البرافين المشهورة . ثم إن هذه الصخور الفحمية تكون بانجلترا
وألمانيا والنمسا والمجر وإيطاليا والهند وأستراليا وزيتها كما عرفت يشبه البترول ويستعمل مثل استعماله . وليست
طريقة استحضاره بالآلات الماصة كما فى الزيت الآخر . كلا . بل الطريقة هنا انهم يصهرون الصخور فى أوعية
حتى يتبخر زيتها فيستقبلونه ويكثفونه فيكون زيتا خالصا . ومن العجب أن زيوت البترول والبرافين
أصبحت ذات شهرة واسعة بل انها أغنت عن الزيت النباتى والحيوانى . لماذا ؟ لأن الله نور السموات والأرض
ولأنه واسع عليم ولأنه لطيف لما يشاء . هو الذى خزن ذلك فى الأرض ووضع على ﴿ نمطين ﴾ نمط هو
سائل وهو البترول . ونمط هو جامد وهو زيت البرافين . فيستنبط الناس الأول من الأرض ويستنبطون الثانى
من الحجارة والنتيجة واحدة . وقد أصبحت تلك الزيوت المستنبطة من الأرض أو من حجارة الفحم تغنى عن
زيت الزيتون الذى كانت تفخر به إيطاليا ومعظم ممالك البحر الأبيض الشهيرة من قديم لكثرة أشجاره فيها
فترى الناس يختارون زيت البترول للصقل لأنه يبقى مدة طويلة بلا تجدد أو لزوجة كما يحصل لازيت النباتية
والحيوانية فانها بهذا السبب تلتصق بالمواد التى يراد صقلها ولا يتم الانتفاع بها الآن على الوجه الأكمل الأحسن
إلا اذا مزجت بمقدار من زيت البترول . إذن الله يقول لنا - يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها - والاخراج
قد يكون بالآلات الماصة وقد يكون بالاستقطار من الأشجار فهو يعلم أن مثل هذا النوع المستنبط يساعد فى
الأحوال العملية كالصقل المذكور إذ الزيت الذى خلقته على ظهر الأرض فيه نقص فاحتاج الى الكمال فأخرجت
لكم زيت البترول من باطن الأرض لأدلكم على ما وراء ذلك وكذلك أنزل قطرات من الفحم الحجري ليدلكم
على ما فيه وأنتم لا تستكملون ذلك بعملكم . إذن هذه مخازن الله خزنها فى أرضه وصخوره ودلنا عليها وعلم
منفعتها ثم قال للمسلمين استخرجوها كما استخرجتها الأمم قبلكم لأن هذا من فروض الكفايات وفروض
الكفايات لها مقام عال فى الاسلام ، وأيضا أنا سخرت لكم ما فى السموات والأرض وهذا مما فى الأرض
أفلاتشكرون نعمتى أيها المسلمون ، وشكر النعمة بفهمها أولا وقبولها ثانيا ، أما الفهم فها هو ذا وأما القبول
فبالعمل وبالعمل قد استخرج الناس من زيت البترول ما يأتى :

(٧) زيت الفازلين : وهو زيت خفيف جدا يتولد منه غاز سريع الاحتراق يسمونه (بترول) فقط

وهو المستعمل فى تسير السيارات وما شاكلها

- (٨) والبنزين يحتاج اليه كثيرا في صناعة المطاط (والنفط ايرشا) لما فيه من خاصية اذا بهما
 (٩) والفازولين ويستعمل دهانا ومنافعه شتى في الشؤون الطبية
 (١٠) والريغولين وهو أكثر زيوت البترول تطايرا ، ويستعمل أحيانا في الطب للتخدير المحلي الذي يحدث
 في العضو من البرودة الشديدة التي تعقب تطايره

(١١) والنفثالين (النفط) وغير ذلك من المواد النافعة

ثم ان أشهر جهات العالم في استخراج زيت البترول انما هي بلاد القوقاز لدى شواطئ البحر الأسود وعلى
 جوانب بلاد القوقاز على حدود فارس عند (مرو) وأشهر مصرا كزه (موردان) المورد الأول على جانب
 القوقاز الجنوبي ومينائه (باطوم) على البحر الأسود (المورد الثاني) على بحر قزوين ومينائه (باكو) .
 وآبار هذه الجهة معروفة من قديم الزمان وكان الفرس يزورونها ليعبدوا النار في غازاتها الملتببة المندلعة من
 جوف الأرض ، ولقد تقدم في (سورة طه) عند قوله تعالى - وقل رب زدني علما - الكلام على اندلاع
 النار في تلك الأقطار فارجع اليه وأقرأ صور ذلك هناك واعجب من حكم تجلت في هذه الدنيا ، ثم ان هذا المورد
 لم ينفع الناس منفعة تامة إلا حين خرج من قبضة الفرس الى الروس في أوائل القرن التاسع عشر ، وليس في
 الأرض مكان فيه من كثرة الزيت ما في هذه الأمكنة إذ يتدفق الزيت هناك على جوانب الآبار من غير حاجة
 الى استنباطه بالآلات ، وتنبط البئر في اليوم الواحد (مليون غالون) وقد يتدفق الزيت بشدة فينتزع الأجهزة
 المركبة على فوهات الآبار ويقذف بها في الجو مسافات

وبلى هذه الجهات في استخراج (الولايات المتحدة) وفيها الآن (٢٠٠٠٠) بئروفيها نحو (٤٠٠٠٠)
 ميل من الأنابيب لنقل الزيت الى المصافي في بلاد مركزية . ومن هذه يوزع في طول البلاد وعرضها أو ينقل
 الى الموانئ للتصدير ، ثم ان صناعة الحديد والصلب والزجاج وغيرها تقوم بمحاور تلك الينابيع
 هذه أشهر البلاد التي يستخرج منها الزيت ، ومن البلاد التي يستخرج منها الزيت المذكور مصر ولكنه
 قليل ، ففيها (شركة زيت انجليزية مصرية) جنوب السويس عند البحر الأحمر وانتظم العمل بها سنة ١٩١١
 وتحت امرتها (آبار جسه) و (آبار هرغاده)

ويستخرجون منه بترول السيارات و بترول الاضاءة وسائل الحريق وزيوت الصقل وغير ذلك اهـ

﴿ عبرة ﴾

اعلم أيها الذكي أن بلاد المسلمين قد خزن الله فيها للناس خيرات . فهل الله عز وجل يمنع النعم عن خلقه
 لأن المسلمين يجهلونها - إن الله لطيف لما يشاء - حكيم الصنع جزى بل الاحسان . هذه دولة روسيا لما ملكت
 منابع البترول استخرجته ، ولما كانت ملك بلاد الفرس كانت محجوبة عن الأمم

أيها المسلمون : اعلموا أن الأرض خلق الله وانما عبود الله والله عز وجل الذي خلقنا وخلق الأمم
 حولنا لا يمكن أن يرضى بتعطيل منافع ملكه لأجل جهل بعض عباده ، فهل يظن المسلمون أنهم اذا عطوا
 نعم الله يرضى هو بذلك . كلا . بل هو ينزع الأرض منهم ويعطيها لغيرهم ، وهل خلق الفصحم زيت البترول
 مثلا وهكذا المعادن ؟ هل هذه كلها خلقها الله ليحجبها عن الناس . كلا . فالله خلق المنافع وبها في الأرض
 ومنى خلق من يستحقها لا يمنحها عنه كما لم يمنع الذكور عن زواج الاناث لما في ذلك من المنافع ، فاذا جهل
 المسلمون منافع أرضهم سلط غيبرهم عليها فأخذوها وانتفعوا بها وهو القائل - وما خلقنا السموات والأرض
 وما بينهما لاعبين - . لو خلق الله هذه المنافع ثم هو يمنحها الى الأبد لكان ذلك عبثا والله يجلب عن العبث
 وهو الحكيم ، هو الذي يقول - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - أي ويعلم من يمنع منافعها فينله
 ومن يستخرجها فيساعد له لأنه حكيم عليم ، والحكيم لا يخلق إلا الحكمة ، ولا يعطي النعمة إلا لمن يستحقها ،

فليعلم المسلمون مركزهم من الانسانية حتى ينطبق عليهم قوله تعالى - خير أمة أخرجت للناس - انتهى

(جمال العلم)

(في قوله تعالى - وما يخرج منها -)

جاء في كتاب « الجغرافيا الرشيدة » تحت العنوان التالي مانصه

(الينابيع المحجرة)

كثيرا ما يجري الماء مذابا فيه الجير فيكسو كل ما يصادفه من الاشياء بطبقة قد تغير الآثار الحية فتجعلها متحجرة ، ولا شك في أن الغابة المتحجرة في هليوبوليس تكونت بتأثير ينابيع حارة مذاب فيها الرمل .

﴿ الصخور الرسوبية الكيميائية ﴾

فالجبس الذي رأيت في الاعمدة من الصخور الرسوبية المتكونة بتأثير كيميائي ناتج من ذوبان الصخور الجيرية . ومثله صخور الملح . وفي كاكسكزه بالقرب من كراكو في تشيكوسلوفاكيا أعظم مناجم الملح في العالم فهناك مدينة بأكملها منحوتة تحت الأرض في صخور الملح

﴿ أنواع الصخور الرسوبية ﴾

فن أنواع الصخور الرسوبية الطين والحجر الرمل وهما من الرواسب العادية ، والجير والمرجان من البقايا الحيوانية ، والفحم من البقايا النباتية ، والجبس والملح من الصخور التي تكونت بهوامل كيميائية .

﴿ الصخور الرسوبية المتحولة ﴾

وقد يطرأ على بعض صنوف هذه الصخور تحول بسبب الضغط أو الحرارة أو حركات القشرة الأرضية ، فيتغير شكل الصخر ووزنه ويزداد صلابته ولحماته ، فمثلا الاردواز أصله الطين والرخام أصله الطباشير .

﴿ الصخور غير الرسوبية والصخور النارية ﴾

هاك نوعا آخر من الصخور مختلفا عن كل ما وصفنا لك الى الآن . هذا حجر الجرانيت الذي سمعت عنه كثيرا في الآثار المصرية كالمسلات والتماثيل . خذ قطعة منه واخصها تجد أنه ليست له حبات مستديرة ، بل يتكون من ثلاثة أنواع من الصخور البازلية المختلفة الشكل : فمنها الفلسبار بلون اللحم الاحمر ، والميكا ذات اللون الاسود اللامع المفضض ، والسكوارتز الذي تكونت منه حبات الرمل . وليس لوضع أجزائه أي نظام ، وليس له طبقات ولا فيه خروز بل هو من صنع الطبيعة ذاتها . وبريق أجزائه يدل على أنه يتكون بالحرارة فهذا الصخر ناري ، من الصخور الأصلية التي تكونت منها قشرة الأرض قبل الصخور الرسوبية . والصخور الرسوبية كلها مشتقة في الأصل من هذه الصخور النارية . وهاك نوعا آخر من الصخور النارية وهو الطفح الذي يخرج من البراكين وترى فيه فقاعات غازية ويسمى صخورا بركانيا ، تميز له عن مثل الجرانيت الذي تكون بهدوء تحت سطح الأرض . وهذا جدول يلخص لك تقسيم الصخور على أكل وجه :

﴿ الصخور ﴾

(١) متحولة (ب) ومائية (ج) ونارية

(١) الصخور المتحولة (١) مائية الأصل كالاردواز من الطين (٢) ونارية الأصل كالنيبس من الجرانيت

(ب) الصخور المائية (١) تكون عضوية كالجبس والفحم (٢) وكيميائية كالصخور الجيرية (هكذا بالأصل)

(٣) ورسوبية كالطين والحجر الرمل

(ج) الصخور النارية (١) البركانية كالبازلت (٢) والباطنية كالجرانيت اه

﴿ نموذج التمارين التي اعتاد المدرسون أن يسألوا التلاميذ فيها ﴾

- (١) صف مجموعة من الحفريات التي تتجدها في جبال المقطم . ما الذي تستنبطه من وجود هذه الأصداف عالية في الجبال ؟
- (٢) أغلب الآثار المصرية مطمورة بالطين الى علو أربعة أمتار ، فإذا كان عمر الآثار أربعة آلاف سنة ، فما سبب طبقة الطين التي ترسب على أرض مصر سنويا من الفيضان ؟
- (٣) من أي أنواع الصخور : البازلت والرخام ؟ حال وجود الرخام في جهة أي زحبل تحت طبقات البازلت
- (٤) في شرق هليوبوليس غابة متعججرة . ماذا تظن السبب في وجودها ؟
- (٥) بحوار ساحل البحر الأبيض المتوسط في مصر ملاحات عظيمة . وضع كيف يحصلون على الملح منها وبأي كيفية تكونت صخور الملح العظيمة في تلك الكثرة ؟
- (٦) ما الذي تعرفه عن أصل الفخم الحجري ؟ وماذا في هيئة الفخم يؤيد نظريتك ؟
- (٧) ما الأدلة على حرارة جوف الأرض وماذا تهتقده بشأن أصل هذه الحرارة ؟
- (٨) أي أنواع البحار يلائم النمو المرجاني ؟ كيف تعمل وجود الجزائر والحوارج المرجانية في البحار العميقة
- (٩) ما سبب تكوين المغارات في الصخور الجيرية ؟ أي نوع من أشكال التضاريس يختلف المغارة الطويلة اذا سقط سقفها على أرضها ؟
- (١٠) كيف تكونت عمدة الجبس في المغارات الجيرية ؟
- (١١) أذكر أمثلة من الصخور النارية الباطنية والبركانية والمتحولة .

﴿ حركات القشرة الأرضية ﴾

(الزلازل والبراكين والنافورات)

قد اتضح لك أن الصخور الرسوبية تكونت في قرار الماء ، وأن وجودها فوق ظهر الأرض مثير للعجب ومشوق لمعرفة السبب ، وبالأخص لوجود هذه الصخور في أغلب بقاع اليابس . فالسبب لا يمكن أن يكون إلا أحد أمرين : فالأول أن ماء المحيط كان في العصور الخالية فوق جميع اليابس ، وإما أن قشرة الأرض هي التي تتلوى وتنتفي في مختلف الاتجاهات . وسنبين لك حالا أن السبب الأخير هو الصحيح .

﴿ السواحل الطالعة والسواحل النازلة ﴾

للمحيط الأطلسي ساحلان : ساحل شرقي وهو المجاور لأوروبا وإفريقية ، وساحل غربي وهو المجاور لأمريكا فإذا زرت الاقاليم الشرقية في الولايات المتحدة تجد السهل المجاور للمحيط الأطلسي مكونا من الصخور الرسوبية الحديثة العهد ، حتى اذا وصلت الى شرق جبال اليجني وجدتها محززة بحزوز أفقية متوازية تشبه الحزوز التي تعملها الامواج في صخور الشواطئ البحرية في أيامنا هذه ، وتجد في الجبال كهوفا ومغارات لا يشبهها إلا الكهوف والمغارات التي تنحتها أمواج البحار . ولا يفترب هناك وجود الحفريات من أشكال القواقع والأصداف والسماك التي تعيش في المحيط الأطلسي حتى الآن . فلا يمكن أن يبقى في نفسك أي شك في أن هذا السهل الساحلي قد برز من أعماق البحر . فهل انحسر عنه الماء ؟ اذا كان ذلك كذلك فينبغي أن يكون الماء قد انحسر أيضا عن شواطئ أوروبا الغربية فتزداد علوا عن سطح الماء ، ويكون انحسار الماء عن السواحل عاما ما له انتهاء الماء من هذه الدنيا . ولكن هذا غير صحيح ، والواقع يكذب ، لان سواحل أوروبا الغربية آخذة في الهبوط التدرجي تحت سطح الماء : فقد كان للرومان مبان في غرب أيرلنده وكانت هذه المباني مشرفة على ساحل المحيط الأطلسي ولم يكن الماء يطغى عليها طبعاً ، وقد أصبحت الآن غائرة تحت مستوى ماء المحيط ، فلا تظهر

إلا وقت جزر البحر ، وتغيرها المياه وقت المد . فيثبت لك من ذلك أن البحر لا ينقص مائه وأن قشرة الأرض هي التي تلتوى وتنثني ، وليس ذلك في جهات قليلة من وجه الأرض بل هي حركات آثارها ظاهرة في كل موضع على اليابس وتحت الماء .

﴿ الجبال الحديثة والجبال القديمة ﴾

تأمل في خريطة الدنيا ترأعظم سلاسل الجبال الحالية موجودة في اتجاهات معينة : فهي في الغالب على حافة المحيطات الكبرى ، أو عند مجمع انقارات (كما هو في الحال في حوض البحر الأبيض المتوسط) . وفي هذا الوضع المنتظم دلالة على العوامل التي أوجدتها : فالقشرة الأرضية تلتوى وتنثني فيظهر أثر هذا الالتواء في أضعف جهاتها ، فأعظم جبال الدنيا مثل روكي وأندس والألب وهمالية من الجبال الحديثة التي برزت من قرار البحر في أزمنة قريبة ، والأزمنة الجيولوجية لا تقاس بالسنين ولا بالقرون ، ولعلك عنها أحقاب طوي يسيرة بكل عن إدراكها الحاسب

﴿ عامل الوجود وعامل الفناء وعملية التوازن ﴾

لا يمكن أن تبرز الجبال والسهول من البحر فتزيد مسطح اليابس وحجمه بلامقابل فإن من المسلم به في كل معاملة الموازنة بين الوارد والمنصرف والا انتهى الأمر بفلاس أحد الطرفين المتعاملين . فالذي يكسبه البحر عوض ما يخرج منه من الأراضي الجديدة والجبال الحديثة ، إن الذي يستفيد في مقابل ذلك ما تجلبه له الأنهار ، يساعدها في ذلك عوامل الفناء الأخرى المعروفة بعوامل التآكل التي تسلط على الجبال من رقت ظهورها بمحاول الفناء فتجرفها ولا يهدأ لها بال حتى تكشفها من على وجه الأرض وتبعث بأنقاضها مع الماء الجارى الى المحيط ، تدفع بذلك ثمن الأراضي الجديدة التي تبرز منه

﴿ أسباب حركات القشرة الأرضية ﴾

(١) علمت أن الأرض تدور على محورها باستمرار ، وهذا الدوران من شأنه أن يغير شكل الأرض كما تغير أوضاع جبوب القمم وقت هز الكيلة ، وأن هذا الدوران هو الذي أعطى الأرض شكلها الخاص بها والذي جعل القطر الاستوائى أطول من المحور ، ففي القديم الغابر لما كانت الأرض كلها سائلة أولية كان هذا التغير سهلا ولكنه قد صعب الآن بعد أن جمدت الأرض وتصلبت قشرتها فلا يتم بدون طي الصخور المنة وكسر الصخور الشديدة الصلابة

(٢) كانت الأرض قبل أن تفقد شيئا من حرارتها أعظم حجما وكلما نقصت الحرارة تقلص قلب الأرض فتضطر صخور القشرة أن تنثني وتتكسر لكي تنطبق عليه كما تنثني ملابس الرجل البدين اذا هزل جسمه بسبب المرض ، ويدفعها لذلك ﴿ أصران الأول ﴾ جذب مركز الأرض لها من تحت ﴿ والثاني ﴾ ضغط الطبقات الهوائية عليها من فوق

(٣) إن متوسط الثقل النوعى للصخور المكونة للأرضية أكثر من خفة أضاف الثقل النوعى للماء على حين أن الثقل النوعى للصخور القشرة لا يزيد على الصخرين إلا قليلا ، ومعنى ذلك أن الصخور الخفيفة هي الموجودة على وجه الأرض في حين أن الصخور الثقيلة موجودة في قلبها ، وذلك بدىهي إذ أن الخفيف من طبعه أن يطفو فوق الثقيل ، وقد حصل هذا الترتيب أيام كانت الأرض في حالة سائلة والصخور مرتبة على وجه الأرض بشكل يحفظ التوازن بمعنى أن الصخور التي في قرار المحيط ثقيلة النوع وصخور الجبال المجاورة له خفيفة ، وبذلك أمكن قيام الأخيرة محمولة بضغط الأولى ، لكن عوامل التآكل التي أثرت بها آنفا دائبة في افناء الجبال والأنهار تحلل الانخفاض الى البحر أوّل فأوّل فيزيد الضغط في قرار البحر ويخفف على جبال اليابس باستمرار ويختل التوازن لولا حركات القشرة الأرضية التي تعيده الى حاله كلما تعرض

﴿ نتائج حركات القشرة الأرضية ﴾

ينتج من حركات القشرة الأرضية بنيان السلاسل الجبلية الحديثة وطغيان البحر الذي يبنى على جهات بارزة كما ينتج منها كسر الصخور الصلبة وتشققها وانزلاق طبقاتها بعضها على بعض فتنشأ عنها تضاريس جديدة وتغير اتجاهات المياه الجارية . وقد تنشأ كسور متقاربة فيترتب عليها وجود أخاديد غائرة أو هضبات مدفوعة

﴿ بنيان الجبال ﴾

قد رأيت أن أهم السلاسل الجبلية في الدنيا واقعة في اتجاهات معلومة فهي من جبال الطي . ومن جبال الطي أيضا سلاسل أصغر منها في القارات . فإذا فحصت طبقات تلك الجبال رأيتها منعنية تدل على التواء . ثم تنشأ ثلاث طبقات من الصخور الرسوبية صر تكزة على طبقة من الصخور النارية في وضعها الطبيعي قبل الالتواء . ومفهوم طبعاً أن الصخور العليا هي الحديثة وأن التي تحتها هي القديمة . فالطبقة الثالثة أحدث من الطبقة الثانية وهذه أحدث من الطبقة الأولى والطبقة التي تحت الجميع من الصخور النارية الأصلية . ولكن عوامل التعرية لا تلبث أن تعبت بهذه الجبال فتكشط سطحها وتحتها وتجرف منها

فإذا رغبت في ارتقاء الجبل تصادف أولاً الطبقة الثالثة ثم الطبقة الثانية ثم الطبقة الأولى حتى إذا ارتقيت إلى أعلى الجبل وصلت إلى الصخور القديمة النارية . ومن ذلك تعرف كيف أن الصخور التي كانت بعيدة عن وجه الأرض قد ارتفعت بحركات القشرة الأرضية ثم انكشف عنها غطاؤها بفعل التعرية فأصبحت ظاهرة قريبة للإنسان لينتفع بها في أغراضه

﴿ كسر الصخور الصلبة ﴾

يصادف المعدنون أحيانا وهم يتعقبون عرقاً من فلزات المعادن أو طبقة من طبقات الفحم عيباً في الطبقات أي كسراً إذ ينتهي العرق أو الطبقة فجأة فيوجد بدلها صخوراً أخرى كان ينبغي وجودها فوق العرق أو تحتها

﴿ الأخاديد الغائرة ﴾

في الصخور التي تصاب بعيوب متعددة قد يحصل أن تنزلق قطعة من القشرة الأرضية فتهبط إلى عمق كبير وينشأ عن ذلك اخدود غائر ، وفي شمال إفريقيا اخدودان غائران يقع البحر الأحمر بأكمله ضمن واحد منهما

﴿ الهضبات المرفوعة ﴾

وقد يحدث أن تغور الأرض من جوانب جزء من القشرة الأرضية وتنزلق عليه نارلة على حين أنها تدفعه صاعداً فيظل قائماً بنفسه على شكل هضبة مدفوعة ، وهضبة (مزيته) المتكوّن منها أرض إسبانيا والبرتغال من هذا الطراز

﴿ الجبال المختلفة ﴾

والهضبة إذا شققها الأنهار والوديان يتخلف منها سلاسل جبلية تفصل أحواض الأنهار ، فهذه السلاسل الجبلية متخلفة من صخور الهضبة ، وسلاسل جبال شبه جزيرة أيبيريا من هذا الطراز

﴿ الزلازل ﴾

قلما يمرّ العام من غير أن نسمع بوقوع زلزال في جهة من جهات الدنيا ، فرّة نسمع عنه في غرب أمريكا أو جزائر الهند الشرقية . وصرّة نسمع عنه في اليابان أو في إيطاليا . ولا يمرّ خبر زلزال مهدد كباقي الأخبار لما يقترن به من الخسائر الفادحة والأهوال الكبار وهلاك الأنفس والأموال . وقد وقع زلزال في ليلة (٢٦) يونيه سنة ١٩٢٦ م شعر به أهل القطر المصري في الساعة التاسعة والدقيقة ٤٨ مساءً ومكث نحو (٤) دقائق هالت له قلوب الأهالي وحدثت بعض إصابات من سقوط المنازل القديمة . ووردت التلغرافات في الأيام التالية منبئة عن مركز الزلزال الكبير في (بحر الأرخبيل) وهي التي انتشرت هزاتها إلى مصر . وكان

من الآثار الهامة لذلك الزلزال انفجار ينبوع كبير في مدينة حلوان على بعد (٩) أمطار من ينبوع القديم . ومن الزلازل التاريخية العظيمة ما يأتي بيانه

(١) زلزال (سن فرانسكو) في سنة ١٩٠٩ م وفيه وقعت من هول الرجفة الأولى العمارات والمنازل فأصبحت بعد انضارة والعمران خرائب وأطلالا . وما زالت روادف هذه الرجفة تهز القشرة الأرضية طول ذلك اليوم العصيب حتى بلغت أدوار الارتجاف اثنين وثلاثين دورا . وهاجت أمواج البحر ثم فغرت الأرض فها لتبلغ آثار العمران . واشتعلت النيران في الحطام وهلكت ألف نفس بشرية وبات مائتا ألف بلا مأوى (٢) زلزال (لشبونة) في سنة ١٧٥٥ وفيه نشأت أمواج عالية طفت على الشاطئ من ارتفاع عشرين قدما فطاوحت بالسفن الراسية في الميناء الى جهات داخلية بعيدة وبعثرتها كما يبذر الزارع الحب على الأرض وأهلكت ستين ألف نسمة غرقا

(٣) زلزال (مسينا) في سنة ١٩٠٨ م وفيه تخرّبت المدينتان (مسينا) و (رجيو) والقرى المجاورة لهما وهلك ثمانون ألف نسمة

(٤) زلزال (اليابان) في سنة ١٩٢٣ م وفيه تخرّبت المدن الكبرى وقامت الحرائق في (يوكوهاما) و (طوكيو) فأُكِلت المئونات والأقوات وبات الناس بلا مأوى ولا طعام وهلك فيه مائتا ألف نسمة . وتبارت الدول العظمى في مواساة (اليابان) فأرسلت إليها الهدايا من الأقوات والملابس . انتهى ما أردته من الكتاب المذكور والله أعلم

﴿ جمال هذا المبحث العام ﴾

(في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - الخ)

لأختم هذا المقال بالكلام على الفهم المخزون في القطب الشمالي ، وعلى الكهرواء المخزون الآن في شمالي ألمانيا فأقول :

سبحانك اللهم ، أنت أدركت الأرض وجعلت لها قوانين وحكمت على خط الاستواء قديما أن يصير قطبا كما حكمت على القطب أن يصير خط استواء ، إن جميع أهل الأرض الآن يعلمون أن القطبين لا يصلحان لظهور النبات ولكن العلم والكشف أثبت أن القطبين قد خبيء الفهم في باطنهما ، ولكن كيف خبيء ذلك الفهم ؟ لا وسيلة لظهور الفهم إلا بالشجر ولا ظهور للشجر إلا بحرارة الشمس الكثيرة والقطبان لا حرارة فيهما بل الثلج هو الذي يغطي تلك الأقطار ، فأن تحلى خط الاستواء بالأشجار والمزارع النضرة ليتحلين القطبان بالثلج ، تشع حوله الأنوار البديعة المتقدّم ذكرها ورسمها في أول ﴿ سورة الكهف ﴾ فهل أتاك ما شاع وذاع من أن باطن الأرض عند القطبين ملؤه خفا ، أفلا تعجب من ذلك وكيف خزنه الله قبل مئات الألوف من السنين ثم هو الآن قد أخذ يدل الناس عليه ويلهمهم إلهاما ، يقول لهم : أيها الناس . إن في القطبين خفا فهلا ذهبتم الى القطب الشمالي وانتفعتم به ؟ وهلا جعلتم لكم هناك محطة للطائرات والبالونات في القطب الشمالي تكون ملقى الخطوط الهوائية بين إفريقيا وآسيا وأوروبا ، وإذا كنت في شك من ذلك فاسمع ما كتبه بعضهم ناقلا عن المجلات الافرنجية وهذا نصه

﴿ حلم علمي ﴾

(القطب الشمالي ملقى الخطوط الهوائية)

القطب الشمالي هو قمة الأرض ، وكان يجب أن يكون ملقى المواصلات لولا أنه لا يصلح للملاحة أو للسكك

الحديدية لأنه مغمور بالثلج الذي لا يذوب طول السنة ، وقد خطر ببال أحد المهندسين أن يجعل القطب الشمالى ملتقى الخطوط الهوائية بين القارات الثلاث إفريقيا وأوروبا وآسيا ، وبذلك تختصر المسافة اختصارا كبيرا ، فالذى يريد الذهاب الى اليابان يحتاج الآن الى أن يقطع نحو نصف الأرض حتى يبلغها ، ولكنه اذا ركب طائرة وصعد الى القطب الشمالى وانحدر منه الى اليابان قصرت مسافة السفر ، وفي القطب الشمالى مناجم كبيرة للفحم يمكن منها استنباط الكهربائية للتدفئة والاضاءة فينار القطب وتبنى فيه العنابر الكبيرة لايواء الطائرات وتزويدها بالبنزين وتشيد الفنادق الكبيرة للمسافرين ، وهناك يلتقى المسافرون فيبدلون طياراتهم ويذهب كل منهم فى طريقه ، فهل يحقق العلم هذا الحلم ؟ وإطالما حقق ما هو أشد منه غرابة . انتهى

هذا بعض سرّ قوله تعالى - يعلم ما يابح فى الأرض وما يخرج منها - فيها هوذا الفحم قد أدخله الله فى الأرض ، وها هوذا يخرج منها وينتفع الناس به

ومن عجائب الخزون فى الأرض «الكهرباء . الكهرمان» لقد كنت أيام الصبا أرى الناس يدخنون فى الأنواد بحيث يضعون ورق التبغ فى حق صغير متصل بعود مجوّف ينتهى بفم من (الكهرمان) وهذا الفم هو الذى يمتصون به الدخان المستمد من ذلك التبغ المحترق فى ذلك الحق الصغير فكنت أتأمله فلا أعرف من أين جاء هذا الكهرمان ، وما كنت أدري أن الله خزّنه فى الأرض قديما كما خزن الفحم فى الأقطاب الشمالية ، أفلا يجب على أن أجد الله على العلم بذلك ، فهناك ما رأيت من المقالات العلمية تحت العنوان التالى :

(الكهرباء . الكهرمان)

الكهرباء هو ما يسميه العامة عندنا بالكهرمان وهو ذلك الحجر الأصفر اللامع الذى يصنع منه خرز المساج ويتزين به النساء ، وقد كان الاغريق يعرفون الكهرباء وكانوا يعرفون منه أيضا (الكهربائية) وهى تلك القوة الخفية التى نستعملها الآن فى دفع الترام والتلفون والتلفون ولم يكن الاغريق يعرفون كيف ينتفعون بالكهربائية كما ننتفع ولكنهم كانوا يعرفونها وقد أطلقوا عليها هذا الاسم لأن من خواص حجر الكهرباء باء اذا حك به شئ أن يجذب اليه الأجسام الصغيرة ، فالقارى يرى الآن أن هناك فرقا بين الكهرباء الذى يصنع منه الخرز وبين الكهرباء بائية أو هى القوة الخفية التى يسير بها الترام ولكن يوجد سوء الحظ من يخلط اللفظتين وقد قلنا ان الكهرباء باء حجر ولكن الحقيقة انه صمغ ، أو نقول بعبارة أدق انه ائى ، والئى هو ما ينزل من الشجر اذا جرحت قشرته كالمادة اللبنة التى تخرج من (شجرة الجيز) عند ما تقطع إحدى أوراقها ، ولكن هناك أشجار الآن يستخرج منها الكهرباء وانما الكهرباء يوجد الآن مدفونا فى الرمال تحت طبقات الأرض فقد عاشت منذ آلاف السنين أشجار ثم طمرتها الرمال فصارت خما ، وهناك أشجار أخرى أيضا كانت تنزل الكهرباء فىقع منها طريا ثم يجفّ وبعضه كانت تطمره الرمال وبعضه لا يزال قريبا من سطح الأرض كثيرا ما تكتسحه الأمطار وتخرجه الى السطح ، أما أشجار الكهرباء فقد انقرضت من العالم كما انقرضت من قبلها بالآلاف القرون الأشجار التى استحالت الى خم . ومعظم بل كل ما يوجد تقريبا من الكهرباء الآن يرسل من شمال ألمانيا على شواطئ بحر البلطيق . فى كل عام يصدر من هذه الشواطئ الى أسواق العالم نحو مائتى ألف رطل . وقد كان المصريون والاغريق والفينيقيون يستوردون الكهرباء من شمال ألمانيا وكانت طرق الكهرباء معروفة فى أوروبا محروسة من القبائل . وكان القدماء يغالون به حتى قال (بليني) الكاتب الرومانى الذى عاش فى القرن الأول لليلاد «ان تمثالا صغيرا من الكهرباء يزيد ثمنه على ثمن عبد ضخيم قوى» وكان شعراء الاغريق يستعملون للاخيال فى كلامهم عن الكهرباء . ومن أجل ما قاله بعضهم عنه انه الدموع المتجمدة للطيور . وقد بلغ من شغف الأمبراطور الرومانى (نيرون) بالكهرباء انه أرسل بعثة الى شاطئ بحر البلطيق جلبت معها (١٣٠٠٠) رطل من الكهرباء . انتهى وبهذا تم الكلام على الفصل الثانى

﴿ الفصل الثالث ﴾

(في مبحثين عظيمين)

﴿ الأول ﴾ مبحث الجن وهل يعلمون الغيب

﴿ المبحث الثاني ﴾ في سيل العرم وسبأ وما جاء في العلم الحديث مصداقا لهذا كله

﴿ المبحث الأول في مقامين ﴾

﴿ المقام الأول ﴾ في قوله تعالى - ما دهم على موته إلاباة الأرض - الخ

﴿ المقام الثاني ﴾ في المبحث الأول في قوله تعالى - فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين -

﴿ المقام الأول في قوله تعالى - ما دهم على موته إلاباة الأرض تأكل منسأته - ﴾

(الكلام على الأرضة)

اعلم أن هذه الآية قد أعطينا ﴿ ثلاث فوائد الأولى ﴾ انها أثبات أن الجن لا يعلمون الغيب ﴿ الفائدة الثانية ﴾ ان أهل الأرض خاضعون للنواميس سواء أكانوا أنبياء أم غيرهم ﴿ الفائدة الثالثة ﴾ إن من أصفر الحشرات ماله سلطان في هذه الأرض عظيم . يقول الله تعالى - وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين - فنحن لولا تدبير الله لا نطيق أن نركب الدواب بل لا نطيق هذه الحشرات التي أكلت عصا نبي عظيم من الأنبياء ، فاذا كانت هذه الحشرة هذا شأنها فذلك فتح باب لمعرفة ما نحن فيها . اللهم إن القصص في القرآن لم يكن إلا لتعليمنا لا غير والا فإذا يفهم الناس في قصة بلقيس إذ تقول لقومها - ما كنت قاطعة أصرا حتى تشهدون - وفي قصة فرعون إذ يقول له الملائ من قومه في موسى وأخيه هرون حين استشارهم في أمرهما - أرجه وأخاه وأرسل في المداين حاشرين -

أقول : فهل يفهم الناس من ذلك إلا الإشارة الى الحكومة الشورية وأن الأمة لها القول الفصل ، وما المالك اذا كانوا فيها إلا منفذين كما يقول - وأمرهم شورى بينهم - فهكذا هنا يقول - ما دهم على موته إلاباة الأرض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجن - الخ ونقول أيضا فلما خرّ تبينا أيضا أن للأرضة سرا عجيبا فلا بد من البحث عن أمرها واستقصاء خبرها ، فأكل الأرضة لعصا موسى أفهم الجن أنهم لا يعلمون الغيب فيقللوا من كبريائهم ويرجعوا عن غيرهم ويتزلوا عن عتوهم ويخلعوا عنهم لباس الكبرياء والعظمة والتباهي والافتخار ، هكذا يعرفنا أن للأرضة عملا منكرا إن لم نحترس منه سخرنا صغيقين في هذه الحياة الدنيا بتدميرها واهلاكها ، وأيضا هي من آيات الله تعالى وعجائب صنعته ، فوجب إذن البحث في أمرها واستقصاء سرها على قدر الامكان ، وقد تقدم الكلام عليها في ﴿ سورة النحل ﴾ ورسمت الملكة من هذه الحشرة والملك بجانبها وحوطهما جنود المملكة والضباط والعساكر . وتقدم أيضا رسمها هنا (وكذا ملكة النحل) شكل ٣ وهى مأخوذة من كتاب ﴿ ملكة الظلام ﴾ أو ﴿ حياة الأرضة ﴾ تأليف (مترلنك) تعريب الدكتور (نقولا فياض) وهالك شذرات من الكتاب لتقف على سر ما أشار له القرآن في هذه الآيات . قال :

﴿ الأرضة أو النمل الأعشى ﴾

الأرضة (١) أو النمل الاعشى . ويقال له الابيض وما هو بالايض يرجع تاريخه الى مائة مليون سنة قبل الانسان على زعم علماء الحشرات والجيولوجيا أى طبقات الارض . غير انه من الصعب تحقيق هذا الزعم

(١) الأرضة دودة بيضاء تبني على نفسها بيتا مستطيلا ولها شفران تنقر بهما الخشب والاجر والحجارة جمعها أرض وهى هنا ترجمة كلمة (ترميت) بالفرنسية لا كلمة (ميت) أى السوسة أو العثة التى تلحق الصوف والياب

والايمان بأدلة ناصحة على صحته . على كل حال هذه الحضارة التي تعد أرقى من حضارة النمل والنحل هي بلا ريب قديمة العهد جدا أي أتى عليها بضعة ملايين من السنين . ولوثقصدنا المكتوب عنها لما وجدناه شيئا بالنسبة الى ما قيل وكتب عن النحلة والنملة مع انك لا ترى على هذه البسيطة كائنا أقرب اليها وأبعد عنها في آن واحد من هذه الحشرات التي تتمتع بأنظمة سياسية واقتصادية واجتماعية كأنها عالم انساني يؤاخذنا في آلامنا وشقائنا . وهنا مجال واسع للشعراء الذين يحملون شكلا جديدا للاجتماع البشري ويسمونهم الخيال والتصور الى خلق مثال خاص للأجيال الآتية في نظامها وأحكامها فما عليهم الا أن يقتربوا من هذه المملكة الهائلة فيجدوا من الغرابة مثل ما في أحلامهم وأغرب مما تتصوره في عطارده والمرج والزهرة

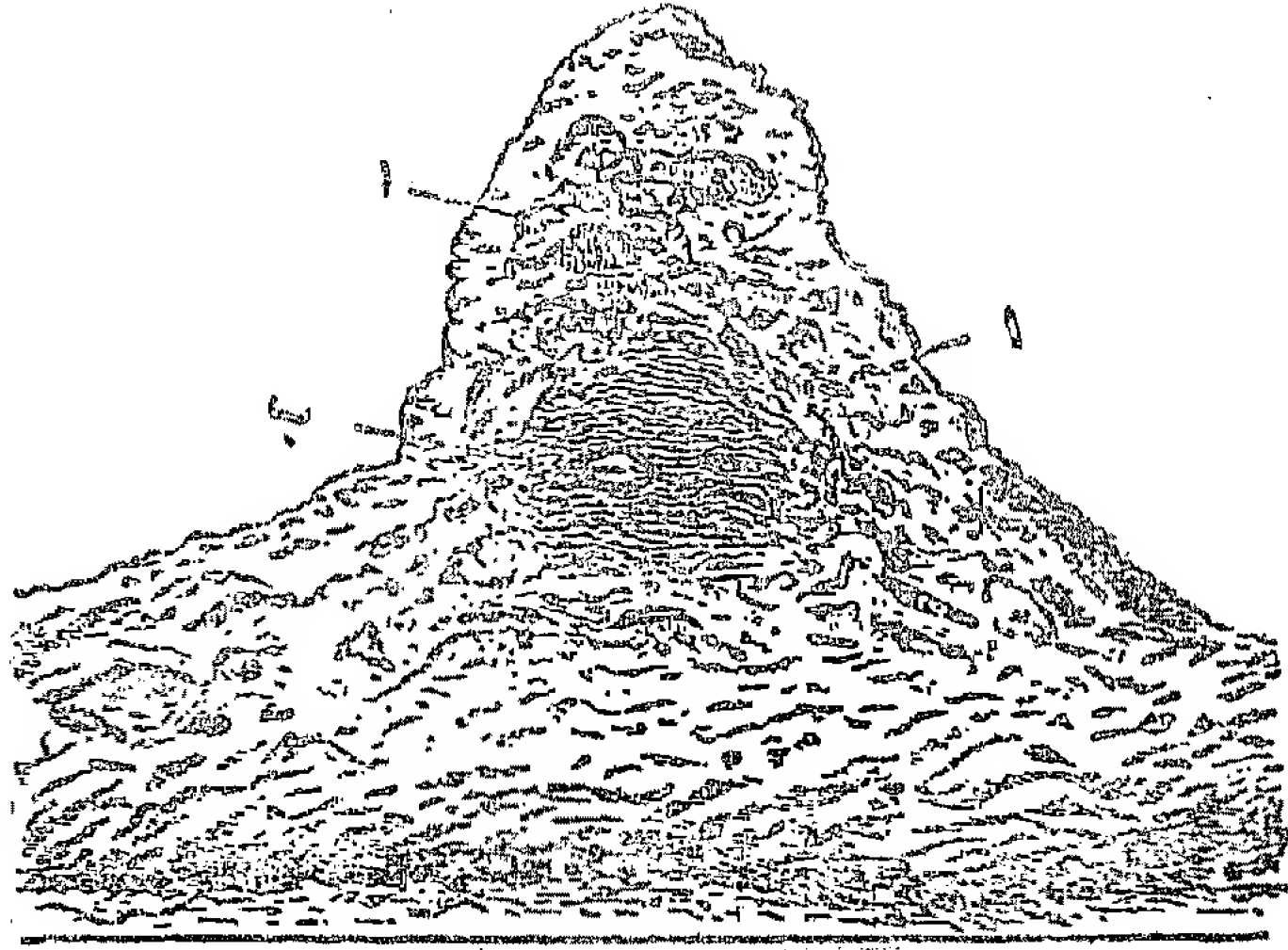
يقال انه يوجد على الارض ألف وخمسمائة نوع من الأرض والمشهور منها لا يتجاوز الأربعين وكل نوع يمتاز عن سواه بصفات خاصة به فنه البناء الذي يقيم هضبا فوق الأرض ومنه ما يعيش مكشوبا ويحتاز السباب في خطوط طويلة بين صفتين من الجنود تحتوى بها العمال ومنه ما تسليح الطبيعة جنوده بما يشبه المحقنة ومنه ما يفتك بالاشجار الحية وينقبها وجنده كالسكواسر أو الضواري على جانب عظيم من القساوة ومنه ما تشبه مشافره (١) قرون التيس فتتمدد كالزنبك وتقذف به الى مسافة عشرين سنتمترا الى آخر ما هنالك

ثم قال بعد كلام طويل ما نصه « بعض هذه الحشرات يعيش في جذوع الاشجار التي يحتفرها ويمد فيها مسالك وأسرابا تذهب كل مذهب وتخرقها من كل ناحية حتى الجذور وبعضها يبني عشه في الاغصان ويوطئه حتى يقوى على مقاومة الاعصار وحتى يتمتع على الانسان الاستيلاء عليه فيضطر الى نشره بالمنشار إلا أن الغالب فيه أن يتخذ مسنه تحت الأرض وبناء هذا المسكن من أغرب ما عرف وهو يتغير حسب البلدان والسلائل والأحوال الموضعية والادوات التي يتاح للحشرة استعمالها بمركب في طبيعة الأرض من التوسع في الاستنباط والقدرة على ملائمة الأحوال والاصطباغ بصبغة البيئة التي توجد فيها . وأهم هذه المساكن يعزى الى الأرض الأسترالية فيكون تارة شبيهة بكبة (٢) تعلو عن الأرض نحو ٤ أمتار ومحيط قاعدتها ٣٠ قدما كأنها قالب ضخيم من السكر وطورا كآكام من الوحل أو صلصال في حال الغليان هبت عليه ريح الجليلد فجمدته فجأة وحينئذ كرهط من الخلايا التي يخزن فيها النحل الحوشي عسله وقد كبرت مائة ألف مرة . وآونة كطبقات من الفطر أو الاسفنج أو كاداس من التبن الذي طال عليه سقوط المطر الى ماشا كل ذلك . وأعظم هذه البنى التي لا تراها الا في أستراليا تختص به الأرض المغناطيسية وقد سميت كذلك نسبة الى الابر المغناطيسية فإن ما تبنيه يتجه أبدا من الشمال الى الجنوب فيقع في أوله ويضيق في الآخر . وقد تعدد الافتراض في تعليل هذا الاتجاه دون الوصول الى حل صحيح شاف » (انظر شكل ٢٦ في الصفحة التالية)

(١) المشافر جمع مشفر وهي من البعير كالشفة من الانسان وقد تستعمل للناس فاستعملناها هنا على المجاز

وترجناها كلمة (منديبول) ويمكن أن تسمى أيضا الاحناك

(٢) النبكة اكمة محددة الرأس جهها نباك



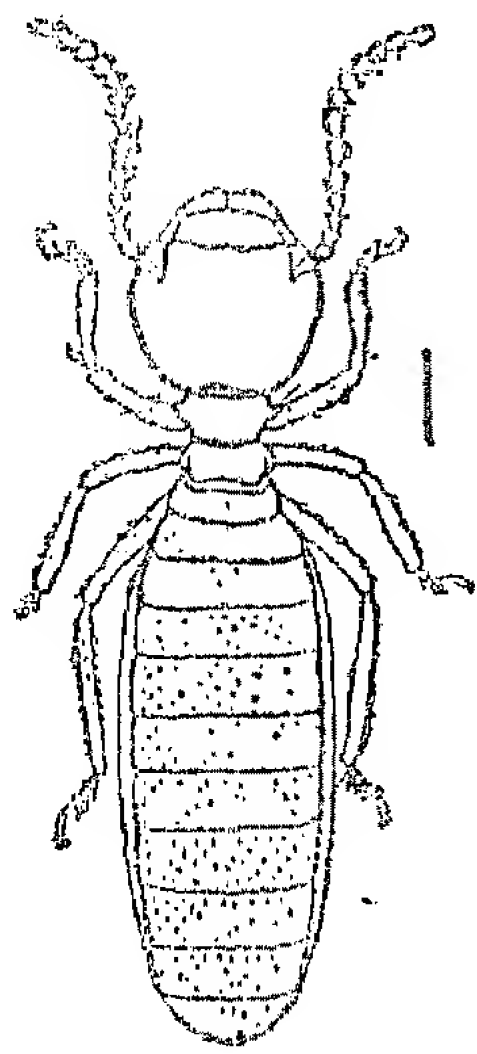
(شكل ٢٦ - قرية الأرض)

(١) غرفة الفطر (ب) خلية الملكة

« وأعظم مشاهد من هذه المساكن هو في أفريقيا الوسطى ولا سيما في كونغو البلجيكي حيث يبلغ العلو من ستة الى ثمانية أمتار . وفي « مونيونو » قبر أقيم على أحد هذه البيوت كأنه على رابية فيشرف على ماحوله من الجهات . وفي أحد الشوارع الكبيرة في مدينة اليزابت من أعمال « كاتانجا » العليا قرية عالية شطرها الشارع الى شطرين . وقد اضطر عمال سكة حديد سكانيا أن ينسفوا بالديناميت بعضا من هذه الابنية فكانت أنقاضها تجاوز في ارتفاعها مدخنة القطار . ومن هذه المساكن التي خربت ماصار أشبه بالبيوت ذات الطبقتين ولا يتعدى على الانسان أن يقعد فيها . وقد بلغ من متانة هذه البنايات أن سقوط الاشجار الكبيرة وهو أمر كثير الوقوع في تلك النواحي لا يقلقلها ولا يضعف من جانبها وان قطع الغنم يتسلقها ليرعى العشب النامي فوقها دون أن يؤثر فيها . ونمو العشب فوقها راجع الى خصائص الطين الداخل في تركيبها فهو يخزن الرطوبة فضلا عن انه كثير الخصب زكي المنبت لانه مكون من براز الحشرة وفضلاتها . وقد يثمر مع العشب الشجر . والفريب ان الارضة التي تهدم كل شئ في طريقها تحترم هذا الشجر كأنه مقدس

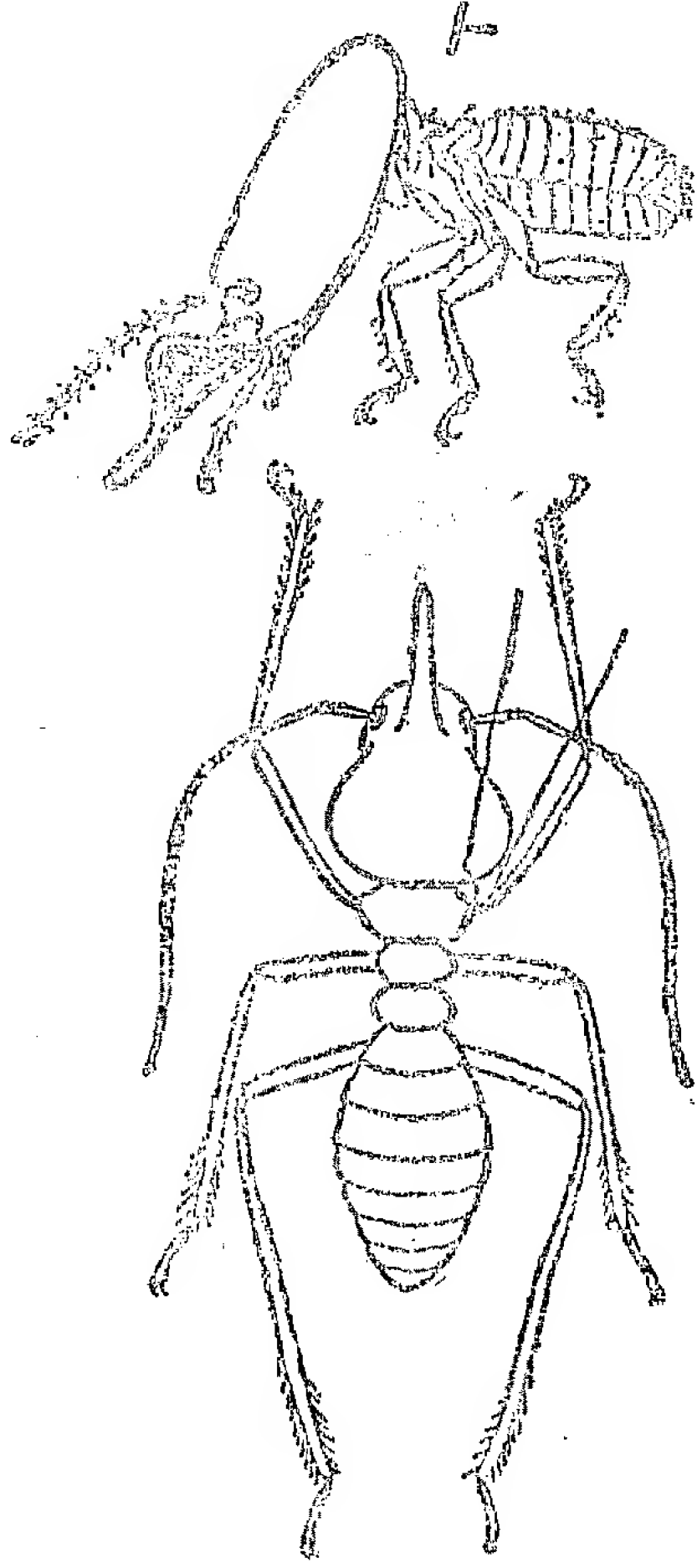
و بعض أنواع الارضة يستعمل قسما من الطبقات العليا في الوكر لزراعة واستنبات الفطر الخصوصى الذى يقوم مقام الطفيليات (وسياقى الكلام عنها في الفصل التالى) وله وظيفتها من تحويل الخشب القديم أو العشب اليابس الى كتلة صالحة للهضم والتمثيل . وبعض الأنواع الاخرى تقيم مقابر حقيقية في أعلى العمارات ووجود هذه المقابر يدعو الى العجب لما نعلمه من ان الارض يأكل موتاه ويتغذى بها الا اذا افترضنا انه في أيام الوباء (أوطارىء آخر) قد يقصر عن مجارة الموت لأكل كل ما يصاد له من اللحم فيجمعها ويكدسها حين الحاجة على سطح المنزل حتى اذا جففتها الشمس أحاطها الى مسحوق وجعلها مؤونة يتغذى بها شباب القرية . ومن هذه الأنواع من يذهب الى أبعد من ذلك فيتخذ مؤونة حية . وذلك أن القوة الخفية تدبر أمور هذه المملكة قد ترى لسبب لا نعلمه ان عدد الرعية قد جاوز الحد المطلوب فتفرز الزائد منها في غرف خصوصية بعد أن تقطع قوائمها حتى لا تنهزل بالحركة ثم تؤكل بالتدريج تبعا لحاجة المجتمع . وهذا النوع له غناية خاصة بالنظام الصحى فان فضلات الدودة وبرازها يجمع في موضع على حدة ويترك الى أن ينشف ويقسو ويصير ألذ طعما . هذا هو نظام الوكر كما يبدو لعين الباحث على أنه قابل للتغير لانك لا تجد في الكائنات حيوانا مثل هذا يكره التقليد ويعرف أن يكون كالانسان في لينه وخضوعه للاحوال ومجاراته لها وسيحتاج لنا غير مرة في عرض هذا الحديث ان نتحقق ذلك»

ثم قال « وهذا النفق العظيم الممتد تحت الأرض والمرتمع فوقها يتشعب منذ أسراب لانهاية لها تنتهي الى حيث الأشجار والادغال والعشب ومنازل الناس فتجد الدودة ما تحتاج اليه من الخلاووز وهي المادة الحو يسلية الجامدة التي تتركب منها خلايا النبات وأليافها . وعلى هذا الوجه تغزو أحياء بأسرها كما ترى في أستراليا وبعض أنحاء جزيرة سيلان فتعد مساكنها الى كل صوب وتجعل تلك الأرض غير صالحة لسكنى الانسان . وقد بدأ البلد من جانب الى جانب كما في الترنسفال ونانال حيث بلغ عدد القرى نحواً من ١٦ في مسافة لا تزيد على ٦٣٥ متراً وفي كما شكا العالية تعثر في كل هكتار من الأرض على قرية يبلغ علوها ستة أمتار . والأرض بخلاف النملة التي تعيش على سطح الأرض وهي حرة طليقة لا تفادى ظلمات قبورها الرطبة الحارة ولا تسير إلا في الخفاء فتعيش وتموت دون أن ترى ضوء النهار فهي دودة الظلام الابدي وإذا مست الحاجة ان تجتاز للتموين حواجز لا قدرة لها على خرقها فاما تقوم بتعبئة الجنود والمهندسين وهؤلاء يبنون عمارتين صركبا من بقايا الخشب المضغوطة ومن البراز ويحماونه على شكل الأنبوبة ولا يدعون فرصة تفوت دون الاستفادة منها اقتصادا في الوقت والعمل والنفقات فاذا أصابوا شقوقا فيها فائدة أصلحوها وملسوها وجمعوا بينها . وإذا فتحوها مرهم على جدار جعلوا شكله كنصف أنبوبة بالاستفادة من الجدار أرفع على زاوية مؤلفة من جدارين اكتفوا بعموها (١) خفف عابهم ثلثا العمل . وهذا الممر الذي يفتح فيكون على مقياس الحشرة بالضبط يتسع من حين الى حين ليتسنى للحامل المؤونة اذا ما تلاقوا ان يفسحوا المجال بعضهم لبعض بدون عائق وإذا كانت الحركة شديدة والازدحام عظيما فان الممر يكون أوسع ويجهل منه مذب للذهاب وآخر للاياب . وليس مع لنا القارىء قبل الخروج من هذا النفق ان نلفت نظره الى خاصية من أغرب وأخفى ما في هذا العالم الكثير الغرائب والاسرار فقد أشرنا فيما سبق الى الرطوبة التي لا تتغير في الوكر على الرغم من جفاف الهواء والأرض المحروقة . وعلى الرغم من حرارة الصيف الطويل في تلك الاقاليم التي تنفيض فيها الينابيع ويؤكل الزرع وينشف كل ذى حياة حتى جذور الأشجار الكبيرة والحق ان بقاء هذه الرطوبة في الاحوال التي ذكرناها لما يدهش له العقل ويقف دونه المفكر وقد أسقط في يديه حيرة وذهولا حتى ان لو فستون العالم الرحالة تساءل هل هناك طرق مجهولة تتمكن بها الأرض من اخذ او كسجين الهواء وجمعه الى الهيدروجين الموجود في غذائها النباتي ليتكون بهما الماء الذي تحتاج اليه ؟ ذلك افتراض لم يثبت العلم بهد ولكنه غير بعيد الامكان وسنرى فيما يلي أن للأرض من العلم بالكيمياء والبيولوجيا مكانا نحسدها عليه . (انظر شكل ٢٧) و (شكل ٢٨)



(شكل ٢٧ - رسم أرضة عاملة)

(١) غما البيت يغموها غموا . غطاه بالطين والخشب



(شكل ٢٨ - جنديان من الارض)

فوق : جندي يقاتل بفكيه - تحت : جندي يقاتل بمحقة

ثم قال « النملة عدو الأرضة الالذ وهي عداوة قديمة يرجع عهدا الى ثلاثة ملايين سنة ولولاها لسكانت الأرضة قد اجتاحت القسم الجنوبي من الكرة الأرضية الا اذا صحح الرأي القائل ان ما امتازت به من نقب الأرض وحفر الانفاق هو ابن الحاجة والضرورة دفاعا عن نفسها وهربا من النملة . ومن الأرض ما لا يعرف البناء فيجعل سكنه في الاشجار وهو من النوع البسيط في تركيبه وارتقائه ولا فرق في وظائفه أو تمييز بين أعماله فيكتفي بسد الثغرة ببقايا الخشب والطين على ان منها خلق لنفسه جندا خاصا وهذا الجندي يمتاز برأس كبير يستعمله لسد الفتحة كأنه صمامة من الفلين . وتروى النملة قرية الأرض دائرة حولها ليل نهار باحثه عن صدع او شق تنسل منه اليها ولهذا كانت الحيلة لها بالغة أقصى المستطاع وكانت مراقبة الشقوق شديدة ولا سيما لشقوق المصنوعة لتجدد الهواء فان هذه المنازل تحتاج الى الهواء المتجدد وقد أقيم لذلك هندسة ونظام ليس من ورائها علماء الصحة اليوم مأخذها تب أو معلق اطاعن . واذا أتى العدو أن يصيب أحدهم الشقوق فان أول ما يرى هو رأس أحد الجنود المدافعين وقد أخذ يضرب الأرض بمشفرية النذار وتنبيهها فيسرع الحرس ثم الفرقة بأسرها وتسد بجماجها الفتحة وهي تحرك في الهواء احناكها الهائلة كأنها أدغال من الشوك أو تهجم على غير هدى هجوم الكلاب الضارية حتى تصيب العدو فتعض عليه عضا شديدا ولا تتخلى عنه الا حامله قطعة منه »

وجنود الأرض تبقى بعد تقهقر العدو حينما أمام الثغرة ثم تهود الى قشلاقتها وترجع العمال الماربة طبعا
لناموس توزيع العمل الذي يضع البطولة في جانب والخدمة في جانب شارعة في ترميم ما تخرب بسرعة هائلة مقدما
كل منها كتلة برازه وقد حسب ان ساعة من هذا العمل السريع تكفي لسد ثلثة بحجم الكف فتأمل . وقد
روى سافاج انه دمر منزلا للأرض في المساء ولما عاد عند الصباح وجده قد أصلح وتم ترميمه وعلى بطاقته جديدة
من الطين ولا عجب فان السرعة في العمل مسألة حياة أو موت وأقل اهمال في ذلك هو دعوة لاعداء ككثا
وخاتمة ذلك الاستثمار

ان هناك قوة خفية تخضع لها جمهورية الأرض فاذا زاد عددها مثالا عن الطبيعي وهو خمس عدد سكان
القرية فان تلك القوة المحجوبة التي لا تجهل قواعد الحساب على ما يظهر تتكفل حالا بإزالة العدد الزائد وارجاع
النسبة الى ما كانت عليه من قبل ولا تحتاج في ذلك الى مذبح كما يجري في ذكور النحل فان مائة عامل لا تقوى
على جندي واحد من هذه الضواري التي لا تنال الا من القسم الخلفي الضعيف ، بل تفعل ما هو أبسط وأسهل وذلك
بامتناع العمال من إطعام الجنود فهلك هذه جوعا . أما الطريقة التي يتم بها تعداد الجنود المحكوم عليها بالموت
وفرزها ووضعها في مكان منفرد فلا تزال غامضة كالكثيرة من امور هذه الاحياء العجيبة . وقبل أن نختم هذا
الفصل عن جندي مملكة الظلام نذكر للقارئ بعض حالاتها غريبة من الاستعداد أو الميل للموسيقى فهناك
أصوات خاصة تكون تارة انذارا وطورا استنجادا أو تحييا أو غير ذلك وكلها ذات ايقاع موزون تجيب عليه
جماعة الأرض بزجل خاص (١) مما جعل بعض العلماء على انقول بانها تتخاطب لبالقرون فقط نظير العمل بل
بلغة فطري خاصة

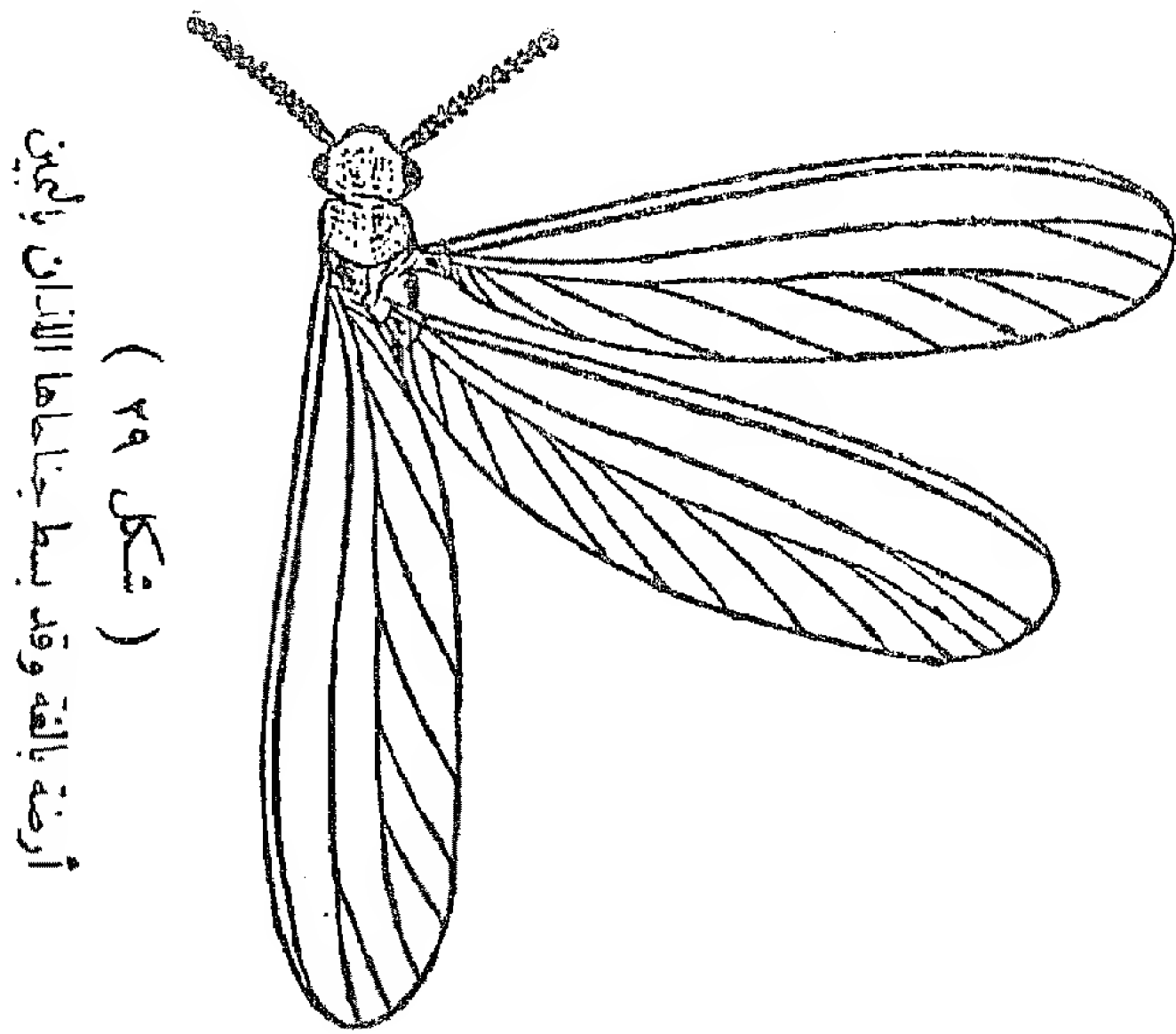
وبديه ان مثل هذا النظام الواسع الدقيق وما فيه من توازن في القوى وتضامن في الاعمال لا يمكن أن
يكون بغير تقاهم بين أبنائه وحسبنا دليلا على وجود هذا التقاهم انتشار المستعمرة الواحدة في جذوع كثيرة
قد تكون متباعدة بعضها عن بعض ولكنها ملتفة حول عرش واحد أي ليس لها الا زوج ملكي فاذا زالت
في أحد الجذوع فرقة الاحتياطي التي يحفظها الأرض للتعويض من الملكة في حال الموت أو العجز تسرع سكان
الجذع المجاور الى اعداد فرقة جديدة بدلا منها . وسنعود الى السكلام عن هذا الابدال أو التغيير الذي هو من
أغرب وأبدع أشكال السياسة الأرضية

وليست هذه الاصوات من غميمة واحتكاك أو صفير وانذار وإيقاع ينم على احساس موسيقى كل ما عند
الأرض . فان لها أيضا حركات موزونة يشترك بها الجمهور ما خلا المولود الجديد كأنها صادرة عن جوقة رقص
وأناغم مما وقف عنده العلماء موقف الدهش والعجز وهي نوع من الرقص الاختلاجي تثبت فيه القدم ويتهادى
الجسم متميلا من الورا الى الامام وعلى الجانبين . ويدوم هذا الاختلاج ساعات مع فترات من الراحة قصيرة .
وأكثر ما يكون قبيل طيران العرس كأنه حفلة صلاة أو تقديس تفتح الباب لأعظم فحبة تقوم بها الأمة .
ومن السهل مرأى هذه الحركات اذا خفضت أو أرت بخافة أنابيب الزجاج التي تجلس فيها الأرض في المختبرات
على ان ذلك شاق صعب لدورة بقائها طويلا في الانابيب فانها تحرق الصمامة من فليل أو معدن وتصل كاحسن
الكيميائيين الى خرط الزجاج

الملك والمملكة في حجرة مستطيلة الشكل ملساء الأرض منخفضة السقف منيعة الجوانب يعيش هذا الزوج
الحزين الموكل اليه حفظ النوع دون أن يستطيع من موضعه حرا . أما الملك فهو ملك بالاسم لانه زوج
المملكة ، ضعيف حقير صغير جبان خجول لا ينفك محبثا تحت بطن زوجته . وأما المملكة فهي من أغرب ما يرى
في هذا العالم الكثير الفرائب لان لها بطنا ضخما هائلا منتفخا بما فيه من البيض يكاد يتفزر لفرط تمدده وقد

يبلغ طولها به نحو ١٠٠ مليمتراً حال كون العامل لا يتجاوز ٧ مليمتراً طولاً . وهي عاجزة عن الحركة لانها لا تملك غير قوائم صغيرة في صدر غارق في الدهن ومتوسط ما تضعه من البيض هو واحدة في الثانية أى ٨٦ ألفاً في اليوم وثلاثين مليوناً في العام . ولا ينقطع وضعها ليل نهار مدة الاربع أو الخمس السنوات من حياتها كما دل الاختبار والمشاهدة

(فصل ١) - اذا ولي الخريف ودنا موعداً طردت ساعة الحرية فاذا بالقلعة الحصينة المحكمة السدود المنفصلة عن العالم الخارجى كل الانفصال والتي لا منافذ لها إلا ما كان تحت الأرض أو ما هو لتجديد الهواء قد أصابها نوع من الجنون فانتشحت في جوانبها فجأة نخار يب لا تحصى (١) ومن وراء هذه التخار يب وقفت الجنود تحمى برعوسها الدخول والخروج . هذه التخار يب تتصل بأسراب وأنفاق قد ازدحت فيها المجنحات وهي تنتظر بفروغ صبر إفلاتها من الأسر . حتى اذا صدرت الإشارة الحفية وأمرت القوة الحاكمة المجهولة انسحبت الجنود من مواقعها فأنكشفت الثغور وشق للعرائس طريق الفضاء . وحينذاك يبدو للعين مشهد يفوق مشهد النحل روعة وجالا فان البناية العظيمة نبكة كانت أو هرماً أو قلعة تصبح كالمرجل الغالى يكاد يتفجر . ومن شقوقها العديدة يرتفع ضباب كثيف مؤلف من ملايين الاجنحة الشفافة المضطربة في الهواء ساعية وراء الحب سقياً يساوره الريب وتصفعه الخيبة . منظر جميل غير أنه قصير العمر كمثل ماهو حلم أو دخان فلا يلبث الضباب أن يهبط بأجمعه الى الأرض جاعلاً غطاءً من تلك الاشلاء وهكذا ينتهى العيد وقد نكث الحب بهوده وحل الموت محله . ولا يكاد يسدل الستار على هذا المشهد حتى تعقبه مأساة أخرى أشد هولاً فان الاستعدادات السابقة وإلهام السليقة الذى لا يخدع يدعو ان كل مشتاق الى تلك المأدبة السنوية التى تقيمها عرائس الأرض فتحتشد العصافير والحيات والهررة والسكّالاب وسائر الحشرات ولا سيما النمل وتهجم على هذه الفرائس المحرومة من الدفاع والتي تغطى أحياناً ألوفاً من الامتار وتبتدىء الجزرة الهائلة كل على قدر جشعه وشهوته بل ربما أفرط بعضها فى الاكل كالعصافير فخرجت من الوليمة وهي لا تستطيع اقبال مناقرها . والانسان نفسه يشترك فى اقسام الغنيمة فيجمع ما يصيبه بالجرفة ويأكله بعد التحميص أو يخبذه بالسكر فيصير كاللوز ويبيعه فى السوق كما فى جزيرة جافا . وبعد الطيران وخرج آخر مجنح من القرية تقفل هذه بأمر القوة المحجوبة المدبرة وتسد التخار يب فى وجه الخارجين كأنما حكم عليهم بالنفى المؤبد (انظر شكل ٢٩)



(شكل ٢٩)
أرضة بالغة وقد بسط جناحها اللذان باليمين

(١) جمع نخروب وهو الشق فى الحجر أو الثقب فى كل شئ

(تخريب الارض)

ان قري الارض بانشارها وتعددتها وشرعها القاسية الباقية منتهى النظام وبحيويته وتناسلها الهائل قد تكون خطرا عظيما على البشر وربما غطت وجهه البسيطة لولامعائدة الاقدار لها وجعلها سرية العطب شديدة التأثير من البرد فهي لا تحتل من الحرارة إلا ما كان تحت درجة ٣٣ ستغرادو وفوق ٣٠ وهذا ما جعل بقية المناطق في مأمن منها . على انها حيث أقامت كانت عاملا للهدم والتخريب وما أقلت الارض في البلاد الحارة حشرة مثلها في حرب دائمة مع الانسان فتأكل بيوته من أساساتها وتغني ما عنده من فراش وكساء وورق ومؤونة وخشب ونعال ونبات ولا ينجو شيء من موجوداته من هذا التخريب الفظيع الذي يتم في الخفاء فتعصده من خوارق الوجود . وانك لتجد أشجارا كبيرة سليمة في الظاهر فلا تسكاه قد اليها يدك حتى تنهار لتأكلها من الباطن

تلك هي عادة أعمال الارضة في التخريب المنزلي وقد يتسع نطاقها فيشمل مدينة بأسرها ففي عام ١٨٤٠ أسرت إحدى السفن المعدة لتجارة الرقيق فدخلت الى عاصمة سنت إين (جامستون) نوعامن الارض البرازيلي الصغير ندى الجنود المسلحة بالمحاقن فهدم قسما من المدينة وفعل بها فعل الزلازل . وفي عام ١٨٧٩ نشب الارض بسفينة حربية اسبانية في ميناء «فرول» فلم يبق وليذر . وزعم الجنرال لكرك أن جزر الأنتيل الفرنسية لم تقو في سنة ١٨٠٩ على رد الإنجليز لأن الحشرة الهدامة كانت قد خرقت المنازل وتركزت المدافع والذخيرة في حالة لا تصلح للعمل . ويطول بنا الشرح لو أردنا ان نعدد الجرائم التي يرتكبها هذا العدو الشديد الحول على ضعفه وقد سبق فقلنا انه غاب الانسان على أمره في بعض نواحي أستراليا وجزيرة سيلان فامسك عن الزراعة . وفي جزيرة فورمور أرضة تخرط حتى الهاون وتلك الجدران اذا لم تمسك بالطين امسا كاشديدا

وقال أيضا « لو أعطى للنحل أن يتصور الجحيم لما كان في نظره أشدهولا من هذا لأنه يجوز لنا أن نعتقد أن النحلة لا تشعر بنفاسة حياتها ولا لعدم لذة الحبور عندما ترتوى من ندى الفجر وتعود ثملة من الزهر فتستقبل باكرام في قصرها العسلي العاطر . أما الأرضة اللاصقة بالتراب تدب ديبا في ظلمة خبائها القدر فمن أين لها الراحة أو السرور واية مكافأة تنتظرها أو ابتسامة تنسيها عملها الشاق وهل عاشت هذه الاحقاب الطوال فقط لتبقى كما هي أو بالآخرى كي لا تموت فتتكاثر بدون لذة وتخلد بلا أمل صورة من أحقر صور الوجود وأشقاها . من يدري الاسرار الروحانية أو الحيوية أو الاثيرية أو الكهر بائية التي تختبئ في هذه القرى ولا نصل الى حل تلاسماها ؟ والحق يقال ان الانسان كلما تقدم في ادراكه ادرك انه من أجهل المخاوف وأضيقها علما

إن المبادئ التي تديرها هي أسمى وأمتن نظاما من أحسن اجتماع بشري ولا يمكن التلاعب بالألفاظ للقول بأن حركات الأرض ليست حرة وانه لا يستطيع الخروج على نظامه الأعظم فان العامل الذي يرفض العمل أو الجندي الذي يهرب من القتال يجازى بالطرد أو على الأظهر يقتل ويؤكل ، أفليست هذه الحرية نظير حريتنا ؟ ثم هل كان الذكاء البشري القالب الوحيد الذي تفرغ فيه قوى الوجود الروحية والعقلية ، وهل كانت أعظم وأعرب وأعمل وأدق هذه القوى لا تظهر فينا إلا بواسطة الذكاء الذي نعتبره تاج الأرض والعلم ، إن أهم شيء في حياتنا أي سرها العميق هو غريب عن الذكاء معادله ، وما الذكاء إلا اسم نعطي له لإحدى القوى الروحانية التي لا نفقهها * وفي المعنى

انما نحن في اختلاف عقول * مثلما نحن في اختلاف وجوه

فربما كان للذكاء كما للحياة صور متعددة وليس لنا ما يدل على أفضلية بعضها على بعض ، وما الانسان الا فقاعة عدم يريد أن يقيس بها العالم . وبعد هذا كله فانا لاندرك كل ما اخترع الأرض لأنه يقطع النظر عما ذكرنا من عمراته ونظامه في الاقتصاد والاجتماع وتوزيع العمل والتكوين والكيمياء والصناعة وتوليد

الماء وتحويل الصور والأشكال فان هناك أشياء لم يحط عنها اللثام . لقد تقدمنا الأرض في هذا الوجود بملايين من السنين فليس ببعيد أن يكون اعترضه في طريقه من العقبات ما سيعترضنا يوما فنحتاج مثله الى تذليله كذلك أن تكون تقلبات الجو والاقليم في الأعصار الجيولوجية أيام كان يقطن شمال أوروبا كما دلت آثاره المكتشفة في إنجلترا وألمانيا وسويسرا قد اضطرت به الى المعيشة تحت الأرض فأفضى به ذلك الى تضائل بصره وكفه عند السواد الأعظم منه . من يدري اذا كانت هذه الرزايا لا تنتظرنا في المستقبل البعيد عند ما يجبرنا البرد على الالتجاء الى الكهوف والغيان في بطن الأرض أو اذا كنا نقوى عليها مثله . ثم اننا نجعل طريقة المعاملة عند هذه الحشرات ولا نعرف كم اقتضى لها من الوقت والتجربة قبل الوصول الى هضم السليافز . أما تحوّلها العجيب الذي نستطيع به أن نحلق هذا الشكل أو ذاك فهو فضلا عن غموضه يعد خطوة واسعة في طريق الابتكار والابداع لم يقسّ بعد للانسان أن يخطوها . ألا ترى اننا لا نستطيع تحديد الجنس وتكوين الجنين كما نشأ بل نجعل حتى ساعة الولادة أكان ذكرا أو أنثى . فلو كان لنا علم الأرضة لاستطعنا أن نوجد عند الحاجة والضرورة أبطالا وعمالا ومفكرين لا يكون من عندنا اليوم من أهل البطولة والعمل والتفكير بالقياس اليهم شيئا مذكورا . ما الذي يمنعنا من الوصول يوما الى تضخيم الدماغ آلتنا الوحيدة للدفاع في هذا العالم كما وصل الأرض الى تضخيم مشافر جنوده ومبيض ملكاته ؟ وهل يمثل للخطاطم ما استطاع عمله يومئذ فان رجلا يبلغ من الذكاء أضعاف أضعاف ما بلغه (نيوتن) و (باسكال) مثلا فهو يقطع من مسافة العلم في ساعات ما يحتاج نحن الى عصور لا جتيازها . ولعله يصل الى كشف الحجاب عن أسرار هذا الكون فنفهم لماذا كل هذا الشقاء الذي يحيط بنا وهذه الآلام اللازمة لبواع الموت

هذا الانسان الجديد قد يصل الى اكتشاف حياة أخرى ، تلك الحياة التي يجذبنا سراها منذ القدم وقد وعدت بها كل الأديان دون أن تؤيد بالبرهان وجودها ، ومهما يكن دماغنا اليوم ضئيلا فانا نشعر أحيانا اننا على ضفة هاوية العلم بعيدة الغور وان دفعة صغيرة قد تكفي لتلقينا في عبابها ، ولعلّ هذا التضخم الدماغي يكون خشبة الخلاص في الأعصار الجليدية التي تهتد البشر ، على انه يحق لنا أن نفترض أن هذا الانسان وجد في سالف الأدهار وانه كان أوفر ذكاء من انسان اليوم بما لا يقدر ، غير اننا نبحث عنه فلا نجد له أثرا لنهد الى الأرضة ، من يجسر على القول أن الخاصة التي نتكلم عنها لم تنلها إياها الطبيعة . فالطبيعة هي الهادي الوحيد لكل مخلوق قال (أرنست كابل) « كل مخترعاتنا وأدواتنا هي تقليد لعمل الطبيعة من غير أن نشعر ، فضخاتنا منقولة عن مضخة القلب ، وآلة التصوير هي غرفة العين المظلمة ، والتلفراف هو جهازنا العصبي ، والأشعة المجهولة رؤية الأجسام من خلال الحجب كقراءة الكتاب دون أن يفض عنه الغلاف ، واللاسلكي مناجاة الأرواح بواسطة تموجات غير منظورة وفي تحريك الأجسام بدون أن تمس (وهذا غير محقق) دلالة على ما يمكن عمله من تغيير شرائع الجاذبية والثقل والانتصار عليها »

ثم قال « يجوز لنا أن ننسب غريزة الحشرات ولا سيما النمل والأرض والنحل الى الروح المشتركة الخالدة فقد قلت فيما مر أن هذه الشعوب هي كذات واحدة أو كأن حي مستقل أعضاؤه مؤلفة من خلايا كثيرة ، تفرقة في الظاهر مجتمعة في الواقع حول الشرعة المركزية . وهذا الخلود المشترك هو السبب الذي من أجله يموت المئات والالوف من الأرض دون أن يؤثر في الذات أو الجسم الواحد المستقل لأن غيرها يقوم مقامها كما أن اندثار ألوف الخلايا فينا لا يغير حالة ما نعتبر عنه بكامة « انا » ولهذا تظل الأرضة عائشة كما هي منذ القدم دون أن يضيع لها اختبار أو ينفصل لها وجود ولا تنقش تذكاراتها لان هناك ذاكرة واحدة للجميع . وهذا ما يفسر لك كيف ان ملكات النحل لا تنفك تبيض منذ ملايين من السنين ومن دون أن تزور زهرة أو تجمع لقاها أو تمتص عسلا تستطيع أن تخرج عاملات تعرف ما جعلته أمهاتها كل هذه العصور والدقيقة الاولى من طيرانها تفهم كل

أسرار الطريق وجمع العسل وتربية العذارى وكيمياء القفير . تعرف ذلك لأن الجسم الذي هي إحدى خلياته يعرف ذلك فتراها منبهثة في الفضاء وهي متفرقة الشمل في الظاهر ولكنها مبروطة بالوحدة المركزية . فهي كخلايا جسمنا تعوم في سائل إلا أن هذا السائل أوسع مدى من سائل الجسم البشري وأكثر ليونة وخفة وروحانية

هل يمثل الأرض لنا نموذجاً للنظام الاجتماعي الآتي ؟ من يدري ما يحببنا الغيب . لا يمر له خيال في تصور براتنا فقد يكفي أحيانا شيء لا يذكر ليقلب نظام الأدب ومقدرات الشعوب . ان غاية ما نصبوا اليه اليوم هو حياة جال ورخاء وسلام ويمن وقد أتى على الانسان ساعات من الدهر قارب بها هذه الغاية في أثينا أو الهند أو بعض أدوار المسيحية . فمن يؤكد لنا اليوم اذا كانت الانسانية تمشي حقيقة في هذه الطريق لا في الطريق المعاكسة لها ان ما لا يرغب فيه أن السعادة الكاملة الثابتة لا نجد لها إلا في حياة روحية بحتة فهل هذه الحياة ممكنة ؟ نظريا نعم أما عمليا فمن المستحيل ذلك لأننا لا نرى من حولنا إلا المادة وبسوى المادة لا نشعر . ودماعنا نفسه مادة فكيف نرجوا أن نفهم به غير المادة . كلما جرب الواحد منا أن يفات من قيود هذه المادة أصابه الدواخ وهبط الى الخضيض . ان المادة عدو الانسان الوحيد وقد اتفقت الأديان على ذلك سواء سمي هذا العدو شرا أم خطيئة ولهذا كانت حالة البشر محزنة على الأرض لأنه لا سبيل الى الخلاص من المادة . وكيف الخلاص وكل ما في العالم هو منها والقوة نفسها والحياة انهما إلا صورة من صور المادة وشكل من أشكالها بل الجسم الجامد الذي لا حراك به أو المادة الضخمة الميتة فيها حياة أكثر روحانية من أفكارنا . تلك الحياة الهائلة الخالدة ، حياة السكهارب التي لا تنعب متحركة كالسيارات حول نواتها المركزية . كيفما أجلتنا الفكر نرى شيئا وهذا الشيء هو غير العدم فلما أن يصير « أنا » عظيما الى حد أن ينسى معه ذلك الحيوان الصغير الذي كان يقال له الانسان أو يبق حقيقرا خاملا على مدى العصور وهي لهنة لا يوازن بها أكبر عذاب من حجيم المسيحيين . على كل حال يقول ابكتت الفيلسوف : لا ينبغي أن نحاول تغيير طبيعة الاشياء فليس هذا بمستطاع ولا بمجد . ولكن على قبولنا بها لننتعلم أن نطبق تصرفاتنا على نواحيها « عشرون قرنا مرت على الانسان منذ رنت في أذنه هذه الكلمات ولم تصل به بعد الى نتيجة ترضيه . انتهى (يقول المؤلف عمل الطبيعة يريد عمل خالق الطبيعة) اه

(خطاب للمسلمين)

أيها المسلمون : هذا اخترته من كتاب « ملكة الظلام » أو « حياة الأرض » الذي عربّه الدكتور (نقولا فياض) . نعم أنا أفضت في الكلام على (الأرض) ومعيشتها وسياستها ونظامها ، وإنما حركني لذلك قوله تعالى - ما دهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته - . يا سبحان الله : مالنا وللأرضة ، وما لنا وللمنساء سليمان ، وما لنا ولا كل الأرضة لها ، وما لنا ولكون سليمان لم يعلم اليهود موته إلا بعمل الأرضة ، عجيب والله هذا القرآن ! عجيب والله أن تكون هذه الكلمات باعثة لي على تعقب أحوال الأرضة ، فإذا عرفنا منها ؟ عرفنا أن لله جنودا وجنودا وتلك الجنود لها ملوك ولها سياسات ونظم اجتماعية عجيبة ، وعرفنا أن في أمم أوروبا من يدرسون هذه الحشرات ليستخرجوا منها علما عسى أن يرتقي به الانسان في مستقبل الزمان ولقد ظنوا أن هذه الحشرة الحقيرة قدرت أن تستخرج الماء من المواد التي حوّلها . يا الله : أنا أنوجه اليك وأسألك أن تبعث في نفوس قراء هذا التفسير حبا للعمل وحبا للعلم والحكمة حتى يكون للمسلمين نظام مع الأمم حوّلهم به يعيشون في حبور وحياة منتظمة ، فأنت الوليّ الجيد

أيها المسلمون : إن الناس تمنوا الطيران فطاروا ، وهامهم أولاء يتمنون عقولا أرقى من هذه العقول ويسعون لكسبها فسيروا مع الناس بل أنتم أولى فان اشارات القرآن تبعث المسلم على العمل ، أولاترون

أيها المسلمون الصادقون كيف كان سليمان في هذه السورة هو سليمان في سورة النمل ، ويعجبا يا الله وألف عجب . اللهم انك أنت المعلم ، أنت الملمهم . أنت الحكيم ، كيف كان سليمان في ﴿ سورة النمل ﴾ يتبسم ضاحكا من النملة ، ونفس سليمان في هذه السورة تدل على مونه دابة الأرض يعجبا . كأن الله يقول لكم أيها المسلمون إن بين النمل والأرض علاقة فلندرسوها ، فحلاقتها في القرآن قصة سليمان وعلاقتها في العلم اشتراكهما في المدنية والسياسة وأن بينهما عداوة ، فالدرس الدرس الله أكبر : قصة سليمان في هذه السورة وفي سورة النمل يفهمها العامة والخاصة ، شارحة للصدور وهي باب لدراسة النمل ولدراسة الأرض ، فإثن عجب العامة والخاصة من قصة سليمان مع النمل وقصته مع الأرض فوالله ليكونن عجبهم أكثر وأكثر حين يدرسون الحجاب التي أبدعها الله فيهما - إن ربي لطيف لما يشاء انه هو المعلم الحكيم - انتهى المقام الأول في المبحث الأول

(المقام الثاني في المبحث الاول)

(في قوله تعالى ... فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين -)
اعلم أن طائفة من الناس يقرؤون عزائم ودعوات كفرية أو دينية أو غيرها ويؤمنون أنها تقضى حاجاتهم بها وينادون أسماء شيطانية ويبتهلون إليها ، وهذا في الحقيقة نوع من العبادة ، وما الفرق بينها وبين الأصنام فالأصنام شفعاء وهؤلاء شفعاء ، فليحذر المسلمون من هذا ، إن الإيمان بالله يهلى الهمم ويرفع النفوس الى المستوى الرفيع الشريف كما كان الصحابة رضوان الله عليهم . فعلموا الهمة هو الذي يرفع الانسان عن العوالم كلها الى بارئها فينال ما يريد اذا كان ذا عزيمة صادقة . ثم ان الذين يحضرون الأرواح في هذا العصر يعلقون آمالا عليها في أمورهم الدنيوية أوفي معرفة الغيب وهذا كله خروج عن القضايا الدينية ثم لا يفيد فاعله ويكون ذلك أشبه بالعبادة ويحجب الانسان عن ربه . ومن ذلك ما تقدم في هذا التفسير من الأوفاق التي كان يستعملها قدماء المصريين كالمثلث والمربع والخمسة الى المتسع للسكواكب السبعة . والمسلمون اليوم هكذا يستعملها بعضهم وهو لا يدري أنها كالشرك بالله تعالى . ولأورد لك أسئلة من كتاب الأرواح ألقاها العلماء على الأرواح في أوروبا لما استحضروها . وهالك بيانها

(س) هل من أسئلة تكررهم الأرواح الناقصة

(ج) لا تكره إلا الأسئلة التي تزج النقاب عن جهلها وخداها

(س) ما قولك فيمن يتخذون الخابرة الروحانية بابا للهو والهزل أولا سقنباة أمورهم صواحبهم الزمنية

(ج) هؤلاء نسر بهم جدا الأرواح الناقصة لم داعبتهم وخداهم

(س) هل تستطيع الأرواح أن تكشف لنا أمر المستقبل ؟

(ج) كلا : إذ لو عرف الانسان المستقبل لأهمل الحاضر

(س) ماهي أخص دلائل النبوات الكاذبة ؟

(ج) هي التي لا تأتي بفائدة عامة أو يكون عرجها النفع الخاص

(س) لماذا تكون الأرواح الرصينة عند تنبئها عن أمر لانهين زمن حدوثه

(ج) يكون هذا إما عن عمد منها أو عدم معرفة ، إن الروح يستشعر أحيانا وقوع أمر انما زمن وقوعه

يكون في الغالب متعلقا بحوادث لم تتم بعد ولا يعلمها إلا الله ، أما الأرواح الطائشة فلا يهملها أمر الحقيقة وتحدد الأيام والساعات من دون التفات الى صحة النبوءة وعدمها ، ومن الواجب ههنا أن أكرر عليكم القول أن غاية رسالتنا إنارة بصيرتكم وترقيتكم الروحي لا العرابة وفتح القال ، فن أحب هذا تألفه الأرواح الماكرة

ويصبح العوبة بين أيديها . انتهى المقسود من كتاب الأرواح
وهذا يكفيك من ذلك فان الأسئلة توضح الآية هنا ايضا كما كافي ، إن هذا من أعظم معجزات القرآن
كيف لا ونحن نجد أن أوروبا التي لم تسمع أن في القرآن هذه القصة لهدم إيمانها به تكون نتيجة حديثها
مع الأرواح أن الجن لا تعرف خبر الغيب ، ولا معنى للجن إلا النفوس الناقصة كما لا معنى لللائكة إلا الأرواح
الكاملة وكل منهما درجات ، إن هذا معجزة وأي معجزة ، إن المسلم يمر على مثل هذا مرارا ويكتفي بالإيمان
أما اليوم فانه يرى اليقين في العلم ، فان كذبت أيها الفطن الغربية فدونك العلم فاستعمل الطرق التي أرخصتها
في كتابي «الأرواح» واجعل نصب عينيك الحقائق لا الامور الدنيوية . وهناك تعرف بنفسك لا بأوروبا
لكن مع الصبر والجد ، وان أردت إلا الزيادة فعليك بكتاب الأرواح ، وان شككت فاستقل بالعلم ، واعلم
أن الله جعل هذا الزمن هو الزمان الذي فيه يظهر سر القرآن - وقل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها -
فالمسلمون إن لم يدرسوا فلا يرحلوا من العالم ويأتي الله بأمر أخرى لهذا الدين أرقى من هذه الأمم النائمة
فأما الكسل والتكذيب والاستهزاء فليس يجدي في زمن العرفان والعلم والحكمة والارتقاء . وبهذا تم
الكلام على البحث الأول بمقاميه

﴿ لطيفة في قوله تعالى - فلما خر تبينت الجن - الخ ﴾

(تذكرة في ليلة الخميس ١٣ يناير سنة ١٩٣٠)

في هذا اليوم حضر عندي رجل عظيم ذكوى عالم وقال لي : ألم تطلع على « مجلة الدنيا المصورة » في هذا
الاسبوع . فقلت ماذا فيها ؟ فقال إن فيها أمرا عجبا ، وقصص على ما يأتي :

﴿ يد خفية تكتب من وراء المجهول ﴾

(يهمل البرلمان المصري علما واحدا ، وتعقد المعاهدة في خلال ستة أشهر)

بين المنجمين وقرءاء الطوالع الذين هبطوا مصر رجل هندي له طريقة مدهشة في الاجابة عن المستقبل
بحار العقل في تعليمها ، وهل هي سحر ساحر عليم ؟ أم شعوزة مشعوذ ماهر في خداع العقول والأبصار ؟ ونحن
نسرد فيما يلي بعض أعمال هذا الرجل الخارقة للمادة كما شاهدناها مندوبنا وترك للقارئ تعليمها

في شقة بسيطة الرياش يقيم رجل هندي لا يثبتك مظهره عن خبره ، وكانت زيارتي لهذا الرجل حافلة
بالمدهشات ، ولو اني حاولت أن أدرك خفي أمره وأستطلع وسيلته التي يتوصل بها لتأدية أعماله فلم أوفق في
محاولتي مع يقيني بأن الأمر مهارة خارقة لاعلاقة لها بالأرواح . لا ترى في شفته مظاهر التأثير والروعة التي
تصحب عادة منازل المنجمين وعلماء الروحانيات بل هي ذات فراش بسيط أشبه بكتب وكيل أعمال أو محام
مبتدئ . ورأيت في صغير السن هادي النظرات حليق الوجه يتحدث في ابتسامة صغيرة وبسيطة . سألتني
بالانجليزية : أريد أن تعرف شيئا عن مستقبلك ؟ أجبت : نعم . ودخلت حجرة مكتبه وليس فيها إلا مكتب
واحد عليه أوراق متناثرة وأقلام ودفتر عادية وقد طليت جدران الحجرة باللون الاسود . ولما رأي أنظر لهذا
الطلاء الاسود اقامت مستغرا با قال لي في هدوء : انني أهني الحجرة لاستحضار الأرواح فانها لا تظهر إلا في الظلام
وسألته : وفي أي ثوب تظهر الأرواح . فأجاب : تظهر متشكلة بشكلها الأرضي فتراها كما عهدتها على سطح
الأرض في الجسم نفسه والملابس نفسها ، ثم طلب مني أن أكتب أربعة أسئلة على أربع ورقات صغيرة غما
أود معرفته من شؤون المستقبل ، وتناولت ورقة صغيرة قطعتها على أربعة أقسام وبينما أنا أقامها بتأن وبطء
استأذن مني ليغيب دقيقتين وترك الحجرة وانصرف ، ومضيت أنظر حولي فلم أجده في الحجرة ما يريب وتناولت
قلمي فكتبت على كل ورقة سؤال ثم طويت الورق وأودعته يدي ، وعاد الرجل بعد قليل وجلس الى مكتبه
وسألني : هل كتبت الأسئلة ؟ فأجبت : نعم . وجلس يسطر جداول ورموزا والورق في يدي اليسرى مطوى

طيات عديدة وقد أظفقت كفى عليه ، ثم طلب منى أن أكتب فسكتبت بيدي اليمنى على ورق أمانى وأغمض عيني ثم أملانى السؤال الأول فالثانى فالثالث فالرابع كلمة كلمة ومازالت الأوراق مطوية فى يدي ، وكان يملأ على الكلمات وكأن نظره المغمض يخترق كفى ويخترق الأوراق المطوية ويتألف فيها ، وكان بين الأسئلة سؤال كتبت فيه كلمة ومحوتها وكتبت كلمة محوها ، فلما أملانى هذا السؤال ذكر الكلمة الأولى ثم طلب منى أن أمحوها بالقلم وأكتب بدلها الكلمة الثانية . كتبت الأسئلة وأنا أبسم وأغالب دهشتى ، ثم ناولنى القلم من يده وطلب منى أن أضعه فوق الورق فى كفى فوضعت ثم استعاده منى وقال لى : افتح الورقات فان الأجوبة مكتوبة فيه . وفتحت الورق فرأيت فى أسفل كل سؤال الجواب عليه مكتوباً بالقلم الرصاص وكانت الأوراق لم تخرج من كفى وهى مطوية فيه طياً محكماً . وكانت حقاً مفاجأة لطيفة مذهلة . رقت له : لتحدث كما يتحدث الأصدقاء . ماسر هذه المقدرة العجيبة ؟ أجابنى بهدوء : سرها بسيط فالى متصل بالأرواح أسخرها لخدمتى وأستطلع أنباءها فهى توحى الى ما يخفى أمره على الناس . ولكنى لم أشاركه القول بأن هذا السر أمر بسيط وإنما أعدت سؤالاً : ومن أين لك هذه المقدرة ؟ وصمت طويلاً وكأنما يستعيد ذكريات قيمة ثم قال : سأحدثك بما لم أحدث به أحداً . كنت وأنا فى التاسعة عشرة من عمرى طالباً فى (لاهور) ببلاد البنجاب فى الهند . وكنت أقيم وحيدى فى شقة استأجرتها فأقضى نهارى فى الجامعة وليلى فى منزلى أراجع دروسى . وفى هذه الأيام تعارفت بفتاة هندية حسنة كانت طفلة صغيرة ولكنها جعت كل معانى الانوثة الفاتنة وأسرار الجلال الآخذ . همت بحبها وطفى غرامها على كل حواسى حتى أصبحت ولا تشغلنى إلا فكرة واحدة مستولية على كل مشاعرى ومائلة كل رأسى وهى هذه الفتاة . ولكن الحجاب القاسى كان يحرمنى من لقاءها ورؤيتها . وكانت تمر فى الأيام دون أن أراها فأذوب وجداً وتضطرب أفكارى وتختل أعصابى . وفى ذات ليلة جلست فى منزلى وحيداً وأنا أفكر فيها بكل قواى . أفكر فيها وأرغب فى رؤيتها وأحصر كل أفكارى وحواسى فى هذه الرغبة القوية وخيل لى أن كل قوى العالم اجتمعت فى ذهنى ثم تركزت فى هذه الرغبة القوية واذ ذلك خيل الى أن قوة تفكيرى وشدة الرغبة الصادرة من روحى تخترق الحوائط والجدران والحوائط وتصل الى هذه الفتاة فى خدرها وتستدعيها وانها تخرج ملبية دعوتى الحارة وانها تقرب من منزلى وانها تسير تحت نوافذى وأطلت من النافذة فرأيتها تسير فى الطريق وهى تنظر الى نوافذ حجرتى . وحدث ذلك مراراً فكنت كلما فكرت فيها رأيتها أمامى . ولا ريب أن فى تلك إحدى معجزات الفرام والرغبة القوية . ولكنى لم أهنا بحبيبتى فقد اختطفها الموت وهى فى زهرة شبابها وحزنت عليها حزناً شديداً فهجرت الجامعة والدروس وأهمات نفسى ورحلت كالجنون لأريد من حياتى إلا أن أراها بعد موتها . وكنت أعلم أن بين جبال الهند وغاباتها يعيش جماعة الفقراء وال دراو يش الذين يقال عنهم انهم من طائفة قضت أيامها فى التنسك والعبادة حتى أزيلت عنها الحجب واتصلت بعوالم الأرواح وتجردت من شوائب المادة الدنيوية فبلغت نفوسها درجة فائقة من القداسة . ودعانى شئى بحبيبتى الميتة وجنوتى ورغبتى فى رؤيتها الى الهيام فى الغابات والجبال والى غشيان مجامع الدراو يش الفقراء فى العراء أملاً بأن أستطيع أن أرى روح حبيبتى . وأخذت عهداً على بعض شيوخهم وكان لا بد لى من قضاء مدة التجربة بينهم . ولأزال أذكر تلك الليالى الطويلة والمحن التى قاسيتها فيها حيث كنا نجلس حلقة كبيرة فى وسط الغابة تحت ضوء النجوم تتلو آيات معينة من القرآن الكريم ونكرر تلاوتها آلاف وآلاف المرات حتى تتجرد أرواحنا عن أجسامنا ونسبح فى عالم كله هدوء وسكينة وكنت أرى بعض وحوش الغابة تنسل نحونا ، فهذا فهد ينف عن بعد يحملق الينا وكأن عينيهِ شعلتان تتقدان فى ظلام الليل ، وهذا أفهوان ضخيم يزحف بين الحشائش ويدور حولنا ، وكان الفرع يتولانى فى أول الأمر ، ولكنى أرى الدراو يش فى ذكرهم وتلاوتهم لا يشعرون بتلك الضواري ولا يقيمون لها وزناً

فأجمع قواي وأشد على قلبي وأستمر في القراءة والذكر . وفي صباح اليوم التالي أسأل أحد رفاقي عن هذه الكواسر فيجيبني إنها الأرواح مشككة في أشكال مخيفة تحاول قطع قراءتنا حتى لا تسلط عليها وتسمى لايقاع الرعب في قلوبنا ولهي تمتنا قبل أن نهزمها ، وقضيت أربعين يوما على هذه الحالة وأنا لا أتناول طعاما ولا أرتدى ثيابا ولا أقطع وقتي إلا بالتلاوة والذكر ، وفي ختام اليوم الأربعين شعرت بأني بلغت مابلغ أساتذتي الدراويش وانني أصبحت سيديا على الأرواح أناديها فتلبني ندائي . وسألته : ومن كانت أول روح استحضرتها قال بهدوء : روح حبيبتى طبعها وقد لبثت ندائي وحادثتها وحادثتني

ومما يذكر عن نبوات رجل الأسرار واسمه الحقيقي (مير عبدالحيد) أن أحد الدواب الوفديين ذهب إليه ليسأله في أمور سياسية وكتب الأسئلة وطواها وكان بينها هذان السؤالان

- (١) — كم يهمل البرلمان ؟
(٢) — هل تعقد بين مصر وإنجلترا معاهدة في بحرسة أشهر قادمة ؟
فكان الجواب على السؤال الأول « يهمل سنة واحدة » والجواب على السؤال الثاني « نعم » ولم يجد النائب في هذين الجوابين ما يشفي غليله فان حل البرلمان لا يمكن أن يحدث اذا أبرمت المعاهدة وسأل سؤالا ثانيا : « اذا كان البرلمان سوف يهمل عاما واحدا فما هو نظام الحكم الذي يتلوه ؟ » وكان الجواب « يكون الحكم في يد حزب الأغلبية ويبقى في يده طويلا » وكان هذا الجواب يدل على أن الحكومة الوفدية سوف تحل البرلمان بعد سنة واحدة ثم تعود الانتخابات فيخرج حزب الأغلبية وهو الوفد فازوا ويتولى الحكم مدة طويلة والله أعلم اهـ

فلما قال صاحبي ذلك وقد قرأه في المجلة بنصه . قلت له : وهل لهذا علاقة بالتفسير . قال نعم : أذكرك بما تقدم في ﴿ سورة النور ﴾ ألم تذكر هناك أن الأسئلة التي وجهها الناس الى الشيخ أحمد بن المبارك تلميذ الشيخ الدباغ في أمر السحاب والمطر والبرق والجبال التي في السماء ، ولما رأى الشيخ ان المبارك أن علماء الاسلام قبله لم يعرفوا أغلب تلك الحجاب هرع الى الشيخ الدباغ فأجابه وشرح مسائل لم يظهرها إلا العلم الحديث فكان ذلك معجزة إذ ظهر أن في الجواب جبالا من تلج ينزل منها برد وقد رسمتها أنت هناك ، وأنت قلت ان طبيعة دين الاسلام أن يسأل الناس علماءه عن كل شيء لأن القرآن يذكر أمورا كثيرة ، فاذا قال الله لنا ان الحق لا يعلمون الغيب فما بالناس نرى رجلا هنديا في هذه القصة يخبرنا نحن المصريين بأن المعاهدة ستكون بعد ستة أشهر وأن البرلمان يغير ببرلمان آخر بعد سنة ، وكيف قدرت روحه أن تحضر محجوبته الى منزله من وراء الجدران والحيطان ، وكيف يخاطبها بعد الموت . واذا لم يكن تفسير القرآن هو الذي يوضح ذلك فمن أين نعرفه ؟ ثم هذا الفتى الهندي يتمتع الآن بهذه المزية . فهل من المصلحة أن نسمي لنظيرها لأن الناس جميعا عندهم استعداد لأمثال هذا وان كانوا فيها مختلفين . فقلت له إن قولك يتضمن ما يأتي :

- (١) كيف قويت روح الهندي على أن ينظر الفتاة من وراء حجاب
(٢) كيف قدر أن يحدث الأرواح
(٣) كيف يعلم الغيب والله يقول ان الحق لا يعلمون الغيب وهو يقول إن الأرواح تعلم ذلك الغيب
(١) أما قوته على رؤية الفتاة من وراء حجاب فذلك يرجع الى قوة في نفوس جميع الناس وهذه القوة لا تنجلي إلا نادرا جدا لأن قوانا في الأرض موزعة على أعمالنا ، ألا ترى أن أرواحنا موزعة قواها على الخواص الخمس الظاهرة والخواص الخمس الباطنة وعلى ما فينا من قوى شهوية وقوى غضبية وعواطف وعادات وأحوال لاحصر لها ، وكل هذه مفرعات عن النفوس ، فاذا حصر المرء فكره في أمر ما نال منه على مقدار ما قسم له

وهذا الفتى حصر فكره في الفتاة وجميع السحرة في العالم من هذا الباب دخلوا ، فنفسهم حصروها في أمور خاصة بطريق خاص بهم تلقوه عن غيرهم وقد قالوا الشهوات فأثر على مقدار عزيمتهم ، وهذا الفتى ما حصر فكره إلا الحب الذي استحوذ على جميع قواه فصار هذا الجسم وحواسه الظاهرة والباطنة كأنها ملغاة لا عمل لها وهذا تقدم تقريره في موطن من هذا التفسير

(٢) وأما محادثته للأرواح فهو مفرع على ما قبله وقد تقدم تقريره في هذا التفسير كثيرا وهو مشروح شرحا تاما في كتابي ﴿الأرواح﴾ الذي ألفته لذلك . ان النفس متى انصرفت عن أحوال هذا العالم اطلعت على عوالم أخرى

(٣) وأما جواب السؤال الثالث فهو المذكور سابقا وهو أن الأرواح لا تعلم الغيب سواء أكانت في أجسامها أم كانت مجردة منها بعد الموت ، وهذا الفتى الهندي إما أن يكون إخباره بالغيب في أمر البرلمان من قوة نفسية فيه ، وإما أن يكون بإخبار الأرواح وكلاهما ينبغي البحث فيه

نحن الآن لنعلم هل يصدق ذلك التنبؤ أم يكذب . ولم تمض الستة الأشهر ولم تمض السنة حتى نحكم بصدقه أو كذبه ، والذي ثبت في علم الأرواح أنها لا تقدر أن تعرف الأحوال المهمة في الأرض وإذا أخبرت وقع الصدق والكذب فيها إلا إذا كانت أرواحا عالية تسخر بأمر اضرش شريف فهذه يباح لها ذلك الإخبار فأما الأرواح الصغيرة فإنها طائفة تخبر بما لاحظته من الصدق استهزاء بالسائل لأنها تحب الهزء والسخرية هذا ثم إن منزلة هذا الفتى الهندي في النوع الانساني وأمثاله من أولئك المتبتلين ليست هي المنزلة السامية . نحن خلقنا هنا في الأرض ولنا أعضاء وقوى وعقول فلا بد أن نعطيها حقها من العمل وحولنا عوالم أرضية وسماوية فلا بد أن نعطيها حقها من الدرس وحولنا نوع الانسان فلا بد من أن نكون نافعين له بقدر طاقتنا ، أما تعطيل قوانا واتسكالنا على الأرواح فهذا نقص فينا كما هو مفسر في ﴿كتاب الأرواح﴾ ولبس للإخبار بالغيب في عالمنا منزلة شريفة إذا صدق ولذلك قل الصدق في الإخبار بالغيب لأن الانسان اذا علم المستقبل أهمل الحاضر فنام وكسل وهذه هي سنة العوالم الأرضية ، الأرواح الصغيرة تخبر صدقا وكذبا والأرواح العالية لا تخبر إلا بالأمور العالية للمنافع العامة وذلك قليل ونادر ، إن عالما يضر به العلم بالمستقبل فالجهل به هو السنة الصالحة في أرضنا ، وهذا الفتى الهندي هو وأمثاله اليوم لا يفيدون الانسانية أمورا عملية . نعم ربما كانت حياتهم مذكرة للناس بعوالم الأرواح ، فهم من هذه الوجهة قد أدوا خدمة وإن لم يقصدوها ، ولكن العرافة والإخبار بالغيب أكثرها كذب لا يصح التعويل عليه ولو صح ذلك لكان وبالا على الناس إذ يعطهم الكسل والاتسكال على المستقبل ، ومن عجب أن يقول « إن الأرواح تظهر للناس في أشكال مخيفة خشية التسلط عليها لهذه العبادات » وهذا دلالة على أنها أرواح من عوالم منحطة ليست راقية ، فإذا سخرت لهؤلاء الناس فهي أشبه بالاستعمار في الأرض . فالأثم التي عندها أسلحة تغزو التي لا أسلحة لها وهؤلاء ضعاف . إذن ظهورهم وإخافتهم لهؤلاء الناس وقت القراءة أشبه بمحاربة لاحتباط أعماهم فإذا تغلب الناس على تلك الأرواح استخدموها ، إذن هذه الأرواح صغيرة ضعيفة يسخرها كل من قدر عليها وهذه هي الأرواح التي تكذب تارة وتصدق أخرى وإخبارها بالغيب مشكوك فيه لأنها محجوبة عن المستقبل إذ العلم بالمستقبل لا يعطى إلا لأرواح عالية إلى حد مخصوص ليساعدها فيما تزارله من اصلاح العوالم الأرضية . هذا ما يعطيه علم الأرواح . فأما هذه الموهبة التي أعطاها الشاب الهندي فليست منزلة شريفة في الانسانية

وإذا قرأت ما تقدم في ﴿سورة الحج﴾ في (صحيفة ٥٢) وما بعدها من الجزء الحادي عشر واطلعت على كلام الشيخ الدباغ والشيخ الخواص والشيخ الشعرائي وجدت هذا المقام موضحا كل الايضاح وأن أهل الصلاح الذين اطلعوا على الامور الغائبة ليس لهم حظ في الآخرة لأنها شهوة نفسية وربما يموت الصالح مفلسا لأنه أخذ

حظه في الدنيا . ولذلك ترى الشيخ الخواص يقول « إياك أن تقبل الفتوح والاطلاع على المنغيبات بل استمد بالله من ذلك ، وترى الشيخ الدباغ فسر لنا آيات وأحاديث بما لم يقله غيره من العلم والحكمة العالية وهو هو نفسه يقول ﴿ إن الذين يعبدون الله ويقتصدون بالعبادة هذه الأمور يصبحون أحسن نوع الانسان ﴾ فاقراً هذا المقام هناك وفي سورة الكهف عند قوله تعالى .. وما كنت متخذ المضلين عضداً .. وفي موضع آخر قبله في نفس السورة . وإذا كان العباد والمصلحون إذا قرؤوا القرآن وعبدوا الله لهذه المقاصد مدمومين فأياك بهذا الفنى الذى قصد من التجرد أن يخاطب محبوبته . ثم ان القرآن لم ينزل لمثل هذا . كلام كاذب . على أن حصر النفس واحضار الأرواح لا يتوقف على القرآن ولا على كتاب سهاوى بل حصر النفس يحصل بأمور كثيرة ومنها اتصاله بذلك الشيخ ومنها تلك العزائم التى تشتمل على ألفاظ لا يفهمها القارئ وهو مشغول بقراءتها فليس المقصود من قراءة القرآن أمثال هذا بل هو نزل لتهديب النفوس وإصلاح الأمم لا إخراجنا من الجسمية الى حال الروحية مرة واحدة . هذا ما أعلم فى هذا المقام . وفرق كل ذى علم عليم . فقلت الحمد لله رب العالمين كتب نصف الليل يوم ٢٣ يناير سنة ١٩٣٠

فلما أتممت هذا المقال جاء الى أحد الاخوان وقال انظر انظر الى ما جاء فى مجلة « الدنيا المصوّرة » بتاريخ يوم الأحد ١٣ ابريل سنة ١٩٣٠ م وقرأ مانصه

﴿ قوة الإرادة تنتج أعمالاً خارقة ﴾

(كيف يسلط المشعوذون قوى إرادتهم فيأتون بالفرائب والمدهشات)

لاشك أن فى الانسان من القوى المعنوية المجهولة ما لم يستطع العلم بعد الوقوف على سرها أو كشف حقائقها فى الناس من سمعنا عنهم أن نافورة من المياه المتدفقة تخرج من بين أصابعهم ساعات وأيام بلا انقطاع ، الى أن يباغ حجمها أضغاف حجم الجسم الذى تخرج منه لو فرضنا أنه استحالة كله ماء . ومنهم من يضع نفسه فى صندوق محكم الغلق ويبقى فيه مسدود الأنف والمنافس عدة أيام وليال ثم يخرج منه كأن لم يكن فى الأمر شيء . ومنذ آلاف السنين عرفت قوة الادارة واستعملت ولكن فى دوائر محدودة وبين أفراد قليل جسد ، دلى النحو الذى يمارسه فقراء الهنود إذ ينامون على المسامير والحرايب دون أن يشعروا بألم ، ويمزقون جلودهم بالمدى والأسنة دون توجع أو أثنين

﴿ عملية جراحية بدون مخدر ﴾

ويقول علماء هذا العصر ان كل انسان يملك هذه القوة التى نرى أنها خارقة ، وكل ما يعوزه هو تقييدها وتدريبها . فقد حدث أخيراً فى أحد المستشفيات أن مريضاً رفض أن يتعاطى مخدراً قبل اجراء عملية جراحية خطيرة ، وطلب الى الطبيب أن يقوم بعمله رأساً ، بعد أن تمكن بقوة إرادته من أن ينام نوماً لم يشعر فى غضونه بمبضع الجراح . وقد فحس الأطباء بعض قوى قوة الإرادة فقرروا أنهم استطاعوا أن يزيدوا عدد النبض العادى أو يقللوه كما يريدون ، بل تمكن بعضهم من أن يوقف دقات القلب زمناً

﴿ طهرا بك فى لندن ﴾

لقد كان الناس يعدّون فقراء الهنود الى عهد قريب دجاجة يفسنون ويخدعون ويكذبون فيما يظهره من الخوارق ، ولكن العلم الحديث يعترف بأنهم ليسوا كذلك ، انما هم قوم ذوو قوة إرادة نافذة وسيطرة عقلية على الجسم جميعه . ولعل القراء يذكرون ما عرضه « طهرا بك » فى مصر من مدة قريبة ، وقد عرض هذا الرجل كثيراً من أعماله الخارقة فى لندن فلم ير الاطباء أن فيها شبهة الكذب والخديعة . ذلك أنه دعا أربعين

طبيباً انجليزياً وأجلسهم معه على المسرح الذى كان يشتغل فيه ، ثم غرز سكيناً حادة في أجزاء من جسمه كان يسيل الدم منها وينحبس تبعا لإرادته . ثم استلقى أمام الأطباء على لوحته من المسامير المديبية وأوقف رجلا ضخما على صدره دون أن يشعر بأى ألم ، ولما نزل الرجل جىء بحجر كبير وضع مكانه ووقف رجلا ن يقنا وبان ضرب هذا الحجر بفأس حتى تكسر على صدر « طهرا بك » الذى قام بعد ذلك سليما معافى . وقد فحص الأطباء ظهره فوجدوا به آثار دخول المسامير فيه ، ولكنهم لم يروا أثرا لقطرة دم مہراقۃ . وقد ظهر في برلين في العام الماضى رجل قام بامثال هذه الاعمال جميعا وزاد عليها أنه كان يظهر للجمهور صليبا داميا على أديم ظهره ثم يخفيه ويهود الى اظهاره حسب إرادته . وقد قال هذا الرجل إنه رسم بموسى حلقة صليبا على ظهره بحيث لا يمكن أن تراه العين . حينما كان يريد اظهاره للناس يتسلط بقوة إرادته على الدورة الدموية فتدفع الدم الى خطوط ذلك الصليب ، فيظهر للناس دامياريها ، ثم يأمر الدورة الدموية بقوة إرادته فتمتص الدم من الصليب فتتمحى آثاره

﴿ يشنق نائم ﴾

وقد أمكن تحليل مكان عدم الشعور بالألم باستعمال قوة السيطرة العقلية على الجسم . بمآزاه في التنويم المغناطيسى حيث لا يشعر النائم بأى ألم تحدثه به أو ترجع لما يصاب به أثناء نومه . وأغرب من هذا ما حدث في مدينة شيكاغو إذ شنق شاب اسمه هارفى شيرش وهو نائم . فقد حوكم هذا الشاب ، من أجل حادثى قتل فظيعتين ثبتت أدانته فيهما وقضى عليه بالإعدام شنقا . وقد غلب الخوف والفرع ذلك السفاح ، فعمد الى السيطرة على نفسه ببطء الى أن غدا لا يشعر بشئ مطلقا مما حوله ، ولبت نائما في سبات عميق عدة أيام قبل تنفيذ الحكم وأخفقت كافة المحاولات لايقاظه ، وحل يوم التنفيذ غاب الوعي الى المشنقة حيث شنق وهو في غيبوبة وعدم شعور تامين . وهذا مما يعزز صدق الافعال التى يقوم بها فقراء الهنود وغيرهم ، إذ أن السيطرة على الجسم بقوة الارادة ، وتركيز القوى المعنوية الخفية ضد الشعور بالألم ، كل هذا يزعم اعتقادنا بأن هناك قوة غير طبيعية وخوارق شاذة ليس في مقدور البشر حل مہماتها

﴿ تخونه ارادته ﴾

وقد فحصت لجنة طبية في بومباي « الهند » فقيرا استطاع أن يوقف النبض في أحد ذراعيه دون الآخر وتمكن من أن يوقف دقات قلبه لمدة ستة ثوان حينما أمس قلبه بذلك . وقد استطاع أيضا أن يوقف حركة التنفس بضع دقائق وبقى بعد ذلك حيا . على أن قوة الارادة التى تمهد هؤلاء الناس التغلب على هذه الاشياء الخطيرة ، قد تخونهم في أخرج المواقف فلا يكون نصيبهم منها أقل من الموت ، كما حدث للفقيه « بلا كان » . فقد مارس هذا الرجل لعبة المكوث مدفونا تحت الرمل في أحد المسارح دون تنفس بضع ساعات ، وأجرى هذه اللعبة عشرات ومئات المرات كان يقوم بعدها دون أن يصاب بشئ . ولكن حدث مرة ، وهى الأخيرة أن أخرجوه بعد المدة المقررة . وقد فارق الحياة . فقد خانت الرجل قوة إرادته في أرباب موقف وأخطر ساعة

﴿ الموت والحياة بالارادة ﴾

ومن الممكن أن تتأثر الحياة والموت بالارادة ، ويعزز هذا القول مارواه أخيرا الماجور سميت حكمدار بوليس مستعمرة الساحل الذهبى فى إفريقيا ، ذلك أن أحد كبار الوطنيين المتعلمين ، تأثر من مشادة وشجار حدثا بينه وبين أحد مواطنيه فأعمل إرادته فى نفسه ومات فى اليوم التالى ، دون أن يكتشف الاطباء أى سبب لوفاة أو أى أثر لمرض فيه . انتهى

فقلت له : انك لم تفعل شيئا . ماهو إلا تكرار لما كتبناه هنا وهو ملخص ما كتبناه فى نفس هذا الموضوع فى ﴿ سورة الاسراء ﴾ وشرحنا نفس هذا الشرح فى (طهرا بك) المذكور وفى الرجل الألماني .

فقال : حقاً أنت قلت نفس هذه المعاني . فقلت : فاجد الله على العلم والحكمة . اللهم إنا نحمدك على الحكمة والعلم وانارة أعم الاسلام في هذا الزمان

(المبحث الثاني)

(من الفصل الثالث)

(في سبأ وسيل العرم ومجائب العلم والكشف الحديث)

قد ذكرت لك في أول السورة أن قوله تعالى : يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - واختصاص ذلك بهذه السورة ايدان بما حدث في هذا العصر من العلم والحكمة وظهور آثار عربية في البلاد السبئية فبهاه نزلت في أرض سبأ وخبثت في أرضها وبعلمه سبحانه استخرجت من أرضها وأظهرت النقوش في أحجارها سبحانه ربنا . قد كنت كتبت الفصل الثاني من تفسير هذه السورة منذ سنين وهو موجز السورة ولم أكن إذ ذاك لأطلع على ما عرفه الاورو بيون عن بلاد سبأ فكان القول اجاليا والعلم استنتاجيا . ثم ان العوائق وقفت في طريق اتمام التفسير ونشره نحو عشرين فاطلعت في أثناءها على الكشف الحديث المصدق للقرآن العجيب البيان . فلما أن أذن الله بالتفسير الآن أخذت أكتب ما رأيته وألخص ما علمته

علم الله بخزائن الأقدمين من أمنا العربية وطمرها في الأرض أجيالا وأجيالا فعاملنا معاملة الأيتام مات عائلهم والجهال غاب سائسهم وكثر اليتيم لا يسلم له إلا عند باوغه . لقد مضى على المسلمين زمن كانوا فيه غير راشدين بعد الخلفاء الراشدين بأجيال فعميت عليهم آثار آبائهم وناموا في كهفهم لا ثلثائة سنين وازدادوا تسعا بل ستمائة سنين وازدادوا ثمانية عشر

نام المسلمون واستيقظ الغريبيون وأخذوا يحاون الرموز ويكشفون الكنوز وقرؤا التوراة ، قرؤا فيها آثار اليمين فهاموا بالآثار والمسلمون قرؤوا في سبأ فلم يلقوا لها بالا ، فهم كالغلامين في المدينة والكنز تحت الحائط ، فأمر الخضر عليه السلام أن يظهر الكنز وهو مال مخزون وعلم منقوش ، هكذا المسلمون اليوم يتاحى وقد خزن في بقاعهم العلم والمال فلم يسلمه الله لهم ، ولكنه اليوم أراد سبحانه أن يسلم اليهم الأمانة فأرسل أولا علماء الفرنجة فأسوا خلال البلاد العينية واطلعوا على الخزائن الخفية والنقوش الحيرية والكتابة المسماية فرجعوا ابلادهم ناشرين واصور أعمال أجدادنا مظهرين وهاهوذا سبحانه أراد ولاراد لقضاه أن يظهر القرآن بالمظهر العلمي للعالم الاسلامي ويعلم أبناء المسلمين أن كتابنا الكريم يحضنا على بحث أعمال الأقدمين وان من لم يشكر النعمة بتقبلها وحفظها يسلبها الله منه ، بل أقول فوق ذلك إن ذكر هذا المقال في التفسير الآن من علامات اقبال الدهر على أمة الاسلام ، سيقرا هذا الشبان المسلمون والشيوخ الشرفيون فحدثهم نفوسهم أن يرجعوا مجددهم ويحفظوا كنزهم ويدرسوا ما كن في أرضهم ، سيكون ذلك في مصر وفي سوريا وفي العراق وفي اليمن ، وسيتولى الحث على هذا علماء الدين ، كيف لا . ألم تسم السورة باسم سبأ . ألم يذكر الله قصتها هنا ، نعم فبعلم الله وضعت الكنوز ورسمت النقوش ، وبعلم الله أخرجت وستخرج وبالوحي على رسول الله أنزل القرآن وفيه هذا السر المصون ، وبعلم الله جاء أمثال هذا التفسير ، فليشر المسلمون باقبال الأيام وظهور الحكمة والعلم في الاسلام ، فلا شرع في المقصود في هذا المقال ولأجعله ﴿ ثلاثة مقاصد ﴾ الأول ﴿ في الكاشفين لآثار سبأ ﴾ الثاني ﴿ في الكلام على مدينة مأرب ﴾ الثالث ﴿ في الكلام على سد العرم

(المقصد الأول في الكاشفين لآثار سبأ)

قد ذكرت لك في أول السورة أن أول من خطر له ذلك العالم الألماني (ميخائيلس) وهو عالم بالفلسفة

واللاهوت ومات سنة ١٧٩١ م وكان يميل الى نبد التقليد وينصب أهل النظر وهو المقترح على ملك الدنمارك ارسال البعثة الى اليمن سنة ١٧٥٦ ليحقق ما في التوراة من المسائل المتعلقة بجغرافية الشرق وعادات الشرقيين يا عجبنا : انظر كيف ألهم الله الأمم أن تحفظ التوراة التي هي مجموع حوادث وقصص وكم فيها من خلط ، ولكن الله لا يبقى شيئاً إلا لحكمة . فانظر كيف كانت التوراة سبباً في حب هذا العالم لكشف آثار اليمن . انظر كيف أحب القوم دينهم ولودخل قصصه التعريف . ومن حب الدين والمطالعة أحب كشف بلاد آبائنا . فإذا يقول المسلم بهذا . المسلم الذي يقرأ سورة سبأ والعرب في المسلم ربما كان من نسل سبأ . بل العرب في مصر والشام والعراق وشمال أفريقيا والحجاز يمتون بالنسب والجوار واللغة الى سبأ إذ الجميع عرب فهذه الأمم كلها لم تفكر في آياتها ولا في بلادها ولا في آثار دينها . ثم يجيء (ميخائيلس) فيقول (لفريدريك الخامس) ملك الدنمارك : **شكل لجنة وأبحث عن آثار سبأ** فأجابه الملك وأرسل خمسة علماء رئيسهم عالم اسمه (كارستن نيبوهر) . لماذا ؟ لتحقيق ما في التوراة عن اليمن . فإذا تم لهذه اللجنة ؟ سافرت في سنة ١٧٦١ الى الاستانة وصرت بمصر ووصلت اليمن سنة ١٧٦٢ م . فإذا حصل ؟ ماتوا بالتدريج من المشاق والعطش إلا الرئيس فرجع وألف كتاباً ونشر في أوروبا وقال انه عثر على (مدينة ظفار) و (حدافه) وفيهما نقوش يجهل اليهود والعرب حلها . ثم سافر (زيتسن) الألماني الى اليمن سنة ١٨١٠ فعثر في ظفار على ثلاثة نقوش وفي (عخا) على خمسة وهو في كل ذلك معرض للموت من عرب اليمن . ثم سافر ضابط انجليزى اسمه (ولستد) سنة ١٨٣٨ م فعثر على نقوش حيرته في قلعة يقال لها (حصن غراب) ووجد هو ومن معه نقوشاً من نفس مدينة مأرب التي كان فيها السد المشهور . ثم ذهب العالم (ارنو) الفرنسي سنة ١٨٤٣ وعاد معه (٥٦) نقشا كما تقدم من صنعاء والخريبه ومأرب وحرم بلقيس ، وكان (ارنو) هذا صيداليا لامام صنعاء فأشار عليه أحد أصحابه أن يحتال للوقوف على آثار مأرب التي يتحدث الناس عنها في أوروبا والمسلمون لا يعلمون عنها شيئاً مع انهم في أرضها ، فاحتال بحيلة : وذلك انه أظهر الفقر والمسكنة للبدو واصطحب مع قافلة فقاسى في تلك الرحلة العذاب والشدائد من الخوف والتعب ، وذلك انه مع غناه وثروته الطائلة قد تواضع لهؤلاء وهم يجهلون أمره فكانوا يكلفونه ما لا يطيق من الأعمال والمشاق ، ولم يتركوا له فرصة ينسخ فيها النقوش أو يطبعها فكان يفعل ذلك سرا تحت خطر القتل حتى أصيب برمد فعاد الى صنعاء أعشى فأرسل ما كان نسخه الى صديقه (فرسنل) قنصل فرنسا بجده الذي أشار عليه بذلك ، وقد نشرت أخبار تلك الرحلة بالجملة الاسيوية ، وفي بعض الأجزاء خريطة سد مأرب ، وهو أول من تمكن من مشاهدة تلك الآثار وقد حل العلماء نقوش (ارنو) سنة ١٨٤٥

ثم شككت **جمعية الآثار السامية** واهتم بذلك ناظر المعارف بباريس فأرسل المستشرق (هاليفي) سنة ١٨٦٩ مهتدياً عن قبله فرجع ومعه (٦٨٠) نقشا وهو في ذلك خائف وجل من العرب ، وكان يتظاهر وهو ينقل النقش بأنه راقد أو بأنه يصلي صلاة الاسلام . كل ذلك خوفاً أن يقتله العرب . واطلع (هاليفي) على بلاد الجوف مع ان علماء الجغرافيا يجهلون أهل صنعاء لا يعرفونها مع قربها منهم . ثم اطلع على بلاد (معين) عاصمة دولة المعينيين ولم يأت ذكرها إلا في كتب اليونانيين

ثم سافر العالم الألماني (ادوارد غلازر) ونقل ألف نقش من مأرب وغيرها وفي بعضها تاريخ سد مأرب واصلاحه . ثم سافر الى اليمن غير هؤلاء علماء فأتوا من فرنسا والنمسا . وبالجملة فان في متاحف أوروبا الآن عدداً كبيراً من آثار اليمن منها ما هو منقوش على البرونز والألواح والأحجار تزيد على ألفين قد نشر منها كثير في المجلات الألمانية والفرنسية والانكليزية

هذه صورة ما كشفه الأوروبيون من آثار اليمن ذكرتها ليفطن المسلمون وليقوم فيهم النخوة والحمية وليكونوا أمة عالية الشأن وليغاروا على مجدهم ودينهم . انتهى المقصد الأول

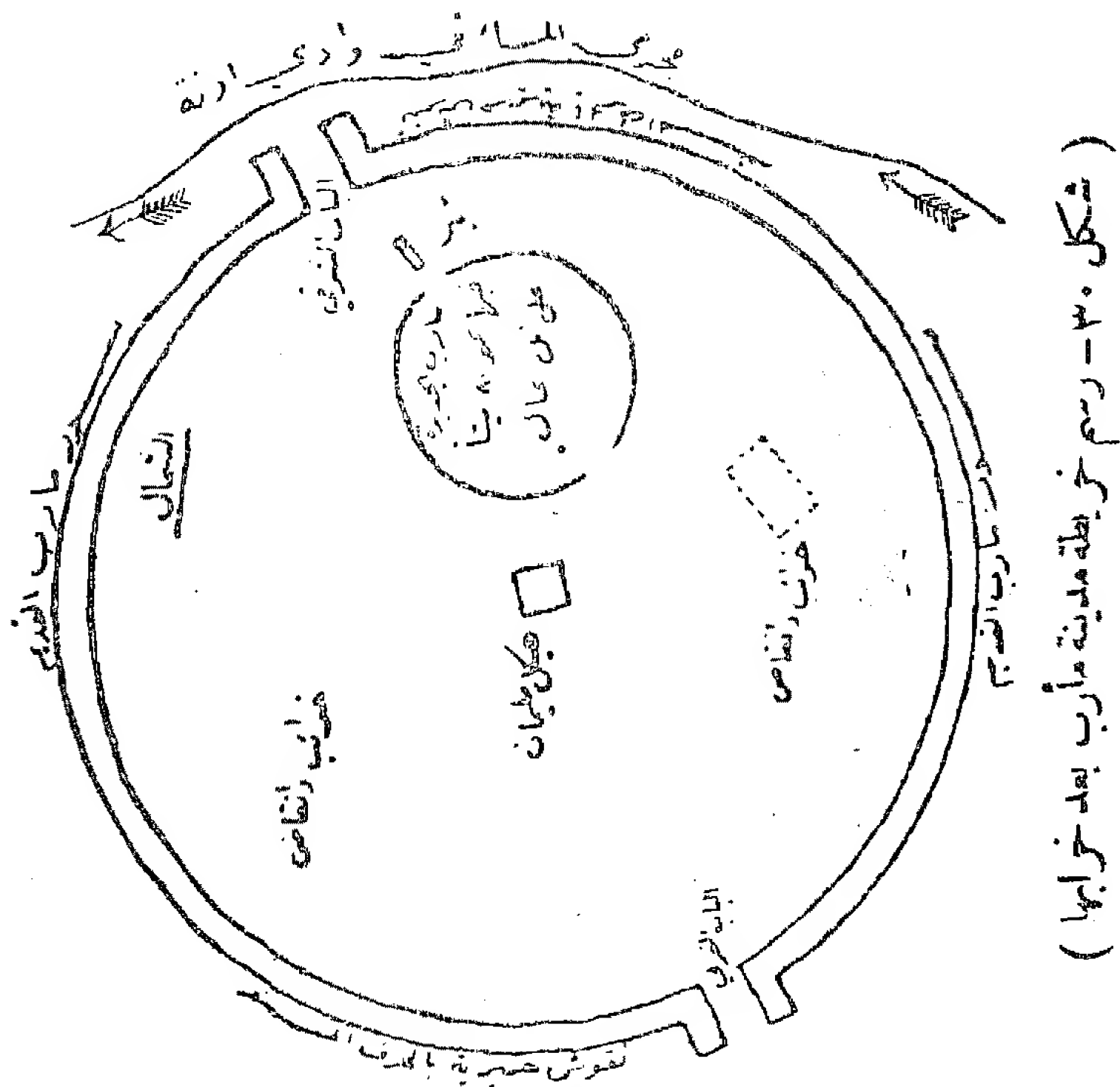
(المقصد الثاني في الكلام على مدينة مأرب)

اعلم أن اليعقوبي في القرن الثالث الهجري ذكر مخاليف اليمن التي كانت في عصره . وجاء الهمداني في كتابه « وصف جزيرة العرب » ففصل تلك المخاليف وقراها وأوديتها وجبالها وهذا الكتاب أوثق مصادر الكتب العربية وأوفاهها . وإليك تريد فهم المخاليف فأقول لك :

إن المخلاف وجهه مخاليف أشبه بما يقال له (مديرية) بالقطر المصري كالقورة عند قدمائنا أو الرستاق ويحكمه ملك صغير يسمى (قيل) وجهه أقال . والمخلاف يشتمل على محافد جمع محفد أشبه بالمركز في بلادنا المصرية فكل مخلاف مقسم إلى تلك المحافد والمحفد الواحد عبارة عن قصور والقصر الواحد كالقلعة أو الحصن و يعرف صاحب المحفد بلفظها (ذو) فيقال ذو محمدان وذو معين وهؤلاء الحكام يسمون الأذواء أو الذوين كاللوردات في أوروبا وقد يتغلب رجل منهم فيسمى نفسه ملكا عليهم جميعا ويتوارث الملك بنوه والذي عرف الآن ثلاثة الدولة المعينية والسبئية والحيرية وهي الدول الكبرى . أما الدولة المعينية فلا شأن لنا فيها . وأما دولة سبأ فهي الدولة التي نحن بصددنا الآن . واعلم أن التاريخ الذي وصل لنا عن تلك الدول غير موثوق به وهو مبني وغير منظم . وإنما يقال إن قطان أبو اليمن كلها وقد أتى من جهة بابل وتعلم اللغة العربية من العرب البائدة . ولعل القحطانيين لما جاؤا من بلاد ما بين النهرين وهم لم تدنسهم المدنية والترف اختلطوا بالعرب البائدة وتعلموا منهم على طول القرون والسنين ثم عدوا عربا . وقد ثبت الآن أن أهل سبأ أنشأوا دولة عظيمة وبلغ عدد ملوكها الذين قرؤهم على آثار مأرب وصرواح وغيرها بضعة وثلاثين ملكا . وقد حقق بعض العلماء أن دولة سبأ تبتدى سنة ٨٥ ق م وتنتهي سنة ١١٥ ق م ثم ظهرت دولة حير . أما دولة حير فقد كانت من سنة ١١٥ ق م إلى سنة ٥٢٥ م وآخرها دونواس وحكمها ٤٤ سنة ثم دخل الحبشة

ودولة سبأ التي كلامنا فيها كانت عاصمتها لما اتسع ملكهم (مأرب) التي كشفت حديثا بعد نقلها من (صرواح) وقد وجد في نقشها رسم ملك اسمه (يثعمر) وهالك رسم خريطة مدينة مأرب (انظر شكل ٣٠)

✽ خريطة مدينة مأرب بعد خرابها ✽



هذه خريطة مدينة مأرب القديمة وتسمى (عاصمة سبأ) وقد عرفت أن لها بابين أحدهما شرق والثاني غربى
قال الشاعر

ومأرب قد نطقت بلر خام وفي سقفها الذهب الأحمر
وهناك أشعار كثيرة قيلت فيها أعرضنا عن ذكرها . وهناك على مسافة نصف ساعة من مأرب نحو
الشرق الشمالى أنقاض بناء عظيم يقال له (حرم بلقيس) وهو غير قصر بلقيس
ها أنت ذا رأيت خريطة مدينة مأرب عاصمة سبأ التى ذكرها الله فى القرآن ، ثم انظر فى كتب التاريخ
العربية هل تجد لدولة سبأ ذكرا ؟ هل هناك دولة اسمها سبأ . كلا . انظر كيف يقولون « إن عرب اليمن ينسبون
الى يعرب بن قحطان » ويعرفون بالعرب المتعربة لأنهم تفرّبوا أى اتبسوا اللغة العربية من العرب العاربة
وهى البائدة ، ويقولون إن بنى قحطان لما نزلوا اليمن كان فيها بقية من العرب العاربة والملك والقحطانيون
كانوا لا يعرفون الملك والترف ثم كثروا وزاحوا العرب العاربة فأبادوهم وأنشأوا السولة القحطانية على أنقاض
البائدة ويقولون إن أول ملوكهم يعرب بن قحطان غلب على قوم عاد فى اليمن والعمالة فى الحجاز وولى اخوته على
جميع أعماله ، فولى جرهما على الحجاز وعاد بن قحطان على الشجر وحضر موت بن قحطان على جبال الشجر
وعثمان بن قحطان على عمان (انظر ابن خلدون) وبعده ابنه يشجب بن يعرب ثم عبد شمس وهو سبأ
لأنه كان كثير السبي ، وهو الذى بنى السد المشهور فى أرض مأرب ، وخلف سبأ المذكور أولادا منهم حمير
وكهلان ، ولما مات سبأ خلفه ابنه حمير مؤسس دولة حمير ودولة حمير (طبققان) الملوك والتبابعة وملوك حمير
آخرهم (الحارث الرائيش) وهو أول التبابعة ، ويقول بعضهم إن بين حمير والحارث الرائيش (١٥٠) أباً وفى
اقصيدة الحميرية عددهم جميعاً (١٦) فقط وجعلها أبو الفداء (١١) وابن خلدون (٨) والمسهودى (٥)
وأما التبابعة عند مؤرخى العرب قدمائنا فأولهم الحارث الرائيش وآخرهم (ذو جدن) وعددهم (٢٦)
تبعا حكموا (١٧٠٠) سنة

وهناك خاط وخطب فى هذه السنين والأعداد كما قلنا نفس المؤرخين . ولعلك تقول مالنا ولهذا التحقيق
والتدقيق وما لتفسير القرآن وأمثال هذه الجداول . أقول على رسلك : فكرفى أسماء الدول ، هل رأيت هناك
دولة تسمى (دولة سبأ) . كلا . وإنما هى دولة حمير الذى أبوه سبأ ودولة حمير بعد قرون انقلبت الى التبابعة
فاللذة كلها تقرب من أربعة آلاف سنة ما بين حمير بنى وتبابعة ، والتبع هو الملك الذى تبعه ملوك كالأباطور
الآن ، وليس هناك فى تاريخ أسلافنا دولة سبأ التبعة ، انظر كيف ذكر القرآن (سبأ) ولم يذكر حمير ، خالف
القرآن قول المؤرخين ، خالفهم كل المخالفة وجاءنا بدولة (سبأ) اظهارا للحقيقة ، ولقد ظهرت الآن وتبين أن
دولة سبأ هى التى أعارت على أمة يقال لها (معين) لم تذكر فى التاريخ وهذه الدولة عمرت طويلا كما رأيت
وانتقلت العاصمة من مأرب الى ريدان وهى ظفار بتغلب الحميريين على الملك . من هنا تبين لك أن القرآن
يوافق الكشف الحديث ، وقد كان ذلك مجهولا (١٣) قرنا وظهر الآن فهو من المعجزات للقرآن . انتهى
المقصد الثانى

(المقصد الثالث فى الكلام على سد المرم)

قد عرفت مدينة مأرب وانها كانت عاصمة دولة عظيمة وهى دولة سبأ ، وترى فى الجنوب الغربى من
مأرب سلسلة جبال متشعبة من جبل السراة تمتد مئات الأميال نحو الشرق الشمالى ، وبين هذه الجبال مسع
عظيم يتجه الى واد كبير يقال له (الميزاب الشرقى) فإذا أمطرت السماء على تلك الأقطار انتهت أخيرا الى
وادي (أذنه) وهو يملأ (١١٠٠) مترا عن سطح البحر فتسير فيه المياه الى مكان قبيل مأرب بثلاث ساعات

وهو مضيق بين جبلين يقال لكل منهما بلق ، أحدهما الأيمن والآخر الأيسر كما عبر القرآن وأخذها منه المرحوم (جورجى زيدان) والمسافة (٦٠٠) خطوة بينهما ، والسيل يجري بينهما من الغرب الجنوبي الى الشرق الشمالى فى واد هو (وادي أذنه)

ولما كان هذا الماء يجري من الجنوب الى الشمال بلا فائدة فسكار السبيون فى ذلك فبنوا (سد العرم) فى المضيق بين جبلى (بلق) وبين المضيق والمدينة (٣٠٠) ميل مربع فأصبحت جنان بسبب هذا السد ، وهذا السد طوله من الشرق الى الغرب ثمانمائة ذراع وعرضه عشرة ذراعا وعرضه (١٥٠) ذراعا وثلاثة الغربى وهو الأيمن لا يزال باقيا لآلآن معجزة للقرآن (انظره فى الخريطة) والثلاثان الباقيان فاض الماء منهما وعجزوا عن ترميمهما . وترى النقطة فى الخريطة لحدتيهما . ومما مثل العرم إلا كتل الخزانة التى تصنع اليوم فى مكوار على النيل الأزرق وجبل الأولياء على النيل الأبيض وخزان (اصوان) فيعابو الماء فيبقى الأرض . وإذا ترك ذهب الى البحر الأبيض المتوسط كما يجري الماء بين الجبلين هناك ويذهب فى الشمال والرمال بلا فائدة

هذا وقد عثر الباحثون على (نقشين * أحدهما) على الصدف الأيمن وهو (ان يشعمر بين بن سمهلى بنوف مكرب سبا خرق جبل بلق وبنى مصررة رحب اتسهيل الرى) والنقش الثانى على الصدف وهو (ان سمهلى بنوف بن ذمر على مكرب سبا اخترق بلق وبنى رحب اتسهيل الرى) فأحدهما ابن الآخر وكما فى القرن الثامن قبل الميلاد وهكذا يتوالى ملوك سبا ثم بنائوه . ولما أعياهم حفظ السد تفرقوا فى البلاد كما ذكره القرآن

قال الأصمغاني « إن السد تهدم قبل الاسلام بأربعمائة سنة » وقال ياقوت « انه هدم فى نحو اقرن السادس للميلاد » أى قبيل الاسلام ويؤخذ من كلام ابن خلدون انه تهدم فى القرن الخامس للميلاد ولا طائل فى هذا النقل إلا معرفة ما قاله المؤرخون

(الهمدانى وسد مأرب)

إن وف الهمدانى لسد مأرب مطابق للكشف الحديث وربما كان يقرأ المسند . قد ذكر الآية - لقد كان لسبأ - الى قوله - ورب غفور - . قال : (إن سبأ كثيرة الجباب والجنات عن يمين السد ويساره وهما اليوم غامرتان أى لازرع فيهما . وانما عفتا لما اندحق السد فارتفع عن أيدى السيول . وذكر انه وجد جذع نخلة أسود فقال من معه له انه بقى من مزارع الجنتين . فأما هو فقال لا أظن ذلك . قال ورأيت مقاسم الماء من مداخل السد فيما بين الضياع قائمة كأن صانعها فرغ من عملها بالأمس . ورأيت بناء أحد الصدفين وهو الذى يخرج منه الماء قائما بحاله على أوثق ما يكون ولا يتغير إلا ان شاء الله . قال وقد بقى من العرم شئ مما يلى الجنة اليسرى يكون عرض أسفله (١٥) ذراعا)

وقال تبارك وتعالى - فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل لخطأئهن وشئ من سدر قليل - قيل الخلل الاراك والأثل الطراف والسدر المعروف وهو العلب وبها من الاراك ما ليس ببلد . ومن الحمام المطوق فى الاراك ما يحل عن الصفة . وكان السيل يجمع من أماكن كثيرة ومواقع جنة باليمن (من عروش وجوانب ردمان وشرعة وذا روجهران وكومان واسبيل وكثير من مخاليف خولان) والوادي اسمه (اذنة) وفى هذا السد يقول الأعشى :

كفى ذاك للؤتسى أسوة * ومأرب قفى عليها العرم
رخام بناه له حسيير * اذا جاء مأوهم لم يرم
فأروى الحروث وأعناهم * على ساعة مأوهم ينقسم

فهاشوا بذلك في غبطة * فجاءهم جارف منهزم

فطار القيول وقياطها * يهيماء فيها سراب يطم

وكان الهرم مسندا الى حائط ما بين عضاد بالمنخر بهاذيب من الصخر عظام ملحمة ملى الأساس بالقطر » انتهى كلام الهمداني

وظل الناس مع ذلك في شك من أصل هذا السد حتى تمكن المستشرق الفرنسي أرنو من الوصول الى مأرب سنة ١٨٤٣ وشاهد آثاره ورسم له خريطة نشرت في المجلة الآسيوية الفرنسية سنة ١٨٧٤ وزار مأرب بعده هالبي وغلاز ووافقاه في قوله وصادقا على وصفه وهو يطابق ما قاله الهمداني من أكثر الوجوه . وعثروا في أثناء ذلك على نقوش كتابية في خرائب السد وغيره تحققوا بها خبره وأكثروا اشتغالا في هذا السبيل غلازرو بين الأساطير التي وقف عليها اثنتان جاء فيهما خبر ترميم السد في زمن الأحباش بالقرن السادس للميلاد فيدل ذلك على أنه ظل قائما الى قرب ظهور الاسلام . واهل السبب في نسبة بنائه وتهدمه الى عصور مختلفة وأشخاص مختلفين كثرة تصدعه وترميمه فكانوا يعدون كل تصدع تهدما وكل ترميم بناء

و بعد ما قدمناه من أقوال المؤرخين والنقايين بشأنه يحسن بنا الاتيان على أصل وضعه وما هو عليه الآن ويوضح ذلك (شكل ٣١ و (شكل ٣٢) الاتيان قريبا

(أصل وضع سد مأرب)

في الجنوب الغربي من مأرب سلسلة جبال هي شعاب من جبل السراة الشهير تمتد مئات من الأميال نحو الشرق الشمالي . وبين هذه الجبال أودية تصب في واد كبير يهبر عنه العرب بالميزاب الشرقي وهو أعظم أودية الشرق تميزاله عن ميزاب مور أعظم أودية الغرب المتشعبة من جبل السراة المذكور . وشعاب الميزاب الشرقي كثيرة تتجه في مصابها ومنحدراتها نحو الشرق الشمالي . وأشهر جبالها ومواضعها في ناحية رداع العرش وردمان وقرن والجبال المشرفة على سويق وفي ناحية ذمار بلد عنس جميعا وهو مخلاف واسع وبه بينون وهكر وفيها الهفاد العنسية وبلد كومان وبلد الحدا وجبل أسبيل ورجة وجبال بني وابش من مراد وغيرها ومخلاف ذي جرة وجهران وهران ومساقط بلد خولان من جنوبية ومانيامن من القحف (١)

فشعاب هذه المواضع وأوديتها اذا أمطرت السماء تجتمع فيها السيول وانحدرت حتى تنتهي أخيرا الى وادي أذنة وهو يعلو نحو ١٠٠ ، ١ متر عن سطح البحر فتسير فيه المياه نحو الشرق الشمالي حتى تنتهي الى مكان قبل مأرب بثلاث ساعات هو مضيق بين جبلين يقال لكل منهما بلق عبرنا عن أحدهما باليمن وعن الآخر باليسر والمسافة بينهما ستمائة خطوة (أو ذراع) ويسميهما الهمداني مأزهي مارب يجري السيل الاكبر بينهما من الغرب الجنوبي الى الشرق الشمالي في واد هو وادي أذنة

واليمن مثل سائر بلاد العرب ليس فيها أنهر وانما يستقي أهلها من السيول التي تجتمع من مياه المطر . فاذا أمطرت السماء فاضت السيول وزادت مياهها عن حاجة الناس فيذهب معظمها ضياعا في الرمال . فاذا انقضى فصل المطر ظمى القوم وجفت أغراسهم فكانوا إما في غريق أو في حريق قلما ينتفعون حتى في أيام السيل من استثمار البقاع العالية على منحدرات الجبال . وقد يفيض السيل حتى يسطو على المدن والقرى فيناله من أذاه أكثر مما ينالون من نفعه . فساقطهم الحاجة الى استنباط الحيلة في اختزان الماء ورفعها الى سفوح الجبال وتوزيعه على قدر الحاجة . فاختر السبأيون المضيق بين جبلي بلق وبنوا في غرضه سوراعظما عرف بسد مأرب أو سد العرم الذي نحن في صدده لرى ما يجاور مدينتهم (مأرب) من السهول أو سفوح الجبال

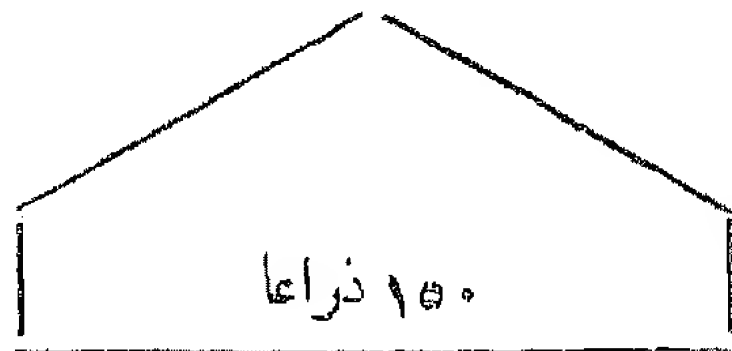
والجبال المذكوران بهدأن يتقاربا عند بلق بفرجان ويتسع الوادي بينهما . وعلى ثلاث ساعات منهما نحو

(١) الهمداني ٨٠

الشمال الشرقى مدينة (مأرب أو سبأ) فى الجانب الغربى أو الأيسر من وادى اذنة . فإذا جرى السيل حاذى بابها الشرقى (راجع الخريطة شكل ٣٠) وبين المضيق والمدينة متسع من الأرض تبلغ مساحة ما يحيط به من سفوح الجبال نحو ٣٠٠ ميل مربع (١) كانت جرداء قاحلة فأصبحت بعد تدبير المياه بالسدغياضا وبساتين على سفحى الجبلين وهى المعبر عنها بالجنتين بالشمال واليمين أو بالجنة اليمنى والجنة اليسرى

رسمه وكيف ينصرف الماء منه

والسد المشار اليه عبارة عن حائط ضخيم أقاموه فى عرض الوادى على نحو ١٥٠ ذراعا (أو خطوة) نحو الشمال الشرقى من المضيق وسموه «الهرم» وهو سد أعظم طوله من الشرق الى الغرب نحو ثمانمائة ذراع وعلاه بضعة عشر ذراعا وعرضه ١٥٠ ذراعا . لا يزال نحو ثلثه الغربى أو الأيمن باقيا الى الآن كما ترى فى الخريطة شكل ٣٢ (ج د ف هـ) وأما الثلثان الباقيان فهما اللذان تفجرا وفاض الماء منهما وعجزت الدولة عن ترميمهما وجرفت السيول انقاضهما . وقد نقطنا حديهما بالخارطة ليظهر امتداد السد على طوله كما كان فى أصله . بعرض الوادى ويظهر مما شاهدوه فى جزئه الباقي انه مبنى بالتراب والحجارة ينتهى أعلاه بسطحين مائلين على زاوية منفرجة تكسوهما طبقة من الحصى كالرصيف يمنع انجراف التراب عند تدفق المياه ولوقطعت ذلك الحائط أو السور قطعاً عرضيا لكان شكل مقطوعه على هذه الصورة



فالهرم يقف فى طريق السيل كالجبل المستعرض ويصد عنه الجرى فتجتمع مياهه وترتفع مثل ارتفاعها فى خزان أصوان باعلى النيل . وينتهى الهرم فى طرفيه بمصارف للماء يختلف شكلها وأساوبها عن مصارف خزان أصوان . وذلك أن الذين هندسوه جعلوا طرفيه عند الجبلين أبنية من حجارة ضخمة متينة فيها منافذ ينصرف منها الماء الى احدى الجنتين اليمنى أو اليسرى

فانشأوا عند قاعدة الجبل الايمن (الشرقى الجنوبي) وهو جبل بلق الايمن بنائين بشكل الخروط المقطوع (١ و ٢) علو كل منهما بضعة عشر ذراعا سموهما الصدفين أحدهما (١) قائم على الجبل نفسه والآخر (٢) الى يساره وبينهما فرجة عرضها خمس أقدام . وقاعدة الايمن منهما تماو قاعدة الايسر ثلاث أقدام (انظر رسمهما فى طرف الخريطة الى اليسار) والايسر مبنى من حجارة منحوتة يمتد منه نحو الشمال والشرق جدار طوله ٤ ذراعا ينتهى فى الهرم نفسه ويندغم فيه . وعلى الجدار المذكور مثل علو الصدف ومثل علو الهرم وفى جانب كل من الصدفين المذكورين عند وجهيهما المتقابلين ميزاب يقابل ميزابا فى الصدف الآخر . والميزابان مدرجان أى فى قاع كل منهما درجات من حجارة كالسلم الدرجة فوق الأخرى . ونظرا لشكل الصدفين المخروطى ولما يقتضيه شكل الميزاب السلمي أصبحت المسافة بينهما عند القاعدة أضغر منها عند القمة . وقد مثلنا الميزاب فى الخارطة بشكل (ع غ) كأنك تنظر اليه بجانب الصدف

ويظهر من وضع المخروطين أو الصدفين على هذه الصورة أن أصحاب ذلك السد كانوا يستخدمون المسافة بينهما مصرفا يسيل منه الى سفح جبل بلق الايمن فيسقى الجنة اليمنى . وانهم كانوا يقفلون المصرف بعوارض ضخمة من الخشب أو الحديد تنزل فى الميزابين عرضا كل عارضة فى درجة فتكون العارضة السفلى أقصرها جميعا

فوقها عارضة أطول منها فاطول إلى العليا وهي أطولها جميعا . والظاهر أن تلك العوارض كانت مصنوعة على شكل تتراكب فيه أو تتداخل حتى يتألف منها باب متين يسد المصرف، سدا محكما يمنع الماء من الانصراف الا عند الحاجة . فاذا بلغ الماء في علوه إلى قمة الصدفين رفعوا العارضة العليا فيجري الماء على ذلك الما إلى سفح الجبل في أقنية معدة لذلك وتقر أو أحواض لخزن الماء أو توزيها في سفح ذلك الجبل . فلا يزال الماء ينصرف حتى يهبط سطحه إلى مساواة العارضة الثانية فيقف حتى أرادوا ريا آخر نزعوا عارضة أخرى . وهكذا بالتدريج وعلى قدر الحاجة

وفي الطرف الأيسر من الهرم وهو الغربي الذي ينتهي بالجنة اليسرى بناء كالحائط (س ط م) دعونه السد الأيسر عرضه عند قاعدته ١٥ ذراعا وطوله نحو ٢٠ ذراع وبجانبه من اليمين مخروطان أو صدفان إيمان (٣ و ٤) أحدهما (٣) متصل بالهرم نفسه والآخر (٤) بينه وبين السد الأيسر فيتكون من ذلك مصرفان (٦ و ٧) مثل المصرف الأيمن لكل منهما ميزابان مدرجان متقابلان تنزل فيهما العوارض وتنزع حسب الحاجة لمصرف الماء إلى الجنة اليسرى . وينتهي الهرم من حده الغربي بحائط منجلي الشكل (د ف) مبني بحجارة منحوتة صلبة لهله الذي يسميه الهمداني « العضاد »

فكان السيل إذا جرى في وادي اذنة حتى تجاوز المضيق بين جبلي بلق صده الهرم عن الجرى فيتعالي ويتحول جانب منه نحو اليسار إلى السد الأيسر . فاذا أرادوا رى الجنة اليمنى رفعوا من العوارض بين الصدفين الأيمنين على قدر الحاجة وإذا أرادوا رى الجنة اليسرى صرفوا الماء من المصرفين (٧ و ٨) بنفس الطريقة فيجري الماء في أقنية وأحواض في سفح الجبل الأيسر حتى يأتي مأرب لأنها واقعة إلى اليسار كما تقدم

وسترى في (صحيفة ١٧٢) وهي الصفحة التالية رسم (خريطة بلاد العرب) في أيام دول اليمن من القرن الرابع عشر قبل الميلاد إلى السادس بعده . وسترى أيضا في (صحيفة ١٧٣) رسم خريطة سد مأرب أو سيل الهرم (انظر شكل ٣١) و (شكل ٣٢)



هأنت ذا أيها الذكيّ اطلعت على سد مأرب وهو سدّ الحرم وعرفت مدينة مأرب وعرفت أن دولة سبأ لم تكن معروفة في تاريخ أسلافنا ، فانظر كيف جاء الكشف الحديث كما في القرآن ، وانظر في كتب التفسير التي وصلت إلينا كالعشري والرازي والبيضاوي وأمثالها التي ألفها الفحول من العلماء ، كيف صرّوا عليها رحمهم الله ولم يذكروا غير تفسير يرجع أكثره الى لفظ القرآن

أفلا ترى أننا جئنا في عصر نسجيه بحق عصر القرآن ، هذا العصر الذي يظهر فيه بأجلى بيان هذا السد كما رأيت . فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وانظر كيف يقول علماء التاريخ (إن اليونان لم يعرفوا اسم حير قبل السنة العشرين قبل الميلاد ولم يكونوا يعرفون إلا سبأ لشهرتهم) وانظر كيف كان أسلافنا لا يعرفون إلا الحيريين والتبابعة وجاء القرآن بما هو حق في التاريخ

(عجائب القرآن في العصر العشرين)

يقصّ الله علينا قصص طوفان نوح . ويقص علينا قصص سدّ الحرم . ويقول إن سبأ أعرضوا ونارة يقول كفروا . فماذا جازاهم ؟ جازاهم بخراب الديار . لماذا هذا الجزاء ؟ لتفريطهم في السدّ سبحانه اللهم أنت الربّ المحمود فإذا هذا في دين الاسلام ؟ هذا هو المسمى فرض كفاية وما هو فرض الكفاية ؟ هو أن يقوم في الأمة أناس لكل عمل من أعمال الحياة فيحسبونه والاعواقب الجميع . ويقول امام الحرمين (فرض الكفاية أفضل من فرض العين) وأي منفعة للأمم أكثر من الماء والأنهار فانظر ماذا كتبت بعض مجلات مصر لما طفى النيل سنة طبع هذه السورة إذ ذكرت أن نهر الميسيني كاد يهلك الأمة فاجتمعوا لدرء خطره . أليس هذا هو الذي أنذره نوح قومه . وهذا هو الذي أهلك سبأ ؟ إذن القرآن يجعل اهمال أعمال الدولة تارة كفرا وتارة اعراضا ويجازي بالهلاك . والمراد بالكفر كفر النعمة وبجرائه في الدنيا اهلاك وفي الآخرة العذاب . إذن في القرآن أسرار تظهر اليوم بالعلم . فانظر المقال التالي وهالك نصه :

(عبرة لمصر والمصريين)

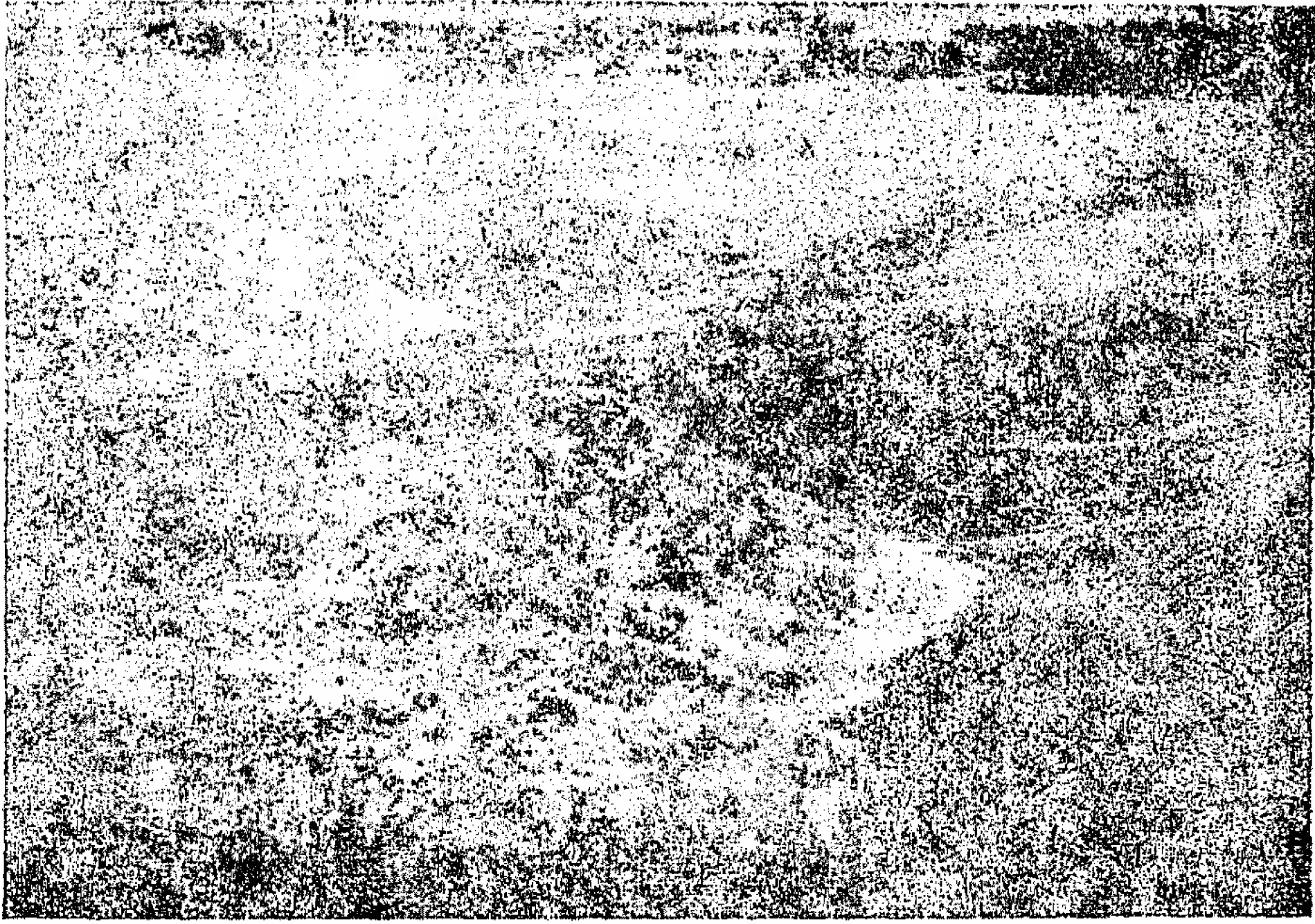
(كارثة فيضان نهر الميسيني - بمناسبة ارتفاع مياه النيل في نحو سنة ١٩٢٨)

مضت أسابيع والأنباء تترى بارتفاع مياه النيل ارتفاعا لم تألفه مصر من قبل وقذبات يهتد المدائن والقرى والارواح والأملاك . ولقد اتخذت الحكومة لهذا الأمر الخطير أهبة بقدر ما تستطيع حكومة أن تفعل وأنا انسر إذ نراها تعتمد الى بهت قانون (الهوة) لحراسة الجسور والى انشاء خط دفاع ثان يقي البلاد غوائل الفيضان ولكننا الى جانب ذلك نحزن إذ نرى الأهالي يتبرّمون بهذين الاحتياطين ويرون في الأوّل تسخييرا للناس فيما لا يليق بكرامتهم أن يسخروا فيه ويرون في الثاني تبديدا لأموال طائفة في سبيل اتقاء خطر من عوم . ولا شك أن أوثك المتبرّمين لا يدركون ما قد يصيبهم من الرزايا في أموالهم وأرواحهم لو فاض النيل وتقطعت جسوره وتدفقت مياهه تفرغ الأرض وتكتسح الزرع والضرع ولا تبقى ولا تبق ويجهلون أن جسور النيل الرخوة قد تكون أوهى جسور الأنهر الكبيرة في العالم وإن أراضى مصر سهل إذا جرى فيه الفيض لا يجد جبلا يصده أو تلا يحصى وراءه قرية أو مدينة . والواقع أنه أصبح من أوجب الأمور على الحكومة أن تنظم من الآن طرق وقاية البلاد بتدعيم الجسور تدعما يضمن دفع ذلك الخطر كما أصبح من أوجب الأمور على سكان وادى النيل أن يلبوا دعوة الحكومة متى دعيتهم ليعاونوها بكافة ما يستطيعون لتقوية الشاطئين . ولكي يدرك الناس أهمية ما تدعو الحكومة وتدعوهم اليه نصف لهم كيف حلت بالولايات المتحدة الأمريكية منذ عامين تلك الكارثة الهائلة التي ترتبت على فيضان نهر الميسيني حتى إذا ما أدركوا مدى الأخطار التي تنجم من اهمال الجسور

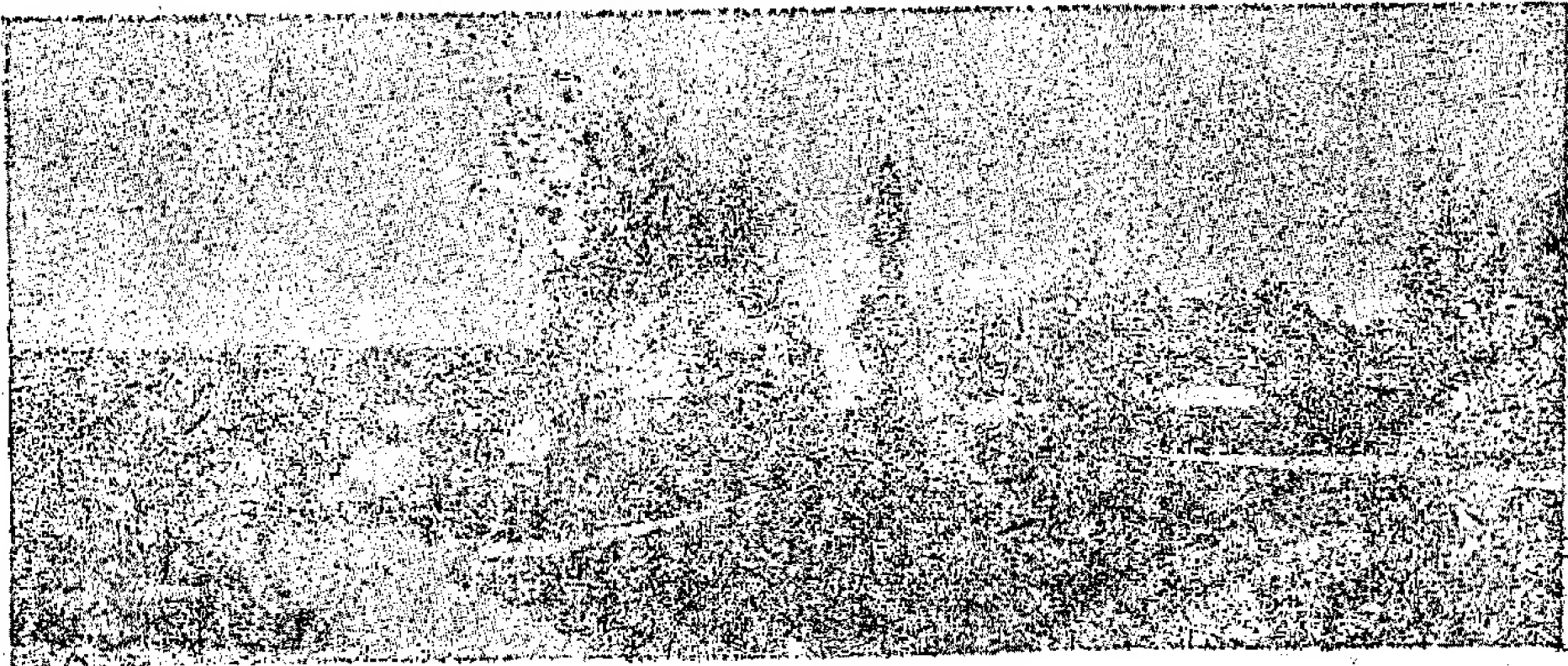
هرعوا الى القيام بما تمليه عليهم تلك الأخطار من الاحتياطات

نهر المسيسيبي أكبر أنهار الدنيا طولاً وعرضاً . يبلغ طوله خمسة آلاف كيلومتر ، و يبلغ عرضه من ألف الى ألف وخمسمائة متر ولكنه يتسع في بعض الأماكن حتى يبلغ خمسة وثلاثين كيلومتراً ، وتسير مياهه سيراً وئيداً من الشمال الى الجنوب فتشطر الولايات المتحدة شطرين متساويين وتقطع الموجة المسافة بين المنبع والمصب في ستة أسابيع وتجمع هذه الكميات الهائلة من المياه عند المصب الضيق الذي لا يتجاوز عرضه سبعمائة وخمسين متراً ثم تنصب في خليج المكسيك بمعدل ثمانين ألف متر مكعب في الثانية الواحدة . أما الخطر الذي يهدد الولايات المتحدة كل عام فناشئ عن غزارة مياه النهر واتساع مساحة حوضه مع ضيق مصبه ضيقاً يجعل تلك الكميات العظيمة من الماء تتجمع بوفرة مخيفة عند هذا المصب فتصعد ما وراءها فترتفع المياه وتفيض على الجانبيين أحياناً وأحياناً لا تقوى الجسور على تحمل ضغطها فتقطع وعندئذ تندفع المياه بقوة تجرف كل ما تصادفه في طريقها ، ولقد حدث في عام ١٩١٣ أن فاض المسيسيبي فبلغت الخسائر في (مقاطعة الاوهيو) وحدها أربعة وعشرين مليوناً من الجنيهات وهلك من الأنفس البشرية خمسمائة ، وهذه الكارثة مع فدايتها لا تعد شيئاً يذكر إذا قيست الى الكارثة التي حلت بأمريكا عام ١٩٢٧ م والتي نحن بصدددها في هذا المقال

لاحظ السكان في ربيع سنة ١٩٢٧ م أن الأمطار تهطل بغزارة لم يروا مثلها من قبل وأن الشاوج تنهار من أعالي الجبال وتذوب بسرعة غير مألوفة ثم تهوى الى نهر المسيسيبي فتزيد مياهه ارتفاعاً ، ولاحظوا أيضاً أن فروع النهر قد علت مياهها بنسبة لم يعهدوا لها مثيلاً ولكنهم ظاؤا رغم هذه العلامات الخطرة آمنين مطمئنين معتمدين على متانة الجسور وقوتها ، والحقيقة أن جسور المسيسيبي من أقوى وأضخم المشروعات التي حققتها يد الانسان في العصور الحديثة ، فهي تمتد على طول النهر وترتفع الى عشرة أمتار فوق سطح الماء في الأوقات العادية وتتسع حتى يبلغ عرضها خمسين متراً . ويسهر على رعايتها ومراقبتها بضعة آلاف من العمال ، وقد نصبت بين كل مسافة وأخرى آلات التلفراف والتليفون وأقيمت محطة رئيسية تتصل بجميع المحطات الأخرى في وقت واحد لتنبيهها الى الخطر في الوقت المناسب ، ولا يمر أسبوع إلا ويطوف المهندسون يرتادون الجسور لفحصها ، وقد خصصت الحكومة عدة ملايين من الجنيهات تقطعها كل عام من ميزانيتها لحساب تلك الجسور ظل السكان آمنين مدة أربعة وعشرين عاماً حتى كانت سنة ١٩٢٧ نقاب اعتمادهم على قوة منشآتهم وأيقنوا أن قوة الطبيعة أكبر من أن تغالبها قوة الانسان ، ففي السادس عشر من شهر ابريل نقل البرق الى واشنطن أن النهر قد خرج من مجراه فظن أولوا الأمر أن الخطب يسير وأملوا أن يتداركوه ، ولكن الفيضان كان يزداد من ساعة الى أخرى حتى أضحت الوسائل المقامة لصيانة الجسور عديمة الجدوى لانقيد ، وتحول الفيضان الى كارثة لم يسمع بمثلها بنو الانسان ، لم يمض يومان حتى غمرت المياه سبع ولايات وحتى بانق مساحات كبيرة من الميسوري والاركنساس وكنتوكي وتينيسي ولويزيانا وتكساس تحت الماء ، ثم انحدرت مياه النهر على الأراضي الزراعية فغطتها وكونت فوقها طبقة مائية ذات ارتفاع يبلغ ثمانية أمتار ، وقد انجلى السكان عن ثلاثين مدينة وتركوا مئات من القرى نهبا للماء الذي ظل يرتفع ويغذى فروع النهر حتى انهارت جسورها هي الأخرى وعند ذلك جلّ الخطب وعظم المصائب (انظر شكل ٣٣) و (شكل ٣٤ في الصفحة التالية)



(شكل ٣٣ - مياه نهر المسيسيبي ترتفع على الجانبين بالقرب من (نيو أورليانز) وقد ارتفعت على المنازل وأغرقت القرى)



(شكل ٣٤ - نسف أحد جوانب المسيسيبي حتى تتدفق المياه من الفتحة التي يحدثها النسف الى سهل مجاور للنهر فيخف الضغط عن (نيو أورليانز) وتنجو من الفرق)

وكأنما أبت عناصر الطبيعة إلا أن تتعاون في التخريب والتدمير فقامت زوابع وهبت عواصف قطعت أسلاك التليفون والتلغراف وعطلت وسائل المواصلات بين الولايات المنكوبة وجاراتها وقضت على كل محاولة للانتقاذ ، أفرغت الحكومة قصارى جهدها لحصر الكارثة وتخفيف آثارها فسيرت القطارات السريعة تحمل فيالق كاملة من الجيش تحفظ النظام بين المنكوبين وتعاون السكان والعمال فيما يحتاجون الى المعاونة فيه . وسيرت أسراب الطائرات تحمل الأطباء والعقاقير والمؤن لاسعاف الضحايا والمصابين . ولكن الحالة تفاقمت باطراد ارتفاع الماء حتى أبلغ المهندسون حكومتهم « أنها اذا لم تبذل أكبر الجهود وأضخم النفقات لتحاصر الفيضان فستبلغ الخسائر في الأرواح والأموال مبلغا لا تحصىه الأرقام »

وقد كان ماخاف المهندسون أن يكون و بلغ الفيضان أشده وتدفقت سيول النهر تكتسح في طريقها المدائن والقري والكبارى والعمائر والجسور حتى بات أكثر من مائتي ألف نفس من سكان مناطق المسيسي بالامأري ولا مأكل وطفت الجثث البشرية تغطي سطح الماء

رأت الحكومة الأمريكية نفسها عندئذ عاجزة عن مقاومة هذه الكارثة اذا هي اقتضت على ماليتها من الوسائل فأصدر الرئيس (كوليدج) نداء ناشد فيه الشعب الأمريكي أن يهب بأسره ليشترك في عملية الانقاذ فتقاطر المهندسون والبنائون والعمال والأطباء والمرضى من كل صوب وأقبلوا جميعا يلبنون نداء الحكومة ويسعفون اخوانهم المنكوبين وأشرف رئيس الجمهورية ووزرائها على اجراءات المقاومة والاعانة وظن الناس أن هذا الجهد العظيم لا محالة منتج خير النتائج ، ولكن ما الذى تستطيعه حيل الانسان اذا تألبت عليه عناصر الطبيعة العمياء ؟

أخذت الأمطار تهطل طوفانا في المناطق الشمالية فتزيد مياه النهر ارتفاعا ، والريح الصرصر العاتية تهب بهنف فتعندم كل وسائل المواصلات بين المناطق المنكوبة وسائر بلاد السولة فاشتدت وطأة الفيضان على الأرض ، واشتدت أيضا وطأة المجاعة على الناس وارتدت أسراب الطيارات على أعقابها بما حملت من أقوات وملابس وعقاقير وهي لا تقوى على مقاومة العواصف والأعاصير الهوجاء ، وهكذا بقيت مئات الألوف من الناس لا يجدون كهفا يلجؤون اليه ولا قمة يتلفون بها ، وكأنما أبت عناصر الطبيعة إلا أن تمنع في التشكيل بهم فأرسلت عليهم موجة من البرد أودت بحياة الكثيرين ، ولقد كان السكان يفرّون أمام الماء والماء يتعقبهم حتى التجأ ستة آلاف شخص الى لسان من الأرض ظنوه يعصمهم من الطوفان الذى يطلبهم ولكن سرعان ما أحاط بهم الماء وكاد يبتلعهم لولا أن تداركتهم همة الحكومة بفيلقين من الجيش أنقذاهم من بين براثن الموت ، ولكن يدرك القارىء ضخامة الوسائل التى عمد اليها الشعب لمعاونة الحكومة نقول : إن جمعية الصليب الأحمر وحدها استخدمت أربعين ألف سيارة وخمسين ألف سفينة ما بين تجارية وذات شراع ، وإن الأهالى قدموا للحكومة كل ما يملكون من سيارات وعربات وخيول وزوارق وسفن حتى أصحاب اليخوت الجيلة لم يثنوا بها ووضعوها تحت تصرف المنقذين ، ولقد كان المنقذون يخطرون بأرواحهم كلما زجوا بأنفسهم فى المناطق المغمورة بالمياه حتى إن سفينة كبيرة غرقت بربانها وبحارنها وهي تحاول انزال كمية من الأسمنت لمحاصرة الفيضان ، وإلى هنا قُدرت الخسارة المادية بمائتي مليون من الجنيهات ، ولو وقف الخطب عند هذا الحد لكان ، ولكن ما وفى اليوم السابع والعشرون من شهر ابريل حتى بدأ الفيضان يهدد المدن الكبرى فانتقل رئيس الجمهورية ووزرائه الى مكان الفاجعة وهناك ألغوا مدينة اركنساس غارقة لا يبدو منها غير سطوح المنازل والقباب وألقوا المياه تنذر مدينة (نيو أورليانس) بنفس هذا المصير ، عندئذ استولى الذعر على النفوس ووجدت الحكومة نفسها بين (أمرين) إما أن تترك المدينة العظيمة فريسة لطغيان النهر ، وإما أن تحوّل جريان السيل الى الأراضى الزراعية فتضحي بثروة لا تحصى وبمحاصيل اذا ضاعت آذنت البلاد بنقص فى الأقوات لا يقدر ، وكان الفيضان يقترب والآفة تأزف ، وقد عجزت مائة وخمسون ألف عامل عن تحويل مجرى الماء وبدأت المنازل تنهدم مئات مئات ، وارتفع الماء فوق سطح الأرض خمسة أمتار ، ورفرف الموت بجناحيه على (نيو أورليانس) الزاهرة الفنية بما تحويه من الثروات وكنوز الفنون ، عندئذ لم تتردد الحكومة فى اختيار أخف المصيرتين وأصدرت الأوامر لنسف الجسور بالديناميت حتى تتدفق منها المياه الى المزارع والحقول ولكن الحكومة إذ أصدرت تلك الأوامر لم تفكر فيما ستلقاه من مقاومة أصحاب هذه المزارع والحقول . فما اتصل بالزارعين والملاك نبأ اعتزام الحكومة نسف الجسور فى سبيل المحافظة على مدينة لازرع لهم فيها ولا ضرع حتى هبوا صفوفًا مسلحة يندرون حكومتهم بالحرب اذا هى لم تعدل عن عزمها الخطير . ولكن الحكومة

بادرت فاتخذت لهذا الطارئ الجديد عتته فأرسلت اليهم الجنرال (باركر) على رأس جيش كبير . وأعلنت الأحكام العرفية ونصبت قائد جيشها حاكماً بأمره يحكم بما يقتضيه الموقف من الحزم والصرامة وصرحت انها ستحل النظام محل الفوضى مهما كلفها الأمر وأمهلت الثوار نصف يوم ليلقوا السلاح . ولكن ذهبت كل هذه الاجراءات سدى وهب المزارعون يدافعون عن أموالهم فشبقت بين الفريقين معارك حامية استعمل فيها الفلاحون القنابل والمقراليوزات وانتهى الأمر بانتصار جيش الحكومة ونسفت الجسور في ثمانية وأربعين مكاناً وعلى طول بضعة كيلومترات وقد استخُدم في هذه العملية وحدها عشرة آلاف من العمال ، وهكذا استطاع أولو الأمر أن ينقذوا مدينة (نيو أورليانس) بتضحية مائة وخمسة وسبعين ألف كيلومتر مربع من الأرض ملائى بالمحاصيل والخيرات وبحرمان خمسمائة ألف نسمة من الأقوات والأرزاق وبعجوة عشرات من المدن ومئات من القرى من فوق سطح المغمورة وبتحويل هذه المساحات الشاسعة العاصرة الآهلة الى بحر ما كان نوح ليحجراً أن يجري عليه بسفينته ، وها قد صرّت على الفاجعة سنتان وقد أقامت السماء وبلغت الأرض ماءها وعاد الناس يستوون على هذه الأرض التي كانت بالأمس عمراً ففقدت قفراً يحاولون أن يصلحوا ما أفسد الدهر ولكن كم يمضي من السنين حتى تسترد هذه الخرائب عزها البائد وزهوها الزائل وكم تنفق أميركا من المال لتحيا بيد الإنسان ما أودت به عناصر الطبيعة العمياء انتهى ماجاء في المجلة المذكورة والله أعلم

فلما اطلع على ذلك صاحي الذي اعتاد أن يسألني في هذا التفسير . قال : لقد جعلت طوفان أميركا كطوفان سدّ العرم ، وأبنت أن أهل أميركا قوم ذوو وجدّ ونشاط وأن الحكومة قوية ومتينة وأن حكومة سبأ كانت ضعيفة جاهلة فتهتّم سدّها ، وافى والله لقي عجب أن تكون الحكومات الاسلامية في بلاد اليمن وغير اليمن لم تفكر كما فكر أهل سبأ فضلاً عن أن تكون كأهل أميركا . فهل لك أن تفيض القول في أمر سدّ العرم فتبين لي ﴿أميرين : الأول﴾ هل هناك أسداده غير سدّ العرم ببلاد اليمن ﴿الثاني﴾ من هذا الذي بنى سدّ العرم ؟ بطريق أوضح مما تقدّم اذا ذكرت لي ذلك فانك تكون خدمت أمم العرب المسلمين إذ يعلمون أن الكافرين قبلهم كانوا أعمر لبلاد الله منهم فيفكرون إذن ويجهتدون في ذلك . فقلت : أما الأسداده فاسمع ما قاله مؤلف كتاب « تاريخ العرب قبل الاسلام » وهالك نصه

﴿ الأسداده ﴾

ومن أدلة العمارة في (بلاد اليمن) الأسداده وهي جدران ضخمة كانوا يقيمونها في عرض الأودية لحجز السيول ورفع المياه لرى الأراضي المرتفعة كما يفعل أهل التمدن الحديث في بناء الخزانات ، وانما عهد العرب الى بناء الأسداده لقلّة المياه في بلادهم مع رغبتهم في إحياء زراعتها فلم يدعوا واديا يمكن استثمار جانيه بالماء إلا سحّروا سبله بسدّ ، فتسكّثت الأسداده بتسكّث الأودية حتى تجاوزت المئات ، وذكر الهمداني في محصب العلو من مخاليف اليمن وحده ثمانين سداً والى ذلك أشار شاعرهم بقوله :

وبالبقعة الخضراء من أرض يحصب * ثمانون سداً تقذف الماء سائلاً

وكانوا يسمون كل سدّ باسم خاص به أو بالاضافة الى بلده ، فن كبار هذه الأسداده قصهان وربوان وهو سدّ قتاب وشهران وطمّحان وسدّ عباد وسدّ لحج (وهو سدّ عرايس) وسدّ سحر وسدّ ذي شهال وسدّ ذي رعين وسدّ نقاطة عند قرية ذي ربيع وسدّ نصار وهران وسدّ الشعباني وسدّ المليكي وسدّ النواصي وسدّ المهباد وباقيها لطاف

وأشهر أسداده اليمن (العرم) وهو سدّ مأرب الشهير الذي تقدم الكلام عليه ، وسدّ الخائق بصعدة بناه

نوال بن عتيك مولى سيف بن ذي يزن في القرن السادس للميلاد ومظهره في الحنفريين من رحبان . وقد أضر به
ابراهيم بن موسى العلوي بعد هدم صعدة . وسد ريمان لابن ذي ماذن وسد سيان . وأسداد بلاد عنس منها
سد خيرة وسد بيت كلاب في ظاهر همدان وآخر في ظاهر دعان وسد شبام قرب صنعاء على ثمانية فراسخ منها
ولم يقتصر بناء العرب للأسداد على ما بنوه في جزيرة العرب ففي مكران و بلوتستان في عدوة خليج فارس
الشرقية آثار اسداد كثيرة لا يعرف عنها أهل تلك الناحية شيئاً فلعل بعض العرب نزحوا الى تلك البقاع قديماً
وابتدوا فيها تلك الاسداد

وأما الذي بنى سد العرم بطريق أوضح مما تقدم فاسمع ما جاء في الكتاب المذكور وهالك نصه : « وقد عثر النقبون
في أنقاض سد مأرب على نقوش كتابية بالحرف المسند استدلوا منها على بانيه أهمها نقشان أحدهما على الصدف الأيمن
الملاصق للجنة اليمنى تفسيره « أن يشعمر بين بن سمه على ينوف مكرب سبا خرق جبل بلق و بنى منصرف رجب
لتهليل الري » والآخر على الصدف الآخر تفسيره « أن سمه على ينوف بن ذمر على مكرب سبا اخترق بلق
و بنى رجب لتهليل الري » وسمه على هذا هو والد يشعمر المذكور وكل منهما بنى صدفاً أو حائطا وكلاهما من
أهل القرن الثامن قبل الميلاد . فهما مؤسساه لم يتمكننا من إتمامه فأتمه خلفاؤهما و بنى كل منهم جزءاً
نقش اسمه عليه . فعلى المخروط أو الصدف في اليسار نقش قرأ منه « كرب أيل بين بن يشعمر مكرب سبا بنى »
وعلى جزء آخر من السد اسم « ذمر على ذرح ملك سبا » وفي محمل آخر اسم « يدع ايل وتار » وعلى السد
اليسر مما يلي الجنة اليسرى عدة نقوش يمثل هذا المعنى مما يدل على أن هذا السد لم يستأثر ببنائه ملك واحد
تلك هي العادة في تشييد الأبنية الكبيرة بكل زمان

أما تهديمه فالعرب يقولون انه حدث فجأة ففرقت قبائل الأزد وغيرها في جزيرة العرب بسبب ذلك . ويؤخذ
من مجمل أقوالهم أن ذلك وقع حوالي تاريخ الميلاد أي نحو ظهور دولة حبر (ملوك سبا وريدان) وانتقال عاصمة
السبائيين الى ظفار . فالظاهر أن السد تصدىح حينئذ للمرة الأولى فرمود وظلوا خائفين منه فتحولت عنايتهم الى
تعمير ظفار وقل تمسكهم بالبقاء في مأرب فصاروا ينزحون بطوناً وأفراداً لأسباب مختلفة ومنها التقحط وغيره
وأخذت مأرب بالتقهقر وكلما انفتق العرم من ناحية زهمود الى قبيل الاسلام فتهدم وأهملوه

ووفق غلاز في أثناء زيارته أنقاض ذلك السد الى اكتشاف أثرين عليهما كتابة مطولة تتعلق بتهدم السد
بعد دخول اليمن في حوزة الأحباش أحدهما مؤرخ سنة ٥٣٩ م والآخر سنة ٥٦٥ م وهما من أهم ما وقفوا
عليه من آثار تلك الدولة لما فيهما من الاشارات التاريخية والاجتماعية والعلائق السياسية أحدهما كتبه أبرهة
الجبشى وهذه خلاصة : « بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه والروح القدس ان أبرهة عزيز الأحباش الاكسوميين
ملك أراجيس زيمان ملك سبا وذوريدان وحضر موت ويمت وأعرابهم في نجد وتهامة قد نقش هذا الأثر
تذكراً لتغلبه على يزيد بن كبشة عامله الذي كان قد ولد كندة ودى وعينه قائداً ومعه اقبال سبا الصحاريين
وهم مرة وثمامة وحنش ومرثد وصنف ذو خليل واليزنيون اقبال معدي كرب بن السمينع وهفان واخوته
ابناء الاسلام فانفذ الملك اليه الجراح دازنبور فقتله يزيد وهدم قصر كندار وحشد من اطاعه من كندة وحرب
وحضر موت وفر هيجان الدماري الى مهران . وبلغ الملك الاستصراخ فنهض بجنده الأحباش والحيريين
ألوفاً في شهر ذو القياط ٦٥٧ (من تاريخ اليمن) فنزل أودية سبا . فجاء يزيد وبايع وخضع للملك بين يدي
القواد . وهم في ذلك جاءهم النبا بتهدم السد والحائط والخوض والمصرف في شهر ذو المذرج سنة ٦٥٧ فامر
بالعفو . وبعث الى القبائل بانفاذ الحجارة للأساس والحجر الخام والأخشاب ورصاص الصب . لترميم السد في مأرب
فتوجه أولاً الى مأرب صلى في كنيسة ثم عمداً الى الترميم فنبشوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليه
وعلم وهو في ذلك أن القبائل تضايقت من العمل ورأى اعدائهم يعود بالضرر فعفا عنهم أحباشهم وحيرهم

وأذن بالنصرافهم . ورجع الملك الى مأرب بعد أن عقد تحالفا مع الأقبال الآتي ذكرهم : اكسوم ذو ماهر
ابن الملك وصرجف ذو ذرناح وعادل ذو فائش واذواء شولمان وشعبان ورعين وهمدان والسكلاع . الخ وجاء
اليه وفد النجاشي ووفده ملك الروم ورسول من المنذر وآخر من الحارث بن جيلة وآخرون جاؤا بعون الرحمن
يخطبون مودته . في أواخر شهر داران وبعثوا اليه من غلة أراضيهم لترميم ما انصدع من البناء فرمى به ووسعوه
حتى بلغ طوله ٤٥ ذراعا وارتفاعه ٣٥ ذراعا (ثم ذكر ما انفق فيه من الحجارة والأطعمة للعملة والحيوانات للعمل)
واستغرق العمل في ذلك ٥٨ يوما و ١١ شهرا وكان الفراغ منه في شهر ذو مهران سنة ٦٥٨ هـ

وهذه السنة في حساب الحيريين تعدل سنة ٥٤٣ للميلاد لانهم كانوا يبدأون تاريخهم سنة ١١٥ قبل الميلاد
ولغلازر كلام في هذا الشأن سنأتي عليه في الكلام عن التوقيت عند العرب ونكتفي هنا بالإشارة الى تاريخ
الفتح من نقش حصن غراب فقد رأيت أنه سنة ٦٤ هـ هجرية أو حبشية والمعول عليه أنه كان سنة ٣٣٥ ميلادية
والفرق بينهما ١١٥ سنة . انتهى من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام

﴿ تذكرة ﴾

أما أن للمسلمين أن يستيقظوا . ايه يا أمة الاسلام . ايه يا أمة الاسلام . أهكذا يكون المسلمون . هاأنتم
أولاء رأيتم أعمال الأمم الغابرة والدول الفاتنة وشاهدتم سد العرم صنع الجاهلية الأولى ، صنع أهل سبأ قبل
الميلاد بنحو ثمانية قرون ، هل بهذا أمر القرآن ؟ أيحتمل في دين المروءة والتجدة والشرف أن يكون
الجاهليون يعمرن أرض الله أكثر من المسلمين ، هل لهذا جاء نبينا ﷺ ؟ ألم يحىء نبينا راحة للعالمين
وكيف يحفظ الجاهلية الماء بين البلقين ويسقون به الأرض والجنات هناك عن يمين وشمال قائمتان ثم يحىء
الاسلام فلا يساوى أهله في العمران الجاهلية مع انهم كانوا الأولى بحفظ نعم الله ، هم الأولى بشكر النعمة ،
وشكرها بحفظها والقيام بها لا لا ، إن أمة الاسلام ستأخذ دورها عن قريب ، أمة الاسلام النائمة قد انقضت
دورها . وستأتي أمة الاسلام اليقظة التي تحفظ نعمة الله فلا تضيع الماء يذهب في الرمال

أيها المسلمون : إن سيدنا محمدا ﷺ لم تقف رسالته عند هذا الحد . كلا . إن لرسالته شأننا بعد أيامنا
هذه ، ومن دلائلها ما تروونه في هذا التفسير من عجائب القرآن وأنه يعلم المسلم شكر النعم وحفظها
يا ليت شعري : لم ذكرت سورة سبأ ؟ ألقصة تذكر . كلا . والله ذكرت لنا الآن ، ذكرت لمن يتعظون
دفن الله المال والعلم في الصخور والألواح وعلى الجدران ، ثم أخرج ذلك الآن كأنه يقول للمسلمين : هاكم
اقرأ كتابيه ، انظروا في علوم آبائكم ، هل تقومون بالأمر ؟ هل تحفظون النعمة ؟ هل تقومون بالشكر
هل تبحثون عن نعمي فوق الأرض وفي باطنها ، إن لم تفعلوا بعد هذا كله فهاهم أولاء الفرنجة أحاطوا بكم
من كل جانب فان لم تقوموا من غفلتكم وتهمموا بالتعليم لآخذن منكم أرضكم وأسلمها لهم كما فعلت مع
بنى اسرائيل إذ سلطت عليهم بختنصر فأخذهم الى فارس ودولة الرومان فأسروهم في بلاد الروم
أنظنون يا أهل اليمن اني سلمت لكم الأرض لتمتعوا نعمي فيها عن عبادي ، انظروا حولكم في شمس
وقري وكواكب وهوائى ومائى ، ألم أجعل العوالم كلها متجاذبة بحيث تجرى الأرض حول الشمس وهكذا
كواكب أخرى وهكذا العوالم تتجاذب ، فهكذا فليكن نوع الانسان ، لتكن كل أمة مستخرجة من أرضها
كنوزها وزراعة أرضها ليعيشوا بذلك ولا يرسلوا مافضل بالتجارة لغيرهم وهكذا غيرهم يفعلون ، فان غفلات
أمة عما لديها أو عزت الى غيرهم فسلطتهم عليهم لأنى عدل ولأنى رحيم ومن رحمتي أن الناس يخدم بعضهم
بعضا ، وهذا المطر النازل في بلادكم اذا لم تحفظوه فقد ضيعتم نعمتي فأعاقبكم على ذلك الضياع

هذا وان آية سد العرم تدل على أن الأمة كلها معذبة اذا فرطت فيما لديها من النعم . والآية الآتية وهي
- ولو ترى إذ الظالمون - الخ مثلها في أن الرؤساء لا ينفعون المرؤسين اذا تركوا مواهبهم لافى الدنيا ولا فى الآخرة

فقصة سبأ وآيات التقليد متقاربتان من حيث أن كلامهما منذر بالوبال والهلاك لمن تواكوا
هكذا ما أفهمه من ذكر هذه السورة التي ظهر أثرها في هذا الزمان والحمد لله على نعمة العلم والحكمة
والدين والحمد لله رب العالمين

(جوهرة يتيمة)

(في آية - ولترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ)

(بيان خطر التقليد والاغترار به)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اللهم إني أجدك على نعمة العلم والحكمة وأسألك جبر الخلل واجتناب الزلل واجادة الدليل وفهم التأويل
وصدق القول وحسن العمل

اللهم إني أرى اليوم في بلاد الاسلام حالا أحسن ، ورجالا أكمل ، وعقولا أبهى وأبهر ، نام المسلمون
قرونا وقرونا بعد الصدر الأول والقرون الثلاثة الأولى خير القرون ، ثم جاء هذا الزمان الذي اشتدت فيه الاحن
وكثرت المحن وظهر الخطر والخطر وزالت الخلافة اللفظية من البلاد التركية وقد أنامت الأمم العربية نحو أربعة
قرون فلم تقم لهم فيها قائمة ولا سمعت لهم فيها كلمة ، ولكن هاأنذا الآن في هذا اليوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٩
أسمع أن بلاد العراق رفعت الصوت جهارا نهارا الى الأمم الغربية قائلة : « أيتها الأمم : اسمعي . إياكم أن
تمهينوا اخواني في فلسطين وتقدموا عليهم اليهود الذين وعدتموهم بالوطن القومي ، وهاهم سكان شرقي الأردن
وبلاد سوريا وجميع المسلمين في الشرق والغرب يطلبون بلسان واحد ازاحة الكابوس والظلم عن أهل
فلسطين . سبحانهك اللهم وبحمدك . أنت الذي أخذت تغيير حال المسلمين من ضعف الى قوة ومن ذلة الى
عز ومن جهل الى علم . أليس هذا مصداق قولك في التنزيل - ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في
الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين - وقولك - ليظهره على الدين كله - إن هذا زمانه وهذه أيامه وكما
تجلت أنوارك في قلوب الأمم الاسلامية برابطة الجأش وقوة البأس وعزة النجدة وعلو الشمم ورفق المهمم
هكذا أخذت التأليف تتغير أساليبها وتتجدد أصولها وتخطط خططا جديدة وأحوالا جديدة وأقوالا مفيدة
وانشرت الصحافة وقامت الخطابة وظهرت بوادر جيل جديد وقد تقدمه أمثال هذا التفسير ليكون فيه
لقطة عجلائن ويقتطع وسمان وبهجة ندمان وحديث خلان ومحاضرة علماء وأنس حكاء وسمرفضلاء
وهدي وبشرى للمؤمنين . ولقد بسطت لي فيه القول وشرحت لي الصدر ويسرت لي الأمر لأن الأمم الاسلامية
اليوم أجدر بالفهم وأقبل للعلم وأحق بالاقبال فأسألك اللهم أن أكون لك من الشاكرين
أما بعد : فاني أريد افاضة القول في التقليد ، ذلك الذي خيم على عقول كثير من الأمم الاسلامية في
الأحقاب الغابرة والأيام الخالية وأضلّ سعيهم وأحبط كثير من أعمالهم

كانت الأمم الاسلامية في القرون الأولى طفلا ترعرع وتغذى بالبان النبوة المحمدية إذ القرن في حياة الأمم
سنة واحدة في حياة الفرد . وعلى هذا الحساب صارت هذه الأمة الآن في سنّ الرابعة عشرة كما أشرت اليه
في السور السابقة فهي كإنسان مرأق شارف البلوغ . ومتى بلغ بالسنّ أو بالقوة أخذ يظهر على الأمم الأخرى
كان المسلمون في القرون الثلاثة الأولى يتغذون بلبن النبوة فوضعوا أفوايق أيام الصحابة والتابعين فنفعوا
عباد الله من بلاد الصين الى جنوب بلاد فرنسا فدانت لهم أمم من آسيا وأوروبا وإفريقيا . ذلك انهم كانوا
محمديين . ثم لما كان الفطام بعد الحولين (هما قرنان) تحوّلت الحال شيئا فشيئا وخذت جذوة الحاسة وأخذوا
يفكرون بأنفسهم فعل الصبي بعد سني الرضاع يلتمس الطعام بنفسه . هنالك يحضر له المؤدّبون والمعلمون

والمربون وفي هذه الأجيال التي اعتبرناها سنين لم تكن هذه الأمم إلا عالة على الملوك والعلماء ورجال الدين وشيوخ الطرق . فهم كانوا كأيتام إن أحسن الوصي القيام عليهم استقاموا وإن أساء التصرف ولم يشم بالأمانة ناموا ، تقامت دول فارسية وأخرى تركية وثلاثة أمارات عربية . ولا زالوا يتدهورون المرة بعد المرة . ولقد مضى في هذا التفسير نبأ من بعض أماراتهم وهالكهم وكيف اختلت الحكومات وبارت النظم وضاعت الأمم . لماذا هذا ؟ لأنهم كانوا بعد سنن النظام قبل سنن المراهقة والبلوغ . ولا جرم أن الطفل في تلك الأيام يعمل المرعون بالآمال ويوارون عنه الحقائق ويخيلون له مستقبلا سميذا وعمرا مديدا ويعطونه الحلو والمضرب والسكر . ويقولون له أقوالا لذيذة ويغرونه بكل ما لذ وطاب فيستقيم لأقوال المرين وتستويه أكاذيب المواعيد وتخدعه خرافات الأسانيد وهذه السنن خلية بذلك . لذلك كثرت الفرق وتباينت الطرق وظهرت الخواارج وادعى المهديون كل من أحسن من نفسه بقوة اللسان وسعة العقل ورجاحة الفطن . ومن قرأ كتاب (الفرق بين الفرق) عرف تلك الأضاليل أو قرأ ما تقدم في (سورة الشعراء) من أكاذيب الدجالين في الاسلام واستوائهم على عرش الامارة عرف كيف تخدع كواذب الأقارب واحتيال الختالين . ذلك كله لأن الأمة كانت لاهي في سنن الرضاة من أفوايق النبوة الحمديدية . ولاهي بلغت السنن التي تؤهلها لتسلم زمام أمرها والقيام بشؤونها فلا يحبس لها من التقليد . ولا مفر لها من اتباع من تتوسم فيه مخايل النجابة فتسلم زمامها أقوام منهم الصادقون ومنهم الخادعون وكل يعاملهم معاملة ذلك الطفل الصغير . لذلك كثرت فيها الخرافات وشاعت الضلالات واتكأوا على الشيوخ فعمطت العقول وسادت النقول فجاء جيلنا الذي نحن فيه فإذا أقول ؟ أقول : أحدثكم أيها المسلمون بحديث أحد المهديين في الاسلام أجعله مثلا من أمثال أسلافنا السابقين أريد بذلك استنارة الشيعة الاسلامية ومتى عرفت الشر أقلعت عنه وأخير اجتلبته فأقول :

لقد كان يوسف بن تاشفين أمير المرابطين قد استوثق له الأمر في الأندلس بعد القبض على أبي القاسم ابن عباد المعتمد على الله بعد أن تولى الملك . ٣ سنة وذلك سنة (٤٨٤) هجرية . ولقد قام بالأمر خير قيام إذ أثار الجهاد والغزو وقع ملوك الروم والحرص على المصلحة في جزيرة الأندلس إلى أن توفي سنة ٥٣٥ هـ وقام بالأمر بعده ابنه علي بن يوسف بن تاشفين وتلقب بلقب أبيه أمير المسلمين وسمى أصحابه المرابطين فجري على سنن أبيه في إثارة الجهاد واثابة العدو وحماية البلاد . وكان حسن السيرة . جيد الطوية . نزيه النفس . بعيدا عن الظلم حتى كان إلى الزهاد والمتبتلين أقرب منه إلى أن يعد في الملوك المتغلبين . وأخذ يكرم الفقهاء والعلماء ولا يفعل أمرا إلا بمشاورتهم ولكنه تهاوى في الغفلة واختلت حال أمير المسلمين بعد الخمائة اختلالا شديدا فظهرت في بلاده مناكير كثيرة . وأخذ أكابر المرابطين يدعى كل منهم صريحا أنه أحق بالامارة منه . واستولى النساء على الأحوال وصارت كل امرأة من أكابر (لثونه) تحمي شريرا وقاطع طريق وصاحب خمر وما خور وأمير المؤمنين يزاد غفلة واكتفى بأمره المسلمين وبصيام النهار وقيام الليل . فإذا فعل الله للمسلمين إذ ذاك ؟ قوم لأقوام لأمرهم إلا بالأمراء فإن صلحوا صلحت الأمة وإن فسدوا فسدت . فهم على حسب من يديرهم . ألم أقل لك أيها الذكي أنهم فطموا من الرضاة أولا فهم الآن في السنة الخامسة وهي سن الطفولة وهذه سن الغفلة واليتم ولم يصلوا لسن الرشيد : لما طغى أمراء الأندلس وشربوا الخمر وأولعوا باللهو والزهو أرسل الله لهم (يوسف بن تاشفين) فأدخل ملكهم تحت إمرته ولما قام ابنه أضاع الأمة من طريق الاشتغال بالعبادة كما أضاعها أولئك من طريق الفسوق والنجور والجهالة . هنالك قبض الله لهم رجلا آخر يأمروا بالمعروف وينهى عن المنكر . فبينما عمال الأمير علي بن يوسف بن تاشفين يعثون في الأرض فسادا ويهتكون أعراض الرعية علنا بلا احتشام جهارا بعد الخمائة إذ ألهم الله رجلا يقال له (محمد بن تومرت) ينسب إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب من أهل (سوس) من قبيلة تسمى (هرغ) من أقوام شرفاء هناك أحب العلم

فرحل الى المشرق سنة ٥٠١ هـ أى فى السنة التى ابتداء فيها فساد السولة وانتهى الى بغداد أى كما ينتهى المسلمون اليوم الى أوروبا ولقى أبا بكر الشاشى فدرس عليه الفقه والاصول وسمع الحديث على أكابر الشيوخ ، ويقال انه لقي أبا حامد الغزالى بالشام أيام تزهده وذكر له ما فعله أمير المسلمين بكتبه التى وصلت الى المغرب من احراقها وافسادها وابن توصرت حاضرا ذلك المجلس فقال الغزالى ﴿ لينذهبن عن قريب ملكه ﴾ وأشار الى أن ذلك يتم على يد حاضرا بالمجلس أى ابن توصرت ، وهذه الحكاية سواء صحت أم لم تصح لا يخرج فى روايتها ، ويقال إن هذه الإشارة قوت طمعه فى ذلك فرجع الى الاسكندرية ثم الى بلاد المغرب ، وبينما محمد بن توصرت كذلك اذا رجل آخر هناك يسمى عبد المؤمن يعلم الصبيان فى موضع اسمه (فزاره) من بلاد (متيجه) واتفق انه رأى فى النوم كأنه يأكل مع أمير المسلمين (على بن يوسف بن تاشفين) فى صحنة واحدة ثم زاد أكله على أكل أمير المؤمنين ثم زاد فيه الشره فاختطف الصحفة وانفرد بها وحده وفسرها لها المفسر بأن هذه تكون لرجل غيرك يكون أهلا لأن يشارك فى الملك ثم ينفرد به . فهذه الأحاديث والرؤى قد أعدت الرجلين لعمل عظيم فتلاقيا فيقال إن محمد بن توصرت عرف عبد المؤمن بعلامات رسمها فى نفسه وعرفها من كتب المتقدمين . وقد كان عبد المؤمن عند المقابلة متوجها الى المشرق فى طلب العلم فاستصحبه محمد بن توصرت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأقاما بمدينة (ملالة) أشهرهما ورحلا ورحل معهما رجل آخر اسمه عبد الواحد . وقد كان محمد بن توصرت شديد الصمت كثيرا لا تقباض لا ينطق إلا فى مجلس العلم . وحل مع صاحبيه فى (تلمسان) وقضى بها مدة ثم توجه الى (فاس) فأظهر عقيدة الأشعرية فى التوحيد وأخذ يعظ الناس فاجتمع الفقهاء عليه فوجدوه رجلا قوى العارضة فأشاروا على الولى باخراجه لئلا يفسد عقائد العوام فأخرجه . وإنما فعلوا ذلك لأنهم كانوا جميعا صائمين عن جميع العوام ماعدا الفقه فتوجه الى مراكش وكتب الى أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين . ولما دخل عليه أحضره الفقهاء فناظروه فغلبيهم ومنهم رجل يقال له (مالك بن وهيب) له مهرة بعلوم كثيرة حتى الفلسفة فأشار على الملك بقتله لأنه فصيح حسن العبارة وهو مفسد لا تؤمن غائلته فلم يقتله الملك خوفا من الله فقال له اسجنه حتى يموت فقال الملك لا ذنب له . هنالك نفاه عن مراكش وهناك كانت الطامة الكبرى فتوجه الى (سوس) فشرع فى تدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وأخذ يذكر المهدي ويشوق اليه (كما فعل المهدي السوداني محمد أجد فى زماننا سواء بسواء) فكلاهما ابتداء أسره بالتشويق للمهدي من غير أن يذكر نفسه وجعل له أنصارا يستميلون له رؤساء القبائل . هنالك تقرّر فى نفوسهم فضل المهدي ونسبه ونعته . فلما تم ذلك قال أنا محمد ابن عبد الله ورفع نسبه الى رسول الله ﷺ وصرّح بأنه معصوم وانه المهدي المنتظر . فلما استقرّ لهم ذلك بايعوه على انه المهدي وألف لهم كتباً فى العلم وعلمهم فكان يبطن التشيع . وأول درجة من أصحابه كانوا عشرة وهم المهاجرون الأولون سماهم الجماعة وهم أول من صدّقوه والطبقة الثانية سماهم الحسين . ثم قال لهم : ما على وجه الأرض من يؤمن بإيمانكم وأنتم العصاة المعنيون بقوله ﷺ لا تزال طائفة بالمغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله ﷻ وأنتم الذين يفتح الله بهم فارس والروم ويقتل الدجال ومنكم الأمير الذى يصلى بعيسى ابن مريم . ولا يزال الأمر فيكم الى قيام الساعة . ويقال انه كان يخبر ببعض الحوادث فتقع . وكان يقول ﴿ لو شئت لعددت خلفاءكم خليفة خليفة ﴾ ولقد جاء هذا القول فى نظر رجل من أهل الجزائر من مدينة من أعمال (بجاية) وقد وفد على أمير المؤمنين أبى يعقوب وهو (بقيزمال) فقام على قبر محمد بن توصرت بمحضر من أتباعه الموحدين وأنشد قصيدة بليغة وهالك نصها :

سلام على قبر الامام الممجد ✽ سلاله خير العالمين محمد
ومشبهه فى خلقه ثم فى اسمه ✽ وفى اسم أبيه والقضاء المسدد

ومحي علوم الدين بعد مماتها * ومظهر أسرار الكتاب المسدد
 أتتنبأه البشرى بأن يملا الدنيا * بقسط وعادل في الأنام مخلد
 ويفتح الأمصار شرقاً ومغرباً * ويملك عمر بامن مفير ومنجد
 فن وصفه أئقنى وأجلى وأنه * علامات خمس تبين المهتدى
 زمان واسم المكان ونسبة * وفعل له في عصمة وتأبد
 ويلبث سبعاً أو قسماً يعيشها * كذا جاء في نص من النقل مسند
 فقد عاش تسعاً مثل قول نبينا * فذاككم المهدي بالله يهتدى
 وتبعه للنصر طائفة الهدى * وفاكرم بهم اخوان ذى الصدق أجد
 هي الالة المذكور في الذكراً * وطائفة المهدي بالحق تهتدى
 ويقدمها المنصور والناصر الذي * له النصر حزب اذ يروح ويهتدى
 هو المنتقى من قيس عيلان مغفراً * ومن مرة أهل الجلال الموطد
 خليفة مهدي الاله وسيفه * ومن قد غدا بالعلم والحلم مرتدى
 بهم يجمع الله الجبارة الاولى * يصدون عن حكم من الحق مرشد
 ويقطع أيام الجبارة التي * أبادت من الاسلام كل مشيد
 فيغزون اعراب الجزيرة عنوة * ويعرون منها فارساً وكأن قد
 ويفتحون الروم فتح غنيمة * ويقسمون المال بالترس عن بد
 ويغدون للرجال يغزونه ضحى * يذيقونه حلا الحسام المهند
 ويقتله في بابك وتنجلى * شكوك أملت قلب من لم يوجد
 وينزل عيسى فيهم وأميرهم * امام فيدعوهم لحراب مسجد
 يصلى بهم ذاك الامير صلاتهم * بتقديم عيسى المصطفى عن تعمد
 فيمسح بالكفين منه وجوههم * ويخبرهم حقاً بهز مجد
 وما أن يزال الامر فيه وفيهم * الى آخر الدهر الطويل المسمد
 فابلغ أمير المؤمنين تحية * على النأي منى والوداد المؤكد
 عليه سلام الله مادر شارق * وما صدر الورد عن ورد مورد

فهذه حال (محمد بن تومرت) الذي هو المهدي المنتظر وأصبح القوم مفتونين به حتى لوقال لرجل اقبل
 أباك أو أخاك لقتله . وكان اظهارة المهديوية سنة ٥١٥ هـ وفي سنة ٥١٧ هـ جهز جيشاً عظيماً من المصامدة جلهم
 من أهل (تندمل) ومعهم قوم من أهل (سوس) وأمرهم بحرب المرابطين وأن يدعوهم الى الأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر واتباع المهدي المعصوم ، فان أجابوا فهم اخوانكم والا فقاتلوهم وأمر عليهم عبد المؤمن
 وقال أتم المؤمنون وهذا أميركم ، وقاتلوا المرابطين قريبا من مراكش بموضع يسمى (البحيرة) وأمير
 المرابطين الزبير بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فدعا المرحسون المرابطين لما التقى الجيشان الى ما أمروا به
 فردوا عليهم أسوأ رد ، وهكذا كتب عبد المؤمن الى علي بن يوسف بما عهد اليه محمد بن تومرت فرد عليه
 رداً يحذره فيه من سفك الدماء ، ولما التقى الجمان قتل من المصامدة خلق كثير وانهمزم الجيش ولكن نجا
 عبد المؤمن . ولما رجعوا الى ابن تومرت هوّن عليهم أمر الهزيمة وبشرهم بالشهادة والجنة ، ومن ذلك
 الوقت أخذ المصامدة يشنون الغارات على نواحي مراكش وهو يزداد تقى وصلاحا وتشددا في دينه واقامة
 للحدود كلها حتى مات سنة ٥٣٥ هـ وقام بالأمر بعده عبد المؤمن فبايعه المصامدة ، ولد بضبعة من بلاد تلمسان

وقد ولد سنة ٤٨٧ وتوفي سنة ٥٥٨ وقد ملك بلاد المغرب وأكثر بلاد الأندلس ، وقد خلفه في الملك ابنه أبو يعقوب يوسف ومات سنة ٥٨٠ هـ وخلفه ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وتوفي سنة ٥٩٥ هـ الذي أمان الفيلسوف ابن رشد وحجبه ثم عفا عنه ، ولم تقم للحكمة بعد ذلك قائمة في الاسلام وبعده ابنه محمد بن أبي يوسف أمير المؤمنين وتوفي سنة ٦١٠ وتولى بعده ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد هذا ملخص كتاب تاريخ الأندلس المسمى ﴿ بالمعجب ﴾ في تلخيص أخبار المغرب ﴿ تأليف الشيخ محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي

أقول : إن هذا العالم كان في زمان تلك الدولة فلم تطل مدته الى انقضاءها حتى يعرف ما آل اليه أمر هذه الدولة ، وأيضا انه كان تحت حكم ملوكها فلم تكن له الحرية التامة في إبانة الحقائق الناصعة عن المهدي (ابن تومرت) ووظيفة هذا التفسير امتحان الحوادث العامة وعرض نتائج الامتحان على أم الاسلام بعدنا أما مجرد سرد التاريخ فقيمة زهيدة ضئيلة ونحن الآن في تفسير آيات قرآنية تنفيذ التقليد وهذا التاريخ الذي سردته هنا مسوق لتبيان أن الوقوف على التقليد بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير هو الشؤم الأكبر والخطب الجلل والموت الزؤام

فلأذن كراذن في هذا الصدد ما عثرت عليه في الكتب الأخرى وما ذكره أيضا العالم الفرنسي (سديو) ليحقق الحق ويبطل الباطل . واذن يفرح المؤمنون والعلماء المخلصون والأمم الحمديون بنصر الله بالهداية العلمية والله هو الولي الحميد

جاء في كتاب ﴿ خلاصة تاريخ العرب ﴾ للإسلامة سديو مملخصه : « إن العرب بإسبانيا انشقوا على المرابطين أيام علي بن يوسف الذي ظهر عجزه كما تقدم القول عنه وأنه كان مشغولا بالصلاة والصيام وكلا أمر الرعية للنساء مع إكرامه للعلماء . وقد كان هؤلاء العرب لا يفكرون إلا في محاربة أمراءهم المرابطين ولم يعرفوا كيف يتحدون ويتخذون لهم مركزا عاما حرييا لصد النصارى المحيطين بهم من سائر الجهات وغاية الأمر أن الفرص قد سنحت لأناس منهم استقوا بالامارة من سنة ١١٤٤ في مرسية ووالنسة وغرناطة وأشبيلية وقرطبة وغيرها فادعى كل هذا المنصب بالحق وانفصل عن الآخر فذهب المرابطون من إسبانيا سنة ١١٤٦ وغاية الأمر أن عبد الله بن غانية بقي تحت يده جيش ضعيف وقد اضطر الى مساعدة النصارى له فساعدوه حتى أخذ قرطبة وأشبيلية حتى إذا ما جاء جيش عبد المؤمن فقتل ابن غانية وذهب أمر المرابطين . ثم إن الأميرين يوسف ويعقوب المتقدم ذكرهما أبلاوا بلاد حسنا في منع غارات النصارى عن مدن الاسلام ثم بعد ذلك أغاروا على من جاورهم من النصارى . وهنالك تجدد الرونق والعز في بلاد الأندلس . وقد زاد ذلك النصارى وعز المسلمين بما فعله الأمير يعقوب حتى مات وخلفه ابن محمد الناصر سنة ١١٩٩ م

هذا وقد هزمه النصارى في واقعة (طولوسه) سنة ١٢١٦ م وهنالك ضعف أمر الموحدين فانقطعوا عن محاربة النصارى ، ولما مات الأمير محمد خلفه أبو يعقوب وقد عصته الأقاليم بالمغرب وإسبانيا لأنه غير كفء ثم إن أرباب المشورتين الذين أنشأهم المهدي كما تقدم (وهم العشرة الذين سماهم المهاجرين الأولين والحسين الذين سماهم الجماعة) كانوا متشوقين الى الاختصاص بالحكم لما رأوا فساد الأمر في البلاد فهتدهم المأمون ، وقد قام بشد أزره حزب ذوقوة وبطش وجعلوه أميرا عليهم ، فنصب أرباب المشورة المذكورون يحيى بن ناصر فتغلب عليه وعليهم المأمون وعاق رؤس هؤلاء الشيوخ على أسوار مراكش وألقى المشورتين ونسخ سياسة المهدي ومنع ذكره في الخطب وعامل أهل المغرب بقسوة لم يقدروا بعدها على العصيان سنة ١٢٢٨ ثم إن محمد بن هود من ذرية قدامة ملوك سرقسطه أوقع البغضاء بين مغاربة إسبانيا ومغاربة إفريقيا وأخذ منهم جيشا جوارا هزم به المأمون سنة ١٢٢٩ قرب (مدينة طاريغه) وألزم المأمون الإقامة بمراكش

هنالك اضمحلت دولة الموحدين شيئاً فشيئاً ، فانهم لما انتزعت منهم الأندلس أخذت بلاد المغرب تنسحق منهم شيئاً فشيئاً فقد عصى الموحدين في أيام خلفاء المأمون والي تونس سنة ١٢٤٢ م وعائلته ثم بنو حنص وفي سنة ١٢٤٨ أسس بنو زيان في تلمسان والجزائر سلطنتهم الممتدة الى نواحي فاس ، وكذلك بنو مرين في جهات كثيرة . والله الأصر من قبل ومن بعد .

هذا ملخص ما جاء في كتاب سديو ، وأزيد عليه ما قرأته سابقا في المطولات من أخبار ابن تومرت ثم أتبعه بالنتائج العامية التي هي المقصودة بالذات في تفسير هذه الآيات فأقول :

إن محمد بن تومرت كما قالت جعله الله لهذه الأمم أشبه برب الأبطال ، ولقد جاء في كلام علماء الفقه أن السندب جائز في سياسة الأبطال ، وقد قلنا إن الأمم الإسلامية في القرون الأولى كانت في أيام الرضاة فسكن قرن سنة واحدة في عمر الأمة ولما كان الفطام أخذ الناس ينظرون شؤونهم بأنفسهم ولكنهم لقللة العلم سخطوا الله لهم أناسا يفعلون معهم فعل المربي مع الطفل . فإذا فعل محمد بن تومرت ؟ لزم الحاجة كما تقدم واني أقول أنا معتقد في الرجل حسن مقصده وانه يريد للمسلمين في تلك الأصقاع خيرا ، ولقد رأى أن يسوسهم بالدعوة المشهورة وهي المهدوية . فإذا يفعل ؟ نصب له دعاة وأعلن العصمة كما أعلنها غيره من الفاطميين بمصر وأعلنها أيضا (أغا بمنون) بالهند في زماننا وغيره ، ولقد كان من أمر (محمد بن تومرت) أن بث الأرصاد والعيون والجواسيس ليستطلعوا أسرار القلوب ومن المصدق للمهدي ومن المكذب وأخذ يوازن بين الشهادات الواردة اليه عن عظماء أتباعه ، فن ذكائه وفطنته لم يحكم على أحد بالكفر بمهديته إلا اذا توافرت الشهادات المختلفة بذلك من بطائنه الذين جعلهم عيوناً عليهم . أما الذي اختلف فيه الشهود . ومعلوم أن أحدهم لا يعلم ما يقوله الآخر فانه لا يحكم بكفره به . فهناك اجتمع له من أسماء أتباعه جدول حفظه عنده لوقت الحاجة

وبينا هو يبث الأرصاد والعيون والجواسيس لمعرفة أسرار أتباعه كان قد أسر لرجل من أتباعه يدعى علي ما أذكر (الونشريني) فهذا الرجل كان عالما فأظهر الجذب وأخذ يهيم على وجهه ويمر في المجالس فلا يأتبه له أحد لأنه مجذوب لا يمي . وكان اذا صر على (محمد بن تومرت) يقول إن في هذا الرجل لسرا . وبقى الأمر هكذا الى أن كان ذات يوم محمد بن تومرت يصلي الفجر نظر فرأى رجلا وراءه يصلي وعليه ثياب بيض بهيئة جيلة فأظهر الدهش واذ سأله من أنت ؟ فقال أنا الونشريني . اني في هذه الليلة أتاني النبي ﷺ يقظة وعلمني كذا وكذا وعرفني العواقب وأهل الجنة وأهل النار . ولا جرم أن هذه هي الحيلة التي تكررت كما تقدم في هذا التفسير إذ ذكرت نظيرها في (سورة الشعراء) عند آية السحر فليتنظرن المسامون وليسقيقظوا فقال ابن تومرت له بدهشة وهفة : سبحان الله . أخبرنا بأمرنا من أنا ؟ فقال أنت المهدي ومن كذب بك في النار (ولا جرم أن الجدول الذي فيه الأسماء قد سلم اليه سرا حتى عرف جميع الكفار بأشخاصهم) فهناك قال له المهدي : أخبرنا بأهل النار وأهل الجنة . فأمر المهدي فاجتمع القوم وحققهم الونشريني صفين صفا أمام صف فنظر الى صف اليمين فقال هؤلاء أهل الجنة وصف جهة اليسار فقال هؤلاء أهل النار . ثم قال ليقتل أهل الجنة أهل النار ف ضرب صف اليمين صف اليسار حالا بالسيوف واستولوا على ما يملكون ، ولكن هؤلاء المقتولون وان كان أمر قتلهم سماويا على حسب الاعتقاد بقي له أثر سي في النفوس فشغلهم المهدي بالحروب المتقدم ذكرها ضد المرابطين أيام (علي بن تاشفين) كما عرفت وصار يعدهم ويمنيهم بملك فارس والروم وانهم هم الذين يبقون حتى أيام نزول المسيح الى آخر ما تقدم . هذا هو الذي وعده الناكرة مما قرأته من الكتب والله أعلم

﴿ امتحان هذه السير والأحوال ﴾

سبحانك اللهم وبحمدك . أنت ناظم الأمم والجماعات ومهبط كل ذي حق حقه . أنت الذي علمت أن هؤلاء قوم جهال مشتهون فهايات لهم محمد بن تومرت ليمنع الظلم عنهم فقام وادعى المهدوية . اللهم إن المهدوية

قد تقدم الكلام عليها في أول (سورة الحج) وقد ذكرنا هناك أمر المهدي وأن الأحاديث كلها مطمئن فيها .
 سبحانه الله وبجملته . إن أحاديث المهدي قد سرت إلى نفوس أكابر الأمة وأن محيي الدين بن عربي
 قد وقع فيما وقع فيه غيره وسرت عقيدة المهدي في الأمم الإسلامية وقلت هناك أنها لا تزال باقية لم ينقص منها
 شيء حتى ظهور المهدي السوداني ، فما نتيجة ذلك كله ؟ نتيجة ضعف العقول والاتسكال على الشيوخ ونوم
 القوى العاقلة ، نام المسلمون آمداً وآمداً ، تركوا مواهبهم ، تركوا عقولهم ، كما تركت الحيوانات المنزلية تدبير
 أنفسها للانسان بخلاف الحيوانات البرية الوحشية كالغزلان ، إذن المسلمون المتسككون على المهديين أو على
 الشيوخ والذين استناموا لمن ملكوا قيادهم من الظالمين مسلمين وغير مسلمين أصبحوا كالغنز والبقرة
 اللتين ضعفتا عن تدبير أنفسهما وفاقتهما الغزاة والبقرة الوحشية ، فصارت الأمة ذليلة والعضو الذي لا عمل له
 يضمحل ويضعف ، وليس الأمر قاصراً على محمد بن تومرت فهو رجل نفع القوم بأساوبه ومنهجه واستعان
 بالكتمان والصبر وبعوم السيمياء وبايمهم أنهم خير أمة أخرجت للناس وأنهم هم الذين يقعون إلى نزول
 عيسى عليه السلام وقد فعل ذلك معهم ولكنه في الوقت نفسه علمهم الصدق والاخلاص والشجاعة والعلم
 على حسب زمانه ، الرجل مزيج الحق بالباطل وقد أفاد القوم . ولا يزال بعض شيوخ الطرق الآن في أمم
 الاسلام يرفعون نفوسهم إلى مقام العظمة ويجعلون أنفسهم وسائط بين الله وبين خلقه . وقد أنام كثير منهم
 المسلمين إذ أفهموهم أنهم بتعاليمهم مع جهلهم الفاضح ينجون من العذاب يوم القيامة . تعليم ابن تومرت
 وغير ابن تومرت نافع وضار . النفع مؤقت على مقدار همته . انظر الفرق بين هؤلاء الصالحين وبين الأنبياء
 انظر إلى الأنبياء كيف دامت دياناتهم آمداً وآمداً . كثير المهديون في الاسلام ولكل مهدي أيام تنقضي
 ولكن الاسلام باق لم ينقص منه شيء وما يفعله هؤلاء الشيوخ تمحوه كرور الأيام لأنه لا ثبات له وهل لغبر العلم
 ثبات ؟ الأمم الإسلامية يجب تعليمها وترقية عقولها ونشر التعليم والثقافة العامة فيها . ليكن التعليم اجبارياً في
 جميع الأقاليم ليتعلم الرجال والنساء

هذا هو المهدي . فأما إني أو من بفلان انه المهدي ومتى ذهب ذهب ذلك الايمان (كما فعل المأمون
 فأبطل اسم المهدي ونسخ تعاليمه وقتل الشيوخ) فان الدولة تدمحل وتذهب كما رأيت في دولة الموحدين
 لا لا أيها المسلمون : - وقبل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً - قال موسى ما جئتم به
 السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين -

تذكر أيها الذكي ما جاء في (سورة طه) وأن بني اسرائيل لما رأوا العصا قلبت حية آمنوا وهم في مصر
 ثم لما خرجوا منها ومروا على قوم يعكفون على أصنام لهم - قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال
 إنكم قوم تجهلون - ولما رأوا عجل السامري المصنوع من الذهب - قالوا هذا إلهكم وإله موسى - فهذا
 الايمان المشؤم الذي لا يرجع إلى تمام العلم يكون عرضة للتقلب فان من رأى عصا انقلبت حية لحري أن
 يكفر اذا رأى عجلاً له خوار مصنوعاً من ذهب فانه أجل وأبهى وأعظم هيئة من الحية

وهل وردت تلك القصص في القرآن إلا لهذه النتائج . ألم يقل الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
 الكتاب يتلى عليهم - وهو القائل - وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وأنينا نعوذ الناقة
 مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً - والآيات المذكورة هي خوارق العادات . إذن القرآن في
 ناحية وجهور المسلمين في ناحية . القرآن يدعو إلى التعقل والعلم وتعليم الناس . واذا كنت قد خلقت في
 الرمم الميته دوداً وسلطت على الأحياء منها الاسود والنمور الخ رحمة مني وعدلاً وحكمة أفلا أخلق في رمم الأحياء
 بالهند وبلاد الاسلام ما يشبه هذا السود ويشبه الاسود والفهود والنمور من رجال الدين ومن الأمم المستعمرين
 أولاترون أني أخلق العنكبوت تنصب الخيام لاصطياد الذباب . أفلا أفعل كذلك في الانسان الذي أشبه الذباب

فأسلط عليه عنكبوت الشيوخ والبراهمة والدجالين . هذا فعلى وأنا الحكم العدل . أتم أيها الناس جميعا اليوم في حال تشبه حال الأطفال من حيث مجموعكم والأطفال لا يستمعون غالبا لما يعقله البالغون . ملأت أرضكم بالأصنام وبالخرافات لأنكم لا تعقلون سواها . ثم أرسلت رسلا وآخرهم خاتم الأنبياء ﷺ فسرت دعوته في الأرض ووصلت الهند وفيها نحو خمسين مليوناً من المسلمين وهم أرقى الجميع . وهذا العدد لم يسلم إلا بعد حروب دامت قرونا وقرونا . ثم مضت فترة ولم يقدر المسلمون على إزالة الأذى عن عباد البقر والأصنام هناك فأرسلت دول أوروبا فأخذوا يمنعون بعض تلك العادات تيمنا لما فعل المسلمون قبلهم . وكل ذلك اليوم تهديد للزمان المقبل القريب إذ يظهر الجيل الجديد من المسلمين لاسيما قراء هذا التفسير . وهؤلاء هم الذين يرون أن الناس جميعا اخوانهم وانهم خلفاء الله في أرضه . فهؤلاء هم الذين يرقون الانسانية كلها بعلمهم وحكمهم وامتزاجهم بالأمم وهناك يزاون الخرافات أولا من بلاد الاسلام وثانيا من بلاد غير المسلمين من أهل الهند وغيرهم . هنالك يفهم المسلمون معنى قولى في القرآن - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وقولى - وكذلك جعلناكم أمة وسطا - وقولى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

هنالك يفهم الناس لماذا ذم الله التقليد في هذه الآيات التي نحن بصدد الكلام عليها وما فوائد الهدى والعلم والاستبصار

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : والله لقد شفيت ما في نفسي . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم الأربعاء ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٩

(جمال العلم وبهجة الحكمة)

(في ذم التقليد)

أيها المسلمون : اننى بينما أنا أكتب هذا الموضوع يوم الاثنين (١١) نوفمبر سنة ١٩٢٩ وقد اختمرت هذه الفكرة في نفسى طلع «الاهرام» وفي صدره هذه المقالة الآتية من بلاد الهند فأدهشنى صدور هذا القول اليوم وفكرت في أمر الاسلام وأمة الاسلام وقلت إن هذه من المصادفات العجيبة . كيف يظهر اليوم هذا المقال وقد ظهرت فيه أحوال الهند المقسمين الى أربع طبقات وأن البراهمة أو هموهم أنهم نواب الله في الأرض وعاشوا عالة على الشعب وأن هذا هو أكبر سبب في خضوع الهند التي تعد بمئات الملايين الى عشرة آلاف من الانجليز . اللهم إن هذه المقالة سيتجلى بها هذا المقام حقاً وصدقاً ، كيف لا والبراهمة قد نبغوا في احتقار الشعب وادخال الغفلة عليه و بعض النصارى والمسلمين قد قلدهم في ذلك الاحتقار ، فيالاهار ، وياالشنار

أبلى بخلق خلفاء أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وأتباع النبي العربي ﷺ (ذلك الذى قال « لا فضل لعربى على عربى إلا بالتقوى » والذى أمر بلالا أن يؤذن على الكعبة بمحضر من قريش والذى نزل عليه - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - ذلك النبي الذى منع الاستئثار ونبذ كل خوارق العادات وحكم عليها بأنها كهانة ، وجاء بالانصاف والعدل ، وأتى بمدينة تحتقر بجانبها مدينة بعض الاوروبيين ، أولئك الذين يحقرون أن يكونوا مع السودانيين في مكان واحد كطعمهم أو ملعب ، ذلك هو الذى سمعناه اليوم عن بلاد الانجليز) أن يكونوا كالبراهمة فيفسدوا عقول الشعوب الاسلامية بمهدويتهم أو بمشيختهم . كلا . والله لا يلىق

فهذا هو المقال الذى به نعرف معنى قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - ووصفه ﷺ بأنه سراج منير وانه خاتم الأنبياء ، فقد ضرب المدينيات القديمة ضربة زلزلت الأرض ولكن لا تزال الأمم في حاجة

الى ارشاد المسلمين الذين سيظهرون بعد ظهور أمثال هذا التفسير ، فالاسلام لا تزال أمامه مشاق وأهمال ملقاة على عاتق الأجيال المقبلة قراء أمثال هذا التفسير

إن أكثر المسلمين يهوش على عقولهم قوم بظواهر أحوال أو باخبار بالغيب صدقا أو كذبا أو بالتكشف والزهد ، كل ذلك أمره قد مضى في حال طفولية الأمم الاسلامية ، ولقد قلت لك أيها الذكي أن الأمم الاسلامية اليوم في القرن الرابع عشر قد أزف زمان بلوغها بالسق وقد صارت كمن بالغ بالحلم ولعلها ترى الحقائق في زماننا هذا وتخرج من حضنة أولئك الذين لا يرون لها سياسة إلا بالايهام وحجبهم عن الحقائق وابعادهم عن سواء السبيل

أيها المسلمون : لا عطر بعد عروس . ولا مخبأ بعد بوس . هذا كتاب التفسير « الجواهر » هاهو ذا بين أيديكم فتفكروا فيه وقلبوا صحائفه وسيظهر جيل جديد سائر على منواله . فويل لمن تركوا مواهبهم وعقولهم واتكوا على شيخ من غير تعليم . وويل ثم ويل لمن نسوا نعم الله عليهم بالعقل والحواس والنعم الجليلة ثم انتظروا مجيء المهدي ليهدى أبناءهم وهم لا يهتدون كأن الله عز وجل ليس هاديا للناس الآن مع أن من أسمائه تعالى (الهادي) وكأن النبي ﷺ ليس من أسمائه الهادي . الله جعل الهدى في الأرض في كل زمان ومكان ولا يحجبه إلا التقليد الذي ذمه الله في هذه الآيات إذ يقف المستضعفون أمام المستكبرين ويقولون لهم أنتم سبب جهلنا فيقول المستكبرون . كلا . بل أنتم قوم مجرمون أي لأنكم لو كانت لكم عقول ما أطعتمونا وكيف تركتم مواهبكم وعقولكم

اللهم إنا نحمدك على ظهور حقائق القرآن في التاريخ الذي جعل نبراسا ونورا لمن بهدانا . فانظر أيها الذكي إلى أهل الأندلس كيف قصرت أنظارهم أيام علي بن يوسف بن تاشفين إذ انهم بعد أن عصوا أعمال المرابطين لم يتفطنوا أن الفرنجة من خلفهم بل استقل كل بمملكته . لماذا هذا ؟ لأن العقول خدت بسبب الجهل . ثم انظر اليهم بعد أن طردوا الموحدين من بلادهم كما تقدم فانهم تفرقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وذلك من نقص العلم والفلة إما بالفسوق والاكتفاء بالشعر كما تقدم في « سورة الشعراء » . واما بجمود القرائح بتعليم شيوخ يجعلونهم بالأمانى قانعين وعلى الرؤساء متكئين والله لا يهدي القوم الظالمين

إن الله قد أذن في هذا الزمان بظهور الحقائق ونشر المجلات والصحف فسهلت على مؤلف هذا التفسير الأوصى واستبان حقائق كثيرة كانت مطوية التفصيل عن أنظار الجمهور . فهذا المقال الذي سأذكره هنا عن الهنود يريكم أيها المسلمون مضار التقليد بأوضح سبيل وهذا عار على أمم الاسلام الذين بهدنا الدارسين العارفين . أما أكثر الأمم الاسلامية المتأخرة فان شيوخهم فعلوا معهم بعض فعل البراهمة مع الهنود وكان من حقهم أن يكونوا مرشدي جميع الأمم لأنهم هم يتبعون الشهوات كأولئك البراهمة القدماء والحاليين . فهالك نص المقال المذكور

﴿ حديث الهند ﴾

(من عرف العلة في جسم غيره دفع شرها عن جسمه)

مصر مع العالم تنظر الى الهند وتصفى باسماءها لشكواها . ومصر دون العالم تهتم بأمر الهند لأن شأن تلك البلاد شأنها ولأنها تشاركنا بالامنا كما تشاركنا بالامها . ونتمنى خلاصها كما هي تمنى خلاصنا واذا قلنا الهند فقد أردنا الهند المفكرة العالمة الناهضة . ولكن ماهي الهند ؟ أهى كمصر أمة واحدة بلغة واحدة وعنصر واحد بجو واحد وتقاليده واحدة وآداب واحدة ؟ وهل هي تحيا حياة ديموقراطية كمصر لا يفضل فيها المصري المصري إلا بعمله وبما يقدمه لوطنه ؟ لا . انها ليست مثلنا ولا نحن مثلها فاهي الهند اذن ؟ وماهى أدواؤها لن دفع شر

تلك الأدواء عن أنفسنا إذا نحن أحسننا بها. ان أصدق الجواب على هذا السؤال هو بالآلة . فلهذا التي أسماها
 الاغريق باسم أحد آلهها ليندرا كهاتهم في التسمية اذا كانت شطرا من القارة الآسيوية فهي تكاد تكون
 يسامنفصلا عن العالم بالماء من جهات البحار والجبال الشاخنة جدا حتى لا تجاز من جهات البر . مساحتها
 ٩٢٤٥٥٩ كياو مترا مربعا يسكنها ٣١٩ مليون منهم ٢٤٧ مليون هم المستعمرة الانكليزية والآخرون ١٢
 ابارة خاضعة للانكليز وهذا المجموع من الأهالي مؤلف من ٢٠ عنصرا وهم بتكلمون ٢٢٢ لغة أولجة وليس
 لهذا المجموع لغة عامة ولغاتهم ٥٠ نوعا من الكتابة ولكل كتابة من ٢٠٠ حرف الى ٢٥٠ حرفا كذلك تعدد
 أديانها . وجو بلادهم يختلف باختلاف المناطق فعلى مقربة من السواحل يهبط مستوى الأرض الى ٢٠٠ متر
 فوق سطح البحر فيكون الجو محرقا بدرجة ٤٧ ميزان سنتفرد وفي أعلى القمم على ارتفاع ٨٨٩٠ مترا يجمد
 البرد الدم بالهروق . جميع الفاتحين الكبار غزوا تلك البلاد وملكوها من سيزوستريس الفرعون المصري
 الى الاسكندر المقدوني الى غزاة التبت الاربين الذين ملكوا ناصية تلك البلاد وأسروا أهلها بالبار بين
 النجسين ثم تفرقوا بعد ذلك قبائل وصلت الى أوروبا وملكها والى العرب الى الهولنديين والبرتغاليين
 الذين فتح قائدهم البحري فاسكودي غاما طريقها سنة ١٤٩٨ الى الفرنسيين الى الانكليز الذين تملكوا
 ناصيتها من الفرنسيين واتخذوها مزرعة لشركة من شركاتهم الى أن ابتاعها حكومتهم من تلك الشركة في سنة
 ١٨٣٣ وأخذت بتوسيع حدودها . وظلت حتى الآن لتلك الدول التي تقدمت انكثرا أملاك وجزر في جوانبها
 والانكليز يستعمرونها للرزق والتجارة لان مبادلاتها التجارية من الصادر والوارد لا تقل في السنة عن
 ٥٠٠ مليون جنيه وكل استثمار للرزق ولرخاء العيش . وأقدر الدول على الاستثمار من قوت رزقها في وطنها
 ولا يتعب الانكليز كثيرا في حكمها وجيشهم باحصاء ١٩٣٦ لا يزيد فيها على ستين ألفا . وكبار الموظفين على
 ٣٤٣٣ موظفا ورجال البوليس منهم على أربعة آلاف كما أن عدد الأورو بين وأكثرهم من الانكليز لا يزيد
 على ٢٠٠ ألف فهل من المتقول أن يحكم هذا العدد القليل مثل ذلك العالم الضخم ؟ ان الجواب على ذلك يجده
 الباحث في حياتهم الاجتماعية والادبية . فالسالمون وهم أرق العناصر كانوا عضدا الدولة الحاكمة وهم خمسون
 مليونا لان حكم التفريق كان سائدا بينهم ثم الجهل الذي ترك فيه الأهالي ولا يزيد الآن عدد الذين يعرفون
 القراءة على ٨ بالمئة . ولانهم يقسمون الأمة الى طبقات بحكم شرائعهم القديمة . فالطبقة العليا هي طبقة البراهمة
 نواب «الاله الارضى» في خلقه . وهم فوق الجميع . ثم طبقة الكشائرياس أي المجاهدين والمقاتلة ثم طبقة
 الغاشياس أي الفلاحين والزراع . ثم الطبقة الاخيرة الحقيمة النجسة وهي السودا التي خلفها الله لخدمة
 الآخرين . وعند البراهمة نص في شريعة «باها كافلا» بان من قتل برهانا يحوله الله الى حشرة من حشرات
 الاقذار الى أن يولد ثانية بعد موته فيأتي من عنصر باريا أي السودا ويظل أعشى بعدد شعر البقرة من السنين
 ولا يغفر له ذنبه الا اذا أطمع . . . ألف برهاني أما اذا قتل أحد البراهمة واحدا من السودا فيكفي للغفران ان
 يرتل الفويالى وهي من أناشيدهم المقدسة ليظهر . فانظر الى قيمة هذا وذاك في شريعتهم المقدسة ثم اسأل
 أين المساواة ؟ البرهمة من آفة الهنود منذ عهد بعيد لا يقل عن ستة آلاف سنة . كان العلم محصورا بهم دون
 سواهم قبل دخول الغزاة بلادهم لذلك زادوا على الكتب المقدسة ما يعزز نفوذهم وبوصفهم وكلاء «اله
 الارض» وجد البغاء المقدس في الهياكل لاجلهم . وحكم على الناس أن يقدموا لهم جميع حاجاتهم دون أن
 يقوموا بهمل فاذا ولد الطفل الهندي أعطوا الجعل واذا بلغ اليوم السادس عشر من عمره أعطوا الاناوة
 ليظهره من رجس الولادة واذا بلغ الشهر الثالث أعطوا الاجزاقص شهره . واذا بلغ الطفل الشهر السادس
 أعطى البرهانا الأجر عن فطامه . كذلك اذا أتم السنة . ومن السنة الواحدة الى السنة السادسة عشر وهي
 سن الزواج يعقد البرهانا الزواج مقابل الأجر وكذلك في حالة الموت واحتراق الجثة ووضع الرماد بالحق وفي كل

شهر من السنة الاولى بعد الوفاة يقدم للبرهمانية كل ماهوعز يز على الميت على اعتقاد أنه يتمتع به في آخرته وفي كل حفلة من هذه الحفلات يفسون أقدام البرهمانية ويشربون ماء الغسل . تلك طبقة ليست عاطلة فقط بل كالعلق تنص دم الأمة وتقتل هممها ونفوسها لما ابتدعته من الأحكام والشرائع . كذلك تقديس البقر حتى أنه لا يموت منهم ميت الا اذا هو أمساك بذيل بقرة من تلك الأبقار المقدسة . وهم في الصحة والمرض يلتقطون روئها وبولها ويمزجونه بلبنها ويضعونه في أحقاد ليؤكل ويشرب فيشفى من كل داء ويدخل الأكل والشرب الى الجنة وقد بلغ عدد البقر في سنة ١٩٢٠ مليوناً و١٤٦ ألف بقرة وبلغت النفقة عليها ١١٧٦٠٠٠٠ جنيه أي أربعة أضعاف غلة الأرض ومن هذه الأبقار ٧٠ ألف بقرة لا يجوز الانتفاع بلحمها وعظمها وجلدها . وفي كل سنة تقوم الممارك بين المسلمين والهندوسيين من أجل ذبح البقر والذين يزورون الهند قد يشاهدون تلك الأبقار المحترمة المقدسة والناس يتراكمون لالتقاط بولها بأوعيتهم . بل ذلك في زعزعة رقي تلك الأمة ما يؤخذ أيضاً من احصاء ١٩٢٠ أن عدد الشجاذين والنجالين خمسة ملايين و ٨٠٠ ألف وعدد الراو يش والاولياء ٤٥٢١٧٤ شخصاً فأى جسم يتحمل مثل هذا العلق ويظل قويا ؟ الهندوس يقدسون الزواج والاطفال يصلحون له عندهم من سن الواحدة فصاعداً فاذا أتم الطفلان فعل الزواج قبل البلوغ قدمت الهدايا لوكلاء «الاله الأرضي» أي البرهمانا . وإلهم سيفاً يصورونه في كل مكان بصورة أحد أعضاء التناسل وإلهم فيشو بصورة فعل الزواج . فلما قرر مؤتمر جنيف في سنة ١٩٢٣ أن تحرم الدول نشر الصور المغيرة للآداب وأن تنص قوانينها بالعقاب الشديد قابل مسلمو الهند هذا القرار بالارتياح بل بالفرح والسرور وقابله الهندوس بالسخط والغضب فنص في القانون الذي يحرم نشر الصور القذرة على اشتراط مخالفة الدين وسن قانون الزواج بعد ذلك على أن يكون سن الشابين بين العاشرة والثانية عشرة ونادي غاندي بهذا الإصلاح ولم يكتف به وأعلن ناغور شاعرهم حراً على هذا القانون الذي عده فوزاً للمادة على الروح وأصر على تزويج الانثى قبل أن تصير بالغة بحجة أن الانثى في هذه الحالة لا تعرف أنها أمي الا وهي متزوجة . أما حجة غاندي فمكثرة الوفيات وضعف النسل وشيخوخة الرجال وهم في الخامسة والعشرين ووهن النساء في سن الشباب وكانت حرب شعواء وانتهت بان اقترح مجلسهم في سنة ٢٥ رفع سن الزواج الى ١٤ سنة ودل الاحصاء على أن البنات اللاتي يمتن في سن الطفولة بسبب الزواج يبلغ متوسط عدهن في السنة ثلاثة ملايين و ٢٠٠ ألف وقد عرف الناس أنهم رفعوا السن في تشريع هذا العام الى ١٦ سنة أما الارامل وعدهن في الهند ثلاثون مليوناً فلا يمكن أن يتصور الانسان على ما وصف داس وغاندي والمس مايو الأميركية حالاً أسوأ من حالهن مرضاً وسقماً وضعفاً . فالمرأة اذا مات زوجها كانت تحرق نفسها على قبره أوهم بحرقونها الى أن أبطل الانجليز ذلك بعد جهد جهيد . أما اليوم فانها تخلق شعر رأسها ولا تطعم الا العيش اليابس مرة في اليوم ولا تخاطب الا بعبارات التحقير والازدراء ولا تقابل أحداً وقد نادى غاندي بالهنديات الرقيقات لينشرن الدعوة لزواج الأرملة ولا كرامهن وكانت فكرة هذه الجمعية موجودة منذ سنة ١٨٩١ ولكنهم لم يفلحوا حتى الآن كما أنهم لم يفلحوا بإبطال البغاء المقدس وهو أن يقدم الرجل بذته وهي طفلة للاله فيقوم وكيل الاله الأرضي مقامه وهكذا تصير الفتاة بغياً مقدسة لمن يدخلون الهيكل . وفي معبد كالي ألهة السم المسماة كالكونا باسمها . ألوف منهن . ومن أسباب انحطاط الهند طبقة السودرا أي الطبقة النجسة وعددها ٦٠ مليوناً فهم في نظر الطبقات الأخرى الثلاث دون الناس فلا يجوز لهم دخول المدارس ولا دخول الهيكل ولا المحاكم ولا المخازن ولا المستشفيات حتى أنه لا يجوز لهم امتياز المياه من الآبار العمومية وفي بعض الجهات لا يجوز لهم السير بالطرقات العمومية واذا وقع ظل واحد منهم على شئ أو على انسان نجسه واذا وقع على ماء كل أو مشرب حرم أكله وشربه . واذا رأى أحدهم برهماناً مقبلاً وجب عليه الابتعاد عن طريقه نحو مثنى متر على الأقل . كما أنه يجب عليه الابتعاد عن الطبقات الأخرى نحو ٣٠ متراً ولم يتعرض الانكابر

لهذه الحالة احتراماً لأمير ملكهم في ٣ ديسمبر ١٨٥٨ بالآلة تعرض أي الانكياز لاحكام الدين والعقائد وهؤلاء التعساء يعتقدون أن ذلك حكم الله عليهم . ولكن غاندي هب للدفاع عنهم بحجة أن الدين لم يحرم رفع هذه الطبقة الى مصاف الطبقات الأخرى فمن الواجب أن ترفع اليها فقدوا في بمباي مؤتمرا ضخما لخارطة هذا المبدأ ولما صدر القرار في مارس بان يكون تعليم الهنود جميعا اجباريا خصصوا ٦٩ مكاتب لاولاد هؤلاء النجسين وعينوا ٨١٥٧ مكتبا للآخرين وفي سنة ١٩٢٦ أصدر مجلس الشورى ببومباي قرارا بقبول أطفالهم بالمدراس وبالسماح لهم بتناول الماء من الآبار العمومية ولما أوفدت انكلترا المستر مونتاغو الى الهند في سنة ٩١٧ ليسأل الهنود عما يريدون لبلادهم جاءه أناس من هذه الطبقة وقد تنورت أذهانهم من الاحتكاك بالاجانب وقالوا انهم يرفضون الحكم الذاتي لانه لا يمكن الا أداة لتسليم الخندق للثعبان ولما نزل ولي عهد انجلترا في بومباي سنة ١٩٢١ وأذاع غاندي رسالة قال فيها ان هذه الزيارة اهانة لهنود واحتقار لأترب الناس عن مقابلة الأمير وسادت الاضطرابات في شوارع تلك المدينة مدة أربعة أيام قتل ٥٠ وجرح ٤٠٠ . ولكن لما أراد الأمير السفر من بومباي الى دلهي ركب من القصر الى المحطة وهي تبعد ثلاثة كيلو مترات فاجتمع ألوف الألوف على طريقه يحيطونه وسبقه ألوف الى دلهي للفرض ذاته وكان هؤلاء جميعا من طبقة السود لانهم يحبون رجلا قويا وكل قوي إله وهكذا جعلهم جماعة منهم على تحية ذلك الأمير فهل رأى التاريخ ما هي الأمراض الاجتماعية التي تجعل ٣١٩ مليون انسان خاضعين خائفين لستين ألفا وهم هم الذين كان من أبنائهم ٩٨٥ ألفا في ميادين القتال للدفاع عن الامبراطورية فظهروا في ذلك الدفاع أبطالاً أشدهم تلك أمراضهم ومن عرف مرض سواد وقى نفسه واذا أردنا وصفا للهند جامعا وجدنا هذا الوصف الجامع بين شقي قلم غوستاف ليبون القائل : ان الهند حلقات أولها مع أول عهد الانسانية وآخرها مع آخر مرحلة وصلت اليها المدنية . فهي سجل صادق لتاريخ الانسانية وأديانها . وتقاليدها وأطوارها وضعفها وقوتها وتدينها ورقبها اه

هذه صورة أهل الهند قد وضحت الآن في هذه المقالة وظهرت حقائق يتوق لمعرفة العقلاء في الاسلام . واقد تقدم في هذا التفسير مافعله (ابن الصباح) في قلعة الموت وكيف تعلم تلاميذه شرب الحشيش فصاروا حشاشين وخيل لهم أن الجنة تحت أقدام رؤسائهم . وهكذا ما فعله كثير من رؤساء الصوفية . وكيف كان التدليس في أمم الاسلام . ألا انما مثل هذه الأمم كمثل نوع من الطير يعيش في بعض الفصول في بحيرات مصر بالوجه البحري وسياسته هكذا : ينام الطير ليلا ويحرسه أربعة طيور من الجهات الأربعة والمقدم هو الرئيس وهذه الطيور النائمة لانطير إلا بأمر ذلك الرئيس اذا صرخ عليهم . وقد اعتاد الصيادون أن يقتلوا ذلك الرئيس بطريقة وهي أن يلبس الرجل على رأسه ما يشبه وجه هذا الطائر ومنقاره وهو مختلف وراء تلك الصورة وتقوم هذه الصورة على وجه الماء فيظن الطير أن هذا من جنسه حتى اذا وصل الى ذلك الرئيس جره من رجليه تحت الماء فقتله . فاذا أحس بذلك أحد القواد في اليمن واليسار والخلف من الحراس الأربعة أسرع وصار رئيسا بدله ، وعليه يأتي الصيادون أربعة رجال فيقتلون هؤلاء الأربعة مرة واحدة وتبقى تلك الطيور بلا قائد ، ثم يأتون الى أرجل تلك الطيور النائمة فيكسرونها تحت الماء حتى لا تطير

هذا فعل الصيادين في بحيراتنا كبجيرة المنزلة مع ذلك الطائر ، وهذا العمل عينه هو الذي حصل في تلك الأمم الاسلامية المحكومة برجال أناموا عيونهم وأقفلوا قلوبهم

ألم تر الى مافعله المرابطون إذ أحرقوا كتب الغزالي واقتص له محمد بن تومرت . ألم تر الى الموحدين في آخر دولتهم لما حرموا الفلسفة وأهانوا ابن رشد كما تقدم في غضون هذا التفسير وبعد ذلك لم تقم للعلم قائمة حتى أوائل هذا الزمان

ولقد أذن الله عز وجل بالاقبال والعز والنصر المبين ، لقد نصر الله أمم الاسلام ، والدليل على ذلك نشر

هذا التفسير ، فاننا والحمد لله نكتب فيه آراء الأمم قديما وحديثا ولم ندع حكمة قلت أوجلت مما تفتخر به الأمم قديما وحديثا إلا أدرجناه فيه ومع ذلك قبله المسلمون جميعا في أقطار الأرض إلا طوائف ضئيلة لا يعتد بهم ، واني أقول بأعلى صوتي : إن المسلمين في هذا القرن الرابع عشر قد صاروا أشبه بغلام بلغ بالحلم . ذلك لأن الحروب والحوادث المريعة في الشرق والغرب أيقظتهم وان لم يبلغوا القرن الخامس عشر الذي اعتبرناه السنة الخامسة عشرة بخير بأن تسمى هذه الأمة قد بلغت الحلم والله أذن لها بالارتقاء والسعادة والحمد لله رب العالمين . كتب مساء يوم الثلاثاء ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٩

﴿ نور على نور ﴾

﴿ الكلام على البراهمة ﴾

تفسيرا لقوله تعالى - ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ
التي تحض على التفكير ونبد التقليد

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حضر صاحبي اليوم (الأربعاء) بعد الظهر (١٣) نوفمبر سنة ١٩٢٩ واطلع على ما كتبت وأخذ يقرأ طوائف البراهمة والظلم والخياف . فقال : إن هذا التفسير قد عودنا أن يبحث في الشبه التي تعرض لنا في أثناء المباحث العلمية ، وما هي ذه الشبه تترى عند قراءة مقال البراهمة ، ذلك المقال الممتع فأقول : إن قراءتي لأكثر هذا التفسير قد جعلتني لا أرى طائرا ولا حشرة ولا غزالة ولا كوكبا ولا شمس ولا قمر إلا مثل أممي كأنه حكمة مجسمة وقبسة نورية وبهجة للأبصار ينظر الإنسان فيرى الحشرات الطائرات مملوءة حكمة مزدانة بالآلات . أليس من أعجب العجائب أن يمر في هذا التفسير نقلا عن علماء الأمم في الأرض بلا تكبير أن الذبابة أربعة آلاف عين كل عين منها مستقلة . ألم يتقدم في ﴿سورة النمل﴾ أن للنملة خمسة أعين منها عينان مركبتان كل عين منهما مركبة من نحو مائتي عين . فبالت شعري ماهي النملة ؟ وما هي عينها ؟ وما هي الذبابة ؟ وما هي عينها ؟ وما هذه الحكم البديعة الجميلة الكثيرة التي لا حصر لها في مخلوقات منبذات قدرات محقورات ، وما هذه العناية بها حتى سمعنا الله في القرآن يقول - إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها - ثم أعقب ذلك بما يفيد أن الناس ﴿قسمان﴾ قسم يعلم أن هذا حق ، وقسم جاهل مستهزئ . وأيضا سمعناه سبحانه وتعالى يسمى سورا بأسماء الحشرات من نمل ونحل وعنكبوت

هذه عناية الحكمة الإلهية بأفقر المخلوقات وأحق الحشرات فكيف عمت رحمته هذه المخلوقات كلها ثم هو نفسه سبحانه يدع أمما من نوع الإنسان في الضلال والوبال والخسار والجهالة العمياء . وإذا منح الذبابة أربعة آلاف عين بأصرة قد ثبتت فعلا ورؤيت بالمنظار المعظم بشهادة جميع العلماء في الأرض ، أفليس من رحمته أن يمنح أمثال هؤلاء الهنود قوى عقلية ترفعهم عن هذه الجهالة والذل والخرمان وضلال العقول الذي أورثهم ذل الأبد وضياع البلد والخزي المين

فقلت : حياك الله . لقد أجدت في إيراد هذا السؤال وحسن منك انك أوردته لأنك فتحت لي بابا واسعا من الحكمة لولا سؤالك لم يخطر بنفسى معناه ، إن الله فعل مع هؤلاء الهنود من الرحمة أكثر مما منح تلك الحشرات وأعطى كل ذي فضل فضله . فقال أريد الإيضاح . فقلت : إن الله بهذه الأحوال الهندية كأنه يخاطب الناس قاطبة يقول : « أي عبادي ، أنا حكم عدل في الدنيا والآخرة ، فهل أخرت الشمس ثانية واحدة عن موعدها ؟ أم سرت القمر في غير طريقه ؟ أم أخلت بأي جسم من الأجسام السماوية ؟ هل نسيت حقيرا لحقارته ، أم حاييت عظيما في نظركم لعظمته ، أما ما تظنون مما يشبه الجور مني في هذه الأمم

الانسانية فذلك ليس جوراً مني وإنما هي الحجب أسدلت على عقول أكثركم فلم تفهموها ، وظلمات الذنوب غشت على أفئدة أكثركم فلم تعقلوا مانعاً بأهل الهند وبغيرهم صانعون

« أيها الناس : أنا لا أعطي ولا أمنع إلا بحق فلمست أعطى الأطفال علم العلماء ولا أمنع مستحق الحكمة علم الحكماء ، والناس في الأرض ليسوا على شاكاة واحدة بل هم طوائف و فرق وأصناف لكل طائفة شأن يفنيها وحال تواتيها ، إن هذه المادة قد قبلت الصلابة والسيولة والحال الغازية كالحديد ، والماء والهواء فلم أخل عليها بجميع هذه الأحوال هكذا الحيوان اختلفت أجناسه وأنواعه وأصنافه ، فنه بقة ومنه فيل ومنه حيوان ذرّى لا ترونه بأعينكم ومنه جبل كبير ، أنا واسع ، أنا حكيم ، وكل طائفة من هذه الحيوانات سعيدة بحالها فرحة بحياتها شاكرة لخالقها فتكون المخلوقات كلها خادمة لي ، فهل من العدل أن أوسع نطاق الحيوان والمعادن والنبات والجوامد ثم أعتمد إلى أرقى حيوان وهو الإنسان فأجعله في دوائر ضيقة . كلا . أنا واسع . أنا حكيم . تتعجبون أيها الناس من قوم عبدوا البقر وهذا البقر يطوف عليهم آناء الليل وأطراف النهار . تتعجبون انهم تركوها في سبلهم وحقوقهم ترتع وتأكل ما تريد . تتعجبون من ذلك كله وتقولون أيضاً إن البراهمة استحوذوا على عقول القوم وغشوا على أبصارهم واستعبدوا (٦٠) مليوناً وحقروهم وعدّوهم في الأذنين وهم الفرق الرابع . كلا . لا ظلم اليوم ولا ظلم في المخلوقات كلها من حيث النظام العام ، هؤلاء أناس استعدادهم بدياتهم وأخلاقهم وتركيب عقولهم لا يسع أكثر من هذا . نظرت إلى تركيب عقولهم وإلى نظام أمورهم فوجدتهم لم يتجاوزوا المحسوسات وهذا لا عيب فيه ولا ظلم ، ألم أخلق في البراري والغفار ما لا يحصى من الحيوان . ألم أخلق في الغابات في خط الاستواء طوائف من الحيوانات والطيور ولكل منها مكان خاص إما في أسفل الشجرات وإما في أواسطها وإما في أعلاها ، وكل سعيد في مكانه ، مقيم في بيته ، راض عن ربه ، فهكذا من نوع الإنسان طوائف ارتقوا عن الحيوان ولعنهم لم يصلوا منتهى الكمال وأحبوا القرب مني ، ولكني أنا لست كخاوتني . وإذا كنتم أنتم لا ترون الهواء ولا السكر به فكيف تروني ! فمن رحتي إذن أن أقيض لهم أناساً يضربون لهم الأمثال المجسمة إما بالأصنام وإما بالحيوان ومنه هذا البقر . فإذا رأيتم البقر يطوف عليهم ليلاً ونهاراً وهم يعظمونه فما هذه إلا أصنام متحركة . بمنظورها يخضعون لما يتوهمون فيها من القوة القدسية فيعيشون معها بسلام وأمان لأنهم يتذكرون الحلال والحرام في نظرهم بالأصنام في المدن والقرى في الحقول والسبل . أصنام متحركة اخترعوها وعجول سائبة عظموها . فهؤلاء ليس في طاقتهم ولا في إمكانهم أن يفكروا في جمال شمسى وقرى وكواكب ولا في تركيب نفوسهم تفكيراً جدياً ويعرفوا بذلك مقدار عظمتي فأعماهم رؤساً وهم تلك الصور والأشكال لتكون تذكرة لهم كما قلت لكم في القرآن حاكماً عن الكفار - ما عبدتهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - وإذا كنت أنا قد ساطت الذباب على قدرى العيون ومتسخي الأجسام وأرسلت طوائف المكروبات (الحيوانات الذرية) على ضعيفي الأجسام ليفارقوا الحياة في هذه الأرض راحة بهم ، وخلقت الدود وسلطته على أجسام الناس في قبورهم فذلك لأنني حكيم أضع الأشياء مواضعها ولا أعطل موجوداً ، وكيف أنطلق الأجسام الميتة وهي جديرة أن تكون قوتاً لأمة من أمة الحيوان ، وتعطيل المنافع اخلال بحكمة الوجود ، فهكذا إذا ضلت أمة من أمة الإنسان على مقتضى سنن الكون وأخذت تقترب من أخلاق الحيوان فأنا أعطيها ما يشبه العلم راحة بها ويكون ذلك أشبه بأهواء الفاسد يعيش فيه الناس والحيوان إذا لم يكن سواء وهواء فاسد خير من الاختناق والموت السريع بهدم الهواء وبعض الشرأهون من بعض وليس في طاقة أرضكم وعوالمها بحسب النظام أن تكون على غير هذا النظام ، ألم تروا يامعشر المسلمين انكم في حال جهالككم (كان ذلك منذ خمسين سنة وأنا محاور بالجامع الأزهر وحصل في قرينتنا كفر عوض الله حجازي شرقية وشاهدته بنفسى) إذا قلّ العلم وكثر الجهل تفعلون فعل الهنود مع انكم مسلمون وأنتم بذلك

فرسحون ، ألم تعينوا عجولا من البقر ومن الجاموس وتطلقوها في الحقول والضيقات باسم ولي من أوليائي عندهم (ذلك كان فعلا في بلادنا فيقولون هذا الخجل للسيد البدوي وهذا العزب) وهكذا فما كان الناس ليقدروا على طرد تلك الدواب من حقولهم خوفا من السيد ومن العزب بل الاصوص كذلك لا يجسرون على سرقة تلك العجول لا خوفا مني بل خوفا من عبادي الميتين (وقد تنورت بلادنا اليوم بالعلم وألغيت تلك الأحوال) « تقولون أيها المسلمون إن البراهمة غشوا على عقول الهند ، أولستم ترون شيوخ الطرق والمقشبين بهم ينفذون ويروحون في طول بلاد الاسلام وعرضها لشدة جهالة المسلمين وقلة العلم عندهم ، وهؤلاء الشيوخ أتم تغدقون النعم عليهم وتطلبون منهم الدعاء كأني أنا أطلب منكم وسطاء بيني وبينكم مع ان الخمل والنحل والذباب أنعمت عليها بالواسطة بيني وبينهم ، ألم تروا بأعينكم في جميع أقطار الاسلام في جهاتها (ذلك رأيته بنفسى في قريننا أيضا منذ خمسين سنة) شيوخا مهممين يطوفون على منازلكم وينصبون حلقات الذكر ويفنى مغنيهم وأنتم تعطونهم (العادة) من أموالكم (وهذا اليوم قد أغنى إذ تورأهل بلادى الآن) وإنما طاف عليكم هؤلاء لأنكم لما حرمت من العلم سخرت لكم قوما يعطونكم ما يشبه العلم من القصص الخرافية وجعلت هيئاتهم تدل على الصلاح لتعيشوا في بلادكم بسلام على قدر الامكان ، فاذا كان جهالة الشيوخ عندهم أيها المسلمون يأكلون من أموالكم ولا يعمل لهم إلا هذا ، واذا كان البراهمة يحقرون الشعب وينمونه عقوله وليس لهم عمل إلا هذا ويعيشون من أموال صريديهم فذلك ان هؤلاء الشيوخ وهؤلاء البراهمة أشبه بالحكام الظالمين الذين أسلطهم على الأمم المجرمة فيكون نفعهم أكثر من ضررهم في الحياة الدنيا لئلا يقتل بعضهم بعضا اذا لم يكن لهم حاكم ، قوم جهلاء لم يستعدوا للعلم فلتكن لهم صورة الصلاح يرزنها بأعينهم وليأخذ أولئك الشيوخ من أهوالهم إبرزؤهم عسى أن يفكر مفكر فيخرجهم من الجهالة الى مرتبة العلماء ، هذا هو نظامكم في الدنيا أيها الناس

« أما نظام الأرواح ومراتبها بعد الموت فأمره عنكم مستور ، ولكنى أقول أيها الناس : إن الأعمى هنا أعمى هناك ، إني خلقت (حشرة الأرض) ذات المملكة الواسعة وهي عمياء ، أفلا أخلق انسانا أرق منها بما لاحد له وأضعه في مرتبة بعد الموت لا يستحق سواها ، فان كان أعمى البصيرة هنا أعمى هناك ، وان كان مفكرا هنا جعلته مفكرا هناك . إذن لاظم اليوم . أنا خلقت الخمل وخلقت الأرض وما قلت إحداها لماذا لم تخلقنى كالآخرى بل كل يسعمل على شاكلته . هكذا أهل الهند الذين ضلوا ببقرةم وأحسانهم وجهال المسلمين الذين اتسكروا على شيوخهم وأتباع (أغا مهنون) في الهند من الاسماعية الذين قتلوا رؤسهم . وكذلك رجال البهائية اليوم الذين انتشروا في الفرس وفي غيرها وأمريكا وأوروبا . وكذلك أتباع (غلام أحمد) بالهند وغيرها . هؤلاء وأمثالهم يقولون ان رئيس مذهبهم هو المسيح . وعزتى وجلالى ان لم ينته المسلمون عن التواني والكسل لأسلطن عليهم أقل الرؤساء الحكيم عدلا وأجهل الوعاظ علما وهذا في الحقيقة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأحرى وهم لا ينصرون . أهل الهند معذبون بشيوخهم . معذبون ببقرةم وهم لا يعلمون انهم معذبون . والمسلمون معذبون بجهالة شيوخهم وبأساطيرهم وهم لا يعلمون انهم معذبون »

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد وفيت المقام حقه وأراح الله عز وجل بقولك خرافات أسدات على العقول عجبا ولكن أرجو أن تبين هذا المقام (أولا) أن تبيض القول في أمر الهنود الذين خضعوا للبراهمة فتضرب مثلا لأضرهم من التقليد (ثانيا) أن تبين لي نموذجاً من كتب أكابر المسلمين تدعو الى ما يشبه بعض الشبه ما فعله البراهمة حتى يظهر لنا بامتاحتها انها لا تصلح لهذا الزمان ، ومتى فعلت ذلك انصرف المسلمون عن هذه الأحوال (وثالثا) أرجو أن تضرب مثالا تفعله بعض الأمم التي لم يقتلها التقليد في زماننا حتى يوازن

المسلمون بين من قتلهم التقليد الجاهل وبين من أحياهم العلم . فقلت : إذن ذلك (ثلاثة فصول) الفصل الأول (في بيان الضرر الفعلي في بلاد الهند من سوء التقليد) (الفصل الثاني) في نموذج من كتب منسوبة لبعض عظماء الاسلام تدل على الطريقة التي كانت متوارثة فيما بين الملوك ورجال الدين (الفصل الثالث) في ضرب مثل لمن صاروا أحرار الآراء وماذا فعلوا . وهماك بيانها

(الفصل الاول)

(في بيان المضار الحاصلة في بلاد الهند في هذه الأيام بسبب سوء التقليد تفسيراً لهذه الآيات)
جاء في جريدة « الاهرام » بعنوان « رسالة الهند بالبريد الجوي » من مدراس بتاريخ (١٧) أكتوبر سنة ١٩٢٩ م ما نصه :

كانت الجمعية الهندية التشريعية في خلال الأسبوع منهكة بمشروع اصلاح اجتماعي نال الشيء الكثير من اهتمام أعضاء الحكومة والزملاء الوطنيين وهذا المشروع هو من اقتراح رأى (هر بيلاس سردا) أحد الاعضاء الخصوصيين وهو عبارة عن مشروع قانون عقوبات على زواج الذكور قبل سن الثامنة عشرة والاناث قبل الرابعة عشرة وقد اجتاز هذا المشروع المصاعب الأولية بفوز ونجاح . وذهبت جميع مساعي المدافعين عن تقاليد المذهب الهندي وبعض المسلمين أدراج الرياح وتقرر النظر في المشروع مادة مادة . ولا ريب أن ما لقيه هذا الموضوع من التأكد العظيم سيقنع العالم الخارجي أن الرأي العام في الهند قد بدأ يثور على العادات القديمة وهذه علامة تبعث على الرجاء . ان الزواج في الهند يكون عاماً للنساء والرجال . فالهندوكيون يكررون في الزواج أما عنصر البارسي فلا يتزوجون الا كباراً وهناك شيعة من الهندوكيين تجيز تعدد الزوجات وطائفة السكوليين من مذهب البراهمة يتزوجون أكثر من زوجة واحدة والمسلمون وان كانت دياتهم تبيح زواج أربع نساء فانهم لا يتزوجون عادة أكثر من زوجة واحدة . ولا تزال عادة الزواج بالأسير شائعة في طائفة الخول في أواسط الهند . والهندوكيون يعتبرون الزواج سرا مقدساً والزوجة الهندوكية تعتبر شريكة مساوية لزوجها . ولا تزال سيثا زوجة راما بطل لامايانا لدى الهندوكيين المثل الأعلى للزوجة وحسبنا أن نقبس هنا ما وصف به جنكا والسيتا ذلك الملك الحكيم ابنته عندما زفها الى عروسها البطل (السرراما) فجاء وصفه مطابقاً لما بعده الهندوكيون المثل الأعلى للزوجة في كل عصر وقد قال مخاطباً (السرراما) شعراً مؤداه : « هذه هي سيتا ابنة جنكا التي هي أعز عليه من الحياة . وستكون من الآن فصاعداً شريكة فضيلتك أيها الأمير وزوجك الأمين . وستشارك في السراء والضراء في كل بلاد . فأكرم مشراها وتلطف بها في البهجة وفي الاحزان وضع يدك في يدها . ان الزوجة الامينة يجب أن تكون كالظل لزوجها لا تفارقه . وبنتي سيتا خير النساء ستبعلك في الموت والحياة » ان مراسيم الزواج في الهند بدعية يعقدها الشيء من الأفراح والمسررات . والطلاق نادر عند الهندوكيين ولكنه شرعي جائز عند المسلمين . أما البارسيون سواء من المسيحيين أو البوذيين فنسبة المتزوجين منهم الى غير المتزوجين هي ٣٨ في الألف من الذكور و ٤٧ في الألف من الاناث . وتكاد تكون هذه النسبة ذاتها في الطوائف الأخرى . والزواج المبكر شائع لدى بعض طوائف الهندوكيين والاقتران قبل سن العاشرة أكثر شيوعاً في باهار واوريسا وبنجاب وأواسط الهند وحيدرآباد وهوندرجدا في عسام و بورما وولايات الحدود الشمالية الغربية والسند ولكنه على كل حال قاصر على الطبقات الدنيا غير المثقفة . فكثيراً ما يتفق أن يقتنر شيخ فان بفتاة في ربيع العمر وهذا بنوع خاص عند الهندوكيين . فالوالد الذي يهب بنته لقاء قبضة من الذهب لشيخ بقية أيام حياته معدودة يكون عبارة أخرى قد ابتاع لها الترميل الأبدي وهو نوع من قتل الاطفال ولسوء الحظ لا ينهي عنه القانون الا في ولاية ميسور الراقية حيث لا يجوز قانوناً أن يقتنر رجل في الخمسين من العمر بفتاة دون الرابعة عشرة من عمرها وفي بارودا قانون يمنع زواج البنت دون الثانية عشرة من العمر والغلام دون

السادسة عشرة . وهذه الأعمار ليست طبعاً آخر ما يقال ولكن بقية الولايات الهندية حتى الهند البريطانية لم تقم بهاتين الولايتين الرافيتين اللتين يحكمهما أصراً متتورون احرار المبادئ من الهندوكيين ولم ينسج على منوالها هذه أسباب ، والذي زاد هذا النظام ضرراً هو ما يقبضه الهندوكيون في مسألة الأرامل لان مذهبهم لا يجيز زواج الأرملة وان كانت في زهرة صباها حتى ولو كان الزواج لم يعد عقد الخطبة . ويبلغ عدد النساء الأرامل في الهند ثلاثين مليوناً ومعنى ذلك أن بين كل مئة امرأة ١٩ أرملة مع أن نسبة الأرامل في أور بالآزيد على ٩ في المئة ولكن بينما لا يوجد بين أرامل أوربا سوى ٧ في المئة دون سن الأربعين من العمر يوجد بين أرامل الهند ٢٨ في المئة دون هذه السن وما يدهش قراءكم أن هناك ١٩٠٠٠ أرملة في الهند لا تتجاوز سنهن خمس سنوات وهناك نحو ألف أرملة لا يزيد سنهن على سنة واحدة . فالفناء على هذه المخاوقات البريئة أن تقضى العمر في الترميل مع ما فيه من الحرمان عند الهندوكيين سخافة جنائية

وقد اهتمت الطبقة المتعلمة أخيراً وبذلت كل ما في وسعها لالغاء هذا النظام المتعلق بالأرامل . وتبذل الآن مساع عظيمة من عدة مصادر لتشجيع مشروع زواج الأرامل الذي أبيع قبل الآن بفضل جهود المصلحين ومن مجموع أرامل الهند عشرون مليون أرملة من الهندوكيين فهذه المسألة وغيرها من المسائل الاجتماعية كزواج الاطفال والامومة المبكرة قد انتقدت أشد انتقاد ولا سيما من الكتاب الغربيين وأخص بالذكر منهم (المس مايو) الكاتبة الأمريكية الشهيرة التي صورت هذه المسائل تصويراً مجسماً وأفادت في وصف هولاء وشاعتها وقد ذكرت في رسائلها الماضية الجهود التي يبذلها زعماء الهند لتحسين حالة المرأة الهندية . والحقيقة ترغمني على القول انه حتى نهار أمس كانت حكومة الهند أكبر حليف للرجعيين الذين يأبون اصلاح النظام الاجتماعي من جميع الطوائف . وبالرغم من هذا كله فان الحوادث سائرة سيرا سريعاً شطر الاصلاح وشعرت الحكومة بانها مرغمة لان تعين لجنة تمثل الهندوكيين والمسلمين للنظر في مشروع تحديد سن الزواج . وقد كان العضوان المسلمان في هذه اللجنة كلاهما من معارضي المشروع ولكن أحدهما وهو منان شاو وأخان رأى نفسه أخيراً مرغماً بالأدلة الساطعة التي قدمت الى اللجنة على أن يغير اعتقاده فاعترف في الساعة الاخيرة إن زواج الاطفال المتبع حتى الآن يجب أن يحرم وتفرض على مرتكبيه العقوبات وإن معارضة المتمسكين بحرفية أصول المذاهب يجب أن لا يأبه بهاتين . وكانت سيدة هندية ضمن أعضاء هذه اللجنة . وقد أصدرت هذه اللجنة قرارها قبل انعقاد جلسة الجمعية التشريعية الحالية . وما استوقف الانظار في أثناء التحقيق الذي كانت تقوم به اللجنة هو ازدياد الرأي العام الذي يؤيد فكرة وجوب تغيير مشروع قانون عقوبات زواج الاطفال واعتبار البغاء الخارج عن دائرة الزواج جريمة خطيرة قبل سن الثامنة عشرة وهي السن التي يمكن اعتبار المرأة فيها راشدة وان ما ارتكبه يكون برضاها . وفوق ذلك فان البعض طلبوا بالحلف أن يعتبر البغاء جنائية بصرف النظر عن سن المرأة . وقد أوصت اللجنة بوضع قانون يحدد النهاية الصغرى لسن زواج البنات ١٤ سنة وأوصت بأن يكون سن الرضا بدخول الزوج على عروسه ١٥ سنة . وأن يكون سن الرضا لصيانة البنت من اغواء شخص غير زوجها الشرعي ١٨ سنة وأن يعتبر دخول الزوج على عروسه قبلما تبلغ سن الخامسة عشرة جريمة تدعى سوء استعمال حقوق الزواج . وانه لما كان كل شيء يتوقف على سن البنت أوصت اللجنة بوجوب اتخاذ تدابير فعالة لتسجيل المواليد وتسجيل عقود الاقتران واصدار شهادات بالولادة والزواج . في جو مثل هذا عقدت الجمعية التشريعية جلستها أمس للنظر في مشروع قانون زواج الاطفال المعروف بمشروع سردا . انتهى الفصل الاول

(الفصل الثاني)

(في ذكر نموذج من نماذج الكتب الإسلامية التي تدعو إلى ما يشبه بعض الشبه ما فعله البراهمة في الهند)
 هاهو ذا أمانى كتاب (سر العالمين) لأستاذى وأستاذ المسلمين جيمما (الامام الفزالي) وهذا الكتاب
 يخالجنى في نسبته إليه شكوك بل ججود لأن فيه ما يخالف طريقته ، واسكن الكتاب فيه آراء هي هي التي
 ظهرت في كل زمان ومكان بأمثال الميساويين كابن تومرت المتقدم ذكره وشيوخ الطارق ، الكتاب صفحة
 وافحة بها يتجلى للشبان بعدنا كيف كان رجال الصوفية ، وكيف كان الماوك يوهمون الشعب وينضمونه
 ويفعلون بعض ما فعله البراهمة أيام أن كان أبواؤنا في أرمان طفولية الأمم الإسلامية فنجبوا عن العلم ، الكتاب كله
 يرجع الى جملة واحدة ذكرها العلامة (ابن المقفع) في كتاب (كيلة ودمنة) الذي ترجمه من الفارسية
 الى العربية وهي يجب أن تكون أحد رجلين ماسكا عظيما أو ناسكا عابدا ، وهذه الآراء بانتشارها في الاسلام
 أضلت الأمة ، فكل متعلم يتعالى على الشعب إما بالعظمة العلمية وإما بالعظمة الروحية والزهد . وهذه العظمة
 بأبائها الاسلام . فالأمة كلها متعاونة وعلى كل أن يكون له عمل يواقي قدرته فتكون الأمة كجسم واحد . هذا
 ولأسمعك شذرات من الكتاب تبين مقاصده . وهالك نفسها

(قال السيد الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الفزالي قدس الله روحه ونور
 ضريحه لما رأيت أهل الزمان همهم قاصرة على نيل المقاصد الباطنة والظاهرة وسألني جماعة من ماوك
 الأرض أن أصنع لهم كتابا معدوم المثل لنيل مقاصدهم واقتناص الممالك وما يعينهم على ذلك استخرت الله
 فوضعت لهم كتابا ، وسميته بكتاب (سر العالمين . وكشف ما في الدارين) وبؤيته أبوابا . ومقالات
 وأخرابا . وذكر في فيه صرايب صوابا . وجملته دالة على طلب المملكة وعائا عليها . وواضا لتحصيلها
 أساسا جامعا لمعانيها . وذكر في حكيمة ترتيبها وتديرها فهو يصلح للعالم الزاهد . وللعالم المالك
 بتقليب قلوب الجند وجذبهم إليه بالمواعظ . فأول من استعصمه وقرأه على بالمدسة النظامية سرا من الناس
 في النوبة الثانية بعد رجوعي من السفر رجل من أرض المغرب ، يقال له محمد بن تومرت من أهل ساهية ،
 وتوسمت منه الملك ، وهو كتاب عزيز لا يجوز بذله لأن تحته أسرار تفتقر الى كشف إذ طباع العالم نافرة
 عنها وتحتة علوم عزيزة وإشارات كثيرة دالة على غوامض أسرار لا يهرقها إلا خول الحكماء ، فانه يوفقك
 للعمل به فانه دال على كل ما تريد ان شاء الله تعالى)

وقال أيضا « فاركب بسر علو الهمة وحصل الاتها لئتم لك كماؤها وصير عندك نديما كاتما مطالعا
 على كتبها ، أعني بها كتب سر العالمين ، ثم حصل أرباب صناعة التقليب الذين هم علماء تقلب الكيمان
 قادرين على صبغ الأجر والأبيض . فان كنت قليل الرجال ضعيف العضد وقليل المال فكن كثير الفضل
 والعلم واتخذ لنفسك زاوية على طريق التزهد واجذب اليك تلاميذ وكثر عددهم واتخذ طريق الكرامات
 لينصبوا اليك واستهو الكبار واسلك طريق الصلاح وزنها لنفسك واختل . فاذا هب نسيم سعادتك
 فاكشف لتلاميذك ما الناس عليه من الفسق والفجور واتسكاب ما لا يجوز من كل أمر منكرو وأمر أعتابك
 تستهوى وتجذب كل طائفة منهم قوما آخرين »

وقال أيضا « وقد شاهدت محمد بن الصباح إذ تزهد تحت حصن الموت . وكان أهل الحصون يشبهون
 أن يطلع اليهم فلم يفعل وهو يحصل المرادين ويعلم طريق الارادة والتلذذة وشيا من الجدل . ثم حصل يهذر
 بكلام على قدر عقولهم . ثم جذب الناس وجعل يقول للمريدين ، أما ترون الناس قنتر كوا الشريعة . فلما
 كبر الأمر خرج اليهم بطريق - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فصبا اليه خلق كثير . وخرج صاحب

القلعة الى الصيد والتلازمة أكثرهم أهل القاعة فضجروا الحسن ودخله وقتل الملك في الصيد وفشا أمره ومذهبه حتى صنف في الرد عليهم كتابا وسميته (قواصم الباطنية) ومنتظرهم ذلا بد في آخر الزمان أن يهيجوا السرائع ويبيحوا المحرمات»

وقال أيضا «ولما مات هارون استخلف الأمين وفر المأمون الى مدينة أصفهان ومعه الحسن بن سهل وكان المأمون ذا فنون وعلوم وآداب فقام المأمون في المسجد الجامع وقد فرش باللبد زهدا والناس يهرعون اليه لتعلم العلوم وابن سهل يوصي الى الطوائف ويقول لهم أليس هذا هو الخليفة عفا قبايموه ويقول لهم سنة هذا سنة الأولين الطاهرين . فلم يزل يستدريج الناس حتى حوى عسكره ثمانين ألفا وكانت الأعاجم تسمع بطريق الأمين الفاسد ففروا وطالبوا المأمون حتى عقد الجيوش لطاهر بن الحسين فدخل على الأمين فقتله واستولى المأمون . فكم من هذه السير المقولة وإنما نسمعك بعضها تقوية وإعانة لهمتك»

هاهوذا بعض ما في الكتاب . وقد ذكر أظهار الكرامات وذكر حسن بن الصباح . وأنت اذا قرأت الجزء الأول من الكتاب أيقنت أن ما فيه هو ما فعله محمد بن تومرت . وأذكر كرك بما صر في (سورة الشعراء) من أن كثيرا من الأمراء كانوا مشعوذين والأمم تبهم بالتقليد . وانظر نبذة مما جاء في الجزء الثاني من كتاب (سر العالمين) المذكور وهالك نصها :

«واعلم ان الزمان حبيب أهله وطائفة تخترع لها مذهبا في الناموس بطريق الزهد كالسبح والمرقعات وجلود الغم والبرانس وأذان الليل والاتطاع في الكهفان وكبر الامور بحيث أن يقول لصاحبه اذهب في موضع الفلاني كذا وكذا . وطائفة تظهر النور وأخرى تقعد بين القبور واظهار الخزعبلات والنسرنجيات بمعرض الكرامات ودهن الاقدام والخوض في النار واظهار الخرق من سمنل الصين التي يذهب وسخها النار ومد الشعبة وضرب طلسم على النعل فيعبر الماء ووقوف السجادة في الهواء وشعلة القاديل واشغال السراج بالماء دون الدهن وكثير من ذلك لا يحصى لها . والفرق بين المعجزة والسحر والكرامة هو دوام الشيء واظهاره للناس كاقراءن المجيد فهو المعجز الأكبر والناموس الأعظم» اهـ

إن هذا الكتاب أكثره أوكله مدخول على الامام الغزالي . وقد قلت لك انه صفحة من تاريخ المهديين وكثير من الأمراء والرؤساء الروحانيين وغيرهم

فقال صاحبي : يا سبحان الله . انك إذن تذكر كرامات الأولياء (وبعبارة أخرى) إن كتابك هذا انكار لأعز شيء عند المسلمين وهي الولاية . فقلت حاشا لله أن أنكر الولاية والله سبحانه وتعالى يقول - ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة - . فقال نعم ولكنك وازتهم بالبراهمة وقلت إن هؤلاء الأكابر يسيطرون على الشعوب بأحوالهم وبأعمالهم . فقلت : أنا أقول لك إن هذه الحياة غير ثابتة ونحن على الأرض أياما معدودات ولا بد لنا من السفر منها وتوديع أهلها والحياة بدون حب حياة محاولة والمحبة للجمال والجمال وللولد وللملك وللمصيت ولذلك الحسن لا تدوم لأن الجمال وما بعده في الأرض كلها زائلات سريرات العطب ، والعلماء لما فسكروا لم يجدوا محبوبا أجلا من كل محبوب إلا من هو منبع للجمال والجمال وللملك وللمصيت وليس يعطي الجمال ولا الملك إلا من يملكه ، فلولا أن صانع العالم أجلا من كل جميل ، وأحكم من كل حكيم ، وأعظم من كل عظيم ما خلق الجمال ولا الحكمة الخ لأن فاقد الشيء لا يعطيه . هنالك جعلوا حياتهم كلها وقفا على (أمرين) العلم بذلك الجميل المحبوب بدرس مصنوعاته والعمل لاسعاد أشرف من على الأرض وهو نوع الانسان ، فالولى هو الذى انصف بهاتين الصفتين وهما العلم بهذه العوالم حتى يحب الصانع والسعى في اسعاد الأمم ، إن ذلك الولي يرى أن محبوبه الذى عرفه بمصنوعاته له عناية تامة بكل مخلوق على الأرض ، فهو إذن يحب ما أحبه ويسعى

في اسعاد عباده وأقر بهم إليه بنو آدم ، فالتد علم وحكيم في صنعه ، فهذا أيضا يعلم وتكون له أعمال صالحة متقنة اتقاناً تاماً بنظام بديع . وكل صانع متقن صنعه سواء أكانت الصنعة تأليفاً أو آلة نافعة للناس كان قربه على مقدار اتقان صنعه بمقتضى درجته .

فقال صاحبي : هذا حسن . ولكن ما تقول في الكرامات . فقلت : هذا هو بيت القصيد . لقد تقدم في هذا التفسير ما نقلته عن الشيخ الخواص والشعراني والديباج من كبار الأولياء في الاسلام إذ أجمعوا أن الكرامات ليست مقصودة لذاتها . وأن الصالح إذا ظهرت على يده خوارق العادات إن فرح بها واطمأن كانت سبباً في حرمانه وإذلاله وطرده لأنه لافرق بين المال وبين تلك الكرامات حتى قال الشيخ الديباج : « إن من كشف له عن العوالم العلوية يكون في خطر شديد ، وهذا الفتوح أكثره عذاب واستدراج وبعد عن الله فالحجاب خير من هذا لأن هذا الفتوح يفرّ النفس فتقف عن الرقي فيكون استدراجاً قال الله تعالى - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون - » فهذا القول اجماع من القوم .

فقال صاحبي : ولكن النفوس الانسانية يدهشها أن ترى اخباراً بالغيب أو أمورا خارقة للعادة فمن حقها أن تتبع أولئك الذين ظهرت على أيديهم تلك الخوارق . فقلت : هذا هو الذي جاء الرسل بمنعه وانكاره . إن خوارق العادات المنقولة عن الشيوخ أكثرها كاذب والذي صدق منها ليس يدل على الفضيلة لأن الفضيلة كما قدمت في العلم والعمل وأما هذه الخوارق فليست من خواص دين الاسلام بل هي أمر عام عن المجوس واليهود والنصارى وعباد الأوثان . فكم في البراهمة من مخبرين بالغيب . وكم في الأمم الوثنية من لهم أعمال خارقة للعادة . وهؤلاء وهؤلاء يموتون ولا فضل لهم إلا ان الناس يهدونهم الهدايا ويقدمون لهم القرابين . فجزاؤهم قد أخذوه في الدنيا . وقد قدمت لك قول الشيخ الخواص للشعراني « ان الرقي يجب عليه أن لا يأخذ من الناس شيئاً . وانه اذا أقبل الناس عليه كان هذا الاقبال جزاءً مجبلاً في الدنيا فيموت مفلساً لا له ولا عليه ، وربما مات مديناً ولا ثواب له بعد الموت »

وانما ذكرت لك كلامهم (وأيضاً أحيلك على كتبهم) لأني أعلم أن الأمم الاسلامية توقن اليوم ايّاماً تاماً بما يقوله نفس هؤلاء الأولياء رحمهم الله وان يقدر أحد أن يقول . كلاً . وأعظم الكرامات العلم واحساس النفس بحب صانع العالم ثم الشوق الى لقائه . ومن لم ينل هذه المرتبة وهي الشوق الى لقاء ربه وحبه والغرام به وانتظار الموت للقاءه فهذا ليس ولياً . ومن قعدت به همته عند اعظام الناس له بسبب كراماته فهذا رجل جاهل مسكين أحب الدنيا وانقطع لها بقلبه والناس من غفلتهم يقبلون يده . فقال : وما دليلك . فقلت قوله تعالى - قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين - ولا يتمونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين - قل إن الموت الذي تفترون منه فانه ملائكتكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون -

فقال صاحبي : إن هذا القول منك حسن وأنا نظرت ما نقلته أنت في هذا التفسير عن هؤلاء الأولياء ولكن لماذا لم يقل القرآن ولا النبي ﷺ هذا ؟ القرآن ملأه بخوارق العادات فحسبنا ذلك فيها وفيمن ظهرت على أيديهم . فقلت القرآن هو الذي نزل لا يقال هذا الباب ، ألم تر الى عجل السامري إذ عبده بنو اسرائيل إذ رأوه أفضل من عصا قلبت حية والى سحرة فرعون كيف آمنوا لأنهم علماء ، إذن المدار على العلم لا على هذه الخوارق والله يقول - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الخ وأذكرك بحديث الدجال ذلك الذي تظهر على يديه خوارق العادات ، فانظر حديثه الذي رواه البخاري بسنده عن المغيرة بن شعبه أن المغيرة قال له يا رسول الله انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو أهون على الله من ذلك ، ويقول الشيخ محي الدين النووي عن القاضي عياض (انه شخص ابتلى الله به عباده فأقدره على أشياء من المقصورات

من إحياء الميت الذي نقله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الأرض له ﴿ إلى آخر ماقاله انظره فيما نقله الخازن في تفسير آية - خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون - في تفسير ﴿سورة المؤمن﴾ وهي سورة غافر

وأنا أقول إنما جاءت مسألة عجل السامري في القرآن وجاء أمر السجال في الحديث وحذر النبي ﷺ المسلمين منه وأفادهم أن الأنبياء حذروا قومهم منه . أقول إنما جاء ذلك كله ليعرف قراء هذا التفسير وأمثاله أننا نحن الآن قد خدعنا الدجالون في داخل الاسلام وفي خارجه . وقد يكون الرجل دجالا ولا علم له بحاله . وكل من صد الناس عن الحكمة والعلم وأرجعهم الى طريقته وحده فهو دجال علم أولم يعلم . فإذا يصنع الله للمسلمين بعد هذا . ذكر لهم في القرآن أن المدار على التعقل والفهم . ان عجل السامري عبده الجهال وأما العلماء فلا . وأخبرهم ﷺ أن الدجال تكون على يديه خوارق العادات وأن جنته يجب الاحتراس منها وأن ناره تصير بردا وسلاما على داخلها

وأنا أقول كما قلت في مواضع كثيرة من هذا التفسير ﴿ العلم والعمل صعبان على الناس والجهل والخلوة والذكر مع اهمال أعمال الحياة سهلة على الناس ﴾ فليزج المسلم بنفسه في العلم والعمل وان كانا شاقين عليه فهما سعادته في الدنيا والآخرة . أما السكسل فانه معطل للمواهب وهو جنة ظاهرا وجهنم حقيقة . وإذا وجدنا أن عيسى قتل السجال فليقتل نحن السجالين في أمم الاسلام قتلا أدبيا بأن نعمم التعليم في ديار الاسلام فالعلم وحده يقضي على الخرافات ويحيي النفوس . فالمسيح رمز للعلم والدجال رمز لأولئك الذين أضلوا الأمم وهم جاهلون . لا دجل أكثر من الجهل . انظر الى الأمير عبد القادر الجزائري . ذلك الرجل الحكيم كيف حارب الفرنسيين سنين وسنين . ولكن لما عمّ الجهل بلاده جاء عالم فرنسي وصار مطلعا على أسرارهم . ومن هنا غلب المسلمون على أمرهم لأنهم لم يقرؤا تواريج الأمم فقلّ احتراسهم . ثم انظر الى محمد أحمد المهدي السوداني ظهر للناس بالكرامات ولكن لنقص العلم بأحوال هذه الدنيا لما أسلم رجل نمساوي كان في الجيش الانجليزي (أثمته) وبه وحده فتح السودان ولقد كان ينام على باب المهدي ويبيت به يقول « لا إله إلا الله محمد رسول الله محمد أحمد المهدي ولي الله » وهكذا

فقال صاحبي : أنا الآن اكتفيت أن تلك الخوارق لانقيم أمة وأن المدار على العقل . فهل لك أن تحدثني عما رأيته أنت منها . فقلت انظر كتاب الأرواح تأليفي . فلقد صرّ في هذا التفسير منه كثير وهو مملوء بهجائب الخوارق العجيبة على يد الأرواح المحضرة من احضار الفا كهة في غير أوانها ومن الاخبار بالغيب الخ واني أحدثك حديثا حصل في مصر . وذلك اني يوما كنت جالسا مع المرحوم صديقي حسن باشا جلال في منزله بالاسكندرية فحضر صديقة مستشار كبير في محكمة الاستئناف وقال أنا أريد أن أحدثكما حديثا عجيبا . أنا كنت قاضيا في قنا بصعيد مصر فحضرت عند عمدة البلدة وكان هناك رجل يسمى الشيخ سليم فقالوا له أظهر شيء (للبك) أي القاضي فرفض وأبى فألحوا عليه ثم قالوا للبك اطلب شيئا فقال اطلب منك أن تحضر لي زجاجة (فيها روائح عطرية) قال وهذه لانكون إلا بالاسكندرية . فقال له : حالا أعطني (٢٥) قرشا فأعطيتها له فرماها في الجوّ وصار يضرب على عجب ذنبه في مؤخر ظهره ثلاث دقائق ، ثم قل ضع يدك في جيبك قال فوضعت يدي في جيب فوجدت الزجاجة فدهشت وقرأتها وهي باللغة الفرنسية وعجبت أشد العجب فقال المرحوم حسن باشا جلال ديني يمنع ذلك وكنت لم أطلع على علم الأرواح الحديث اطلاعا تاما ولم أؤلف كتاب الأرواح . فقلت إن كتاب الاشارات لابن سينا فيه ان بعض النفوس الانسانية تقدر على أعمال عظيمة وعلى اخبار بالغيب ، وضرب مثلا لذلك بأن الترك يأتون برجل يعرفونه ويربطون حبلا في رقبتهم ويذهبون به ويحيون فيغشي عليه فيخبر بالغيب . وهكذا يقول : ﴿ إن قوما يضعون قطرة خبر في زجاجة فيها ماء

ويأمرهم شخصاً مخصوصاً فينظر إلى تلك النقطة نظراً طويلاً فيخبر بالغيب ﴿ وانتهى المجلس على ذلك . ثم إن الشيخ سليماً المذكور سمعت بعد ذلك عنه من كثير من القضاة والمستشارين والمحامين والعلماء والمدرّسين غرائب تفوق التصوّر ومع ذلك كان رجلاً جاهلاً . ثم اتى لى أصحاب من شيوخ الطرق أخبرنى غير واحد منهم أنهم يتظاهرون بالأخبار بالغيب إيهاماً للعامة واستحوذاً على عقولهم

فقال صاحبي : أنت الآن أعلمتني علماً اقناعياً أن هذه الخوارق ليست مقصودة ولا نافلة بل قد تكون ضارة فهل يوافقك علماء الاسلام على ذلك ؟ فقلت انهم يقولون ﴿ إن خوارق العادات كما تكون على أيدي الأنبياء تكون على أيدي العامة وعلى أيدي الكاذبين والفاشرين وتسمى على يد الولي كرامة وعلى يد النبي معجزة وعلى يد الجاهل معونة وعلى يد الفاسق استدراجا ﴾ فقال والله هذا عجب فأرجو الآن أن تختتم هذا القول بحادثه تكون مدونة في الكتب موثوقاً بها عند الأمم التي تعيش معنا حتى تكون مقوية لما ذكرته أنت لأن ما ذكرته أنت يسمى خبراً لإنسان واحد ولكن ما ذكره عن أهل العصر يكون قد اطلعت عليه الأمم وأقرته . فقلت : أحدثك عما جاء في « مجلة الجديد » تحت العنوان التالي وهذا نصه :

(أشمودة أم علم ؟)

اعلم أن (هوديني) رجل ساحر أمريكي كان يعيش في عصرنا هذا واشتهر بأفعاله الغريبة التي بزّ بها كل ساحر سبقه حتى إذا مات منذ سنوات دفن معه سر كثير من أعماله التي لم يجد لها الناس تهيلاً ، فمن ذلك انه يأتي بكرة ضخمة يدخل فيها رجلاً ثم يربط شرائط السكر إلى بعضها ويطلب من الرجل أن يخرج من السكر دون أن يمزقها ودون أن يفك الشرائط ، وهذا العمل مستحيل كما هو ظاهر ، ولكن هوديني استطاع أن يفعله بكل بساطة وسهولة ، ويحبس (هوديني) نفسه في تابوت من الرصاص أحكم إغلاقه ثم يدفن على عمق ستة أقدام من سطح الأرض فإذا بك تراه أمامك بعد لحظة ، وقد يدخل أيضاً إلى الخزائن الحديدية الهائلة التي تستعملها البنوك الكبيرة وتوصد الأبواب الضخمة عليه ولكنه لا يلبث أن يبدو لك كأنما هبط من السماء ، وهزأ (هوديني) بجميع سجون أمريكا وأوروبا كما أن الأغلال لا تستمر في يديه إلا ريثما يمضي ثوان معدودة فإذا يدها طليقتان وإذا هو حرّ يرح ، والآن بعد أن مات يقساهل الناس : كيف تسنى له أن يمارس كل هذه الحجائب ؟ ويقول (السرارثكونان دويل) « انه يعلم هذه الظواهر الغريبة بأن هوديني القدرة على التحلل من الحالة المادية » ولكن هوديني نفسه سخر من هذا الرأي الذي يريد أن يقرّره (السرارثكونان دويل) فقد كتب هوديني يقول :

« لست أنحلل أو أتجسد ، وكل ما في الأمر انني أحكم في ارادتي وأسيطر على الأشياء المادية على طريقة أفهمها وحدي ولا يستطيع أن يفهمها سوى من قد أبوح لهم بأسراري ، على انني أرجو أن أدفن بأسراري معي لأنها لا تفيد الإنسانية ، وإذا عرفها بعض عديمي الذمة تسنى لهم بواسطتها أن يسيؤوا لإخوانهم »

ولقد بلغ من ركون (هوديني) إلى كفايته وقدرته الشاذة انه سجن نفسه في سجن (سيديريا) الشهير الذي يفخر البوليس الروسي باستحالة الهرب منه على أي سجين ولكن (هوديني) استطاع أن يرى الضوء بلامشقة ، ولقد قيد (هوديني) بالسلاسل الضخمة وربط إلى فوهة مدفع تنطلق منه قنبلة بعد ربع ساعة ولكن هوديني تخلص من قيوده في ست دقائق

ومجلة القول ان (هوديني) أتى بمجائب يحار فيها العقل ومازلنا حتى الساعة نجهل شأنها . انتهى ما جاء في المجلة المذكورة والله أعلم

فلما سمع صاحبي ذلك قال : لقد وضع الأمر وعرفنا لماذا ذم الله التقليد ، والله لقد كنت في حيرة

وشك في أسرار أمة الاسلام ، فبينما أنا أقرأ تاريخ النبي ﷺ وأصحابه فأجدهم قد تفانوا في خدمة النوع الانساني وهدايتهم فبات عمرهم مقتولا وعثمان كذلك وعلى كل هؤلاء كانوا صادقين صالحين لم يحبوا الدنيا ومع ذلك لم تنقل عنهم هذه الحوادث المدهشة . أقول فبينما هؤلاء كذلك إذ أنا أجد جميع مشايخ الطرق إلا قليلا وكذلك المهديين كابن تومرت وغيره ، كل هؤلاء تنقل عنهم أحوال لم ترد عن الصحابة والتابعين في حار الانسان . أيرجع الى الصدر الأول والى فعل رسول الله ﷺ فيكون بلا كرامة ولا يقبل عليه الناس اقبالا روحيا ، أم يترك الدنيا ويزهدها عسى أن يتبعه الناس ويقبوا عليه ويكونوا له أعوانا وأصحابا فان لم يصل لهذا فقد أراح نفسه من الناس واستراح في منزله وتعبده لربه وصار وليا وانتهى الأمر . قال : فأقول الآن إن هذا كله أصبح في نظري جهالة وأنا أقول أنا الآن مطمئن لقولك وسأرفع صوتي بين المسلمين قائلا لهم بالبرهان لا بالتقليد

« أيها المسلمون جميعا : نحن اليوم مغرورون فكونوا جميعا عاملين علماء مفكرين وإياكم أن يخذعكم قوم عن طريق النبي ﷺ وأصحابه ورسالوا بالليل لتقربوا من ربكم ولا تشغلوا أنفسكم بما لا يفيد دنيا ولا أخرى . فقلت له : لقد فتح الله عليك وأرشدك يقينا بأن هذه الطرق القديمة ضارة بالمسلمين قاتلة لهم وانما طرق دجل وخداع وان كان بعض أصحابها مخلصين على مقتضى تعليم شيوخهم كحسن بن الصباح وأمثاله أذكرك بأميراطور اليابان وهو جد الأمبراطور الحالي فانه كان من أسرار ديانتهم أن جسدته التي مضى عليها أربعة آلاف سنة كانت امرأة نازلة من السماء فكان يعتبره اليابانيون نصف إله باعتبار أمه وهي إلهة وعلى ذلك كان لا يراه أحد لأن من رآه احترق بالنار . فماذا فعل ؟ نظر الرجل فوجد أن أوروبا أكلت الشرق - أكلاما - . فماذا يصنع ؟ نزل الى الشعب وسار في الشوارع وقال للناس أنا الأمبراطور انظروني لا تخافوا فأزال هذه الخرافة . ثم انه أمر بالتعليم العام وقرأ الشعب علوم أوروبا كلها وحاربوا الروس فانتصروا فعظموا هم وعظم الشرق في أعين أهل أوروبا . فهل يليق لعظماء الاسلام وشيوخ الطرق أن يبقوا على هذه التقاليد العتيقة التي أهكت المسلمين والتي هي فعل المسيح الدجال . فليعلموا أن من الجهالة أن ينتظر المسلمون ذلك الدجال والمسيح الذي يقتله وان كان هذا لمانع منه ولكن المهم لنا الآن أن نقتل الدجل والكذب بالعلم كما فعل الصحابة والتابعون أولئك الذين رأوا الفرس والروم حولهم وهم أولوا حول وطول فناموا فاضاعوا الدوائين ليرجعوا العالم الى الصلاح

فليعلم المسلمون قاطبة الآن أن الدجل والكذب الحاليين في بلاد الاسلام يجب محوهما وذلك بالروح العلمية العامة وبغير ذلك لا سبيل لاسعادهم . لهذا جاء ذكر الدجال ولهذا جاء ذكر عيسى قاتله بل لهذا جاء رسول الله ﷺ ولهذا ألف هذا التفسير في الزمان الملائم - ولله الأمر من قبل ومن بعد -

(تذكرة)

(المهديون وبعض شيوخ الطرق . وماذا يفعل المسلمون بعدنا اذا لقوهم ؟)

لقد ذكرت فيما تقدم في هذا التفسير في ﴿ سورة مريم ﴾ ماسطره صديقنا (اللورد هيدلي) الانجليزى الذى يقول في كتابه ﴿ ايقاظ الغرب للاسلام ﴾ ما يأتى :

« إن جماعة من الألمانين عثروا على كتابة في بلاد آشور تاريخها قبل المسيح بنحو (٩) قرون مسطورة في الألواح ملخصها أن ابن الله البكر قد صلب ، وهذا الصلب يشبه صلب المسيح من كل وجه . فقال لأهل الغرب : بأي أبناء الله أقتدى ؟ أبابن الله الذى كتب تاريخ صلبه قبل المسيح بتسعة قرون منقولا عما كتب عنه قبل ذلك بأكثر من ألفي سنة ، أم بابن الله الذى حدث بعد ذلك ؟ وهو المسيح ابن مريم ،

فأنا لا أتبع هذا ولا ذاك بل أقول ان عيسى نبي الله وروحه وأتبع دين الاسلام لا غير . هذا هو أول الأمر وآخره . اهـ

هذا خوى ما تقدم في ﴿سورة مريم﴾ وأقول الآن : يظهر لي أن العالم الانساني عالم كله مقلد جاهل إلا قليلا . وقليل من عبادى الشكور . وان تطمح أكثر من في الأرض يضالوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخربون . قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له مافى السموات ومافى الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون . . تبين لي من أحوال هذا الانسان انه يشبه كرة طرحت بصوالة ✕ فتلقفها رجل رجل

فانه قبل الاسلام أدخلت عليه الغفلة في جميع أنحاء الكرة الأرضية فقال له الأحرار والرهبان وأمثالهم « إن لله ابنا فاتبعه » وكلما تقدم العهد جددوا له ابنا آخر . وفي الاسلام حوورها وقالوا هذا هو المهدي فن السفاح وهو أول خليفة عباسي أزال الدولة الأموية وأخذ بشأرا لحسين رضى الله عنه واستمر ملكهم عدة قرون الى المهدي الفاطمي الذي ظهر في بلاد الغرب وجاء مصر . والمهدي بن تومرت . والمهدي السوداني . والمهدي الفارسي وهو بهاء الله . والمهدي الهندي وهو غلام أحمد وغير هؤلاء كثير

ويقول الاستاذ (هنري دي كاستري) الفرنسي قريبا في هذا الكتاب : « انه مثل هذه الأفهام وجد في الاسلام (مذهب الواصلين) والذين بيدهم توزيع كثير من الميراث في اعتقاد العامة واليههم صار يرسل الجع العديد من القوم الذين ضلوا سواء السبيل الخ » انظره في ﴿سورة الأحزاب﴾ عند الكلام على انه ^{صلى الله عليه وسلم} خاتم النبيين وانه سراج منير

أقول : فاذا رأينا هؤلاء الاورو بين يفر علماءهم ويهرب حكامهم من دين اخترعته عقول للأثم إذ كانوا أطفالا . فهكذا سيقول المسلمون بعد قراءة هذا التفسير « بأى المهديين نقتدى ؟ أبا المهدي السوداني أم بالمهدي الفاطمي ؟ أم بالمهدي (محمد بن تومرت) ؟ أم بالمهدي العيسوي البهائي ؟ أم المهدي الذي انتهى أمره من ولد العباس أم المهدي الهندي ؟ لاهؤلاء ولا هؤلاء بل أقرأ القرآن وأتخلق بأخلاقه وأهتدي بهديه هذه هي الأمة الاسلامية المستقبلة . أما تلك الفرق المتشاكسة والأقوال المتضاربة فانما هي من اتباع أمة الاسلام الأثم كما في الحديث ﴿لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه﴾ وما يحزنني وآسف له انك اذا قرأت القصيدة المتقدمة التي قرئت على قبر (محمد بن تومرت) وانه هو المهدي المنتظر وأن أتباعه يبقون الى زمان عيسى ابن مريم وأن الحديث الوارد في المهدي انه يبق سبعا أو تسعا وانه هو بتي تسعاً محمول عليه

أقول : اذا قرأت ذلك فانك تجد هذا بعينه هو الذي يكرره الامام (محيي الدين بن عربي) في الفتوحات بعد موت (محمد بن تومرت) بعشرات السنين . ولا يعتبر رحمه الله بما تم له وأن ملكه زال وأتباعه انقضوا من حوله وبشر هو بمهدي آخر وعين زمانه وظهر اليوم عدم صحته . كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يعقلون .

واعلم أيها الذكي اني أكتب هذا وأنا أعلم أن كثيرا تحذتهم أنفسهم بأنهم المهدي المنتظر ومنهم واحد كان صديقي في مدرسة (دارالعلوم) ولكنه عاقل فانه بعد أن أراد اظهار انه المهدي ترك ذلك

إن هذه الأمة الاسلامية بعد اليوم ستقرأ التاريخ والعلوم الرياضية والطبيعية وسياسة الأمم وأحوالها . وهناك سيظهر فيهم مصلحون مجتدون حقا . وهؤلاء هم الذين سيزيلون الخرافات والدعاوى من بلاد الاسلام وسيكون ظهورهم عقب تمام نشر هذا التفسير . وهؤلاء هم الذين يظهر الاسلام ظهورا أتم على أيديهم فيهمش لهم من لا يعرف دين الاسلام ويبدش لهم من يتبعه ولكنه متعجب في أمره فيجد البلاد قد لآها الشيوخ

❖ وكل له غرض يسمى ليدركه ❖

هذا آخر ما خطر لي في تفسير آية - ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ حوالى فجر يوم الأربعاء (٢٣) إبريل سنة ١٩٣٠ م والحمد لله رب العالمين

فلما سمع صاحبي ذلك . قال : لقد اتضحت آية - ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا - الخ . هذا هو أهم سرها ومقصودها في زماننا وكل من قرأ هذا من المسلمين يصبح وقد صار موقفا بهذه الفكرة عاشقا للعلم مكبا على العمل والله هو الولي الحميد . فقلت الحمد لله رب العالمين

فقال هذا قد أفهمني أصح خوارق العادات وأن التقليد ليس مفيدا ، فهل تذكر لي شيئا من التقليد في أمور أخرى كالطب ولوحدة واحدة . فقلت له : أذكر لك بما مضى في ﴿سورة الشعراء﴾ عند قوله تعالى - وإذا مرضت فهو يشفين - . انظره هناك فانك تجدني نقلت من كتاب فيه تراجم الأطباء لابن أبي أصيبعة أن الهرمة كانت تقايل أففى وكلما بلغت رجعت إلى نبات فتمرت في فيه فيزول ألمها فتراجع كرة أخرى وتقاتل . قال في الكتاب المذكور (وهو الذي نقلته هناك) إن ذلك الذي رأى هذا قلع هذه الشجرة ، فلما رجعت الهرمة لم تجد تلك الشجرة فماتت . أقول لك : لما ظهر ذلك (في الجزء الثالث عشر من هذا التفسير) كتب كاتب في «جريدة الاهرام» يقص هذا القصص بنفسه ويدعى انه رأى ذلك رأى العين وهو كاذب لأنه قرأه في هذا الكتاب وطلب من الأطباء بحث هذا الموضوع فبحثوا وردوا عليه وقالوا إن هذا النبات هو المسمى في مصر «رعراع أيوب» وليس فيه هذه الخاصية مع انه هو يقص نفس ما كتبه في هذا الكتاب بطريق النقل ، فهذا القول عن الأقدمين غير صحيح وليس هناك بحسب ما عرف الناس نباتا على هذه الشاكلة فهنا كذبان بحسب ما ظهر ، كذب القدماء في ذكر هذه الحكاية ، وكذب هذا الشاب الذي ادعى انه رأى وهو ما رأى إلا ما كتبناه هنا . وبعد أن كتبت هذا عثرت على نفس المقالة المكتوبة في الاهرام فهناك نصها :

(حول ترياق سم الأففى)

(ولعاب القط)

سيدي الفاضل رئيس تحرير جريدة الاهرام القراء

تقبعت بامعان وشفف ما كتبتموه تحت هذا العنوان سواء ما كان منه بقلم تحريركم أو بما وصل اليكم من حضرات قرائكم الأفاضل وأنا لا يسعني إزاء سعة صدركم في متابعة هذه الحركة العلمية ومناهضتها على صفحة جريدة كبيرة كجريدة الاهرام الواسعة الانتشار أقول لا يسعني الا ابداء شكري لكم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن كثيرين غيري ممن يهمهم أمر هذا البحث المفيد . ويهمني بصفة خاصة ككيماوى خبير في هذا النوع من الأبحاث أن ألفت النظر بانى قت بالتجربة التى نوهتم بها فى هذا الصدد للتثبت من لعاب القط وهل فى الخلايا اللسانية أو اللعاب الذى يفرزه عند المقاومة ما يصح أن يكون ترياقا لسم الأففى يتقى به غائلته . الواقع ينكر ذلك بتأما والتجربة تنفيه اذ المفروض فى اللدغة أن يتسرب السم الى الدم ويسير معه فى دورته المعتادة فلا مقاومة والحالة هذه الا من دفاع الكريات البيضاء وعلى قدر هذه الكريات البيضاء ونشاطها يكون التأخر أو التقدم فى التسمم فاذا كان للعاب القط والحالة هذه من فائدة (وهو ما لم يؤيده البحث بعد) فهمته فى هذه الحالة أن يكون وسيطا ليس الا ليشير فى الكريات البيضاء حركة النشاط المطلوبة للمقاومة . هذا تعليل . وثم تعليل آخر أن لعق القط لمكان اللدغ ماهى الاحركة فسيولوجية بحته يقصد بها امتصاص الدم الذى عساه أن يكون قد تلوث بالسم قبل سريانه وهذه هى نفس الاسعافات الأولى التى يتبعها العامة عادة من عمل تشريط

لاستنزاف الدم الملوث أو المص في مكان اللدغ على شرط خلو الفم من أى جرح يتسرب إليه السم وهذا القليل الأخير هو الذى أراه أقرب إلى الصواب في مسألة لعاب القط . ثم مسألة التمرغ في نبات الغيرة أو الرعراع (رعراع أيوب كما يسميه العامة) للتمسح به كواق من تسرب السم فهذا مدفوع من جملة وجوه فليس لنبات الغيرة أى ذكر في المادة الطبية ولا في النباتات الاقرب باز يذية ولم نسمع باستعماله في عقاقير ما كهلاج لاي داء وماء والنبات طفيلي كالحشائش التي تنبت في وسط البقول عادة دون التماس ولأنه تدور حوله أساطير شرافية غريبة والمادة الفعالة فيه لزجة سميكة قلوية ذات رائحة خصوصية وقد أجزنا على هذا الرعراع المذكور الصفة التحليلية فوجدناه خاليا من الجواهر السامة والمختلطة وبالبعد في تأثيره كهلاج لما ذكره كأن يفيد في حالات التسمم وذلك بأحداث اللدغ في خنازير غينا (كو باي) ومعالجتها بالمادة المستخلصة منه فكانت النتيجة سلبية بحجة . فالقول بان نبات الغيرة أو الرعراع له أى فائدة كترياق في سم الأفعى والعقرب قول مردود لا أساس له من الصحة وإذا كان حقا مارواه شاهد عيان على صفحات «الاهرام» من أنه رأى القط يلحق مكان اللدغ وتمرغ في نبات الغيرة فهو كاذب كرت آنفا حركة فسيولوجية بحجة يقصد بها امتصاص الدم الفاسد وما تمرغه في نبات الغيرة . على فرض صحة وجوده مصادفة وقت اللدغ الامن قبيل تخفيف الألم كما لو كنا نفرك محل الألم عند ما يشكنا دبوس أو نرتطم بشئ صلب . هذا ما عني لى أن أسطره بخصوص ترياق الأفعى والعقرب وأعلى قت ببعض الواجب المفروض على نحو قراء «الاهرام» الغراء ممن يهمهم أمر هذا البحث انتهى ماجاء في الجريدة المذكورة

هذا ماجاء في «الاهرام» أفلا نحمد الله إذ جعل في أمة الاسلام في مصر من نراه يبحث هذا البحث ولا يتشكل على آراء القدماء ، وإذا رأينا علماءنا يقولون لكل من قلد في التوحيد ايمانه لم يخل من ترديد فهكذا نقول فيمن قلد في الطب أوفى السياسة أو غيره بل يجب البحث حتى تسقين الحقيقة . فبحث الفتى الكماوى المصرى (أمين براده) في هذه المسألة قد أظهر لنا الحقيقة فيما قرأناه في كتاب (ابن أبى أصيبعة) فهكذا نفعل في كل علم . انتهى والمجد لله رب العالمين

فقال صاحبي : وهل تذكر لى مسألة واحدة أيضا في نظام الأمم قلد الناس فيها وهم مخطئون كالمسألة الطبية فقلت : قلد أمان الله خان مصطفى كمال باشا منذ سنة واحدة في انه قتل علماء الدين الذين عارضوا في الاصلاح فقام الشعب عليه فنزل عن الملك إذ اغتصبه رجل كان ابن سقا بحجة المحافظة على الدين ثم قام عليه الشعب فأنزله عنه وقتلوه ، وتولى الأمانة (نادر خان) الذى كان قائد الجيش أيام أمان الله خان ، فأمان الله قلد مصطفى كمال في ادخال الاصلاح بدون تدريج ولكن التقليد خطأ لأنه هناك فرقا بين الأمتين ونفس مصطفى كمال انتقد المتقدمون في تسرعه وتغييره نظام تركيا سريها ، فانه بينما هو يترك الحروف العربية ويكتب الشعب كله باللاتينية نرى أوروبا تبهزم من الحروف اللاتينية وهذا عجب أن يقلد الناس بلا برهان . وهاك ماجاء في إحدى المجلات العلمية وهي «مجلة الجديد» فقد جاء فيها مانعه :

﴿ الحياة الاجتماعية ﴾

(تهرم أوروبا من حروفها الكتابية)

ظهرت في الشرق من هذا العهد نزعة الى حجارة الغريبيين في حروفهم الكتابية ويعرف القراء أن تركيا بأجمعها قد دخلت المدرسة من جديد لتعلم الحروف الأوروبية كما أمر الغازى مصطفى كمال ولا فرق بين الجوز والفتاة والهرم والغلام . فان العقوبة الزاجرة تترقب من يتوانى في تنفيذ هذا الأمر المشدد ويذكرون أيضا ما تعزمه فارس من تركها للحروف العربية واعتناق الحروف الأوروبية وما كان ينويه جلالة الملك الخلع أمان الله خان

في بلاد الأفغان ولو نازر مقتبسوا الإصلاحات الأوروبية الى الجوهر دون المظهر لرأوا أن ثقل المظاهر الشكلية لا يفيد شيئاً في تقدم الأمم وفي وسعهم أن يحتذوا مثال اليابان التي أبقت تراثها القديم وأدخلت في بلادها الإصلاحات الجوهرية كالتعليم والصناعات والفنون والزراعة والتجارة واعداد الجيوش البرية والبحرية . ولقد كان من رأينا من زمن أن الحروف العربية تفضل الحروف الأوروبية من عدة وجوه لأنها في الحقيقة نوع من الخط المختزل الذي يدل على الكلمات بأقل رسم وأوجز حروف . وقد كان الأوروبيون ينشدون مثل هذا الخط لكتابة كلماتهم فأوجدوا الخط المختزل ولكن طريقة ابتكاره لم تكن ناضجة ولم ييسر استعماله للدلالة على الكلمات بالضبط ولذلك قل من يكتب به على كثرة ما يهانبه متعلمه من آلام دراستها ومشاقها . ولذلك لا يزال الأوروبيون ينشدون نوعاً مختصراً من الخط لأنهم يرون أن استمرارهم على الكتابة بحروفهم القديمة ضياع للوقت الثمين وسبب ثقيل ينادى دونه كاهل المتعلمين . ونسوق اقراء فقررة عما كتبه رئيس تحرير مجلة « النيشن » الانكليزية في هذا الصدد :

« واني أتساءل لماذا يستمر أبناء هذا العصر في حمل هذا العبء الثقيل وهو الكتابة بالحروف المطولة ؟ يقال ان الكتابة من أعظم الاختراعات التي توفى اليها الانسان . ولكن هل يلزم من هذا أن نلبث الى الأبد عاكفين على ما اخترعه الانسان الأول في عصور التأخر ثم نزع أننا شعوب الثقافة في المدنية ؟ ألا يعد ذلك من أكبر وأشنع سقطات مدنيتنا الحاضرة التي لا يقوم مظهر حضارتها وجوهرها الا بالكلمات المكتوبة فهناك جيوش لا يمكن أن تحصي من الرجال أو النساء لان كتائب أقواتها الا بالأعمال الكتابية ولا يمكن أن تجد أحداً في دوائر الأعمال تخاويه من قلم الجبر أو الرصاص ليدون ما هو منوط به من الأشغال . وربما كانت مدة الكتابة تستغرق على الأقل نصف الوقت . ويرى المستراسبندر أن ما يكتبه الصحفي في اليوم لا يقل عن ٣٠٠ كلمة هذا ما يقوله الناس اليوم في التقليد في أمور النظام العام . ولو شئنا لشرحنا التقليد في العاوم كدوران الشمس حول الأرض الذي كان يقوله الناس قديماً وكيف دحضه العلماء بعد ذلك وكسألة الكواكب السيارة وانها سبعة فظهر بعد ذلك أورانوس ونبتون ولم يكن يعرف الناس إلا شمساً واحدة حتى عبدوها فعرف الناس اليوم آلاف آلاف الشمس وشمسنا بالنسبة لها كأنها برتقالة أو أصغر فان كوكب الجوزاء أكبر من الشمس (٢٥) ألف ألف مرة . إذن التقليد جريئة ولهذا نزلت هذه الآيات - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - الخ انتهى الكلام على الفصل الثاني

(الفصل الثالث)

(في ضرب مثل لمن صاروا أحرار الآراء وماذا فعلوا)

أذكر في هذا الفصل ﴿ حادثتين ﴾ الحادثة الأولى ﴿ الحرية السياسية . فانظر ما جاء في جريدة الاهرام بتاريخ يوم الاثنين (١٨) فبراير سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

﴿ رجل انجليزى يفعل في السياسة ما فعله مؤمن آل فرعون في سورة غافر ﴾

(مظاهرات ضد الكولونل لورنس في إنجلترا)

« نظم المستر (سكلافالا) العضو الشيوعي في مجلس العموم البريطانى مظاهرة كبيرة في لندن ضد (الكولونل لورنس) المعروف على أثر الاشاعات التي راجت بأنه أضرمت نار الثورة في قبائل الأفغان ضد الملك (أمان الله) فسارت المظاهرة مسافة طويلة تشمل صورة (لورنس) وأخيراً أضرمت النار فيها على صوت الخطباء الذين وصفوه بأقبح الأوصاف » انتهت الحادثة الأولى

﴿ الحادثة الشافية نبذ التقليد في الزراعة ﴾

(البحث عن السعادة الزراعية بطريق خارج عن التقليد الذي ذمّه الله في القرآن)
اعلم أيها الذكيّ ان هذا قد أشرنا اليه سابقا في هذا التفسير ، ونزيد عليه الآن ملجاء في جريدة الاهرام
يوم الخميس (١٣) اكتوبر سنة ١٩٢٩ م وهذا نصه :

(الزراعات في الماء)

(طريقة جديدة لانماؤها)

ظهر في الولايات المتحدة اقتراح عظيم الشأن ينتظر أن يخاضه الفلاحين وزراعي الفاكهة والازهار من
متاعب الزراعة وخدمة الارض ومن قيود المواسم والاحوال الجوية وأجور الأطيان ، ويحدث انقلابا عظيما
في فن الزراعة . فقد أعلن قسم فسيولوجية النبات في جامعة كاليفورنيا انهم توصلوا الى انتاج غلال وخضروات
من مزروعات زرعوها في حياض رقاقة الماء ، وتعهدها بأقراص كيميائية أسموها «أقراص النبات» في جو
جاف خال من الرطوبة أشبه بجو الصحراء وتسنى لهم انتاج الفاكهة والخضراوات الشبيهة بالفاكهة قبل أوانها
المعتاد . كذلك زرع أنواع مختلفة من الازهار التي لا تبنيح الا في أواسط الصيف فازدهرت وقطفت أزهارها
في غرة فصل الشتاء . وتبين أن القمح والشعير والأرز اذا زرعت على هذا النمط يزيد محصولها من ٢٥ في المئة
الى ٥٠ في المئة . أما البنجر والجزر والكرنب وغيرها من الخضروات التي من فصائلها فقد نمت نموا أسرع
من نموها المعتاد بمدة تتراوح بين عشرين وثلاثين يوما . وقد زاد متوسط حجمها الهادي ٦٠ في المئة بغير أن
تفقد شيئا من رسمها ونضارتها . وزرعت « الطماطم » بهذه الطريقة الجديدة فزاد محصولها ٤٠ في المئة
وتسنى زرع الورد في جوف المنازل في فصل الشتاء القارس فما وازدهر في مدة لا تزيد على الستين يوما . وزرعت
« البازلة » في فصل الشتاء داخل المنزل ودرجة الحرارة في الخارج دون الصفر فتمت وبلغ طول أصولها خمسة
أقدام وازدهرت وأتت ثمارها في مدة تتراوح بين الستين والسبعين يوما . وقد بلغ عدد التجارب التي أجريت
نحو خمسة آلاف تجرية في خلال خمسة أعوام أسفرت عن هذا الاكتشاف العجيب الذي وصفه الدكتور
جاريك رئيس قسم تشريح النبات في جامعة كاليفورنيا بأنه أعظم منحة وأفضل هبة لفن الزراعة منذ بدء تطبيق
علم تسميد المزروعات حتى الآن ، وتؤيده في هذا الرأي كلية الزراعة في تلك الجامعة وعدد كبير من الخبراء
في الزراعة وخريجي كلية الزراعة وتجار الازهار الذين ساعدوه في تجاربه . وخلاصة السر في هذا الاكتشاف
المؤدى الى سرعة الانماء وزيادة المحصول هي اعطاء النبات مقادير مركبة تحوى العناصر السبعة التي يتألف منها
غذاء النبات واعطاء كل نوع ما يلزمه من الغذاء بالدقة والضبط ، وهذه العناصر مركبة في أقراص اسطوانية
الشكل تذاب في الماء أو في التربة التي ينمو فيها النبات ، وهي تجمع معا في أنبوبة قصيرة أو اسطوانة بمادة كاسية
تشبه الخوصين وتحتوى هذه الاقراص على أجزاء معلومة من النتروجين والفوسفور والمغنيزيا والحديد والبوتاس
والكبريت والكالس (الجير) . وقد وجد في أثناء اجراء هذه التجارب والاختبارات أن كل نوع من الشجر
والحبوب والخضراوات والأزهار يتطلب تركيبا مخالفا من حيث الكمية من العناصر السبعة كلها أو بعضها
فالتركيب الذي يفدى «البازلة» ويجهل نموها ويزيد انتاجها مثلا لا يفيد الورد وفصيلة البنفسج .
وقد دلت التجارب على أن عدد التراكيب اللازمة يمكن حصره في عشرين نوعا . ومع أن أقراص النبات
استعملت بنجاح للمزروعات في التربة ، فقد أسفرت التجارب أن خير وسيلة للانماء هي الماء بمقدار لتر لكل
نباتة . فقد سجد بشتلة ورد زرعت حديثا في الأرض ولم تسكد جذورها وتمتد ، ووضعت في الكمية اللازمة
من الماء بعد أن أذيب فيه المقدار اللازم من أقراص النبات المختصة بفصيلة الورد ، فتمت وترعرعت وتفتحت

أكامها عن ورد نصير كبير الحجم في خلال ثمانين يوما . وأجريت مئات من التجارب من هذا القبيل في الحبوب والخضراوات وشجيرات الفاكهة وأشجارها فكان النجاح في زراعة الحبوب والخضراوات عظيما جدا ، فتبين أن حجم الهليون (أسارجوس) قد تضاعف تقريبا من غير أن يطرأ أي تغيير في غضاظته أو عدد فروعه ، وكذلك البطاطس زاد حجم محصولها خمسين في المئة بغير أن يزيد نمو شجيراتهما . وتبين أيضا أنه إذا زرعت النباتات الغذائية في الماء بدلا من زرعها في التراب يزداد معدل نموها نحو مئة في المئة ويزداد حجمها ويتسنى زرع عدد كبير منها في مساحة واحدة . وأسفرت التجارب في زرع القمح وافية . وختم الدكتور جاريك حديثه قائلا ان أهم ما في اكتشافه هذا أنه يمكن ملايين من الناس أن يعيشوا على محاصيل تفتحها المياه في أراض كانت لا تنتج سوى الشوك ، والقطن والتبغ لهما نتائج باهرة . فقد نما القطن من البذور حتى طرح اللوز في مدة تسعين يوما . وظهر أن القمح إذا زرع في الماء المذابة فيه أقراص النبات يزيد نموه خمسين في المئة أكثر منه إذا زرع في التراب المغذي بأقراص النبات . وحملت نتائج هذه التجارب الدكتور جاريك ومساعديه على الشروع في اجراء تجارب زراعة النباتات الغذائية في الماء لمعرفة نفقاتها إذا زرعت على قياس تجارى فوجد أن الحياض التي عمقها من ست الى ثمان بوصات هي أصح ما يكون لزراعة الحبوب والخضراوات وقد استعملت حياض طول كل منها عشرون قدما وعرضها خمسة أقدام مصنوعة من الخشب ومبطنة بورق مدهون بالقار وترك الورق زائدا من كل جهة ليصلح غطاء للحوض وجعل في هذا الغطاء ثقب صغيرا قريبة بعضها من بعض وأدخل في كل ثقب منها شتلة من النباتات بحيث تصل جذورها الى الماء الذي وضع فيه عدد من أقراص النبات وقد تبين أنه يتسنى بهذه الطريقة زرع ضعف أو ثلاثة أضعاف ما يزرع في المساحة ذاتها من الأرض مع سرعة النمو وزيادة المحصول كما ذكرنا آنفا . وقد أدت مواصلة هذه التجارب الاقتصادية الى أن هذه الحياض الخشبية المسقوفة بالورق المدهون بالقار أو بالاسلاك الوثيقة هي خير الوسائل وأقلها نفقة لزراعة الحبوب والخضراوات في الماء وقد رأى الدكتور جاريك ومساعدوه أن نفقة حياض من هذا النوع تغطي مساحة فدان مع ترك طرق بينها تبلغ على الأكثر ٢٥٠ ريالا في أية ناحية من أنحاء الولايات المتحدة حيث المواد غالية الثمن وأجرة العمل باهظة . أما في الانحاء الأخرى من العالم فالمعتقد أن النفقة لا تزيد على ١٥٠ ريالا وإذا زادت المساحة الى خمسة أفدنة أو أكثر فإن نفقة الحياض اللازمة لتغطيتها لا يمكن أن تزيد على مئتي ريال في الولايات المتحدة ، وهكذا تبلغ نفقة حياض خمسة أفدنة ألف ريال أو ثلاثة أضعاف ما يلزم لتصلح الأرض للزراعة كل عام . ولكن متى أنشئت هذه الحياض فمما تهتم على الأقل خمسين عاما ولا تحتاج الى حراثة أو ري ولا عرق أو تنظيف من العشب وكل ما هناك أن الحياض تملأ ماء وتوضع الأقراص الكيميائية فيها مع سرعة النمو وزيادة المحصول ، والتخلص من آفات الزراعة التي تنشأ من الأرض

وعلى هذا المتوال يتسنى للزارع أن يربح نفقة صنع الحياض في عامين . ثم ان مسألة المناخ ورطوبة الهواء أو جفافه وخصب الأرض أو عدم خصبها كل هذه العوامل الهامة في زراعة الأرض يظهر ان لاثاثيرها في التجارب التي قام بها الدكتور (جاريك) ومع ان طريقة الزراعة في الماء لا يمكن بها زرع نباتات في غير اقليمها فانها تجعل نمو النباتات وتزيد محصولها في منطقتها الخاصة بها . فقد قام الدكتور (جاريك) ومساعدوه بتجارب اكتشافه في جو درجة حرارته ورطوبته مضارعة لدرجة حرارة ورطوبة جو صحراء الاريزونا والمكسيك الجديدة والجنوب الشرقي من كلفورنيا فزرعوا الفجل واللفت والبنجر والخس والسبانخ والطماطم والباذنجان وغيرها من النباتات الغذائية فتبين انه في الامكان زرع ٢٠٠٠٠ شجرة من شجيرات الطماطم في حياض مساحتها تعادل فدانا بمحصول يزيد على محصول عدد مثلها في الأرض من خمسة وعشرين في المئة الى ستين في المئة . ويرى الدكتور (جاريك) ان أهمية اكتشافه الحقيقية هي استخدام طريقة

زراعة الحياض في المناطق القاحلة القفرة في جميع أنحاء العالم إذ يمكن أن يزرع فيها الشيء الكثير من النباتات الغذائية . ويقول الدكتور (جاريك) انه يعلم ان رمال الصحراء يمكن جعلها صالحة للزراعة اذا تسنى ريها بالماء العذب رايافيا ، ولكن يوجد ملايين وألوف الملايين من الأفدنة التي لا يمكن أن تصل اليها المياه العذبة لريها وزرعها . على أن كمية ضئيلة من الماء تكفي لاستعمال طريقته وزرع النباتات الغذائية في صميم أجذب الصحاري وأقفرها . فأى نبع صغير أو بئر ارتوازية أو صهر يجتمع فيه ماء المطر ويكفي لتغطية قاع حوض طوله عشرون قدما وعرضه عشرة أقدام يكفي مئة قدم مكعبة من الماء وهذا الحوض يمكن أن يزرع ١٧٠ شجيرة من الطماطم وإذا فرضنا ان نصف هذه الكمية تازم تهويض مائة شجيرة في أثناء النمو وما يقبخر منه ويتسرب من منافذ الحوض كان مجموع كمية الماء اللازم لهذا الحوض طول موسم الزراعة ٢٠٠ جالون أو ثلثمائة صفيحة من حجم صفائح البترول مع أن هذه الكمية من الماء لا تكاد تكفي لرى نصف هذه المساحة من الأرض موسما واحدا مع العلم ان مساحة من الأرض معادلة لهذه المساحة اذا عهدت بالرى الوافى لا تتسع لزرع أكثر من خمس ما يزرع في الحوض وكل نبات تزرع في الأرض لا تنتج من المحصول الاستين في المئة مما تنتجه النباتات التي تزرع في الحوض وينظر الدكتور (جاريك) الى مستقبل اكتشافه هذا فيرى ان كل نبع ضئيل أو بئر أو صهر يجتمع في الصحراء والاراضي القفرة القاحلة سيكون محوطا بحياض فيها ماء رقيق يغطي قيعانها الى ارتفاع ثلاث بوصات أو أربع وكل منها مزروع نباتا ذا محصول غذائي ومما تنتجه زراعة هذه الحياض كاف لمعيشة عدد كبير من السكان . ويرى سطوح المنازل المرتفعة بدلا من أن تترك بلا نفع ولا فائدة حدائق غناء بالرياحين والأزهار أو بساتين تزرع فيها الفاكهة والخضراوات ، ويرى كل صاحب منزل في المدينة يستعمل جزءا من فناء داره أو حديقته لانتاج ما يلزمه من الخضراوات والأزهار بريح وافر وانه يصبح في وسع أى انسان مقيم في أقصى بقعة من بقاع الأرض القاحلة أن يزرع كل ما يلزمه ومن معه من الخضراوات والنباتات والاشجار المثمرة التي يلائمها الاقليم . والعمل الذى يتطلبه الزرع على هذه الطريقة الجديدة لا يبلغ عشر معشار ما يتطلبه خدمة الأرض اه

﴿ تذكرتان ﴾

(الأولى) تذكرة في سورة الأحزاب في قوله تعالى - والصائمين والصائمات - (والثانية) تذكرة في سورة سبأ في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض - الخ وسر من أسرار الفهم المستخرج من الأرض ﴿ التذكرة الأولى ﴾ في قوله تعالى - والصائمين والصائمات - وهى سر من أسرار الطب في الصيام المذكور في الآية فوق ما تقدم في (سورة البقرة) من المسائل الطبية والصحية في آية - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - وفي سورة الأعراف عند آية - وكلوا واشربوا ولا تسرفوا - وفي سورة الحجر عند التلخيص الى قصة آدم ، وفي سورة طه عند قصة آدم أيضا ، وفي سورة الشعراء عند آية - وإذا مرضت فهو يشفين - . ففهم هذه المواضع من التفسير أهم ما فى علم حفظ الصحة من التجافى عن الأدوية المشهورة والاكتفاء بالمداواة الطبيعية ، وكذلك سر في سورة القصص عند قوله تعالى - ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار - الخ بيان كيف يكون الهواء الطلق وضوء الشمس حيويا وسعادة وصحة ، وهكذا فى أول سورة العنكبوت ﴿ عند ذكر الجهاد كيف كان الصوم أصبح نافعا فى العلاج بإيضاح تام ، أما هنا فاني أقول : جاء فى سورة الأحزاب فى هذا المجلد انه ﷺ سراج منير بنص الآية وأن ضوء الشمس هو الذى يفتك بالحيوانات الذرية المهلكة الحادثة من العفونات المسلطات على أهل الأرض ، فهكذا آى القرآن التى هى أشعة من نور الله أشرقت على أهل الأرض يجب أن يرجع الى المسلمين اليوم مع أمثال هذا التفسير لتزول من بلاد الاسلام

تلك الغفلة التي استحكمت بالآراء المنحرفة عن ادراك جلال هذا الوجود الذي سخره المسلمون أجيالا وأجيالا ولا جرم أن ما ذكرته هناك في القرآن على هذا النحو يمثل له في الحياة المادية الدنيوية بما يفعله أهل أمريكا اليوم من التعرض للشمس والصوم أي ترك الطعام مع شرب الماء أمد أربعين يوما فيزول من أبدانهم فقر الدم ، فإذا كان الصيام الطبي (الذي له شبهة ما بالصيام الشرعي وليس من كل الوجوه) قد اتحد مع ضوء الشمس والهواء النقي على إعادة الصحة وإزالة فقر الدم والمرض الناشئ عن المداواة بأكل اللحم في ذلك المرض هكذا أتم الاسلام باعراضها عن الخرافات والبسوع وتمسكها بنفس كتاب الله الذي يحرضهم على معرفة مافي هذه الدنيا من الجمال والابداع يرجع لها مجدها وشرفها القديم العظيم ، فهالك ما جاء في إحدى المجالات العلمية وهي « المصور » بتاريخ (٢٨) مارس سنة ١٩٣٠ م تحت العنوان التالي وهذا نصه :

﴿ فقر الدم ومعالجته بالصوم ﴾

جاء في بعض الصحف الأمريكية انه طرأ تحوّل في الطب عند كثيرين من الأطباء فانهم بعد ما كانوا يصفون اللحم الدامي للصائين بفقر الدم أصبحوا يصفون لهم الصوم الآن ، وفي الولايات المتحدة مستوصفات ومستشفيات يعالج فيها من يصف لهم الأطباء الصوم ، ومن أوصافها وقوعها في مكان طلق الهواء نقيسه ، تعرض غرفها وسطوحها للشمس واحاطتها بخدائق تعطر الهواء بأريجها الطيب ، ولا يتغذى المستشفى إلا بالماء ومع ذلك لا يكون ما يطلب منه في مقابل اقامته في المستشفى مبلغا يستهان به وتتفاوت مدة المعالجة بين (٤٠) يوما و٥٠ يوما يكون المستشفى في خلالها تحت مراقبة الطبيب ، أما نتيجة هذا الصوم فتكون جلاء بصر من يشكو ضعف البصر وزوال ما يسببه من فقر الدم ، وشفاءه من مرض البول السكري واندمال قروح معدته وعودة القوة الى الذين هجرتهم من جراء الافراط في العمل ، ويكفي الانسان مدة ثلاثة أيام ليتعود الصوم ويتخلص الجسم من السموم العالقة به بعد ستة أسابيع أو سبعة ، ويقول العارفون « انه اذا لاحظ الانسان الحيوانات وجد انها حين تكون مريضة تمتنع عن تناول الطعام ، وعند الانسان نفسه يكون فقدان الشهية للطعام دليلا على اضطراب صحته » وعلى كل حال ينبغي للمرء ألا يعتمد الى الصوم بدون أن يستشير الطبيب اه هذا ما جاء في مجلة « المصور » وبه تم الكلام على التذكرة الأولى والحمد لله رب العالمين

﴿ التذكرة الثانية ﴾

(خواطري في صلاة العصر في قوله تعالى - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها -)

(كتب يوم ٩ رمضان سنة ١٣٤٨ هـ)

لقد علمت فيما ذكرناه مشروحا ومرسوما موضحا أن أكثر الألوان التي تصبغ ثياب الناس في الشرق والغرب اليوم انما تكون من القطران ، وذلك القطران من الفحم والفحم مما يخرج من الأرض ، ومن عجب أن هذا الفحم مكث مئات الآلاف من السنين وهو يتلظى ويتقلب ويحترق في النار الحامية في جوف الأرض ، فهناك حرارة عظيمة جعلت الخشب حتما ، فلما أن أخرجه الناس اليوم كشفوا أمره فوجدوا فيه مئات الألوان فصبغوا بها الثياب فأكب عليها الناس في الشرق والغرب وكان هذا التهلك سببا في هلاكهم في الدنيا وعذابهم - ولعذاب الآخرة أشد وأبقى -

ولذلك تجد جميع الأمم التي استعمرها الفرنجة مكبين على الزخارف والزينة التي تبهرهم ويريقها ولعانها فتزول ثروتهم وتضيع بلادهم . مثال ذلك بلادنا المصرية أيام المغفور له اسماعيل باشا فانه استدان واستدان البلاد فكثرت دين الأمة وكثرت دين الحكومة ، فقد ضلت الأمة ودخل الانجليز البلاد بحجة المحافظة على الدين وهل هذا كله إلا بتلك الثياب التي صبغت بالقطران المستخرج في تلك الدول العظيمة من الفحم الحجري

أوليس هذا هو ما تشير له قصة المسيح الدجال إذ يأتي بجنة ونار وقد أمرنا أن نترك جنته وندخل ناره فتكون جنته نارا وناره جنة ، فهذه الأمم المتأخرة الإسلامية لما بهرها بهرج الفرنجة استحلته ف وقعت في الذل وساءت الحال ، ومتى ذات الأمة ذهبت منها الأمانة والشرف والشجاعة والعفة فصاروا عبيد الفاتحين وصعيدا جزا تذروه الرياح فإذا ماتوا كانت أرواحهم ناقصة ، وهل للناقص إلا جهنم لأن جهنم للناقصين ، والمسلم الناقص يكون في جهنم يتم مدة عذابه ، أليس هذا هو سرّ قوله تعالى - سراييلهم من قطران وتغشى وجوههم النار - . أوليس هذا هو سرّ القرآن ظهر الآن ، وإن كنت في شك مما قررت له لك الآن وقلت هذا القول غامض بعيد عن الصدق . أقول : أفلا أذكرك بما نقلته لك في آخر ﴿ سورة آل عمران ﴾ عن الزعيم الهندي (غاندى) عن مجلة الجامعة الهندية إذ يقول فيها في الفقرة الخامسة مانصه : « إن الولوع بالمنسوجات الأجنبية يجلب العبودية الأجنبية والفقر المدقع وما هو أقبح من هذا ألا وهو العار على كثير من العائلات » اهـ فها هو ذا (الزعيم غاندى) من المعاصرين لنا يقول : إن المنسوجات الأجنبية تجلب العبودية وما تبعها ، (وبعبارة أخرى) أنها تكون مثارا لأنواع الذل والشقاء ويتبع ذلك الخسة وهذه تجمع أنواع المعاصي أفليس هذا من أسرار القرآن إذ ذكر أن سراييل أهل النار من قطران ، وها هي ذه السراييل ملونات بألوان من القطران الفحشى فتهافت الناس عليها كما يتهافتون على جنة المسيح الدجال وهذا التهافت أورت ضياع البلاد والاسراف والله لا يحبّ المسرفين فتهلك الأمم وتضيع البلاد ، فهذه النفوس الناقصة تهذب ﴿ عذابين ﴾ عذابا في الدنيا وعذابا في الآخرة لأن ذلك هو استعدادها ، وذلك كله سرّ آية - سراييلهم من قطران - وهو مستخرج من الفحم الحجري وهذا الفحم مما يخرج من الأرض في قوله تعالى هنا - يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها - الخ . تم الكلام على التذكرة الثانية والحمد لله رب العالمين

﴿ خاتمة السورة ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أيها المسلمون : انظروا معى نظرة عامّة الى هذه السورة ، هي مبتدأة بنعم الله الجزيلة وبأنه مستحق للحمد عليها وبأنها من السماء ومن الأرض والجنة خارجة نازلة صاعدة وهي مع ذلك لاتعزب عن علمه ، وأن هذه الحياة لاتقف عند حدّ الموت فهي ممتدة لتكون أواخرها نتائج أوائلها ونهاياتها مبينة على بداياتها وأن علم العلماء في جميع القرون وكشف الكاشفين للمعلومات في الأرض يبين لهم أن هذا القرآن حق وهاد الى صراط العزيز الحميد

هذا مبدأ السورة ، ثم انه أخذ يبين لنا حال أمتين شرقيتين أمة اليهود وأمة العرب ، فهما أمتان متجاورتان ، فأما أمة اليهود فانه ازدهرت بالعلوم والعرفان والعمران أيام داود وسليمان عليهما السلام وكان ذلك الازدهار والعزّ موجبين لشكر الله على من أعطوا هذه النعم ، فأما أمة العرب وسبأ فانهم بطروا النعمة وكفروها فلم يشكروها فحاق بهم العذاب وساعدوا ابليس على تلبسه عليهم واضلّاه فكفروا فحق عليهم الوعيد ، لذلك أرسل الله النبي ﷺ لجميع الناس من عرب ويهود وعجم فانتشردينه في أقطار المعمورة وازدهر العمران

ثم أخذ يقصّ علينا نبأ النوع الانساني من حيث التقليد واستقلال الرأى وأن المقلدين الخاملين لا ينفعهم عند الله الاحتجاج بأنهم غرّهم الرؤساء ، فكل عن عمله مسؤول وأن الرؤساء الضالين أشبه بالذباب يطوف على الوجوه والعيون فيبيض في القدرة منها فيخرج فيها بيضه دودا فيحصل الرمد للعين . فالعيب على من أصابه الرمد لأنه مستعدّ لوقوع الذباب على عينه وهذا هو قوله تعالى - ولن ينفعكم اليوم إذ ظننتم أنكم في

الآداب مشتركون - وقوله هنا - وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين - ردًا على قولهم - لولا أنتم لسكننا مؤمنين - كما تقول العين الرمضاء للذباب لولا أنت لكنت سليمة من المرض ، فتقول الذباب : إن استعدادك لوقوعي عليك أغرائي بذلك فأصب بالرمد بسبب بيضى الذى وضعته فيك ، فأنا وقعت عليك لأضع البيض فيك وهذا طبعى الموافق لطبعك ، فنحن معا نشترك فى خلق واحد ، بيننا جامعة تجمعنا ، فأنت مرتضى الخصب ، وأنا الراجعة فيه ، فأى فرق أيتها العين بيننا وبين الأنعام ، ترى فى الرياض النضرة والحقول الخضرة ذات الأزهار البهجة ، ألسنت أنت روضتى وجنتى ونعيمى لأن القذارة محبوبة لى وأنا بها قريرة العين سعيدة

فهذه المحاورات بين الذباب وعين الأرمذ أشبه بالمحاوراة بين الرؤساء والرؤسيتين إذ يقلد الآخرون الأولين كما اتفق فى أعم الإسلام المتأخرة إذ استسلم المجموع الإسلامى لبعض من قل علمهم وضعف يقينهم فاستنزلوهم بعد عز من صراتهم حتى غموا عن آيات القرآن كالذى جاء فى هذه السورة وغاية أحدهم أنه ربما يقرأ فى أمثال هذا التفسير فيفرح بمجراته صلوات الله عليه التى ظهرت فى هذا الزمان كآثار سد العرم المرسومة فيما تقدم وأن ذلك يوجب تصديق أهل العلم ، فإن من يقرأ هذا ويعلم أن المؤرخين كانوا يشكون فيه فظهر لهم الحق بكشف أولي العلم فانه لا محالة يصدق بالقرآن ومن أنزل عليه ولكن أيها المسلمون ليس التصديق بأن القرآن حق هو كل ما يطلب منا ، فهذه مرتبة الرجل المبخوس المنزلة الضليل المعرفة ، فبلاغة القرآن ومجرات العلم كل منهما يرشد قوما إلى صدق القرآن ، ولكن التصديق بالقرآن بعد هذا الجدل يشاركنا فيه العامى والصي فهما مؤمنان والإيمان شئ والتشهير لمقتضى الإيمان شئ آخر يقول الامام الغزالى رحمه الله تعالى : « إن من لم يكن له حظ من القرآن إلا لفظه وتفسيره واعتقاده بالقلب فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة فان ادراك اللفظ بسلامة حاسة السمع وفهم المعنى يكون بمعرفة اللغة العربية التى يشارك العارف بها الأديب اللغوى بل الغنى البدوى ، وأما التصديق بأن كلام الله حق فهذه مرتبة يشاركنا فيها العامى الجاهل بل الصي . قال : وهذه درجات كثير من العلماء فضلا عن غيرهم » اهـ

إذن فلتعرفنى أذنك أيها الذكى وتجلس معى دقائق أحدثك فيها حديثى عن أعم الإسلام التى أعيش معها مدة ما ثم أترك الأرض ومن عليها وأتوجه الى لقاء ربى . فأقول :

« يارب أنت أرسلت نبيك محمدا صلوات الله عليه للناس كافة وقلت لنا - كنتم خير أمة أخرجت للناس - وأسكنتنا فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لنا فى آثارهم كيف فعلت بهم وضربت لنا الأمثال ، ومن الأمم المذكورة أهل سبأ وقد ملكتنا أرضهم . فإذا فعل المسلمون لما ملكوا ؟ هاهم أولاء تركوا مواهبهم العقلية والجسمية وتركوا نعمك التى أنعمت بها عليهم ولم يبالوا بنعم المطر النازلة عليهم من السماء . فهاؤه يجرى بلاسد يصد ولاعزم يحفظه فغطوا نعمك . نعم ان جمهورهم اليوم لا يعلمون إلا ماورثوه عن آبائهم من العلم وهذا تقليد والقليد مذموم . وهاهم أولاء يا الله يقرؤن فى سورة سبأ التى أنزلتها باسم بلادهم التى أهمها (مدينة مأرب) التى تقدم رسمها والتى تسمى باسم سبأ أيضا . وقد قلت فيها لا فى صنعاء كما يقول الجمهور من المفسرين - بلدة طيبة ورب غفور - وقرأوا أن هؤلاء الوثنيين لما أعرضوا عنه حفظ السد وترميمه أنزلت عليهم عقابك فى الدنيا ففرقتهم فهم لم يشكروا النعمة ولم يحفظوها كما حفظها داود وسليمان عليهما السلام . فهم قوم غير شاكرين . والذى لا يشكر النعمة بحفظها تزول عنه . ثم أقول يا الله : قرأ المسلمون هذا فى القرآن ولكنهم وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ ولم يفتن أكثرهم لما نزل من هذه الحكم وهى أن يعمرؤا أرضك ليكونوا - خير أمة أخرجت للناس - كما كان سلفهم الصالح أيام الصحابة والتابعين لا أن يعكفوا على جمع المال وادخاره وعلى الملك والاكتفاء بالمجد الكاذب الذى هو كسر اب ببيعة

بحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الأمم المحيطة بنا تغلب على أطراف البلدان الإسلامية لجهل أهلها وقلة تبصرهم وعدم تعقلهم أمثال هذه الحكم في التخصيص القرآنية حتى انك أهملت محمد بن توصرت في بلاد المغرب فظهر لهم بهيئة المهدي الذي يتبعون قوله أمدا مائتا مائة دولتهم بعد مائة سنة وكانت هذه سنة تلك الأمم إذ اقتعدوا غارب التقليد الأعشى بمن سيطروا عليهم من الرؤساء الذين سخرهم الله لهم لما عميت البصائر عن القرآن الهادي الى طرق الحقائق وأخذوا يتخبطون في ديجور الظلام الخالك حتى جاء زماننا فوجدنا بلادك التي ساحتها لنا خاوية على عروشها ، فهاهي ذه بلاد شمال افريقيا في القرون المتأخرة انضبت معين الحضارة منها فأرسلت لها أمم أوروبا أمة بعد أمة ، وهاهي ذه بلاد العرب التي كانت منبع حضارة الأمم شرقا وغربا قد حلت بها البوار ولحقها النكال وهاهي ذه بلاد اليمن وحضرموت وما والاها من البلدان لم نجد فيها ملكا اليوم يعادل ولا يقارب ملك السبئيين الوثنيين الذين عبرتهم بأنهم أعرضوا عن نعمك وضربت لهم مثالا بهمال سد العرم الذي هو واحد من مئات الأسداد في تلك البلاد فلم يفتن عالم من علمائهم الى هذه العبر وقد أحاطت بهم النذر من كل جانب ، وهاهي ذه أوروبا واقفة لهم بالمرصاد ، أنت يا الله خاطبت المسامعين بكلامك القديم اليوم منذرا ومحذرا ، فكلامك القديم لا يتسنى لنا أن نعرفه إلا بأحد طريقين إما بالفاظ ترد على لسان نبي كالذي جاء في هذه السورة ، وأما بفعالك أنت لأن المعاني تظهر بالقول تارة وبالفعل أخرى فأما القول ففي القرآن وأما الفعل فهو مظهر اليوم في العالم قاطبة . فكلم يا الله من نعم ببلاد العراق ونجد والحجاز واليمن وحضرموت مخبوءة فيها . وكلم من سمعائب ماطرات مطرا يحيي الأرض بعد موتها ثم ترك ذلك كله وشأنه فلم يحفظ في زمن الاسلام بالاستخراج وبالأسداد كما حفظ أيام الجاهلية فانتفع الناس به .

« هذه حال المسلمين اليوم يا الله . وهاهوذا التفسير قد كتبتهم وهم يقرؤنه وهو آخر انذار للمسلمين فان فكروا فهموا وانتفعوا وان اغمضوا أعينهم عن الحق أهلكتهم الأمم »

أيها المسلمون : هاأنذا أنذرتكم وحذرتكم . ويأبناء العرب اخواني وأصدقائي فكروا في قصص هذه السورة . فكروا في قول ربكم - فأعرضوا - ولما أعرضوا أرسل عليهم سد العرم . أليس هذا اصلاحا دنيويا . ألم يكن خراب سبأ أو (مدينة مأرب) من نتائج الجهل الذي وقعنا فيه الآن . أنتم يا أبناء العرب اخواني قد أنزل الغطاء عن أعينكم فأخذتم تفكرون وهذا كتابي بين يديكم وأنا أعلم انكم تقرؤنه ومستحيل أن يمر هذا القول بلا نتائج بل أقول فوق ذلك انكم سترجعون المجد القديم الذي يجعلكم - خير أمة أخرجت للناس - كما كان آباؤكم الأولون . وانما خصصت الخطاب لكم الآن لأن مدينة مأرب وهي سبأ لا تزال في حوزتكم . فالفرصة سانحة لكم جميعا في العراق والحجاز ونجد وغيرها من البلدان . أنا أذكركم بقول الله تعالى في ﴿سورة الأعراف﴾ - لتذريه وذكري للمؤمنين - فالقرآن انذار لقوم وتذكير لآخرين . وجاء في نفس السورة - أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو آمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون - الى قوله - أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون -

فما من أمة من أمم الاسلام إلا حلت محل أمم بائدة . وأهل اليمن حاولوا محل أهل سبأ وأهلكوا أهل الماء فلم يحفظوا السدود وكفروا . وهؤلاء المسلمون أذنبوا وأعرضوا عن حفظ هذه النعم . أفلا يحق لي وأنا أكتب هذا أن أخاف عليهم . فأنا أنذرهم وأقول لهم ان الذنوب على ﴿قسمين﴾ ذنوب ترجع الى اهمال النظام في الدولة وهذه جزاؤها الملاك في الدنيا أو النذل . وذنوب جزاؤها في الآخرة غالبا وهي الامور الاعتقادية ﴿وبيانه﴾ أن أكثر الأمم التي هلكت قراهم في القرآن كانوا غير منتظمين في أمور الحياة . ونسمع الله يقول - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون - فاذا أصلحوا نظام بلادهم وهم كافرون فلاهلك يلدحهم فالكافرون

المعمرون لبلاد الله العادلون يكون عذابهم في الآخرة غالبا . انظر الى أمة الصين وأمة اليابان . فهؤلاء ذاقوا عذاب الخزي في الحياة الدنيا لما كانوا غير منسكبين في أمر نظام مدنهم العام ، فلما أن عرفوا ذلك ونظموا البلاد خرجت أوروبا من بلادهم هاربة

فيأبناء العرب ، وبأهل اليمن ، وهذا كتاب الله وهذا فعلة . يعذب الأمم في الدنيا بجهاها وإهمالها كما جهلت وأهملت سبأ وأنتم ورثتم الأرض من بعدهم . فوعيد الله لكم ظاهر واضح . ولا سبيل لكم من النجاة إلا بصرف آخر درهم من أموالكم في تعليم الشبان تعليما عاليا وهم هم الذين يقومون بنظام البلاد . والله لقد أُنذرت وحذرت وأنت يا الله تشهد . وكفى بالله شهيدا . فهل لكم أن تسمعوا ما جاء في كتاب « التجارة الاقتصادية والجغرافيا البشرية » فقد جاء فيه ما يأتي :

(الانسان ونهضة الاستعمار)

(هذه نقط الموضوع)

(١) معنى الاستعمار (٢) أقسام العالم الطبيعية طبقا للنظرية هربرتسن ممثلة بخريطة (٣) الهجرة (٤) موقف المستعمرين . الأمم المستعمرة وميزانها (٥) أنواع المستعمرات (٦) مايجب على المستعمر معرفته (٧) أوروبا بعد الحرب الكبرى

يدل معنى لفظ الاستعمار على عمران الأقطار وسكنى البوادي بعد اصلاحها واستيطان القفار بعد استنباتها واستثمارها فيقتدل وحشها أنسا ويستحيل جذبها خصبا فينعم أهلها ببسطة في الرزق ووافر من الخيرات والنفرات ثم يرقى المجموع الانساني تباعا باستكمال أسباب الراحة المعيشية وهي كل مراميه في حياته الدنيوية قام الانسان في عصور الكشف الجغرافي بنهضة جلى كان غرضه منها تعرف جهات العالم جميعها فزج نفسه في المحيطات واخترق ظلمات القارات واستهدف للخطر وركب الغرر فهلك من هلاك ولكن نال بغيته وأصبحت الأرض جميعا قبضته فانقسمت الى أقسام سياسية ترجع الى مختلف المجهودات وما احتدم من قتال وما شجر من خلاف ، ثم تريت وأمعن فأنكشف العالم أمامه أقساما طبيعية لا تحول ولا تحور

عمد الى كل جهة جديدة وأقبل عليها بخيله ورجله يحدث فيها من الحرف والأعمال بمادته عليه تجاربه في الجهات القديمة المماثلة لها والتي أقام عمرانها من قبل ، فأثبت القمح في أمريكا في الجهات الصالحة لزراعة وفي الأرجنتين واستراليا وزيلنده وأوجد القطن بالنييجر والسكر بالبرازيل وناثال واستراليا والبن والكافور والتبغ والفاكهة أشكالا وألوانا . غرس كلا في المثلث الملائم له . ثم استثمر الغابات والأحراج الجديدة على نمط القديمة وسبر غور الأراضى وانتزع من معادنها وغاص أعماق البحار وانتفع من لآلئها فعمت هذه الخيرات العالم وأثرى المستعمر وأترفت نفوس الى العوالم الجديدة الفائضة لبنا وعسلا وخفت اليها الرجال واتجهت اليها الآمال فأنعم بالاستعمار ! هاجر الناس من مواطنهم على حبها وشدة تعلقهم بها فانتجعوا هذه الأقاليم طمعا في المال أو فرارا من شدة التراحم ووطيس النضال وأقبلوا يزفون على مزارع عذراء ومناجم لم تطمث وأرض لم توطأ فصالوا وجالوا وطبق صيتهم الخافقين وأصبحوا قدوة لبني جلدتهم فأهتروا جميعا بحب الهجرة وأشربوها في نفوسهم وجرت منهم مجرى الدم حتى ليهذى بها الصغير في غضاضة الالهاب ويصبوا اليها الفضل القوى في زمن الشباب ويحن اليها شيخهم اذا هرم وشاب

الى أن قال : فاذا لم يكن في الاستعمار غير تثير أجزاء الأرض قاصيها ودانيها والأخذ بيد الشعوب المتأخرة للنهوض بها الى مستوى الحضارة لكفى لأن كثيرا من المستعمرات قد بلغ من الثروة الطبيعية أقصاها ولكن أهله الوطنيين للأسف غير قادرين عليه وعلى الانتفاع به لتأخر حالهم العلمية والكثير منهم همج وحشيون

يعيشون على الفطرة . فوقف المستعمرين في ذلك حرج . فلا هم بمنصفين اذا تركوا هذه الكنوز الثمينة طلاس في يد من لا يعرف أن يرعاها ولا هم بمنصفين اذا تدخلوا فلا يسلّمون من الثلب والقدح ودمهم بالطمع والجشع والتعدي اغبر شأنهم والتدخل فيما لا يعنيههم . واذن فليدخل المستعمرون لا للاحتلاك بل لغرض الاصلاح وارشاد الوطنيين حتى يبلغوا بهم من المستوى العلمي والأدبي ما يؤهلهم الى الانتفاع بما لهم وبلادهم فاذا تم ذلك كان الاستعمار نعمة ، والمستعمرون ملائكة الرحمة ، ولكن الانسان وما فطر عليه من حب الذات والسعي لها كثيرا ما يحيد عن المبادئ القومية العالية . ويغفو عن واجبات الانسانية السامية فتشوّهت صبغة الاستعمار وخرج عن معناه الى معنى الاستعباد والاذلال

امتازت الأمم المستعمرة : **(أولاً)** بشدة البأس والسطوة والجبروت . فهي تعد الجيوش وتبنى الأساطيل لتحمي دمارها وتحفظ حقوقها وتتضرب بها العصاة الوطنيين اذا جنحوا الى العداة ورفضوا منهج الاستعمار الذي وضعته . وامتازت **(ثانياً)** بكثرة المال تنفقه فيما تشاء وعلى من تشاء فتفتح به المناجم والمصانع ويزهو به الزرع ، وتشق القنوات . وتذلّل الطرق . بل تدلّل كل صعب . وامتازت **(ثالثاً)** بأنها الأمم العاملة المخترعة المتفنّة في أساليب الرقي والحضارة . فمنها المهندسون والزراع والصناع والكيميائيون والأطباء ولقيف العالم الراقى جميعا . فأى قطر يحمله هذا النوع من الانسان وما وهب من المزايا ثم لا يرقى الى معارج الفلاح والنجاح أو لا يفيض على المستعمر والمستعمرة أرضه بالخيرات والبركات

والمستعمرات **(رسمان)** نزلية واستغلالية . فأما الأولى فينزل فيها الأجنبي لغرض الاستيطان اذا كان جوّها مما يلائم مزاجه وطبيعته لوجه الشبه بينه وبين بلاده الأصلية فيتسنى له اذا استوطنها أن يقوم بالعمل الجسماني فيها ويرتزق من هذا الطريق ان شاء . ويقع عادة مثل هذه المستعمرات في الأصقاع المعتدلة . فمنها كندا وأستراليا وزيلانده وأمثالها . وأما الثانية فهي التي يقد عليها الأوروبيون لا للاستيطان بل لغرض الاستغلال والاستفادة من طيب أرضها وصيب خيرها حتى اذا جمع ما يكفيه قنل الى وطنه الأول وعاش فيه بقية حياته منهما بما كسبت يده فهو لا يستطيع القيام بالعمل الجسماني في ذلك الوطن الثاني لعدم صلاح جوّه له ولذا يضطر الى استخدام أهله الوطنيين في ضروب الاستغلال والاستثمار على أجر معلوم بينما تكون له الزعامة العليا بفضل ما امتاز به من العدة والمال والعلم . انتهى ما أردته من كتاب « الجغرافيا التجارية الاقتصادية » والحمد لله رب العالمين

أيها المسلمون : أليس هذا فعل ربكم سبحانه وتعالى . جاء نبينا ﷺ فقام معه العرب ونشروا العلم والامن في الأرض ثم خد المسلمون إلابا قليلا وناموا فلم يتركهم بلامنذرين . فها هو ذا القرآن يدرسون . ولما غفلوا وقلدوا آثار الله أهل أوروبا وحركهم لاستخراج ثمرات أرضه التي جهلها المسلمون فأحاطوا بهم من كل جانب . انهم من مخلوقات الله تعالى وهو الذي أوعز اليهم أن يجعلوا المستعمرات **(قسمين)** نزلية واستغلالية ولا جرم أن بلادكم أيها المسلمون بلاد استغلالية . فهم ينزلونها للاستغلال لا للاستيطان . فدوّنكم كلام الله ودوّنكم فعله . فان لم تفهموا القول أفلا تعقلون الفعل ! فاياكم أيها المسلمون أن تذروا النعم في بلادكم لئلا يستعمرها قوم غيركم . واياكم يا أهل اليمن أن تتركوا الغابات والأشجار كأشجار الخروع الكثيرة في بلادكم فلا تنتفعوا بها . وكذلك الكنوز والآثار المطمورة فقد حذرت وأندرت وبيّنت - ولله عاقبة الامور -

كتب في صباح يوم الاثنين الموافق (٢١) ابريل سنة ١٩٣٠ م وبهذا تم الكلام على (سورة سبا) والحمد لله رب العالمين

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السادس عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم ويليّه الجزء السابع عشر وأوله تفسير سورة فاطر)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاتنا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلا تنبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك وهاموذا :

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
بالغيب	بالغيبه	١٨	١١٣	في الأرض وفي	في الأرض في	٤	٤
وبدلوا بالجنيتين	وبدل الجنتان بما	٢٥	١١٥	السورة	السور	٧	٤
ملا ينفع	لا ينفع			ان	إذ	١	٦
مرّ الثمر	من الثمر	٢٥	١١٥	وجال	جال	٧	٨
وتيامن	وتيامن	٢٨	١١٥	فتكررت	تكررت	٨	٨
الاشعريون	الاشيريون	٢٨	١١٥	الغزالي	الامام	١٧	٩
هي	هل	٢٣	١١٩	فانما	فانه	٢٧	٩
المصريين	المصريات	٣	١٢٠	في شجرة	في ورقة	٤	١٢
هاهاتان	هاهما	٢٢	١٢٠	منابر	منبرا	١٧	١٤
نحن بني آدم	نحن بني	١٠	١٢٣	النقية	السفلية	٣٤	٣١
زمانه	زمان	٢٦	١٢٤	شكرا	شكر	٢٣	٣٥
المجرة	المجرات	١١	١٢٥	القولية	القوية	١٤	٣٧
جعلتهما	جعلهما	٢٢	١٢٦	الصاميم	الصاميم	٨	٥٢
غباوته	عبادته	٢٦	١٢٧	لم يعتد	لم يعتدوا	٣٤	٥٥
اثنى	اثنى	١٤	١٢٩	والغضب	والغضب	٨	٦١
إلا المسلمين	لا المسلمين	١٠	١٣٦	ليفهمها	ليفهمها	٢٩	٦١
عنك	هتك	٢٨	١٤٢	ألفت	ألفت	٣٤	٧٠
إذ هي	أوهى	٢١	١٤٦	للكاموهم	للكاموهم	٣٥	٧٠
مشفران	شفران	٣٣	١٤٧	وضعتة	وضعتيه	١٤	٧٢
نتصوّره	تصوّره	٧	١٤٨	فبعد	بعد	٣٢	٧٥
الشقوق	لشقوق	٣٠	١٥١	السكرات	السكرات	١٣	٧٧
التخاريب	التخاريب	٧	١٥٣	متجاورات	متجاورتين	٣٤	٧٧
»	»	٨	١٥٣	ميلا	ميل	٦	٨٢
»	»	٢٢	١٥٣	المشبه	المشبه به	٢٥	٨٢
أو بالأخرى	أو بالأخرى	٢٢	١٥٤	توجهوا	توجه	٥	٨٨
في شفته	في شفته	٢٤	١٥٨	أيقن	وأيقن	٩	٨٩
الأسئلة	ان الأسئلة	١٨	١٦٠	يأتون	يأتوك	١	٩١
وأياها	وأيام	١٧	١٦٢	أعزبا	أعزاب	٢١	٩٥
(سنة ٨٥٠)	(سنة ٨٥)	١٦	١٦٦	على ذاك	إذ ذاك	١٩	٩٧

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٦٨	١٢	يشعمر	يشعمر	١٨٤	١٦	بد	بد
١٧٣	٦	كأراضي الدلتا		١٨٤	٢٤	مادر	مادر
١٧٤	٢١	نحو سنة ١٩٢٨	سنة ١٩٢٩	١٨٥	٢٤	أبلوا	أبليا
١٧٧	١٩	تجارية	تجارية	١٨٥	٢٦	ابن	ابنه
١٧٨	١١	عمرا	غمر	١٨٦	٢٢	الدهش واذ	الدهش إذ
١٨١	٣١	في القرون الثلاثة	في القرنين الأولين	١٩٠	١٠	الار بين	الآرين
		الأولى		١٩٠	١٠	بالبار بين	بالبارسين
١٨٤	٥	المكان	والمكان	٢٠١	٣٥	فبها	فيها
١٨٤	١٥	ويعرون	ويعزون	٢٠٢	٣٢	أنى	أنى

(تمت)

(تذكرتان)

(الأولى) جاء في صحيفة (١٩١) أن ما يصرف على بقر الهند (١١) مليوناً و (٧٦٠) ألف جنيه وأن هذا أربعة أضعاف غلة الأرض ، وهذه العبارة نقلتها من الأصل وهذا الأصل خطأ لأن غلة الأرض أضعاف هذا بعكس ما جاء في هذه العبارة اهـ

(التذكرة الثانية) إن سنة وفاة (محمد بن تومرت) وهي سنة (٥٣٤) لا توافق ما جاء في القصيدة التي أنشئت على قبره انه عاش (٩) سنين مع انه أظهر المهدوية (سنة ٥١٥) ومن عجب أن المؤلف أهدي اليه كتاب فيه تاريخ (ابن تومرت) وأن وفاته كانت سنة (٥٢٧) وهذه أقرب الى الصواب فلهذه مات سنة (٥٢٣) انتهى والله أعلم

فهرست

(الجزء السادس عشر)

(من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم)

صحيحة

٢ تقسيم سورة الأحزاب الى ثلاثة أقسام وتفسير البسملة وأن ما تقدم في معنى البسملة في أول السجدة يرجع الى الفرق بين صفة الرب وصفة العبد مع ضرب مثل بالبر والشمس وبيان الرحمة في الطيور والأشجار الخ وأن الشر لا يكون بالقصد الأول وأن العداوات والمواد الفاسدة وجدت ليتفرق الناس فيسعدوا بالمنافع ، فلنبين هنا كيف كانت الرحمة مثيرة لما في السجدة من الرحات (بعد بيان معناها في سورة الروم ولقمان من حيث ان آلام الكسر والضرب الخ وآلام العقول بالخير ، كل ذلك لا بد منه للادواة والتعليم) مثل الكلام على تدير الملك وانه لا شفيع عنده إلا باذنه ، وأن الانسان العاقل مخلوق من طين وأن العوالم السفلية مشاكلات للعوالم العلوية وهكذا وان أهم ما يدور البحث عليه في سورة لقمان ثلاث مسائل (الأولى) خلق الانسان (الثانية) موته (الثالثة) بعثه . فأما التسوية فان جسمي أهم ماركب هو منه أربعة عناصر الاكسوجين والادروجين الخ وهذه هي الأعمدة التي يقام عليها جسمي ، فلا اكسوجين مع بعضها يكون به الحياة ومع البعض الآخر به الموت وهو مع آخره السم ، فهذه المركبات أكثرها مهلك ولكنها في جسمي صارت حياة ، وهنا يكون الدهش كيف حلت الحياة فيما أكثر طباعه الموت ، وههنا خطاب للروح واعلامها بأن اللذة والألم لفتان فصيحتان . وخطاب لله تعالى مبدع هذا الجسم وشكره على تعليمنا انه سوى أبداننا فعرّفنا مسام الجلود فنطقت لنا وشهدت على المذنبين لدى حكوماتنا الخ

٧ أما الكلام على البسملة في (سورة الأحزاب) فقد بدى بذكر السبب في تكرارها في أول كل سورة وكيف نام المسلمون في تلك القرون وجهلوا الحكمة في تكرارها فحمدوا على اللفظ ونسوا رحمة الله كلهم سواء منهم الخطيب والواعظ والعامي ، فهم جميعا لا يعرفون من الله إلا عذاب جهنم ونعيم الجنة . أما رحمت الدنيا فهي مذسية عندهم ، وبيان أن رحمة الله تعطى للعبد على مقدار ما يدرك منها ويطلبه ولا طلب إلا بعد العلم . ولو أن عاقلا عظيما من غير هذا العالم نظر الى المسلمين اليوم لقال لهم ان تكرار الرحمة لعظم قدرها كتكرار الآلاء في سورة الرحمن التي تعتبر كتفسير لبسم الله الرحمن الرحيم . فاذا كرر الله الويل في سورة المرسلات للتهويل وكرر الآلاء في سورة الرحمن لعظم مقام الرحمة فها هو ذا يكرر البسملة لعظم أمر الرحمة المشروحة شرحا تاما في سورة الرحمن المفسرة لمعنى هذا الاسم الذي هو في البسملة وفي سورة الرحمن قد قدمت آيات النعم الدنيوية على الأخروية لنعلم أبناءنا على هذه الطريقة . فنعلمهم عوالم الأرض والسما أولًا كما رتب الله الآيات كذلك وكارتب الامام الشافعي أعضاء الوضوء اتباعا لنظام آية الوضوء . ولقد صرفت عقول علماء الاسلام عن تعليم تلك الرحمة لأن الأمة اتخذت فتح البلاد مرتزقا لهم وشهوة ولذة نفانهم جهلهم نقر عليهم السقف من فوقهم . فالظلم حرمهم من العلم فنبذوا كتب ابن رشد ونفوه ففعلهم أهل أوروبا فظهرت آثار نور الاسلام في أوروبا من كتب ابن رشد ثم كتب اليونان وهكذا . ومن العجب أن سورة الفاتحة في أولها علم وفي آخرها عبادة . وهنا بيان أن العلماء سيقروا هذا التفسير ويسارعون الى هذا النظام في تعليم الأطفال وأن أوروبا رجعت الى كتب اليونان وان

هناك تحريفا في نقلها مثل مسألة حدوث العالم فهي عقيدة المحققين منهم . والسكن المنقول عنهم قديما أن العلم قديم ونموذج كتب المطالعة تكون ذات نماذج جميلة كما ترى في ﴿سورة يس﴾ من حجر في الأوراق لاتراها العيون كثيرة العدد فيها مواد سائلة يعوم فيها ما يلونها بالحضرة الخ وفيه بيان كتاب القراءة الملوكية وموضوعاته (٤٦) موضوعا وهذا كله مناسب لكونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين

١٣ ﴿كتاب الرحمة﴾ فيه ثلاثة فصول وهو من كتاب (تيسير الوصول لجامع الأصول) في الأحاديث النبوية وفيها وعيد من لم يرحم وأن الرحمة غلبت الغضب وأن رحمت الله مائة واحدة منها في الدنيا الخ

١٤ وجوب رحمة الحيوان وأن رجلا سقى كلبا فغفر له وهكذا النبي صلى الله عليه وسلم غفر لها لما سقت الكلب ، وذكر الرجل الذي شكى بلسان حاله من التعب للنبي صلى الله عليه وسلم ودمعت عينه ، والنهي عن اتخاذ ظهور الدواب مجالس . والكلام على رحمة النمل

١٥ ﴿القسم الثاني﴾ من السورة وأولها - يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين - الى قوله - قديرا - ثم تفسير هذا القسم اللفظي

١٨ تفسير قوله تعالى - وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم - وبيان أن غزوة الخندق ذات ﴿ثلاثة فصول﴾ الفصل الأول ﴿في ملخص الكلام عليها﴾ الثاني ﴿في تفسير اللفظ﴾ الثالث ﴿في ربطها بما قبلها وملخص الفصل الأول أن اليهود حالفوا قريشا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقدت المسلمون حول المدينة فكان ما كان من الأخبار عند ظهور النور إذ ضرب صلى الله عليه وسلم الصخرة بالمعول وقوله : « سأملك فارس والروم وغيرها » ثم بيان تخاذل اليهود والعرب وانضمامهم ﴿الفصل الثاني﴾ تفسير قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم - الى قوله - وكان الله على كل شيء قديرا -

٢١ ﴿الفصل الثالث﴾ في اتصال هذه القصة بما تقدمها في أول السورة الخ . وههنا ايضاح الكلام على أن موسى عليه السلام ذكر قومه بأيام الله . وجاء في سورة السجدة - ولقد آتينا موسى الكتاب - الخ فكما ذكر موسى قومه بأيام الله كالنجاة من آل فرعون ذكر صلى الله عليه وسلم المسلمين بنجاتهم يوم الأحزاب أمة الاسلام اليوم وأنه واجب على المسلمين أن يتدبروا هذه الغزوة الخ

٢٣ ﴿القسم الثالث﴾ من السورة من قوله - يا أيها النبي قل لأزواجك - الى آخر السورة

٢٦ بيان أن هذا القسم فيه فصول وأن الفصل الأول في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه بالزهد في الدنيا وتفسير قوله تعالى - إن كنتن تردن - الى قوله - إن الله كان لطيفا خبيرا -

٢٧ ذكر سبب نزول آية التخيير وحكم الآية . وأن المرأة اذا خبرت فاخترت زوجها لا يقع شيء عند بعضهم وتقع طلاق واحدة عند الآخر . وان اختارت نفسها تقع طلاق رجعية أو بائنة أو ثلاث طلاقات على الخلاف ﴿الفصل الثاني﴾ في أحسن الأخلاق التي يكون عليها الرجال والنساء في الاسلام وهي عشر : الاسلام والایمان الخ . ذكر أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها

٢٨ تفسير - وما كان لمؤمن ولا مؤمنة - الى قوله - وكان أمر الله قدرا مقدورا -

٢٩ بيان أن عتاب الله على نبيه في مسألة زيد وزوجه وأن المسلمين أحق بالعتاب في عدم اظهار الحقائق التي يعرفونها

٣٠ ﴿الفصل الثالث﴾ في فضل النبي صلى الله عليه وسلم وعمر رسالته وتفسير ذلك من قوله تعالى - ما كان محمد - الى قوله - وكفى بالله وكلا -

٣١ بيان أن السراج نقبس منه السرج . فهذه كالأبوة النبوية فهي ولادة نورية

٣٢ الفصل الرابع في المطلقة قبل الدخول الخ وتفسير الآيات من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات - الى قوله - إن الله كان على كل شيء شهيدا - ، وقد ذكر حكم من تهب نفسها

٣٥ الفصل الخامس في وجوب تعظيمه ﷺ ومن تعظيمه أن يصلى عليه - الخ

٣٦ بيان معنى آية - إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض - الخ وههنا سبع لطائف

٣٨ سرّ تعدد الأزواج وتعدد أزواج النبي ﷺ وههنا أسئلة موجهة من (المدره) الى المؤلف ، وكيف تزوج النبي ﷺ تسعا مع أن غيره يتزوج أربعا ، والاجابة الأولى بأن ذلك ربما كان قبل تحريم الزيادة على الأربع

٣٩ ولم يطلق ما زاد على الأربع لأنه حرم عليه أن يستبدل بهن من أزواج وأن يتزوج غيرهن ، فهذا الحجر عليه في مقابلة إباحة الطلاق والاستبدال ، فهذه الخصوصية إذن ظاهرة ، وأيضا لو أنه طلق عائشة - كان ذلك خلافا في سياسة الأمة الاسلامية وهكذا حفصة فأمر أبويعهما معروف وأم سلمة كانت أرملة أخيه في الرضاع ومعها ذرية ضعاف ، وزينب ابنة جحش أمرها معروف في القرآن

٤١ المجلس الثاني وههنا ننظر في طلاق (هند بنت أبي سفيان) إذ أصيبت بتنصر زوجها في غربتها وبعد أبويعها فلاحيص من زواجه ﷺ بها ، وجويزية من بنى المصطلق أصهار رسول الله ﷺ وهي بنت سيد قومها ، ثم بيان أن رؤساء القبائل ليس لهم ماله من هذه السياسة الزوجية وأن النساء يقدرن نعمة الزوجية الشريفة حق قدرها حبا في الشرف ، والدليل على ذلك أن أخت دحية الكلبي لما علمت أنه ﷺ تزوجها ماتت من الفرح ، وأنهن رضين بالقوت مع ترك القسمة على أن يكن أمهات المؤمنين

٤٣ بيان أن تحريم أزواجه على المؤمنين بعده لسد باب الفتنة وحسم الامور السياسية لئلا يتناول زوج أم المؤمنين بذلك الى التدخل في السياسة ، وبيان انه اختص ﷺ بأربع وترك باقيهن لمداكرة الحكمة والقرآن وأن هذه أول مدرسة نسائية في بلاد الاسلام ومدرسة الرجال كان تلاميذها أهل الصفة

المجلس الثالث في بيان رجال الصفة وانهم أر بعماثة يحفظون القرآن ويتعلمون . وبيان انه ﷺ لوفاجأ نساء الباقيات بعد الأربع بالطلاق لقامت فتنة كالفتن التي قامت في زمن عمر إذ تنهر (جبله) ومعه ستون ألفا لأجل مفاجاته بالقصاص لأجل الاعرابي

٤٤ أما الجواب الثاني : وهو أن غيلان ومن معه إنما اعتنقوا الاسلام بعد التحريم فوجب عليهم ألا يزيدوا عن الأربع فهو غير مفيد لأن الأمة أجمعت أن ذلك خاصة له ﷺ فإذا قلنا ان من عددوا قبل زول الآية يباح لهم ما زاد على الأربع كان ذلك قولاً باطلاً وخطأً لمخالفته الاجماع . فأما الجواب الثالث : فهو أن هذا النوع الانساني يعكس الحقائق عكسا والافا بالنار نرى داود وسليمان عليهما السلام كان عندهما زوجات كثيرات ويعظمهما جميع المسلمين والنصارى واليهود . فكيف إذن يعترض المكابرون على نبينا ﷺ إذ تزوج تسعا ! إن هذه من جهالة هذا الانسان وتعصبه

٤٦ المجلس الرابع في ذكر مآقاله (كارايل) الانجليزى . وتبيان أن البناء الجاهل لا يدوم بناؤه وهذا الدين دام (١٢) قرنا فكيف يدوم بناء بانيه دعى في البناء . إذن محمد ﷺ نبي حقا . واتمام الكلام في أن الأحاديث التي ألصقت به الغرام بالنساء كلها أحاديث كاذبة كحديث ابن سعد انه ﷺ جىء له بقدر فأكل منها فأعطى قوة أربعين رجلا في الجماع وتبيان كذبه بالدليل

٤٧ المجلس الخامس وفيه استطراد في كيفية الكذب على رسول الله ﷺ فالكاذب إما مبتدع ينشر

بدعته وامارافض يضع الحديث لماشاء وامامستحل رضع الاحاديث للترغيب والترهيب . ومن الوضعيين غلام خليل ترك الشهوات واستحل الكذب على رسول الله ﷺ وقد أغلقت أسواق بغداد يوم موته الخ

٤٩ وقوم من الوضعيين كانوا يتقربون للملوك بوضع الأحاديث . أقسام الوضعيين ثمانية : الزنادقة والذين ينصرون مذهبهم حقا أو باطلا والذين يضعون الحديث للترغيب والترهيب والذين يحزنون وضع الاسناد لكل كلام حسن . والذين يضعون الاحاديث لمجرد الغرابة . وآخرون يشحنون بالاحاديث ومنهم وهب ومحمد بن السائب ومحمد بن سعيد وأبوداود النخعي الخ . ومنهم من اعترف بذنبه . كل هؤلاء ذكروا للاستطراد على ذكر حديث طبقات ابن سعد المكذوب عليه ﷺ من حيث نسبة حبه للشهوات النسائية

٥١ الكلام على تعدد الزوجات في الاسلام . وبيان أن أهل أوروبا وان برعوا في العلوم الصناعية لم يزالوا مقلدين في أمور كثيرة ومنها هذه المسئلة وهو تعدد الزوجات عند المسلمين . وبيان أن كتاب « ابن الانسان » الذي ألفته لنظام الأمم العام قد أثبت فيه أن تعداد الذكور والاناث في الأمم كلها متقارب وانما لم نسمع أن أمة قل نساؤها فأخذت تطلب نساء من غيرها بالعكس . اذ هناك نظام لا يتغير ولا يتحول وأن في الرجال من هم ضعاف أو فقراء فلا زواج لهم كما أن منهم من هم أقوى وأقدر جسما ومالا وشهوة فهؤلاء يعدون في مقابلة الضعاف وهؤلاء في الاسلام بحسب أقوال الخبيرين اما ثلاث في المائة واما خمس في المائة وهذا العدد الضئيل لو أنه كان مفسدا ما أضر هذا المجموع شيئا اذ في كل ألف (٣٠) انسانا فاسدى الأخلاق . فهل هؤلاء يضررون الألف . كلا . ثم كلا . هذا اذا كانوا مفسدين فكيف اذا ثبت أنهم مصلحون لأنهم حفظوا العدد الزائد من النساء فأولدوهن البنين والبنات وأطعموهن وحفظوهن من الزنا والخنا . اذن هذا الانسان لا يزال طفلا يقاب الفضيلة رذيلة والحق باطلا والاحتجاج بان الاخوة من الأب يتعادون مردود بأن الاخوة الاشقاء ايضا يتعادون . و بأن الناس جميعا يتحاسدون ويتعادون ولم يوجب ذلك ازالته من الارض . ولعمري ان لم يعيب الاوروبيون ذلك الا لأنهم حسدوا الشرقيين على نعمة تكاثر النسل وهم حرموا منه فيريدون إنزاله كما فعل بعضهم في جنوب افريقيا اذ يتزوج الرجل نساء كثيرة كأنه (ديك) معه دجاجاته ففرضوا ضريبة على أمثال هذا الزوج حسدا وبغيا لا ولئلك الوثنيين على كثرة ذريتهم

٥٤ بيان ما جاء في (مجلة المرشد) من أن عدد النساء في ايطاليا يزيد على عدد الرجال مليونين . وفي جريدة الماتان الفرنسية أن عضو مجلس البرلمان الفرنسي قال « ان في فرنسا مليون ونصف مليون فتاة غير متزوجات . وقال ان الفتاة لاصحة لها بغير الزواج . وأثبت أن هذا مغاير لقانون الطبيعة » ويقول (شو بنهور) الفليسوف الألماني « ان قوانين أوروبا في الاقتصار على امرأة واحدة أوقعت الفقيرات منهن في الشقاء والغنيات في التعسر أمد الحياة حزنا على عدم الاقتران برجل . وطلب أن يكون تعدد الزوجات أمرا واجبا »

٥٥ وقد ألف عالم فرنسي كتابا في العشقة الشرعية فطبع منه نصف مليون نسخة

٥٦ (اللطيفة الثانية) في معنى قوله تعالى وخاتم النبيين وذكر جواب عبد الله كويليام الانكليزي المسلم وابتدأه جوابه بنظرة عامة في السموات والأرض وما بينهما من السحب والنبات والحيوان ثم زوال ذلك وحياة غيره وهكذا

٥٧ بيان أن هذه العجائب توجد في القلب اذ عانا خالق هذا العالم وإيماننا به وامثالنا لأمره . وبعد معرفة

الله نجد أنفسنا متشوقين لمعرفة السكرة الأرضية فنرى العلم يقول لنا انها كانت كرة حارة بردت بالتدريج وخلق عليها المراليد الثلاثة بالتدريج ومنها ما انقرض ومنها ما حدث وآخرها هذا الانسان وهو عالم كبير في أول أمره كان كالحیوان ولم يكن من السكواكب ولا غيرها إلا ما تدركه البهائم واهتم أولاً لما كنه ومسكنه في الأشجار والمفارات هائماً في الفلوات يقتل غيره لشهوة نفسه فكان لا بد له من قانون . فهياً الله له أناسا مصطفين كل واحد أتى بشرع أرقى مما قبله بحسب القابلية . ففهم من علم الناس الملابس وستر العورة ولو بالورق . ومنهم من علم بعض الاخلاق الجيلة وهكذا حتى جاء موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام . وإذا لم يحرم عيسى الخمر وحرمه محمد ﷺ فليس معناه نقص عيسى . كلا . وإنما النقص في استعداد المرسل اليهم لا غير

٦٠ والقصد من الرقي انما هو في العموم والاف في كل عصر أناس متوحشون حتى في عصرنا هذا . ولما جاء محمد ﷺ أصبح الانسان أرقى من الانسان الذي كان قبل مبعثه بمراحل وهو في تعليمه يدعو للترغيب والترهيب . وهنا ذكر جميع محاسن الاسلام كالعدل والتواضع الخ تقرب من الثمانين عدداً في عشرة أسطر ثم ذكر المنهيات وعد ما يقرب من الأربعين . ثم بين هنا أحكام الشريعة الاسلامية المتعلقة بسياسة الملك والميراث والصحة والعجاز في البلاغة . قال : وكل هذه المباحث لم توجد في الكتب السماوية . وهناك أمور ستعلم في المستقبل وهذا الدين لم يكن هكذا طفرة فهو آخر الأديان وهو ناسخ لما قبله من الشرائع لأنه أكملها ولا ينسخه غيره

٦٢ نبذة من ترجمة المؤلف عبد الله كويليام المذكور وأنه كان واعظاً عالماً بالعلوم الرياضية وأصيب بمرض استوجب تبديل الهواء في جبل طارق وطنجة فأعجبه دين الاسلام وصلاة المسلمين فقرأ القرآن بالانكليزية ووازنه بالبيانات الأخرى فأسلم وأسلم معه أصدقاؤه له

٦٣ ثم بعد ذلك اتخاها لهم مسجداً يقيمون فيه الصلاة وقابل السلطان عبد الحميد ثم رجع الى مدينة ليفربول ببلدته وله كتاب يسمى (دين الاسلام) . هذا ومن آثار نبوته ﷺ أن أتباعه لا يهتمون باختلاف اللون . أما أميركا وانجلترا فانهم يطردون ذا اللون الاسود من مطاعمهم وهذه صفة أقل من صفة الانعام التي لا تبالي باختلاف اللون . ومن تلك الآثار الاسلامية أن اليهود دخل في دينهم بعض الاصلاح في التوحيد على يد موسى بن ميمون الذي ولد سنة ١١٣٥ م وأدخل في كتب اليهود خلاصات من علوم كتاب المل والنحل واخوان الصفاء وتحقيقات الغزالي وغيره من علماء الاسلام

٦٤ ومن الدلائل الساطعة على أنه ﷺ سراج منير ما شهد به الجاسوس الفرنسي الذي أرسلته فرنسا لعبد القادر الجزائري وقد صار من خواصه وقرأ الاسلام فأفاد أن دين الاسلام حق ولكن العلماء لا يصلحون لبثه بين الناس . ومنهم من اشترى الفتوى منه بالتمن اذ شهدوا أن فرنسا خير أمة اخرجت للناس وهكذا ولو كان علماء الاسلام أرقى من هؤلاء لكان المسلمون مثل تلك الأمم . من تلك الشهادات الفرنسية ما جاء في كتاب (خواطير وسوانح) للعلامة هنري . وهالك ملخصها

٦٥ انتشار الاسلام أيام الفتوحات العربية . ابتدأ بابطال ما يقوله الأوربيون في أسباب انتشار الاسلام وأخذ يبين الحقائق قائلا : لو كان الاسلام ينتشر بالسيف لوقف انتشاره بانقضاء الفتوحات الاسلامية أو بزوال التمدن العربي فاذا كان هذا صحيحا فلماذا يتقدم الاسلام الآن في بلاد الصين التي ينتظر أن يسيطر الاسلام فيها على دين (ساكياموني) وهو دين بوذا . وقال مونطيط : الاسلام ظافر لا محالة في بلاد الصين وهو وان قل في أوروبا كثير في أفريقيا

٦٨ يمتد من سبار اليون إلى موزنبيق ويمر في صرا كش ويصل إلى السويس ويمتد من البحر الأحمر إلى المحيط الانطالطبق ومن البحر الأبيض المتوسط إلى الدرجة السادسة من العرض الشمالى ويصل إلى الدرجة العاشرة من العرض الجنوبي . وهو كثير الانتشار في وسط افريقيا وفي تنجيتو وسقطلو وكانو وكوكا ورداي وشاد وشاري ولوغوتي ولوغراتي

٦٩ وهل الاسلام دين عمومي : أجاب بنعم من حيث أصله وأما لطواري عليه فقد كثرت الاتباع واسكنها جعلت أتباعه مخالفين لاسلامهم إذ جعلوا لله وسطاء بينهم وبينه والقرآن ينهى عن ذلك . ومن عجائب الاسلام انه دين رحيم فهو يعد بالجنة أصحاب الاعمال الصالحة المختلفي الاشكال والألوان لافرق بين عباده وعالم وتال للقرآن الخ . وقد حرم المسكرات لحفظ المسلمين من غوائلها التي منها طوائف الفوضوية وأعلى شأن النفس الانسانية بالصاوات الخمس . وهو دين ذو بساطة يلائم كل نفس حتى أبسطها وهم الزنوج بل الشهادة يعتاض عنها المسلم برفع السبابة الى السماء عند الاحتضار . لذلك يفضل الناس عن الدين المسيحي كما قال (القس ماراشي) « لقد جرد الاسلام تعاليمه من الأحاجي التي في الدين المسيحي . لذلك ينشر الاسلام . وليس لذلك الاسلام مبشرون كالدين المسيحي الذي يعرض على السود فينبذونه ويقبلون الاسلام بلا عرض . وعند خط الاستواء هناك اسلامية زنجية مثل : شاري ولوغونه وغيرهما . ولهم نظام سياسي يحكمون به من جاورهم ويتدخلون بين القبائل ويدخل الناس في دينهم أفواجا بالحسنى لا بالحرب . ومن الوسائط لذلك أن يتزوج المسلم من القبائل الوثنية فيكون ذلك السبب في جذب الجيران الى اعتناق الاسلام . ولقد كان النبي ﷺ غير مغرم بالشهوات وكثرة نسائه كانت لتحبيب تلك القبائل في الاسلام . وهكذا يفعل أولئك الزنوج بالزواج من نساء جيرانهم . وهناك مزبة سماوية وهي مافي التوراة : من أن الله يبارك في ابن الخادمة وهو اسماعيل فتخرج من سلبه أمة كبرى

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله - الخ . وفيها أربعة فصول * الفصل الأول في الذكر وبيان أن فضائل الذكر عرفها الهنود قبل آلاف السنين وهذا من المعجزات . وانقرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم

٧٢ فهؤلاء الهنود يقولون ان في البدن فقرات ظهرية داخلها حبل شوكي موصل كل مانع الى الدماغ فنعلم الاشياء . ولكن هناك عجب الذنب وهو مركز علوم الدنيا والدين وكان هذا المثلث المصمت الذي في آخر الفقرات قد كتب فيه « ان الانسان يحيط بالكائنات علما بقدر طاقته ويظل هذا العلم محجوبا عن العقل حتى يفتح بكثرة الذكر والفكر والعمل » ويصل للدماغ بواسطة الفراغ الذي يمتد في الفقرات لابواسطة الأعصاب المبلغات العلوم القليلة الدنيوية وتكرار ذكر الله مما يستعين على ذلك . ولكن ضبط التنفس في نظرهم (حبس الهواء داخل في الرئة أو خارجا مدة ما وتزيد بالتدريج يهبط النفس قوة عظيمة تجعله مسيطرا على قواه العقلية فهناك يصل لله تعالى وصولا حقيقيا لانه إذا كان يزهد في الدنيا . هذه آراؤهم على علالتها . والمقصود منها أن تكرر الذكر كره قبلنا قوم وهكذا عجب الذنب الذي ورد في شريعتنا الغراء . وهو عجب وألف عجب . اذن هنامعجزتان الذكر وعجب الذنب . هؤلاء هم الذاكرون أما المسيحيون فهم يكررون كلمات التسييح كأنها يلسم يداوي جراحات القلوب والعقل من الشكوك التي تعترض النفس كأن يقال : اذا كان الله رحيمًا فلم هذه الأمراض والموت والحروب وهكذا . فتكرار هذه التسييحات أشبه بالموتومات تنويما مغناطيسيا عن الشكوك . ولكن العارفون

يقرؤون جميع العلوم فيها فيعرفون كون الله تعالى منزها عن المادة بالجلال والجلال والحكمة وكلما
التسبيح كأنها أجسام والعلوم كأنها أرواح لها وأجسام الانسان والحيوان يعيش بها الحي وان كان
لا يعقلها هكذا التسبيح فهو نافع للتسبيح بدون معنى كما ينفع جسم الحيوان له بدون فهم العجائب

٧٧ ومن عجائب الجسم الانساني الدالات عند الحكماء على تنزيه الله تعالى ما استراه في سورة فاطر ﴿ عند
آية - والله خلقكم من تراب - من الدورة الدموية والدورة الليمفاوية وأن الثانية تعطى الاولى قوة كأنها
قلاع الجنود مخلوقة من المواد الدهنية حيوانية أو نباتية وبها يتم خلق الكرات البيضاء الفاتكات بالذرات
المهلكات . وهي المكروبات فالذين يعصرون السمسم مثلاً يحضرون جنود الأجسام الحيوان وأجسامنا
وان كانوا لا يعلمون . هذا هو التسبيح العملي

٧٨ ﴿ الفصل الثالث ﴾ في قوله تعالى - هو الذي يصلي عليكم - الخ . ولا جرم أن الصلاة من الله الرحمة فلولاً
الرحمة ما كان نظام تلك الدورات بأنواعها وهكذا

﴿ الفصل الرابع ﴾ في التحية والسلام . وهذا هو نهاية السعادة الانسانية فان نهاية العلوم لهذا النظام
العجيب الامان من القطيعة والجهالة إذ يرى السورة الغذائية مثلاً قد أعد لها نحو (٤٢) آلة لسير الطعام
مثل : الأسنان وأنواع اللعاب الست في الفم والبنكرياس والغدة الصفراوية والاحاض في المعدة
والامعاء وكلها مرتبات منتظمات . هنالك يدهش العاقل ويعلم علماً ليس بالشك أن الرحمة لاحد لها
وأن هذا الرحيم يهتدأ بالسلامة من القطيعة بناء على ما علمنا من رحمة العجيبة . ثم بيان أن هذا التفسير
كاف لذلك المقام وسيستخرج به طائفة كبيرة من عقلاء النوع الانساني ويحشرون إلى ربهم وهم عارفون
به أجل معرفة وهم آمنون

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ في قوله تعالى - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً - إلى قوله - وسراجاً
منيراً - وبيان أن تشبيه النبي ﷺ بالشمس ليس كتشبيه النافذة النعمان بالشمس . لا آثار للنعمان .
أما النبي ﷺ فأننا إذا رأينا للشمس حرارة استخرجت بخاراً طار في الجو فصار سحاباً يرتفع عن الارض
عند خط الاستواء ثم يقع عليها عند المدارين ثم يرتفع كرة أخرى عند المدارين ثم يرجع منه قسم إلى
خط الاستواء وقسم آخر يذهب إلى الدائرتين القطبيتين ثم يرتفع ويحل محله هواء آت من القطبين
وهكذا . فهكذا النبي ﷺ أشرق علمه في القلوب لما أرسله الله تعالى فامتد شرقاً وغرباً . فالجيوش
كالرياح والقرآن كالسحاب . وهذا السحاب نزل في الاندلس مطراً علمياً ومن هناك انتشر العلم في أوروبا
ورجع قوم منه إلى الشرق يحاربونه أيام الحروب الصليبية وقسم توجه إلى أمريكا فانتشر العلم بينهم في مقابلة
الرياح التي انقسمت عند المدارين شطرين شطر رجوع وشطراً استمر صاعداً

وهنا في صحيفة (٨٠) ضرب مثل للرياح وتقلبها باللاعب الذي قسم الملعب (١٨٠) قسم الخ وهذا المثل موضح
بالرسم شكل (١) في صحيفة (٨١) وكل هذا مقدمة لقياس انتشار الاسلام على انتشار الرياح حذو القذة
بالقذة . فاذا كانت الشمس حركت الرياح والمطر في السكرة الأرضية كلها فهكذا شمس الاسلام حركت
الأمم كلها للعلم شرقاً وغرباً ووصلت الحركة لليابان والصين . كل هذا باشراف شمس الاسلام في بلاد العرب
النبي ﷺ مشبه بالشمس والشمس بها حياة كل شيء ولكن في المحالقات ما حجب عنه الشمس خلقت
فيه حيوانات ضارة ولا يقتلها إلا التعرض للشمس كما هو الطب الحديث . هكذا المسلمون اليوم دخلت
عقولهم كثير من الآراء الضارة . فليرجعوا إلى نفس القرآن ثم نفس علوم الكائنات . هنالك تطهر
عقولهم من الجهالات كما تطهر الارض من الحيوانات الذريات بتعرضها للشمس . هذا واقع جلست في

الخلاء نحو ساعتين معرضا الجسم للشمس فألفت العوالم كلها في عرس . طيور . مفردات وأضواء
ساطعات . رعوده كالمدافع واطلاق البنادق في أعراسها والسحاب كجماعات مدعويين في ولائنا ومحافلنا
فهذا عرس دائم كلي . أما ولائنا ومظاهر أفراحنا فانها وقتية وهي تشير لنا أن السعادة إنما تكون
بملاحظة الموجود الدائمة مظاهر أفراحه ومسرات أعماله . ثم إن كل فرد لو فكر لوجد أن هذه الشمس
وما تحتها مسخرات له وحده كما أن غيره يرى هذا الرأي بالنسبة لنفسه لأن كل امرئ تخدمه أمته كلها
والأمم الأخرى تبع لها . وهكذا السموات والأرضون ولا جرم أن الإبداع في هذا النظام جعل كل واحد
يتسنى له أن يقول هذا النظام لي

٨٩ آثار النبوة وانتشارها في أوروبا ورسالة السيد ناصر الدين « دينيه » المسلم الفرنسي والمصور الشهير
الذي مات وهو يبلغ من العمر ٧٠ سنة وقد أحب الاسلام حبا جما وحيج وأوصى أن يدفن في بلاد
الجزائر . قد أعظم أمره المسلمون والحكومة الفرنسية جميعها . وقد ألف تاريخا لحياة نبينا ﷺ ولام
أوروبا على أضرارها الشر للشرقيين . ويقول « إن المسيحية لم يرقها الأناضول ليسوا منها كاليهود والذين
خرجوا على الكنيسة والفضل للعرب في نهضة أوروبا . وقد تباعد الأوروبيون اليوم عن المسيحية
تباعدا تاما

٩٢ الاسلام لا يبالي إلا بالعقل وينبذ خوارق العادات فهو بهذا خالف جميع الأديان . المسلمون أشد الناس
تسامحا والمسيحيون اليوم يتعاملون التسامح من المسلمين إن المسلم يعظم عيسى والمسيحي يكرم محمدا . إن
أصل حريتنا العامة فضلها للنبي العربي . ومن فضائل الاسلام منع الخمر وأنه لا واسطة بين الله وعباده
ولا يسأل الإنسان إلا عن نفسه . والله له عند المسيحيين شكل رجل هرم لحيته بيضاء وعند المسلمين
هو مقدس - وليس لله عند المسيحيين إلا أقل الصلاة أما أكثرها فانما هي للابن والام والروح القدس
وزوج الأم وقلب يسوع المقدس : وفي الاسلام علو الهمة . أما المسيحية فن ضرب فيها على خده الأيمن وجب
عليه أن يدير خده الأيسر وفي الاسلام المساواة ومسايرة الطبيعة . وتعدد الأزواج تدعو اليه طبيعة
الوجود وقصر الزواج على واحدة أحدث في المسيحية الدعارة وكثرة العوانس والابناء غير الشرعيين
ومن عاش مع المسيحيين من المسلمين تعلم منهم الفسوق والفجور . والصلاة في الاسلام ذات بساطة
لاتسكف فيها وعند المسيحيين فيها تسكف كثير . والاذان أمره عجيب فهو أدعى إلى الاصغاء له من
الناقوس

٩٧ المؤتمر الديني الدولي لخدمة السلام العام . رجال الأديان في أمريكا عقدوا اجتماعا للسلام العالمي وكل ممثل لدين
يدين لتعاليم دينه في السلام العام . وقد حضر الاجتماع (٦٠) عضوا الخ

٩٨ الكلام على حالة العميان في مصر وسؤال تلك الجمعية للحكومة المصرية في أمر العميان وهل لهم اعانة
وكم عددهم ؟ وبكم ساعدتهم الحكومة ؟ وما أنواع مصنوعاتهم ، وما الرائج في السوق منها ؟ وهكذا .
وهذا كله من السلام العام الذي كان المسلمون أحق به لأنهم أول من نشروا التعليم العام وبسببهم
انتشر في الأرض

١٠٠ تفسير قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا - الخ . معنى - وحلها الإنسان -
من القاموس . لطيفة عامة للسورة كلها

١٠١ تفسير سورة سبأ . تفسير البسملة وبيان أن رحمة الله في هذه السورة موجهة إلى المسلمين من حيث
أنه يذكرهم بأمر خلت في بلاد اليمن كانوا ذوي علم وجد وتشمير ، فن العار أن يكون المسلمون أدنى

منهم منزلة وأضعف رأياً وأقلّ عَمَلاً . ومن رحمته التي في البسملة أيضاً انه أبان بقصة داود وسليمان عليهما السلام كيف يكون شكر النعم كما أفاد بقصة سبأ كيف يكون كفرانها ، ومنها أيضاً انه حذّر المسلمين من تصديق ما تلقوه الأرواح في زماننا على يد المستحضرين

١٠٢ ﴿ القسم الثاني ﴾ في تفسير السورة كلها . وبيان حكم فواتح السور كالحمدلة وكالحروف الهجائية (الم) وهكذا وأن الحمد في الفاتحة والأنعام والكهف وهذه السورة كل لحكمة خاصة ، والكلام على أرجل الحيوان وعددها بمناسبة السور

١٠٤ ههنا ﴿ ثلاثة فصول * الأول ﴾ في تفسير الألفاظ مع الإيجاز ﴿ الثاني ﴾ جعل السورة ستة مقاصد ﴿ الثالث ﴾ في معجزات القرآن في هذا الزمان بالعلم الحديث

﴿ الفصل الأول ﴾ في تفسير الألفاظ وذكر السورة كلها مشكلة قبل ذلك

١٠٧ ابتداء تفسير الألفاظ

١١١ الكلام على محاجة الكافرين والمعاندين الخ من قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء - الى آخر السورة

١١٣ ﴿ الفصل الثاني ﴾ في أن هذه السورة ستة مقاصد

١١٤ المقصد الأول والثاني والثالث من أول السورة الى قوله - رجز أليم - وبيان أن السورة ابتدئت بالحمد توطئة لما سيذكر في السورة من ملك داود وسليمان عليهما السلام الذي استوجب شكر النعمة عليهما ﴿ المقصد الرابع ﴾ في التهديد والوعيد للمستعززين ﴿ المقصد الخامس ﴾ وفيه غرضان : بيان أدوار ملك بني اسرائيل الثلاثة بمصر وفي حكم الشيوخ ودور عظمة الملك أيام داود وسليمان موازنة ملك سليمان بملك سبأ

١١٦ ﴿ المقصد السادس ﴾ الاستقلال والحرية في الآراء . الاغترار بالرؤساء . الضلال بالغنى

١١٧ ﴿ جوهرتان ﴾ في آية - الحمد لله - وآية - يعلم ما يلج في الأرض - الخ وبيان أن الناس في أول أمرهم يعشقون الصور الجميلة ثم الصناعات الانسانية ثم الصناعات الكونية هذه ثلاث درجات . ومن الدرجة الثانية ما نراه من تراحم وتوارد الزائرين الأجانب من سائر أنحاء العالم لمشاهدوا بهجة الجبال الصناعية في مقبرة (توت عنخ أمون) مثل السرير الذهبي وآنية من مرمر وأخرى مثلها ، ونوع من حلى الصدر وصندوق الملابس وهكذا . هذه نماذج جمال الصنعة الانسانية المناسبة لعقول الناس في الأرض . المثال الرابع أعلى مما تقدمه وهي الصنعة الإلهية . فهذه ليس يغرم بها إلا قليل لعظمتها وان كانت مبدولة لـ شكل أحد . انظر لحشرتي الجراد والنحل في الضر والنفع كأنه يقال ان لم تعقلوا النحل لنفعه فاعقلوا الجراد لضره ، هنا خير وشرّ فاذا لم تعقلوا النافع أفلا يذكركم الضر بأن النوعين يسيران بقانون واحد من حيث نظام الجسم ونظام المملكة وتوزيع الأعمال ، وأي فرق بين النحلة مع مملكتها وبين الأرض وأتباعها والشمس وسياراتها والمجموع العصبي في الانسان وأعضائه فالأعضاء والسيارات والحشرات كلها مطيعات للأوامر الصادرات من مركز الرئاسة ، هذا معنى قوله - له ما في السموات - الخ

١٢١ صورة المجموعة الشمسية

١٢٢ صورة ملكة النحل والأرضة وجسم الانسان من حيث أن هذه الممالك قد اتحدت في أن لكل مركز رأسه وأتباع يطيعونها من النحلات والأرضات والسيارات وأعضاء الانسان

١٢٤ كل من حاذق في صناعة وشاهد شيئاً منها أدرك سرّها وعرف فاعلمها لأن صنغته متشابهة كما اتفق للعالم الانجليزى المستشرق الذى أدرك طبقات الكتاب السودانين المقنولين بسبب معرفته بطبقات الكتابة والشعر والنثر فى أدوار اللغة العربية ، هكذا يفعل العارف بعجائب هذه الدنيا اذا اطلع على بدائع الجسم والكواكب والحيوان فانه يقول فاعلمها واحمد لسريان النظام المتحد فى الجميع . هذا هو سرّ قوله - له ما فى السموات - الخ على سبيل الحصر ، فالحصر هنا كحصر الحاذق فى الصناعة إذ يرى صنعة رجل فينسبها له لعلّه بأساوبه فى العمل ، ومثل المجموعة الشمسية المجرة والمجرات الأخرى والسدم فسكانها من هذا القبيل نظام محكم متشابه . هذا معنى - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت - الشمس كاللجاجة وكالأوزة ترجع لها صفارها ولم يحجب الله عن نظام نخله بنظام سيرشمسه إذ يحسبه بالثانية ونصف الثانية ولا يشغله حساب الخسوف والكسوف بالدقيقة والثانية (والمواعيد المحددة لكل ٧٠ خسوفا وكسوفا (١٨) سنة و (١١) يوما) عن عيون النحلة التى تكون (٤٠٠) و عيون النبابة (٤٠٠٠) كل عين منها مستقلة

١٢٨ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ - يعلم ما يلج فى الأرض - الخ ولنبدأ بالبحث فى الأرض ونبين الصور التى رسمها بعض العلماء فى أدوار فهمها المختلفات مثل انها كسياط (شكل ٦) أو كشجرة (شكل ٧) أو مجموعة على اثني عشر عمودا (شكل ٨) أو كالاسطوانة (شكل ٩) أو مكعبة (شكل ١٠) أو كروية تحيط بها جبال (شكل ١١) أو ان الجبال ترتفع فى القطب الشمالى فتصل السماء (شكل ١٢) أو هى محارة كبيرة مستديرة على أربعة أفيال (شكل ١٣) أو بيضاوية (شكل ١٤) أو كرة مفرطحة (شكل ١٥) كعبة القوطة (الطماطم) أو تشبه القلب (شكل ١٦) أو كتل الكمثرى (شكل ١٧) أو هى من عدة كرات متداخلة بينها فواصل وهى خمس مملوءة بالهواء والسكان وكل سطحين للكرة مسكونان ولها فتحتان عند القطبين وقطر الفتحة فى القطب الشمالى أربعة آلاف ميل وفى القطب الجنوبى ستة آلاف ميل (شكل ١٨) و (١٩) والمارشال (جاردنر) سنة ١٩١٣ يقول « إن الأرض مجوفة وسمك طبقتها التى نعيش عليها (٨٠٠) ميل وهى مفتوحة عند القطبين وفى داخلها شمس (شكل ٢٠) والفتحة (١٤٠٠) ميل أو هى على شكل هرم (شكل ٢١)

﴿ المقام الثانى ﴾ فيما يقوله علماء الاقتصاد فى مباحث المعادن والفحم ١٣٣ القربة إما سوداء جلبها الغرين (الطمي) وأما نباتية وأما بركانية ، فالسوداء كأرض بلاد النيل جلبها الطمي لا تحتاج الى سقى كثير بخلاف الرملية وضدها البركانية فى الولايات المتحدة الهزات الخفيفة والزلازل التى تبلغ (٣٠) ألف فى السنة لا يشعر الناس بها تحدث ارتفاعا وانخفاضاً نشأة البركان الذى هو جبل مخروطى تخرج منه مواد مصهورة وحجم بركانية . وقد يثور البركان فتكون سحب من بخار ومن تراب بركانى يظلم الجو ، مثل بركان كركتوا سنة ١٨٨٣ نفس بذلك ثلثا الجزيرة فحل بحر عظيم محل الجبال العالية بعمق ألف قدم وهاك (٣٦) ألف نسمة و (٣٠٠) قرية وارتفع التراب (٢٠) ميلا

١٣٥ أما الفحم فهو مخزون قديم فى الأرض ومنه يكون انتراسيت والفحم البخارى وفحم الكوك وهكذا وهاك صورته فى الأرض (انظر شكل ٢٢) و (شكل ٢٣) زيت البترول فى بلاد القوقاز والولايات المتحدة وغيرها (شكل ٢٤) فيه صورة الأعشاب فى مدة الفحم الجرى

١٣٨ (شكل ٢٥) فيه ما تفرّع عن الفحم من السكوك والقطران والتمار وزيت القار والنفط وغاز النشادر والأصباغ وهكذا ، وهذه في الرسم نحو (٦٠) نوعا تقريبا

١٣٩ تفصيل بعض ما في هذا الشكل مثل الزيت الطبيعى والكبروسين والبراتين والفازولين

١٤٠ والبنزين والريفولين

١٤١ جمال العلم في قوله تعالى - وما يخرج منها - مثل الينابيع المحجرة بسبب ما فيها من الجير المذاب في الماء كغابة هليوبوليس المكوّنة من ينابيع حارة فيها أذيب الرمل ومثل الصخور الرسوبية الكيميائية من ذوبان صخور جيرية أو من صخور الملح التي ترى في (تشكوساوفاكيا) وهناك مدينة منحوتة من الملح ، ومثل الصخور الطينية والرملية والجيرية وهكذا ، والصخور المتحوّلة بسبب الضغط والصخور النارية . أنواع الصخور المتحوّلة المائية كالاردواز محوّلا عن الطين ، والنارية كالنييس من الجرانيت وكالصخور المائية تكون عضوية كالجير والفحم وكيميائية كالملح ورسوبية كالطين والحجر الرملى ثم النارية بركانية كالبارزات وباطنية كالجرانيت

١٤٢ ﴿ حركات القشرة الأرضية ﴾ . الزلازل والبراكين والنافورات . السواحل الطالعة كساحل المحيط الأطلسى الغربى وهو المجاور لأمريكا المكوّن من صخور رسوبية حديثة العهد وفيه كهوف ومغارات أصلها من تحت أمواج البحار وكذلك القواقع والأصداف وسواحل أوروبا الغربية آخذة في الهبوط التدريجى تحت سطح الماء ، فبأنى الرومان فى إيرلنده غارت الآن تحت مستوى ماء المحيط

١٤٣ الجبال تكون غالبا على حافة المحيطات الكبرى وعند تجمع القارّات وتخرج بسبب التواء الأرض من أضعف الجهات وقد برزت جبال الألب من قرار البحر فى أزمنة حديثة . الأنهار تجلب للبحار موادّ تكوّن بها جبالا جديدة فى باطن الأرض بدل الجبال التى تبرز بالزلازل أو بحركة القشرة الأرضية وحركة القشرة بسبب الدوران الذى يغير شكل الأرض وهذا التغير البطيئ اليوم يكسر الصخور ولذلك ﴿ سببان ﴾ جذب الأرض . وضغط الطبقات العليا . وكلما كان الصخر أسفل كان أثقل وبالعكس . والجبل فى خروجه من البحر بالعوامل العظيمة يكون أسفله أعلى وأعلاه أسفل . ففى البحر تكون الطبقات النارية أسفل ويعلوها ثلاث طبقات أعلاها أخفها وأثقلها أسفلها طبعا . ومتى ارتفع الجبل كان الأعلى هى الطبقة النارية التى هى أثقل الجميع وتليها الطبقات الأخرى . فالأصل يكون أخف والأعلى يكون أثقل عكس وضعها فى البحر

الأخاديد الغائرة . الهضبات المرفوعة . الجبال المختلفة . الزلازل كزلازل مصر (سنة ١٩٢٦ م) وزلازل (سن ترنسكو) و (لشبونيه) و (مسينا) و (اليابان) الذى هلك فيه (٢٠٠) ألف نفس

١٤٥ باطن الأرض عند القطبين مملوء فخما به يكون القطب الشمالى ملئى الخطوط الهوائية . ومن الهجاب أن باطن الأرض كما أن فيه فخما من أشجار طمرتها الرمال قديما هكذا فيه كهрман وهو الذى فيه قوّة كهربائية كان قديما ينزل كاللبن من أشجار عظيمة قد انقرضت ويتجمد وهو فى شمال ألمانيا يستخرج من الأرض التى طمرهوفها من أزمان

١٤٧ ﴿ الفصل الثالث ﴾ فى مبحث الجن وسيل العرم . ومبحث الجن مذكور فى الكلام على حشرة الأرض وهى التى أكلت منسأة سليمان عليه السلام . وهذه الحشرة حكومتها منظمة تنظيما مدهشا تعريف الأرض وانها عجماء غبشاء الخ

١٤٨ سياستها فوق متناول العقول وأنواعها (١٥٠٠) والمشهور نحو (٤٠) نوعا فقط ومساكنه إما أسراب

١٤٩ تحت الأرض أو بيوت ظاهرة تعاون عليها (٤) أمتار وتكون كالقالب السكر قاعدته (٣٠) قدما
(شكل ٢٦) قرية الأرض وتكون تلك المساكن في افريقية الوسطى وفي كونغو والبلجيك فيعاو
المنزل الى (٨) أمتار ولا يقطعها الناس إلا بالديناميت وهي تجعل الخشب قوتا لها مهضوما وفضلاتها
تصلح لها طعاما

١٥٠ والأرض تطرد الانسان وتبنى مساكن في أرضه كما بنت في استراليا (١٦) قرية في مساحة (١٣٥)
مترا ولها مهندسون وجنود يصنعون لها كل ما تريده (انظر شكل ٢٧) وهو رسم الأرضة العاملة
(شكل ٢٨) الجنود وعدو الأرضة هي النملة ، وللجنود الأرضية ثكنات تعود اليها بعد هزم عدوها
ولكل قرية عدد من الجنود لا يزيد وما زاد يقتل بطريق سياسي خاص ، ولهذا الحشرات طرق بها
يفهم بعضها بعضا ، ألا ترى انها المملكة تكون في أشجار كثيرة وهي تابعة لعرش ملكة واحد ولها
أصوات موسيقية خاصة تشترك فيها المملكة كلها وهن جميعا يتمايلن الى الامام والخلف ويدوم عدة
ساعات مع فترات قليلة . والملك والمملكة في حجرة خاصة وهي أعظم جثة منه

١٥٣ متى آن فصل الشتاء تفتح المنافذ المحرّم فتخرجها طول السنة في ساعة خاصة . وتخرج حشرات من هذه
المملكة ذات أجنحة تعد بالملايين وتنشئ في الجو ما يشبه السحاب بمنظر جميل قصير المدى وكل ذكر
يبحث عن أنثاه فهو مشهد جميل ولكنه سريع العطب إذ يهبط هذا الجيش كله الى الأرض حالا وما
أسرع ماتنقض عليه المصافير والحيات والهرر والكلاب والتمل وتأخذ في أكل تلك الغنائم التي خرجت
لأعراسها فصارت هي نفس المآدب لغيرها

(شكل ٢٩) وهو رسم أرضة بالغة بسطت جناحها
١٥٤ تخريب حشرة الأرض للأرض إذ هي تناسل بسرعة مدهشة ولولا البرودة لغطت الأرض كلها وهي
تفتك بما عند الانسان من ملبس ومسكن وغيرها . فمدينة جامستون دخلها نوع من هذه الحشرة
ففعل فيها ما تفعله الزلازل وجزائر الانتيل الفرنسية منعها هذه الحشرة عن مغالبة الانجليز لأنها خربت
المنازل . النحل في جنة والأرضة في جهنم لأنها محبوسة عمياء تحت الأرض . ان لها شريعة قاسية
لا غفران فيها فالعامل الذي لا يعمل يقتل وهكذا

١٥٥ حشرة الأرض تقدمتنا بملايين السنين وقد كان في أوروبا قديما فاختفى في الأرض فعمى على ما يظهر
والهنا نحن ننتظر مستقبلا مثل هذا متى بردت هذه الدنيا . إن هذه الحشرة تعرف كيف تنظم الذكور
والجند من حيث إيجادها بقوة إلهية . أما نحن فلا . ولوتسنى للانسان ذلك لكان ذلك سببا في انه
يكون فيه الأذكاء النادرون الذين يعملوننا من العوام ما نبهله الآن

خطاب للمسلمين وكيف درس القوم حشرة الأرضة وأنتم لم تدرسوها وهي في القرآن
(المقام الثاني) - فلما خرت تبينت الجن - الخ وبيان أن العزائم والدعوات الكفورية وغيرها تذكر
فيها أسماء الشياطين فيها نوع من العبادة . وبيان أن الأرواح الصغيرة تكذب وأن الروحانية لا يصح
أن تكون بابا للرزق ولا علم للأرواح بالمستقبل في الكشف الحديث

١٥٨ (تذكرة) الكلام على آية - فلما خرت تبينت الجن - الخ وتبيان ما قاله الرجل الهندي بمصر وأن

البرلمان يعمرسنة . وأن المعاهدة مع الانجليز تتم وأن هذا القول بمقتضى علم الأرواح لا وثوق به

١٥٩ وأن الخبر بهذا أرواح صغيرة . وانه هو كان أحب فتاة فلما بعدت عنه تفكر فيها فظهرت أمامه بقوة
الروحانية فلما ماتت وهي صغيرة جلس مع الناسك يقرؤن آيات من القرآن في الخلوات (٤٠) يوما بلا كل

فتسخر لهم الأرواح التي كانت تظهر لهم بهيئة وحوش . وبيان أن هذه الأرواح ناقصة وأن هذا العمل لم يخلق الانسان لأجله في الدنيا وأنه لا يرقى هذا الهندى ولا كل من فعل مثله الخ وأن هذه الأحكام قالها الشيخ الدباغ والشهراني والخواص إذ أجمعوا أن من فتحت له أبواب الاخبار بالغيب ونحوها فهو مبخوس الحظ شهوانى شهوة دنيوية وربما دخل جهنم

١٦٢ قوة الارادة تنزع أتمهالا خارقة للعادة مثل الهنود الذين اشتهر عنهم انهم ينامون على المسامير ولا يألمون ، ولقد ظهر (طهرا بك) فى لندن أمام (٤٠) طبيبيا انجليزيا وغرز سكيناً حادة فى جسمه ونام على المسامير ووقف رجل ضخم على صدره ثم نزل ووضع حجر كبير مكانه ووقف رجلان يتناوبان ضرب هذا الحجر حتى تكسر ذلك الحجر على صدره وقام معافى ، كل هذا أظهر أن الهنود ليسوا خادعين وأن هذه قوة ارادة نادرة

١٦٤ (المبحث الثانى) فى سبأ وسيل العرم الخ وبيان أن المسلمين اليوم أشبه باليتيمين اللذين حفظ الله لهما كنزهما باقامة الحائط عليه إذ ألهم الخضر ذلك حتى بلغا أشدهما فاستوليا عليه ، هكذا المسلمون دفن الله لهم كنوزا وعالوما فى بلاد سبأ وأنزل عليهم مطرا تركوه سدى ، فهاهوذا اليوم قد أرسل لهم الفرنجة سرا فكشفوا ماخبأه الله فى بلادهم بأشارة علماء ألمانيا وغيرها ، فإذا لم يفسكروا بعد الآن فان الله لهم بالمرصاد والأرض أرضه والمالك ملكه

١٦٦ مخالفين الذين التي يحكمها الأقبال أى الملوك الصغار ، والمخلاف يشتمل على محافد أى قصور حو لها مساكن يحكمها أذواء (جمع ذو) وإذا تغلب رجل على مخالفين سعى ملكا فهو ملك على هؤلاء الأقبال الحاكمين هؤلاء الأذواء ، وملك الملوك هو التابع أى ملك يحكم ملوكا . إذن هنا أربع درجات : أذواء أقبال ، ملوك ، تبابعة

١٦٧ (خريطة مدينة مأرب بعد خرابها) وهى عاصمة سبأ وهى نفسها تسمى (سبأ) وهى المعنية بالبلدة الطيبة فى الآية

١٦٨ الخلط والحبط فى تاريخ تلك البلاد ، وبيان أن المؤرخين ليس عندهم دولة اسمها سبأ ولكن الكشف الحديث كشف ذلك موافقا للقرآن مخالفا للتاريخ المشهور ، وهكذا سد العرم كان الناس يشكون فى أمره وفيما كتبه عنه الهمدانى حتى ظهر اليوم بالكشف ورسمت خريطة كما رسمت هنا فى هذا التفسير وهذا من أجل المعجزات النبوية

١٦٩ كان الناس يشكون فى وجود سد العرم حتى تمكن المستشرق (ارنو) من معرفته ونشر فى المجلة الاسيوية سنة ١٨٧٤ وزاره هاليفى وغلازر ، ووجدوا صدق وصف الهمدانى له فى كتابه « وصف جزيرة العرب » و « الاكليل » . وههنا بيان الميزاب الشرقى والأودية التى تصب فيه وحبل السراة وغيرها وهكذا ميزاب مور ووادي أذنه الذى تسير منه المياه الى ما بين الجبلين وهما البلق الأيمن والأيسر رسم سد العرم وكيف ينصرف الماء منه ، والسد عرضه (١٥٠) ذراعا وطوله ثمانمائة ذراع ، وثلثه الغربى وهو الأيمن باق والثلاثان الباقيان تهتما ، والأيسر عرضه عند القاعدة (١٥) ذراعا وطوله (٢٠٠) ذراعا

١٧٢ خريطة بلاد العرب

١٧٣ خريطة سد مأرب وأسد العرم

١٧٤ عجائب القرن العشرين ، وبيان أن ذكر سد العرم يذكرنا بطوفان نوح عليه السلام وبما حصل

في مصر سنة ١٩٢٩ م وما حصل في أمريكا سنة ١٩٢٧ م و بأن منه فرض كفاية وأن ذلك الفرض عند بعض العلماء أفضل من فرض العين لاتساع فوائده . و بيان أن نهر الميسيسيبي أغار على الجسور فقطعهما وأن هذا النهر سنة ١٩١٣ م فاض على مقاطعة (الاهيو) غمرت البلاد (٢٤) مليوناً من الجنهات ، فأما في سنة ١٩٢٧ م فقد خرج البحر عن مجراه وأغرق سبع ولايات وارتفع على الأرض (٨) أمتار

١٧٦ (شكل ٢٣) مياه الميسيسيبي ترتفع على الجانبين وشكل (٢٤) نسف أحد جوانب الميسيسيبي
١٧٧ بيان اشتراك الشعب كله في درء الخطر ، وأن مئات ألوف من الناس باتوا بلامأوى ، وأن الحكومة أغاثتهم بفيلقين من الجيش و بلغت الخسائر مائتي مليون ، ثم جاء الخوف على مدينة (نيو أورليانس) العظيمة فنسفت الجسور في ثمانية وأربعين مكاناً ونفذت الحكومة في سبيلها خمسمائة ألف إنسان بلا قوت لهم و (٧٥) ألف كيلو متر، وكان هذا الهم بعد محاربة الأهالي للحكومة بأنواع السلاح ومنها المتروليوز والقنابل ، ثم تمتة الكلام على أسداد اليمن وإيضاح من بنو أسد العرم

١٧٩ الأسداد وانها تبلغ في العدد مئات والذي بنى سد العرم أولاً سمعته ثم ابنه يشعمر ثم ابنه كرب ايل ثم نصر على ذرح ملك سبأ ثم يدع ايل دثار ، وقد تهتم مراراً وأصلح ، ولما ملك الأحباش اليمن ظهرت لهم كتابة عليه سنة ٥٣٩ م وسنة ٥٦٥ م ونص إحدى الكتابتين التي كتبها أمير الحبش « بنعمة الرحمن الرحيم ومسيحه الخ » وفيه تاريخ تغلب ذلك الملك على الخارجين عليه

١٨٠ ﴿ تذكرة ﴾ فيها ايقاظ المسلمين الى هذه النعم النجوة في أرضهم ، وكيف عرف قيمتها الوثنيون ولم يعبأ بها المسلمون ، وهذا في الحقيقة انتكاس ، فأين شكر النعم إذن وقد أهملناها !

١٨١ ﴿ جوهرة ﴾ في آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - وأن أم الاسلام اليوم استيقظوا وأحسن العرب والهجم بما يصيبهم من الخطر ، وأن المسلمين كانوا في القرنين الأولين يرضعون من أفاويق النبوة ثم في القرون التي بعدها صاروا أيتاماً وأوصياؤهم أمراء وشيوخ إن صلحوا صلحت الأمة والعكس بالعكس ، مثال ذلك محمد بن تومرت وهو الذي اعتبروه مهدياً وكان رجلاً حسن النية قضى على دولة المرابطين وأنشأ دولة الموحدين في القرن السادس الهجري ، وكسر عبد المؤمن نائبه جيوش (علي بن ناشفين) الذي اشتغل بالعبادة قياماً وصياماً وترك الرعية تحت رحمة النساء اللاتي كن يحمين المصوص وقطاع الطرق ، وعبد المؤمن هذا رأى رؤيا تدل على انه يتغلب على الملك مع انه كان معلم صبية ، ومحمد بن تومرت قابل الامام الغزالي أولاً ولما توجه الى (السوس) أخذ يعظ الناس ويذكرهم وجعل له شيعة أولهم عشرة هم المهاجرون الأولون وبعدهم جماعة اسمهم الجسون وهؤلاء أشبه بمجالس الشورى والنواب ، وأخذ يظهر الكرامات حتى اعتقدوه كما فعل ابن الصباح وأوهمهم بأن ملكهم باق الى آخر الزمان وانهم يفتحون فارس والروم ويقتلون الدجال . وأكثر هذا في قصيدة رجل من أهل الجزائر أولها

١٨٤ سلام على قبر الامام المجدد ✽ سلالة خير العالمين محمد

وهي مذكورة هنا (٢٤) بيتاً

١٨٥ الكلام على أبي يعقوب يوسف وعلى ابنه يعقوب الذي أهان ابن رشد وعلى ابنه محمد وابنه يوسف والمأمون من هؤلاء وهو الذي نسخ سياسة المهدي وقتل أرباب المشورة وأذل رجال الدولة واستعان عليهم بالنصارى فلم تقم لهم بعدها قائمة وأذل المأمون المذكور محمد بن هود

١٨٦ هنالك تفرقت الدولة شذرمذ . و بيان أن ابن توصرت استعمل رجلا من أصحابه في طريقة الجذب و اظهار الكرامات و ادعاء أن النبي ﷺ علمه العلوم و أطلق لسانه ، فقسم الأمة الى قسمين : أصحاب الجنة و أصحاب النار بمقتضى قاعدة سرية يعرف بها المصدقون بالمهدى المعصوم و المكذبون ثم أمر أصحاب الجنة بقتل أصحاب النار و أخذ نسائهم و أموالهم و بعد ذلك شغلهم المهدي بالحروب حتى لا يحقدوا عليه بقتل رجالهم

١٨٧ ذكر امتحان هذه السير و الأحوال ، و أن الكلام على المهديوية تقدم في أول سورة الحج و أن أكثر أمم الاسلام تركوا مواهبهم و اتكأوا على شيوخ جهلاء كما اتكأت المنزعة على اطعامنا أياها فكان نقصها عظيما بالنسبة لنظيرتها الفزالة في البادية ، فحمد بن توصرت و كثير من مشايخ الصوفية نفقهم مؤقت و ضررهم أكثر ، إذن لتعلم الأمة كلها رجلا و نساء ، و القرآن أبان هذا بجمل السامري الذي غلب ذهبه و خواره على انقلاب العصا حية ، فالقرآن في ناحية و جمهور المسلمين في ناحية ، و ما مثل الشيوخ الجاهلين و البقر المعبود عند البراهمة و شيوخ البراهمة إلا كمثل الدود الذي يأكل لحم الميتة إذ لا معطل في الوجود ، و المسلمون الذين في الهند لم يقدرُوا على إزالة خرافات أهل البلاد فجاء احتلال البلاد ليزيل بعضها آخر ، و على المسلمين في المستقبل أن يزيلوا ما بقي

١٨٨ جمال العلم و بهجة الحكمة في ذم التقايد ، وفيه ذكر أنه لا يليق بالمسلمين (الذين لا يفرقون بين الأم كما تفعل أوروبا و أمريكا اليوم) أن يفعلوا فعل البراهمة ، و المسلمون السابقون هوش على عقولهم أناس ادعوا الاخبار بالغيب و لكن الأمة اليوم قد فتحت لها باب العلم

١٨٩ حديث الهند و بيان انها أمة بلغ الرقي فيها أعلاه في بعض الأفراد و في مؤخرتها أناس لا يزالون في أخريات الأم كعهد الفطرة الأولى و الانجليز يحكمون (٢٤٧) مليوناً و جميع السكان (٣١٩) مليوناً و الباقيون (١٢) ولاية ، و الأهالي عشرون عنصرا لغاتهم (٢٢٢) و كتاباتهم (٥٠) نوعا و لكل كتابة من (٢٠٠) حرف الى (٢٥٠) حرفا و البلاد إما حارة جدا و إما باردة بردا شديدا و قد توالى عليها الفتوحات ، فن (سيزوستريس) المصري الى الفرنسيين فالانكليز الذين لهم هناك (٦٠) ألف جندي و ثلاثة آلاف موظف و رجال الشرطة أربعة آلاف و الاوروبيون (٢٠٠) ألف و هم براهمة و مجاهدون و فلاحون و السودرا المحقرون و الطبقة الأولى عالة على الجميع بالاتوات للولود و الميت و غيرهما و البقر المقدس مليون و نصف و الشحاذون و الأولياء و غيرهم نحو ستة ملايين ، كل هؤلاء عالة على الأمة ، و هناك البغاء المقدس و عدد الأرامل في الهند ثلاثون مليوناً و البنات يموت منهن في سن الطفولة بسبب زواجهن ثلاثة ملايين و نصف . و قد سن تشريع جديد للزواج يخفف ما تقدم و بيان أن طبقة السودرا لا مقام لها في الهند و لكن التشريع الجديد رفعها نوعا ما . و أعمال البراهمة يشبهها أعمال ابن الصباح و كثير من رجال الصوفية الجهلاء . و نظير ذلك ما يكون في بعض طيور بمصر لها (٤) رؤساء متى أهلكن أصبح الطير كله في قبضة القانصين

١٩٣ ﴿نور على نور﴾ الكلام على البراهمة في آية - ولوترى إذ الظالمون موقوفون - الخ و أن الله الذي نظم عيون النمل و النباب لم ينفل عن أهل الهند إذ جعل لهم بقرا و براهمة يطوفون عليهم كأنهم أصنام متحركة و لم يعطهم إلا على مقدار عقولهم حتى يستعدوا للإسلام فيما بعد متى حان الوقت و هذا البقر المقدس له نظير عند جهلة المسلمين إذ يطلقون عجولا باسم الأولياء بمصر قبل تنوير المسلمين . و يفعل مثل ذلك أيضا (أغا ممنون) باتباعه

١٩٦ ﴿ الفصل الأول ﴾ في بيان المضار الحادثة في بلاد الهند بسبب سوء التقليد وشرح أمر الزواج وتخفيف ضرره . وبيان نسبة الأرمال الى غيرهنّ ونبد العادات القديمة من قتل من مات زوجها واذا عاشت فلا بد من زواجها اليوم بالقانون الجديد وأن هناك ألف أرملة لا يزيد سنهنّ عن سنة واحدة و (١٦) ألف أرملة لا يزيد سنهنّ عن خمس سنوات وهنّ محرومات من الزواج بالقانون القديم

١٩٨ ﴿ الفصل الثاني ﴾ في نماذج من الكتب الاسلامية التي تغري الماوك بالخداع وحبائل النصب ليهيمنوا على الشعب وهو كتاب ﴿ سرّ العالمين ﴾ المنسوب للغزالي كذبا وأن هذا الكتاب يأمر باظهار الزهد والكرامات . ثم يظهر الداعي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضرب مثلا بين الصباح والمأمون أخى الأمين بن هارون الرشيد . وبيان أن الولي هو الذي لاتهمة الحياة الدنيا ويحب لقاء الله . أما الكرامات وخوارق العادات فما هي إلا امتحانات للناس . وتبيان حديث المسيح الدجال . وأثر خوارق العادات على يديه امتحان للناس

٢٠١ إن العلم والعمل صعبان على الناس وما أسهل الراحة والنوم والكسل والجهل والاكتفاء بالكرامات وتقبيل الأيدي وما أشبه ذلك . أولئك كرا الناس أن المسيح الدجال رمز لهذه الطائفة التي اغترت بهذه الامور . وخوارق العادات قد تصدر على أيدي الجهلاء وهم غافلون كالشيخ سليم بالصعيد وله حادثة جرت مع أحد مستشاري محكمة الاستئناف وقد سألتني وسأل صديقي حسن باشا جلال فأخبرت بأن مارآه من احضار زجاجة الرائحة من الاسكندرية أمر جائز عقلا وذكره ابن سينا اجالا وذلك قبل الاطلاع على علم الأرواح الحديث

٢٠٢ ﴿ أشعوذة أم علم ؟ ﴾ (هوديني) رجل أوروبي في زماننا يدفن نفسه في الأرض على عمق بعيد ثم يخرج وفعل ذلك في كل دولة وأخذ يهزأ بالسجون جيعها وخزائن الحديد التي تقفل عليه فيخرج حالا بحضور وزراء الأمم وعظمائها وهو القائل : « هذا سرّ لو عرفه غيري لأضرّ بالناس اذا لم يكن أمينا » وهذا يؤيد قول علماء الاسلام « إن خوارق العادات لا تختص بالأولياء بل هي عامّة »

٢٠٣ فعلى المسلمين أن يذكروا تلك الطريقة العتيقة وليفكروا في أمبراطور اليابان الذي ورث صناعة الاختفاء عن الشعب وإيهامه . فلما علم أن ذلك يضرّ بالأمة رجع عنه وعلم الأمة كلها

﴿ المهديون وبعض شيوخ الطرق والمسلمون ﴾ ليفعل المسلمون بعد ظهور هذا التفسير ما فعله صديقنا (اللورد هيدلي) الانجليزى (الذى لما اطلع على أن الألمان كشفوا في بلاد الآشوريين أن ابن الله البكر صلب كما صلب المسيح . وتلك الكتابة وجدت قبل المسيح بألاف السنين) إذ قال « أىّ الابنين أتبع : الابن القديم . أم الابن الجديد ؟ لأتركهما معا وأتبع الاسلام » هكذا ليقل المسلم بأىّ المهديين أقتدى . أبلهedy السودانى . أم ابن توصرت الخ . كلا . بل أتبع نفس القرآن وأنا أبشر المسلمين بأن هذه الطبقة ستظهر بعد ظهور هذا الكتاب

٢٠٥ ذكر حادثة دالة على ذم التقليد في الطب وهي المذكورة في سورة الشعراء وأن رجلا رأى هرة لدغتها أفعى فتمرغت في نبات « رعراع أيوب » وانها كلما لدغت تمرغت فيه . ولكن لما قطعها ماتت . وأيضا يقول : « ان لعاب القط يمنع من السم » فكذب هذا كماوى في مضرنا في عصرنا وأثبت أن هذا النبات وهذا الريق لا يذهبان السم ولا يشفيان منه . فكتاب ابن أبى أصيبعة والمصرى الذى ادعى هذا كلاهما مخطئ

٢٠٦ ﴿ الحياة الاجتماعية وتبرّم أوروپا من حروفها الكتابية ﴾ وقول القوم إن حروفهم كثيرة تضع نصف

الوقت في الكتابة والكتابة المختلة فائدتها ضئيلة . أما الحروف العربية فهي أقرب الى المختلة ولا تصحح الوقت . إذن أوروبا تحب ترك حروفها ومصطفى كمال يقترب منها وأيضا قلد أمان الله خان مصطفى كمال في قتل علماء الدين المعارضين فزال ملكه فهو تقليد محزن ، ومن الأحرار الذين تركوا التقليد المستر (سكلانقلا) العضو الشيوعي أقام مظاهرة في لندن ضد (الكولونل لورنس) الذي أشعل الفتنة في أفغانستان ضد (أمان الله) فهذا الانجليزى حر ولكن أمثاله قليل في حب العدل

٢٠٨ ومن بهذا التقليد في الزراعة أن الأشجار والزرع تنمو في نفس الماء في حياض وتوضع في الماء أقراص محتوية على العناصر السبعة التي يتغذى منها النبات ، وبهذه الوسيلة يمكن أن يظهر القمح والورد وأمثالها في أزمان قليلة وبنقود قليلة ، وبهذه الوسيلة أيضا يمكن الزرع في الصحارى والقفار وسطوح المنازل ويزيد المحصول نصف قيمته ويخلص من الآفات العارضة للزرع في نفس الأرض . أزهر الورد بهذه الطريقة في (٨٠) يوما . وزاد محصول البطاطس (٥٠) في المائة والنباتات الغذائية زاد محصولها مائة في المائة ، وبهذا يمكن أن يعيش ملايين من الناس على محاصيل في أرض لا تنبت الآن سوى الشوك الخ

٢١٠ وأتى نبع أو بحر في أرض فقراء يكفي ماؤه لغذاء أناس في أرض فقراء اليوم ، وسطوح المنازل تغطي بالزرع في الحيطان ، وبالجملة فهذا انقلاب عظيم في حياة أهل الأرض

٢١١ ﴿تذكرة﴾ في أن الصيام للمريض مع الجلوس في الشمس بطرق خاصة يمنع فقر الدم ، وهذا لمناسبة انه ﷺ سراج منير والقرآن يجب أن يكون نبراسا للمسلمين يزيل خرافاتهم ويجعلهم مفرمين بالعلوم العقلية كما أن ضوء الشمس يشفي الأبدان مع الصوم ﴿والتذكرة الثانية﴾ أن قوله تعالى - يعلم ما ياج في الأرض - الخ يدخل فيه القطران الذي يستخرج منه مئات الألوان الزاهية التي بها اغتر بعض الأمم الاسلامية فحق عليهم آثار قوله تعالى - سرايلهم من قطران - وهذه أشبه بجنة المسيح الدجال التي تكون لنا جهنم وهذا عجيب في القرآن ، والاستدلال على ذلك بقول بعض العقلاء ان النهافت على الملابس الأجنبية يورث العبودية في هذه الدنيا

٢١٢ ﴿خاتمة السورة﴾ وانها مبتدأة بالنعم الجزيلة وأن هنا أمتين شرقتين أمة اليهود وأمة العرب . أما أمة اليهود أيام سليمان وداود عليهما السلام فقد شكرت النعمة ، وأما أمة سبأ فانها أعرضت فهلكت وأعقب ذلك بتعير المقلدين وانهم لا ينفعهم الاحتجاج بالتقليد . وقد أرسل الله سيدنا محمدا ﷺ وسكن أتباعه أرض الله ومنها سبأ ، والحجة اليوم قائمة على أهل هذا الزمان وانهم لم يقوموا بالمحافظة على النعم في ديارهم فلم يجعلوا للماء سدودا ويستخرجوا ما في أرضهم من الحجاب فان أعرضوا فان الله لا يرضى بذلك والأرض له هو سبحانه فهو يعطيها لمن يستخرجون كنوزها أيا كانوا والله لا يهلك الأمم في الدنيا اذا كانوا مصاحين لأرضه ، ألم تر أن اليابان والصين لما كانتا جاهلتين أذهلها أهل أوروبا ، فلما أخذنا في اصلاح بلادهما فرت أوروبا من ديارهم - وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون -

٢١٥ الانسان ونهضة الاستعمار وأن الأمة العالمة تبحث عن الأرض التي نام أهلها عن اتقان العمل فيها فتسخر أهلها لمصلحتها وتارة يستوطنونها . فعلى أهل اليمن وسائر بلاد العرب أن يأخذوا حذرهم ويستخرجوا كنوز أرضهم التي كنزها الله لهم . وهذا التفسير آخر انذار للمسلمين

بشرى

نرفها الى السادة الشافعية

بهون الله تعالى تم إعادة طبع كتاب طالما اشتاق
الطلاب لرؤياه بعد احتجابه عدة سنين . وكاد لا يوجد إلا في
خزائن الخاصة مثل الكنز الثمين مع تعطش القلوب لرياه والأبصار
لمرآه ألا وهو

بشرى الكريم

بشرح

مسائل التعليم

تأليف

العلامة الكامل والهامم الفاضل الشيخ سعيد بن محمد

باعشن على مقدمة الامام الولي الزاهد الشيخ عبد الله

ابن عبد الرحمن بافضل الحضري في فقه مذهب الامام

الشافعي رضى الله عنهم ونفعنا بهم أجمعين

ولتمام النفع وضعنا بهامشه المقدمة الحضرية المذكورة . وهو

واقع في جزأين مطبوعا طبعا متقنا ومصححا بغاية الاعتناء